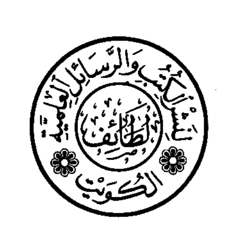
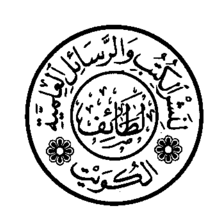






الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي

خلال القرنين: السادس والسابع الهجريين
الثاني والثالث عشر الغربيين

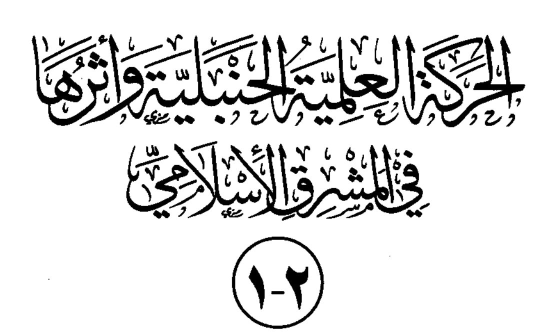
الأستاذ الدكتور
خالد كبير علال

الكتاب الثاني

الجزء الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب
أطروحة دكتوراه دولة نالت درجة مشرف جدًا
من جامعة الجزائر سنة ٢٠٠٣م



الطبعة الأولى

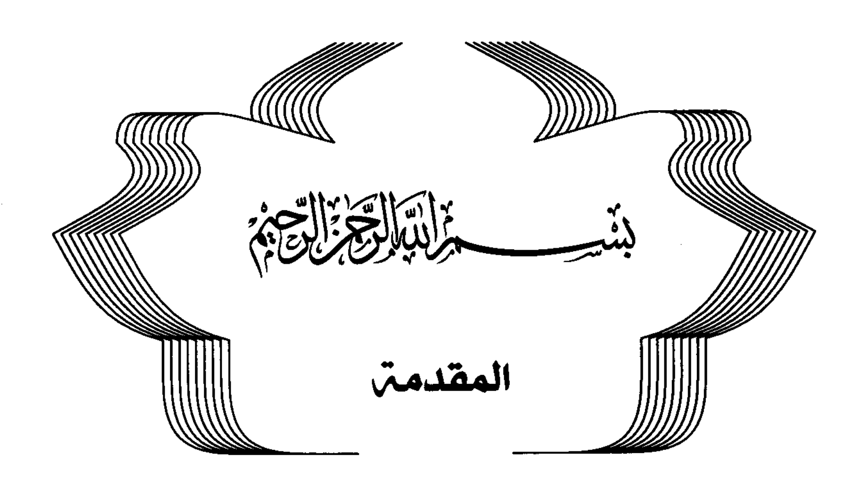
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

لطائف

لنشر الكتب والرسائل العلمية

لصاحبها د. وليد بن عبد الله بن عبد العزيز المنيس

دولة الكويت - الشامية - صندوق بريد ١٢٢٥٧ الرمز البريدي ٧١٥٦٣



التعريف بالبحث

تتناول هذه الأطروحة موضوع النشاط العلمي للحركة الحنبلية في المشرق الإسلامي، من حيث مظاهره، ومؤسساته، وتراثه، وتأثيراته، وقد عنونته بـ:

الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين (السادس والسابع الهجريين/١٢ ـ ١٣م)

وأقصد بمصطلح: «الحركة العلمية»: التيار الذي يمثل الجانب العلمي من حياة الجماعة الحنبلية.

وأعني باستعمالي لعبارة: «العلمية»: كل عمل فكري استخدم فيه الكتاب، أو القلم، أو كلاهما.

وقد فضلتها على كلمتَيّ: «العقلية» و«الفكرية»؛ لأنّها أكثر دقة منهما، وهما لا يخلو منهما أي نشاط إنساني، مهما كان نوعه وحجمه.

وقد حدّدت الإطار الزمني للبحث بقرنين، هما: (السادس والسابع الهجريان/ ١٢ ـ ١٣م)، **لاعتبارين أساسيين:**

الأول: هو أني بدأته بالسادس؛ لأنه مسبوق ببحثي ـ في رسالة الماجستير ـ عن الحنابلة في بغداد من القرن (الثالث، إلى الخامس

الهجري/ ٩ ـ ١١م)، فمن الطبيعي إذاً أن يأتي بعده، ليرتبط به، ويكمله، ويكون امتداداً له.

والثاني: هو أن الحركة العلمية الحنبلية اتسع نطاقها، وبلغت أوجها خلال هذين القرنين من حيث قوة فاعليتها، وزخمها، وكثرة مواردها ومؤسساتها حتى أنها لم تكن تملك أية مدرسة ـ بالمعنى الحديث ـ في القرن (الخامس الهجري/ ١١م)، لكنها أصبحت تملك ستة وثلاثين مدرسة خاصة، وإحدى عشرة مدرسة مشتركة، خلال هذين القرنين.

وأما إطاره المكاني، فهو المشرق الإسلامي، ويشمل: الديار المصرية، والشام، والعراق، والجزيرة العربية، وبلاد فارس، وخراسان، وخوارزم، مع العلم أنه لم يكن للحنابلة وجود بالمغرب والأندلس.

وفيما يخص الدراسات المتخصصة في الحياة العلمية الحنبلية (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، فإني لم أعثر على أي بحث منها، لكنني عثرت على مصنفات ومقالات بعضها له علاقة مباشرة بحياة الجماعة الحنبلية عامة في أزمنة مختلفة، وبعضها الآخر هو دراسات عن الحياة العلمية بالمشرق عامة، وقد تطرقت لهذه الأبحاث بالتفصيل في مبحث نقد المصادر والمراجع.

وأشير هنا إلى أن البحث الذي أنجزته عن الحنابلة في بغداد يختلف عن موضوع أطروحة الدكتوراه، فالأول يشمل كل جوانب حياة الحنابلة ببغداد من القرن (الثالث إلى الخامس/ ٩ ـ ١١م)؛ والثاني خاص بالنشاط العلمي للحنابلة في المشرق الإسلامي ككل (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م).

❁ أسباب اختيار الموضوع:

وأما عن أسباب اختياري لهذا البحث كموضوع لأطروحة الدكتوراه، فإني اخترته لثلاثة أسباب:

أولها: أنه يكمل دراستي التي أنجزتها عن الحنابلة في بغداد.

ثانيها: اعتقادي أن هذا البحث يحمل جديداً؛ لأنه يتناول بالدراسة جانباً هاماً من حياة حركة مذهبية نشطة مغمورة ومطموس كثير من تاريخها.

ثالثها: أنه يلبي رغبتي في مواصلة البحث عن الجماعة الحنبلية، ويمكِّنني من الاطلاع على المزيد من تاريخها.

❁ إشكالية البحث وأهدافه:

لتوضيح إشكالية البحث وإبراز جوانبها، نطرح سؤالين أساسيين، هما: ما هي مظاهر الحركة العلمية الحنبلية؟ وما هو تأثيرها في المجتمع وتأثرها به؟.

والإجابة عن هذين السؤالين هو حل للإشكالية، وتحقيق للأهداف المتوخاة من البحث، والتي منها:

- الكشف عن الجانب العلمي من حياة الحركة الحنبلية.
- المساعدة على عقد مقارنات بين القدرات العلمية للحنابلة، وبين قدرات الفرق الإسلامية الأخرى.
- معرفة الجزئيات عن الحركة العلمية الحنبلية بالأرقام، من حيث تراثها، وعلمائها، ومؤسساتها.
- جمع إحصائيات عن النشاط العلمي الحنبلي، لاستخدامها في إنشاء الجداول والرسومات البيانية.
- التعرف على نوعية القضايا العلمية والمذهبية التي شغلت علماء الحنابلة.
- الاطلاع على التراث العلمي الحنبلي على اختلاف موضوعاته وفنونه.
- التعرف على مشاهير علماء الحنابلة، ومغموريهم.
- الكشف عن تأثيرات المدرسة الحنبلية، في غيرها من المدارس، ومدى تأثرها بها.

منهج البحث

اعتمدت أولاً على المنهج الاستردادي، وهو منهج يغلب عليه الوصف، وتقوم عليه كل الدراسات التاريخية بحكم أن الباحث في التاريخ عليه ـ قبل كل شيء ـ أن يسترجع الحوادث التي يريد دراستها، ثم يقبل على خطوات أخرى.

واستعنت ثانياً بمناهج مساعدة في مواضع كثيرة من البحث، وبدرجات متفاوتة، منها: المنهج الإحصائي، والمنهج المقارن، والمنهج النقدي التحليلي.

وإلى جانب هذه المناهج، استخدمت وسائل الإيضاح، وهي أدوات تعمق البحث، وتثريه، وتسهل فهمه، وتحول بعض جوانبه إلى كمّ رقمي، وقد بلغ ما ذكرته منها في المتن: ثمانين، منها: ثلاثة وعشرون جدولاً، وسبعة عشر رسماً بيانياً، وخمس خرائط، وستة وعشرون شكلاً، وتسع صور.

خطة البحث

تضمنت الأطروحة: مقدمة، ومبحثاً إلى نقد المصادر والمراجع، وتمهيداً، وستة فصول، وخاتمة، وملاحق، وفهارس.

* **فتطرقت في مبحث نقد المصادر والمراجع** لنقد أهمّ المؤلفات التي اعتمدت عليها لإنجاز البحث ومجموعها واحد وستين مصنفاً وقسمتها إلى مجموعات حسب موضوعاتها ونوعيتها، منها: سبع من المصادر، وأربع من المراجع.

* **وخصصت التمهيد** لأوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)؛ لأنه بمثابة الأرضية التي يبنى عليها البحث، ولم أر داعياً لتوسيعه حتى يشمل

الأوضاع العلمية العامة بالمشرق ككل؛ لأن الموضوع يخصّ الحنابلة دون سواهم. وقد تطرقت فيه ـ بإيجاز مركَّز ـ للنشاط العلمي الحنبلي من حيث مواطن تمركزه، ومؤسساته، وتراثه، ومجالسه العلمية.

* **وتناولت في الفصل الأول** مجهودات علماء الحنابلة في تحصيل العلم ونشره، من حيث رحلاتهم، واجتهاداتهم، وتضحياتهم، وجمعهم بين الاشتغال بالعلم والتكسب، وتبحرهم في العلوم وتخصصهم فيها، وعقدهم لمجالس العلم ونشرهم لمذهبهم.

وتطرقت فيه كذلك للعالمات الحنبليات، والأسر العلمية الحنبلية التي توارثت العلم وساهمت بقسط كبير في دعم الحركة العلمية الحنبلية وتفعيلها.

* **وأفردت الفصل الثاني** للمؤسسات العلمية الحنبلية، فبدأت بمساجدهم، في بغداد، ودمشق، وحران، ومصر، وهمذان، وفي غيرها من المدن، وتطرقت لنشاطهم في بعضها، وفي الحرم المكي، وبيت المقدس، والجامع الأموي.

ثم ركَّزت على مدارسهم، من حيث مواقعها، ومؤسسيها، ومرافقها، وأوقافها، ومدرّسيها، ونشاطها وبعدها انتقلت إلى مكتباتهم، وزواياهم، وأربطتهم، وتربهم.

ثم ختمت الفصل بجدول عام لمجموع مؤسساتهم العلمية.

* **وخصصت الفصل الثالث** لمواقف علماء الحنابلة من القضايا الفكرية التي شهدها عصرهم (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م).

وفيه ثلاثة مباحث:

الأول: في مسائل علم الكلام وأصول الدين؛ كمسألة معرفة الله ﷻ، ودور العقل في تحسين الأشياء وتقبيحها، ومسألة الحكمة والسببية في الكون.

والثاني: في قضية الاجتهاد والتقليد، تعرضت فيه لمواقف علماء الحنابلة من القضية ولمسألة القول بوجوب تقليد الأئمة الأربعة. ثم أوردت نماذج من مظاهر التقليد والتعصب المذهبيين عند العلماء والعوام.

والثالث: تناولت فيه قضايا فقهية وحديثية؛ كمسألة الغناء، والطلاق الثلاث، وخبر الآحاد.

* **وأفردت الفصل الرابع** للنقد العلمي عند علماء الحنابلة، في مختلف مجالات المعرفة.

فيه ستة مباحث منها:

الأول: مبحث في النقد التاريخي عند المؤرخ عبد الرحمٰن ابن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م).

والثاني: في نقد علم الكلام والفلسفة، لكبار نقاد علماء الحنابلة.

والمباحث المتبقية هي في نقد التصوف وأهله، ونقد مقامات الحريري الأدبية، ونقد بعض المصنَّفات، ونقد علماء الشريعة وعامة الناس.

* **وأفردت الفصل الخامس** لتراث الحنابلة العلمي، (خلال القرنين: السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م).

وفيه مبحث عن كبار المصنِّفين الحنابلة؛ كأبي الحسن بن الزاغوني البغدادي (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) وابن الجوزي، والحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م). ثم تناولت مؤلفاتهم في شتّى مجالات العلوم؛ كالفقه والحديث وعلوم القرآن، وعلم الكلام وأصول الدين، والتاريخ واللغة والأدب. ثم ختمت الفصل بجدول شامل لمجموع مصنفاتهم ومثّلته في رسم بياني بالأعمدة.

* **وأما الفصل الأخير**: فخصصته لمظاهر تأثر علماء الحنابلة بالأفكار المعاصرة لهم، وتأثيرهم فيها، وفيه أربعة مباحث:

الأول: عن تأثرهم بعلم الكلام والفلسفة.

والثاني: عن تأثرهم بالتصوف والتشيع.

والثالث: عن تأثرهم بالمذاهب الفقهية السُّنِّيَّة الثلاثة.

وقسّمتهم في تأثرهم بأفكار غيرهم إلى فئتين: **واحدة**: بقيت محافظة على مذهبها الحنبلي، **والثانية**: تركته، وتحولت إلى مذاهب أخرى.

والمبحث الأخير: أفردته لمظاهر تأثير علماء الحنابلة في مجتمعهم، على مستوى الأفكار والسلوك.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ضمَّنتُها أهم النتائج التي توصلت إليها، **وبعدها ألحقت بالأطروحة خمسة ملاحق**، من بينها جدول عام لأهم الإحصائيات الواردة في البحث والباقي نصوص مختارة. **ثم ختمتها** بأحد عشرة فهرساً، منها: فهرس الرسومات البيانية، وفهرس الخرائط والصور.

تنبيهات وتبريرات:

رأيت من المفيد جداً الإشارة إلى جملة تنبيهات وتبريرات، اخترت منها خمسة:

أولها: هو أني أدخلت في البحث نشاط علماء الحنابلة، الذين عاشوا معظم حياتهم في القرن (السابع الهجري/ ١٣م)، وماتوا في: (الثلث الأول الهجري/ ١٤م)؛ كالشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني، المولود سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م)، والمتوفى سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)؛ لأن نشاطهم الأخير هو ـ في غالب الأحيان ـ استمرار لحياتهم العلمية السابقة في توجهاتها العامة.

والثاني: هو أني لم أعرّف بمعظم الأعلام في الهوامش، للتخفيف على القارئ، وعدم إثقال الهوامش بكثرة الإحالات، واكتفيت بالتعريف لها في المتن؛ كقولنا: الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي الحنبلي

(ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، فنكون قد عرّفنا به بذكر تخصصه العلمي، وكنيته، واسمه، ونسبه، وبلده، ومذهبه، وسنة وفاته بالهجري والميلادي.

والثالث: هو أني كثيراً ما جمعت في الإحالة ذات الترقيم الواحد كتابين فأكثر عن نفس الحادثة الواحدة، ولم أر في ذلك عيباً على ما قد يذهب إليه بعض الباحثين، بل في ذكري لها فوائد، منها: إثراء البحث، وإفادة القراء والمختصين، وإظهار مجهودات الطالب في تتبعه لمصادره ومراجعه.

والرابع: هو أني أضفت الفصل السادس إلى الأطروحة، ولم أدمجه مع فصل آخر، رغم قلة مادته، وصغر حجمه؛ لأني رأيت من المفيد إلحاقه بالبحث كفصل مستقل، لأهميته، واستقلالية فكرته.

والخامس: هو أنه واجهتني في إنجازي لهذه الأطروحة صعوبات كثيرة، هي من طبيعة البحث العلمي المتخصص؛ كصعوبة جمع المادة التاريخية المبعثرة في بطون المصنفات، والمعاناة في فرزها، وترتيبها، وربطها، وتحليلها، ومنها ما هو خاص بموضوع بحثي هذا؛ كندرة المصادر الحنبلية، وقلة المراجع المتخصصة فيه، وقد كلّفتني تلك الصعوبات مجهودات مادية، ومعنوية مضنية، وأخذت مني أوقاتاً طويلة، لكنني ذللت معظمها، واستعذبتها بفضل الله وعونه.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلّ من ساعدني في إنجاز هذه الأطروحة، وأخص بالذكر اثنين:

الأول: أستاذي الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي أشرف على البحث وشجعني عليه.

والثاني: أستاذي الدكتور موسى لقبال، الذي ساعدني في تحديد موضوع البحث وضبطه.

والله الموفّق لما يحبّه ويرضاه

خالد كبير علال

نقد المصادر والمراجع

رجعت في إنجازي لموضوع: «الحركة العلمية الحنبلية وأثرها بالمشرق الإسلامي (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)»، إلى أكثر من ثلاثمائة وتسعين كتاباً، من بينها مؤلفات متخصصة، وأخرى عامة ومساعدة اقتصر على نقد طائفة منها، مبتدءاً بالمصادر أولاً، ثم المراجع ثانياً.

أولاً المصادر

قسّمت المصادر ـ تسهيلاً لنقدها ـ إلى سبع مجموعات:

أولها: كتب الطبقات والتراجم:

أذكر منها عشرة مصنفات:

أولها: «طبقات الحنابلة»، للفقيه أبي الحسين ابن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت٥٢٦هـ/ ١١١٣م).

ترجم فيه للإمام أحمد، وأصحابه، وتلامذته، وأتباعه من بعده، حسب طبقاتهم إلى سنة (٥١٣هـ/ ١١١٩م).

وقد أورد فيه مادة تاريخية غزيرة عن الحركة الحنبلية؛ وألحق به نصوصاً ورسائل لها أهمية بالغة في التراث العلمي الحنبلي[1]، وكان

(١) طبقات الحنابلة، حققه محمد حامد الفقي، مصر، مطبعة السُّنَّة المحمدية =

يُظهر تحيّزه لأصحابه، ولا يخفي تعصبه لهم وتهجمه على خصومهم[1].

ويُعد كتابه هذا أهم مصدر يرجع إليه في التأريخ للحنابلة من القرن (الثالث إلى الخامس الهجري/ ٩ ـ ١١م). لكنني لم أستفد منه كثيراً لأن معظم حوادثه تخص القرن (الخامس الهجري/ ١١م) وما قبله، والتي تدخل في القرن (السادس الهجري/ ١٢م) لم يتوسع فيها المؤلف[2]، لكنه أفادني كثيراً في التمهيد للحركة العلمية الحنبلية في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م).

والكتاب الثاني هو: «الذيل على طبقات الحنابلة»[3]، للحافظ زين الدين ابن رجب البغدادي الحنبلي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م).

جعله ذيلاً لطبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، ورتّبه على الوفيات، لا على الأحرف كما فعل الأول.

وكتابه هذا تاريخ حافل بالأخبار عن الحنابلة ومذهبهم، على امتداد قرابة ثلاثة قرون من سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) إلى سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م).

وقد احتوى على نصوص ورسائل عديدة، منها رسالة من الفقيه موفّق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) إلى الفقيه

= (١٩٦٢م)، ٢/ ١٩، ١٢٨، ١٨٤، ١٨٥، ٢١٠، ٢١١.

(١) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٩.

(٢) انظر: نفس المصدر ٢/ ٢٥٩.

(٣) اعتمدت على طبعتين، الأولى حققها سامي الدهان وهنري لاوست، وحققا الجزء الأول فقط، نشره بدمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية، سنة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، ونرمز لهذه الطبعة بـ:(ط د). والثانية، حققها محمد حامد الفقي في جزأين، القاهرة، مطبعة السُّنَّة المحمدية (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، ونرمز لهذه الطبعة بـ: (ط ق).

فخر الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي (ت٦٢٢هـ/ ١٢٥٢م)، موضوعها مسألة تخليد أهل البدع ـ المحكوم بكفرهم ـ في النار[١]، ومنها رسالتان متبادلتان بين الفقيهين الموفّق ابن قدامة، وناصح الدين ابن الحنبلي الدمشقي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، تخص مسألة الغناء[٢].

وفيه كذلك: فتاوى، واختيارات فقهية كثيرة لكبار علماء الحنابلة؛ كأبي الخطاب محفوظ الكلوذاني البغدادي (ت٥١٠هـ/ ١١١٦م)، وأبي الوفاء ابن عقيل البغدادي[٣] (ت٥١٣هـ)، وابن الجوزي، والموفّق ابن قدامة[٤].

وقد وثّق ابن رجب كتابه بذكره لمصادره، وعَزْوه الروايات لأصحابها[٥]. كما أنه لم يكتف بالنقل والسرد للحوادث، بل كثيراً ما كان يعلّق، ويناقش، ويرجّح، مبدياً رأيه في كثير من المسائل التي يتطرق إليها[٦].

وفاتت ابن رجب بعض الشخصيات الحنبلية لم يترجم لها في كتابه هذا، منها: الواعظ أبو الحسن علي بن الحسن الدولعي البغدادي (ت٥٢٦هـ/ ١١٣١م)[٧]، والفقيه أبو الفرج ابن حمدي

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٤.

(٢) انظر: نفس المصدر ٢/ ١٩٥ وما بعدها.

(٣) يجب عدم الخلط بين هذا وبين ابن عقيل اللغوي صاحب كتاب شرح ألفية ابن مالك محمد ماهر حمادة: المصادر العربية والمعربة ط٥، بيروت مؤسسة الرسالة، (١٤٠٦هـ)، ص١٩٩.

(٤) عن هؤلاء انظر: نفس المصدر ١/ ٤٧، ١٩٠ (ط د) و١/ ٢٣٢، ٢٣٤، (ط ق)، و٢/ ١٤٤ (ط ق).

(٥) انظر ـ مثلاً ـ: نفس المصدر ١/ ٣٦٨، ٣٦٦ ٣٦٩، ٣٧٩ (ط ق).

(٦) انظر ـ مثلاً ـ: نفس المصدر ١/ ١٥٣، ١٥٤، ١٩٢، (ط د).

(٧) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، حققه مصطفى عبد القدر عطا، ط١ بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٩٩م).

البغدادي[1] (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)، والصوفي جاكير محمد بن دشم الكردي السامري (ت٥٨٠هـ/ ١١٩٣م)[2].

كما أنه لم يترجم للنساء العالمات الحنبليات، وهنّ كثيرات جداً، أحصيتُ منهنّ أزيد من خمسين امرأة[3]، ولا أدري سبب إغفاله لهنّ رغم أنه لم يشترط في كتابه أنه يترجم للرجال دون النساء[4]، فعدم ذكره لهنّ أنقص من أهمية كتابه، وأوجد فيه فراغاً كبيراً.

ومن نقائص كتابه أيضاً، أنه رغم اهتمامه بالحياة العلمية للحنابلة، فإنه لم يركّز على مدارسهم الكثيرة من حيث عمرانها، ومرافقها، ونشاطها، وأجور أساتذتها وطلابها؛ فكان ـ في الغالب ـ يكتفي بالإشارة إلى أن فلاناً بنى مدرسة، وأن فلاناً درّس فيها، دون تفاصيل أخرى[5]. ومع ذلك فإن كتابه، يعدّ أهمّ مصدر رجعت إليه في دراستي للحركة العلمية الحنبلية، (في القرنين السادس والسابع/ ١٢ ـ ١٣م)، ولا يساويه في ذلك مصدر آخر.

وأمّا الثالث فهو: «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»، للفقيه مجير الدين عبد الرحمٰن بن أحمد العليمي المقدسي (ت٩٢٨هـ/ ١٥٢١م).

ترجم فيه للحنابلة من القرن (الثالث الهجري/ ٩م) إلى عصره، لذا فإن كتابه يعدّ من أوسع كتب تراجم الحنابلة.

---

(١) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، حققه بشار عواد، العراق، دار الرشيد (١٩٧٩م)، ١/ ١٠٢.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري، (د ت).

(٣) انظر: مبحث: نساء عالمات حنبليات، من الفصل الأول.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٥، (ط د).

(٥) انظر ـ مثلاً ـ: ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٠٠، (ط د)، و٢/ ٥٧، ١٩٤.

لكنه كان ـ في مصنّفه هذا ـ مجرد ناقل في معظم ما دونه عن القرون البعيدة عنه، حتى أنه أدخل فيه معظم كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب، ونقله نقلاً يكاد يكون حرفياً في مواضع كثيرة، منها: قوله عن الأديب جعفر بن أحمد السراج البغدادي (ت٥٠٠هـ/ ١١٠٦م): «وكان أديباً شاعراً لطيفاً صدوقاً ثقة، مأموناً عالماً، فهماً صالحاً، وصنف كتباً حساناً، منها: كتاب «مصارع العشاق»، وكتاب «حكم الصبيان»، وكتاب «مناقب السودان»، وشعره مطبوع، ونظم كتباً كثيرة شعراً»[١]. وفي «الذيل على طبقات الحنابلة»، قال ابن رجب: «وكان أديباً شاعراً لطيفاً، صدوقاً ثقة، وصنّف كتباً حساناً، منها: كتاب «مصارع العشاق»، وكتاب «حكم الصبيان»، وكتاب «مناقب السودان»، وشعره مطبوع، ونظم كتباً كثيرة شعراً»[٢].

لكن العليمي أضاف إلى كتابه تراجم لم يذكرها ابن رجب في الذيل، منها ترجمتان:

الأولى: للفقيه تاج العارفين بن محمد الحسيني البغدادي (ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م)[٣].

والثانية: للصوفي جاكير محمد بن دشم الكردي[٤].

والكتاب الرابع هو: «التكملة لوفيات النقلة»، للحافظ عبد العظيم المنذري الشافعي المصري (ت٦٥٦هـ/ ١١٥٨م).

خصصه لأصحاب الحديث أولاً، ثم لغيرهم من طوائف العلماء

---

(١) المنهج الأحمد، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة، مطبعة المدني، (١٣٣٨هـ/ ١٩٦٣م)، ص٢/ ١٨٠، ١٩١.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٣١، (ط د).

(٣) العليمي: المصدر السابق ٢/ ١٨٣، ١٨٦.

(٤) نفس المصدر ٢/ ١٨٦.

الذين كان لهم اهتمام بالحديث ثانياً[١].

وقد أفادني بأخبار عن كثير من أعلام الحنابلة، منهم: الحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، والمحدّث عبد القادر الرهاوي ثم الحراني (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)[٢].

ومع ذلك فإن استفادتي من كتابه ليست كثيرة؛ لأن قسماً كبيراً من تراجمه ليست ثرية بالمعلومات، مقتصرة على الاسم والنسب وتاريخ الميلاد والوفاة، وشيوخ المترجم له[٣]، كما أن كتابه يكاد يكون خالياً من النقد والتحقيق.

والخامس: كتاب «مجمع الآداب في معجم الألقاب»، للمؤرخ عبد الرزاق بن الفوَطي البغدادي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

ترجم فيه لأعيان الناس من العلماء، والصوفية، والأمراء، بالمشرق الإسلامي عامة والعراق خاصة، وأورد فيه معلومات غزيرة عن الحياة العلمية في المنطقة[٤].

وقد أفادني بأخبار عن نفسه، وعن بعض علماء الحنابلة[٥].

لكنني لم أجد في مجلداته الأربعة معلومات غزيرة عن الحنابلة؛ لأنه لم يتوسع في أخبارهم[٦]، كما أن تراجمه كثيراً ما كانت هزيلة

---

(١) التكملة لوفيات النقلة، حققه بشار عواد معروف، بغداد، مطبعة الآداب في النجف (١٩٧١م)، ٤/١٢٨، ٣١١، ٢٨٦، ٣٤٦.

(٢) عنهما انظر: نفس المصدر ٤/ ٦١٢.

(٣) المنذري: المصدر السابق ٣/٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٤٨.

(٤) تلخيص مجمع الآداب، حققه مصطفى جواد، دمشق، مديرية إحياء التراث القديم، د ت، ق١، ٤/ ١١٢، ١٢٦، ١٥٣، ١٥٨، ١٨٥، ١٩٣.

(٥) انظر: نفس المصدر ق١، ٤ /١٢٦، ١٦٧، وق٢ ص١٠٣.

(٦) انظر ـ مثلاً ـ: نفس المصدر ق١، ٤/ ٢١٧، ٣١٩، ٥٤٩.

وفقيرة من حيث المادة التاريخية، ففي بعضها لا يوجد إلا الاسم[1].

وقال عن أحد الأعلام: هو «غرس الدين أبو الحرم بن حمد بن دشم الكردي الأمير، كان من الفرسان المذكورين، والشجعان المعروفين، له ذكر في التواريخ»[2]، وقوله هذا غير صحيح؛ لأن غرس الدين لم يكن أميراً ولا فارساً معروفاً، وإنما هو شيخ الزاوية الجاكيرية بسامراء، تولّى إدارتها بعد أخيه جاكير محمد[3].

كما أنه لم تكن لابن الفوطي طريقة واحدة وشاملة يتبعها في كل تراجمه، من حيث الإطارين الزمني والمكاني، والمؤلفات، والأعمال، والشيوخ[4]، وكتابه يكاد يكون خالياً من النقد، والتحقيق، والترجيح.

وأما الكتاب السادس فهو: «طبقات علماء الحديث»، للفقيه محمد بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي (ت٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م).

ترجم فيه للمحدّثين حسب الطبقات، من القرن (الأول إلى الثامن الهجري/ ٧ ـ ١٤م).

وقد أفادني كثيراً بما رواه من أخبار علماء الحنابلة؛ كأبي الفضل بن ناصر البغدادي، وأبي العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، وتقي الدين ابن تيمية، وهجرته مع أهله من حران إلى دمشق[5].

والكتابان السابع والثامن هما: «سير أعلام النبلاء»، و«معجم شيوخ

---

(١) انظر: تلخيص مجمع الآداب ق١، ٤/ ٥، ٦، ١٢، ١٥، ٤١، ١٠٩، ١١٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) نفس المصدر ق٢، ٤/ ١١٥٢.

(٣) نفس المصدر ق٢، ج٤، هامش ص١١٥٢، ١١٥٣.

(٤) انظر: نفس المصدر ق١، ٤/ ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٥) طبقات علماء الحديث، حققه أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، ط١، بيروت مؤسسة الرسالة (١٩٩٦م)، ٤/ ٣ اذ٠٠ ١٥٤، ٢٨١، وما بعدها.

الذهبي»، للحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي الدمشقي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

في الأول ترجم لأعيان الناس، من العلماء، والصوفية، والأمراء، والخلفاء، من القرن (الأول، إلى مطلع القرن الثامن الهجري/ ٧ ـ ١٤م)؛ وأورد فيه مادة تاريخية وفيرة تمس مختلف جوانب حياة الأعلام المترجمين[١].

ومما رواه عن نشاط علماء الحنابلة العلمي: بناء شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الدمشقي (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م) للمدرسة الحنبلية بدمشق[٢]، ووقف الوزير عون الدين بن هبيرة (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) لكتبه في مدرسته ببغداد[٣].

وكتابه الثاني خصصه لشيوخه الذين أخذ عنهم العلم، من بينهم أكثر من أربع وعشرين امرأة محدّثة[٤]، من بينهنّ محدّثات حنبليات كان لهنّ نشاط علمي ساهمن به في تفعيل الحركة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي، نذكر منهنّ: خديجة بنت أحمد بن عبد الدائم الدمشقية (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وحبيبة بنت المفتي تقي الدين أحمد الدمشقية (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)[٥].

وأما الكتاب التاسع من المجموعة الأولى، فهو: «الدرر الكامنة في

---

(١) سير أعلام النبلاء، حققه فريق من العلماء، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٩٨٥م)، ٢٢/ ١٢١، ١٢٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧.

(٢) نفس المصدر ٢٠/ ١٠٤.

(٣) نفس المصدر ٢٠/ ٤٣١.

(٤) معجم شيوخ الذهبي، حققه روحية عبد الرحمٰن السيوفي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص١٧٦، ١٨٤، ١٩٨، ٢٠٤، وما بعدها.

(٥) عنهما انظر: نفس المصدر ص١٧٦، ١٨١.

أعيان المائة الثامنة»، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

ترجم فيه لأعيان القرن (الثامن الهجري/ ١٤م).

وقد أفادني كثيراً بما ذكره عن الحنابلة الذين عاشوا معظم حياتهم في القرن (السابع الهجري/ ١٣م) وماتوا في الثلث الأول من القرن (الثامن الهجري/ ١٤م)، منهم: المحدّثة ستّ الأهل بنت علوان البعلية (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، والصوفي أحمد بن إبراهيم المقدسي (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م)[١]، وستّ الفقهاء أمة الرحمٰن بنت إبراهيم الدمشقية (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، وتقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)[٢].

والعاشر كتاب: «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»[٣]، للمؤرخ شهاب الدين أبي الفلاح ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

جمع فيه بين التراجم والحوادث، مع التركيز على التراجم، وذكر فيه الوفيات حسب السنين (من القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ ٧ ـ ١٦م).

وفيما يخص التراجم، فإنه أدخل في كتابه معظم ما كتبه ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة»[٤]، ونقل عنه نقلاً حرفياً في كثير

---

(١) عنهما انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت دار الجيل، (١٩٩٣م)، ١/ ٨١، ٢/ ١٥٢.

(٢) انظر: نفس المصدر ١/ ١٤٤، ٢/ ١٢٧.

(٣) رجعت إلى ثلاث طبعات، الأولى نشرها ببيروت المكتب التجاري (د ت)، والثانية نشرتها بدمشق دار ابن كثير، ط١، (سنوات النشر مختلفة حسب المجلدات) والثالثة نشرتها ببيروت دار الآفاق الجديدة (د ت)، وسأكتفي بتمييز الطبعتين الأخيرتين دون الأولى، فذلك تمييز لها.

(٤) بالنسبة للذين ماتوا ما بين سنتي: (٤٦٠ ـ ٧٥١هـ/ ١٠٦٧ ـ ١٣٥٠م).

من الأحيان، من ذلك: قوله عن الفقيه محمد بن عبد الولي المقدسي (ت٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م): «سمع بدمشق من أبي القاسم بن صصرى وغيره، وببغداد من أبي الحسن القطيعي وطبقته، وكان فاضلاً متقناً صالحاً، وهو والد الشيخ شهاب الدين بن جبارة»[(١)]، وعند ابن رجب: «سمع بدمشق من أبي القاسم ابن صصرى وغيره، وببغداد من أبي الحسن القطيعي وطبقته، وكان فاضلاً متقناً صالحاً، وهو والد الشيخ شهاب الدين بن جبارة»[(٢)].

لكن ابن العماد ترجم للنساء الحنبليات في شذراته في حين أغفلهنّ ابن رجب في ذيله، ومن اللائي ذكرهن: المحدّثة بنت الواسطي الدمشقية (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، والفقيهة زينب بنت عباس البغدادية ثم المصرية (ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م)[(٣)].

۞ المجموعة الثانية من المصادر تشمل: التواريخ العامة:

ومنها خمسة مصنفات:

أولها: **«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»**، لعبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

جمع فيه بين الحوادث والتراجم بالنسبة للعصر الإسلامي، من القرن (الأول الهجري/ ٧م)، إلى سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م).

وقد أفادني بمعلومات غزيرة عن الحياة العلمية الحنبلية ببغداد، في القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، منها: إنشاء مدرسة أبي سعد المخرمي،

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٨٤، ٣٨٥.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٢.

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٢١ (ط م ت) و٦/ ٣٤ (ط د الآفاق).

ومدرسة أبي حكيم النهرواني، ومدرسة ابن هبيرة[1]. كما أنه توسع في انتقاد كثير من أعيان عصره، ذماً، وطعناً وتجريحاً، منهم: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، والواعظ أبو الفتح الحريمي البغدادي (ت٥١٤هـ/ ١١٢٠م)، والمتكلم صدقة بن الحسين البغدادي الحنبلي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)[2].

لكنه لم يهتم بنقد الأخبار[3] وتمحيصها، ولم يركز على باقي حوادث العالم الإسلامي، مقتصراً في غالب الأحيان على أخبار بغداد والعراق وما جاوره[4]. كما أنه بالغ في مدح نفسه في مواضع عديدة من منتظمه كقوله: «فألقيت يومئذ دروساً كثيرة، من الأصول والفروع، وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله»[5]، وقال: «وصار لي خمس مدارس، وهذا شيء ما رآه الحنابلة إلّا في زمني، ولي مائة وثلاثون مصنفاً إلى اليوم، وهي في كل فن، وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف، وقطعت أكثر من عشرين ألف طائلة ـ أي: الشعور الطويلة ـ، ولم ير لواعظ قط مثل مجلسي؛ جمع الخليفة، والوزير، وصاحب المخزن، وكبار العلماء»[6].

والثاني: كتاب «الكامل في التاريخ»، لعز الدين ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

---

(١) المنتظم، حيدرآباد الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٣٥٩هـ)، ١٠/٢٠١، ٢٠٣، ٢١٦.

(٢) عن هؤلاء انظر: المصدر السابق ٩/١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ٢٢١ و١٠/٢٧٦ وما بعدها.

(٣) أخبار (القرن السادس الهجري/ ١٢م).

(٤) رغم أن عنوان كتابه عام وشامل للعالم.

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٥٣.

(٦) نفس المصدر ١٠/ ٢٨٤.

طغت عليه الحوادث السياسية والعسكرية، لكنه لم يخل من إشارات كثيرة عن الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي[1].

وأفادني بأخبار مقتضبة عن النشاط العلمي الحنبلي ببغداد[2].

لكن الأمر الجدير بالإشارة إليه هو أن ابن الأثير روى في «الكامل» أن طائفة كبيرة من الحنابلة سكنت مدينة مرو بخراسان (انظر: الخريطة رقم: ١) وكانت في نزاع طائفي مع الشافعية، وأحرقت لهم جامعاً سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)[3]، لكنني حققت في الخبر وتبين لي أنه غير صحيح، وأن ابن الأثير كان واهماً فيما رواه عن الحنابلة بمدينة مرو[4].

وأما الكتاب الثالث، فهو: «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، لشمس الدين سبط ابن الجوزي الدمشقي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

جمع فيه بين الحوادث والوفيات بالنسبة للعصر الإسلامي من بدايته إلى زمانه هو.

وقد أفادني كثيراً بما رواه عن نشاط الحنابلة ببغداد، ودمشق، ومصر[5]. وكانت له في كتابه هذا، تعليقات، ومناقشات، وانتقادات، وردود على أبي الوفاء ابن عقيل، وجدّه عبد الرحمٰن ابن الجوزي[6]، لكنّه سكت عن الصوفية فلم ينتقدهم، وبالغ في مدحهم، وتغاضى عن

---

(١) الكامل في التاريخ، ط٦، حققه فريق من العلماء، بيروت دار الكتاب العربي، (د ت)، ٩/ ١٠، ٢٣، ٤٧، ٦٩، ٧٤، ٩٨.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ: نفس المصدر ٩/ ٩٣، ٩٤.

(٣) نفس المصدر ٩/ ٢٥٠.

(٤) عن ذلك انظر: المبحث السابع من الفصل الأول.

(٥) مرآة الزمان، ط١، حيدرآباد، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (د ت)، ٨/ ٦٦، ٦٧، ٨٣، ١٧٧، ٢٦٤، ٤١٤.

(٦) نفس المصدر ٨/ ١٤، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٦٣، ٦٤، ١٥٠، ١٥٩.

منكراتهم، ورد على من قدح فيهم وذمّهم[1].

وقد تعرّض السبط لانتقادات لاذعة من بعض العلماء، فاتهمه ابن تيمية بالكذب[2]. وقال عنه ابن رجب: إنه ليس بحجة فيما ينقله من أخبار[3]. وأثبت الباحث سعيد الديوه جي أنه ـ أي: السبط ـ يجازف في ذكره لبعض الأرقام مجازفات مكشوفة[4].

والرابع: كتاب «ذيل مرآة الزمان»، لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

جعله ذيلاً لمرآة سبط ابن الجوزي، جمع فيه بين الحوادث والتراجم، من سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) إلى سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م).

ولم أستفد منه كثيراً فيما يخصّ الحياة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي، لكنه أفادني بمعلومات قيّمة عن النشاط العلمي لوالده الفقيه محمد اليونيني الحنبلي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، وعن مجالس الصوفية، وسماعاتهم، وحضوره معهم[5].

غير أنه يعاب عليه: إكثاره من الأشعار، ومبالغته في الاهتمام بالحوادث السياسية والعسكرية، على حساب جوانب الحياة الأخرى[6]،

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ١٣١، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٦٨.

(٢) ابن تيمية: منهاج السُّنَّة النبوية، بيروت دار الكتب العلمية، (د ت)، ٢/ ١٣٣.

(٣) من ذلك أنه روى أن ابن عقيل زار الشام ونزل بدمشق، والقدس، وحلب، هذا غير معروف عن ابن عقيل، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٦، (ط د).

(٤) من ذلك أنه روى أن بالموصل، ثمانين مدرسة للحديث، لكن الصواب هو أنه كان بها: ١٨ مدرسة للحديث فقط. سعيد الديوه جي: تاريخ، الموصل، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (١٩٨٢م)، ١/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٥) قطب الدين اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ط١، الهند مجلس دائرة المعارف العثمانية (١٩٥٤م)، ٢/ ٣٨، ٣٩، ٤١، ٥٨، ٣٠١، ٣٠٢، و٤/ ٢٧٤.

(٦) نفس المصدر ١/ ٣، ٨٧، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٥، ٢٠٠، ٢٠٢.

وإهماله للنقد والتحقيق، وميله لمدح كل الناس[1].

وأما الخامس من المجموعة الثانية، فهو: «البداية والنهاية»، لأبي الفدا ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

خصصه للحوادث والوفيات ـ بالنسبة للعصر الإسلامي ـ من بداية الدعوة الإسلامية إلى القرن (الثامن الهجري/ ١٤م).

وقد أفادني بمادة تاريخية غزيرة عن الحنابلة (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) منها: تفصيله لنشاط الحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) وتألّب خصومه عليه[2]، وتوسعه في أخبار شيخه تقي الدين ابن تيمية، من سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) إلى وفاته سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)[3].

غير أنه يؤخذ عليه ـ في كتابته التاريخية ـ أن طريقته التراجمية لم تكن في كثير من الأحيان شاملة للمعلومات الضرورية عن المترجمين[4]، وأن بعض تراجمه كانت هزيلة للغاية[5]، وأنه بالغ في تقريض كتب بأوصاف غير صحيحة[6].

---

(١) عن ذلك ـ مثلاً ـ انظر: المبحث الثاني من الفصل السادس.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ط٧، بيروت، مكتبة المعارف، (١٩٨٨م)، ١٣/ ٣٣، ٣٨ ٦٣.

(٣) نفس المصدر ١٣/ ٣٠٣، ١٤/ ٧، ١٠، ١١، ٤٩، ٨٧.

(٤) نفس المصدر ١٢/ ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ج١٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٩، (١٩٦٧م).

(٦) الكتب هي: مقامات الحريري، والشاطبية في القراءات، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ادعى فيها حد الإعجاز وقد ناقشته في دعواه، وبينت بطلانها، وعن ذلك انظر: المبحث الرابع من الفصل الرابع، والمبحث الثاني من الفصل الخامس.

❁ **المجموعة الثالثة من المصادر، فإنها تشمل: المصنفات المتخصصة في المؤسسات العلمية:**

أذكر منها خمسة كتب:

أولها: «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، «تاريخ دمشق»، لعز الدين بن شداد (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

تطرق فيه لمدارس دمشق، ومساجدها، وزواياها بالتفصيل[(١)].

وقد وجدت فيه مادة تاريخية وفيرة عن مدارس الحنابلة بدمشق وخارجها، وعن نشاطهم العلمي بجامعي دمشق والصالحية[(٢)]. لكنه لم يركز على المدارس من حيث عمرانها، ومرافقها، وخدماتها، وذكر أن الملك العزيز طغتكين[(٣)] (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) هو الذي بنى المدرسة الحنبلية بدمشق[(٤)]، وهذا غير صحيح؛ فإن الذي بناها هو شرف الإسلام ابن عبد الواحد المقدسي، وليس الملك العزيز سيف الإسلام[(٥)].

والثاني: كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، لأبي العباس أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

خصص فيه مبحثاً مطولاً للمدارس بمصر والقاهرة من حيث

---

(١) عز الدين بن شداد: الأعلاق الخطيرة، حققه سامي الدهان، وهنري لاوست، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية (١٩٥٦م)، ص٨٥، ٨٦، ١٣٢، ١٣٦، ٢٩٩.

(٢) نفس المصدر ص٨٣، ٨٤، ٨٦، ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) هو أخ صلاح الدين الأيوبي، وكان ملكاً على اليمن، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٥١٠، (ط د).

(٤) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٥٥.

(٥) انظر: مبحث المدارس من الفصل الثاني.

ظهورها، وانتشارها، والطوائف التي تملكها[1].

وقد أفادني بما ذكره عن ظهور المدارس المشتركة بالقاهرة، ونصيب الحنابلة فيها[2]. كما أنني استفدت كثيراً بما دوَّنه عن انتشار المذاهب الفقهية، والأصولية في العالم الإسلامي، ومعارضة الحنابلة للمذهب الأشعري[3].

والكتاب الثالث، هو: «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»، ليوسف بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي (ت٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م).

أفرده لمساجد دمشق وضاحية الصالحية، منها قسم للحنابلة؛ كمسجد أبي صالح، ومسجد المدرسة الجوزية[4]، ومنها في الصالحية أكثر من ١٥٤ مسجداً، غالبها للحنابلة[5]. لكنه ـ أي: المؤلف ـ لم يركز على نشاطها العلمي، ولا على مواردها الموقوفة عليها.

وأما الرابع، فهو: كتاب «الدارس في تاريخ المدارس»، لعبد القادر النعيمي الدمشقي (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م).

أفرده لمؤسسات العلم بدمشق؛ كالمدارس، والمساجد والزوايا.

وهو من أهم المصادر التي تطرقت لمؤسسات العلم الحنبلية بدمشق، وفيه مادة تاريخية غزيرة عنها، من حيث مؤسسيها، وأوقافها، ونشاطها[6].

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د ت)، ٢/ ٣٣٦ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر ١٢/ ٣٧٤.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩.

(٤) يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد، حققه محمد أسد طلس، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية (١٩٤٣م)، ص٩٧، ١٠٨.

(٥) نفس المصدر ص١٤٥.

(٦) عبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، حققه جعفر الحسيني، =

غير أنه يعاب على مؤلّفه ـ في كتابه هذا ـ كثرة الاستطرادات، والتكرارات، وضعف الربط، وعدم هضمه للمادة العلمية هضماً جيداً[1]، من ذلك: أنه عندما ترجم للمدرّس شرف الدين ابن أبي موسى المقدسي، نقل ما قاله الذهبي عن اسمه، ونسبه، ومولده، ووفاته، وشيوخه[2]، ثم كرّر ذلك مباشرة على لسان صلاح الدين الصفدي، مع زيادات في عدد الشيوخ[3].

وآخرها: كتاب «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»، لشمس الدين محمد ابن طولون الدمشقي الصالحي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م).

أرّخ فيه لضاحية الصالحية ـ شمال دمشق ـ وركّز على حياتها العلمية والعمرانية.

وكتابه هذا هو أهم مصدر عثرت عليه عن النشاط العلمي للحنابلة بالصالحية، فهو مشحون بأخبار علمائهم، ومساجدهم، ومدارسهم، وأوقافهم[4].

❁ وأما المجموعة الرابعة من المصادر، فتخص: كتب الرحلات:

وهي ثلاثة مصنفات:

أولها: «رحلة ابن جبير»، لأبي الحسن محمد بن أحمد الأندلسي المعروف بابن جبير (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

= دمشق، المجمع العلمي العربي بدمشق، ج ١ سنة (١٩٤٨م) وج٢ سنة (١٩٥١م)، ٢/ ٢٩ وما بعدها.

(١) انظر ـ مثلاً ـ: نفس المصدر ٢/ ٣٠، ٣١، ٣٤.

(٢) نفس المصدر ٢/ ٣١، ٣٢.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٣٢.

(٤) ابن طولون الدمشقي: القلائد الجوهرية، حققه محمد أحمد دهمان، دمشق، دار البيان، ج١ (١٩٤٩م)، وج٢ (١٩٥٦م)، ١/ ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ١٥٨، ١٦٥، ١٧٨.

دوَّن فيها مشاهداته في رحلته إلى المشرق سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م).

وقد أفادني بمعلومات قيّمة عن الحياة العلمية والمذهبية بمصر، والشام، والعراق، ومكة المكرمة، من ذلك ما ذكره عن جوامع مصر وبغداد، ودمشق، ومدارسها، ونشاط الجامع الأموي بها[1].

والثانية، هي: «مستفاد الرحلة والاغتراب»، للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م).

روى فيها خلاصة رحلته إلى المشرق سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م).

ومما أفادني به التجيبي وصفه لمقامات الأئمة الأربعة بالحرم المكي، وكلامه عن المدرسة المشتركة بين المذاهب السُّنِّيَّة الأربعة، في جامع ابن طولون بالقاهرة[2].

والثالثة: «رحلة ابن بطوطة»، لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).

دوَّن فيها مشاهداته في رحلته الطويلة إلى المشرق.

وقد استفدت بما ذكره عن المؤسسات العلمية، والأوضاع المذهبية بمصر، والشام، والعراق، ومكة المكرمة، من ذلك: حلقات التدريس بالجامع الأموي بدمشق، وجوامع بغداد ومدارسها، ومقامات الأئمة الأربعة بالحرم المكي[3].

ومما يؤخذ على ابن بطوطة في بعض ما رواه أنه عندما دخل

---

(١) ابن جبير: رحلة ابن جبير، الجزائر، دار موفم للنشر (١٩٨٨م)، ص٢٠، ٧١، ١٩٢، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٥٥.

(٢) ابن يوسف التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، حققه عبد الحفيظ منصور، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، (د ت)، ص٧، ٢٩٦.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، الجزائر، موفم للنشر (١٩٨٩م)، ١/ ٩٢، ٩٣، ١٦٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧.

دمشق في التاسع من رمضان سنة (٧٢٦هـ/ ١٥، أوغسطس (آب) ١٣٢٥م) ذكر أنه حضر مجلس وعظ للشيخ تقي الدين ابن تيمية، من على المنبر، فكان من جملة كلامه أنه قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درجة المنبر، فعارضه أحد الناس، وأنكر عليه فعله»[١]!

وقوله هذا غير صحيح؛ لأن ابن تيمية كان في السجن منذ السادس عشر من شعبان سنة (٧٢٦هـ/ ٢٣ أوغسطس (آب)، ١٣٢٥م) قبل دخول ابن بطوطة إلى دمشق، وظل ابن تيمية في السجن إلى أن توفي به في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨[٢] هـ/ ٦ أكتوبر (تشرين أول)، ١٣٢٧م).

كما أن ما حكاه عن فعل ابن تيمية على المنبر هو تشبيه للخالق بالمخلوق، وتجسيم له، يتناقض مع موقف ابن تيمية في مسألة الصفات[٣]؛ ويبدو أن الخبر قد اختلط على ابن بطوطة؛ لأنه لم يكن شاهد عيان له، وإنما رواه له بعض خصوم ابن تيمية الذين يكذبون عليه، ومما يرجح ذلك أنه ـ أي: ابن بطوطة ـ لم يكتب رحلته إلا بعد نحو ثلاثين سنة، دوَّنها من ذاكرته بعدما ضاعت منه مذكراته[٤]، وقوله ـ بعد ذلك ـ عن ابن تيمية: «فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة، فحبس بها حتى مات في السجن»[٥] يوحي أن الخبر حكي له؛ لأنه عندما توفي ابن تيمية، لم يكن هو بدمشق، وإنما كان في مكة لأداء فريضة الحج[٦].

---

(١) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٨٣، ٩٥.
(٢) ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ١٢٢، ١٣٤، ١٣٥.
(٣) انظر: المبحث الأول، من الفصل الثالث.
(٤) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٦ (مقدمة المحقق).
(٥) نفس المصدر ١/ ٩٥.
(٦) نفس المصدر ١/ ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦.

ومما يلاحظ على مؤلفي هذه الرحلات، أن التجيبي كان أكثر نقداً وإنكاراً للمخالفات الشرعية من الآخرين؛ فعندما دخل القاهرة وزار مشاهدها[1]، أنكر نسبة بعضها إلى الشخصيات المنسوبة إليها؛ كمشهد زين العابدين علي بن الحسين بالقاهرة، وهو قد توفي بالمدينة نحو سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م). وكذلك أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؛ فهو مكذوب؛ لأن أسماء توفيت بمكة بعد مقتل ولدها عبد الله بن الزبير[2].

وعندما زار الحرم المكي، ووجد فيه أربعة أئمة من السُّنِّيين، وكل واحد يصلي بطائفته، أنكر فعل هؤلاء، وجعله من البدع المحدَثة التي لم يعرفها السلف الصالح[3].

وأما ابن جبير وابن بطوطة فلم ينقدا، ولم ينكرا تلك المظاهر الشركية والبدعية بل سكتا، وباركا، وقدّسا، ومدحا[4].

❁ وبالنسبة للمجموعة الخامسة من المصادر، فتشمل كتب أصول الدين وعلم الكلام:

أذكر منها ثلاثة مصنفات:

أولها: «الرد على الأشاعرة العزال وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال»[5]، للمتكلم ابن عقيل البغدادي (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م).

---

(١) هي مساجد تقام على قبور العظماء، وعنها انظر: المبحث الرابع من الفصل الثاني.

(٢) التجيبي: المصدر السابق ص١٢، ١٣.

(٣) نفس المصدر ص٢٩٦.

(٤) انظر: رحلة ابن جبير ص١٣، ١٤، ١٥، ٧١، ٧٢، ورحلة ابن بطوطة ج١/ ٣٤، ٧٨، ١٦٤.

(٥) نشره جورج مقدسي في نشرة الدراسات الشرقية (B E O) بدمشق (١٩٧١م) ٢٤ Tome.

صنَّفه للرد على الأشاعرة في موقفهم من صفة الكلام، والقرآن الكريم.

وقد أفادني كتابه كثيراً في موضوع مسائل الصفات، في مبحث نقد علماء الحنابلة لعلم الكلام وأهله[1].

وتتمثل أهميته في أنه نموذج يصور حدّة النزاع الفكري ونوعيته، بين جناحي الطائفة السُّنِّية: الحنبلي، والأشعري.

والثاني: كتاب «تحريم النظر في كتب أهل الكلام»[2]، للفقيه الموفّق بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

ردّ فيه على أبي الوفاء ابن عقيل في تأثره بالمعتزلة[3]، وذمّ فيه المتكلمين، وأخرجهم من دائرة العلماء، وناقشهم في مسألة الصفات، ونصر مذهب أهل الحديث[4].

وقد اعتمدت على كتابه كثيراً في قضايا الصفات، والتقليد والاجتهاد، والاشتغال بعلم الكلام.

غير أنه يؤخذ عليه أنه ذمّ علم الكلام وأهله، وناقشهم في بعض مسائلهم، ولم يطرح بديلاً كلامياً، ولم يميّز بين مذموم الكلام وممدوحه، ونسي أنه هو شخصياً قد استخدم منهجاً كلامياً في ردّه على المتكلمين.

---

(١) عن ذلك انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث، والمبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٢) نشره جورج مقدسي بلندن، مطبعة لوزاك (١٩٦٢م).

(٣) هم فرقة كلامية ظهرت (في القرن ٢هـ/٨م)، تقول بخلق القرآن، وتنفي الصفات. الشهرستاني: المصدر السابق ص٥٦ وما بعدها.

(٤) عن ذلك انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث.

وآخرها: كتاب «درء تعارض العقل والنقل»[1]، لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية.

تطرق فيه لعشرات القضايا الأصولية، والكلامية، والفلسفية، معتمداً في مناقشتها على منهج قائم على الجمع بين صريح المعقول، وصحيح المنقول.

وقد أفادني بمعلومات قيمة، ونادرة في مبحث قضايا علم الكلام وأصول الدين؛ كمسألة معرفة الله ﷻ، ودور العقل في التحسين والتقبيح، ومسألة الحكمة والتعليل في الكون[2].

ويُعد كتابه هذا أهم مصدر حنبلي رجعت إليه في مسائل علم الكلام وأصول الدين؛ وهو مورد ثري بالأخبار، والأفكار، والنصوص النادرة[3].

۞ وأما المجموعة السادسة، فتشمل كتباً في النقد العلمي والاجتماعي:

أذكر منها ثلاثة مصنفات:

أولها: «الاعتراض على الحريري»[4]، لأبي محمد ابن الخشاب البغدادي الحنبلي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م).

---

(١) يعرف كذلك بـ: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول.

(٢) انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، حققه عبد اللطيف عبد الرحمٰن، بيروت دار الكتب العلمية (١٩٩٧م)، ٤/٧٦، ٩٤، ٩٥، ١١٦، ١٣١، ١٣٣، ٣٧٨، ٣٩٦.

(٤) ألحق به انتصار ابن بري للحريري من ابن الخشاب، وطبعا معاً كملحق بمقامات الحريري، مصر المطبعة الحسينية (١٣٢٦م).

ضمنه انتقاداته اللغوية والنحوية، التي أخذها على الأديب أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م) في مقاماته الأدبية.

وقد أفردت لهذا الموضوع مبحثاً مطولاً، شرحاً، وإثراء، ومناقشة[١]، مستشهداً بالأدلة التاريخية، ومستعيناً بالدراسات الأدبية الحديثة.

ويُعد كتابه هذا فريداً من نوعه في التراث العلمي الحنبلي، إذ لم أعثر على مثله فيه.

والثاني: كتاب «تلبيس إبليس»، لعبد الرحمٰن ابن الجوزي.

خصصه لنقد العلم والعلماء، وتبيين تلبيس الشيطان على مختلف فئات الناس.

وقد اعتمدت عليه كثيراً في فصل: «النقد العلمي عند علماء الحنابلة»، فوجدت فيه مادة علمية غزيرة عن المتكلمين، والفلاسفة، وعلماء الشريعة، والصوفية، وعوام الناس.

ولاحظت على مؤلّفه أنه توسع في نقده للصوفية، وأبدع فيه؛ لكنه لم يكن في نفس المستوى في نقده للفلاسفة والمتكلمين، إذ غلب عليه[٢] النقل، والسرد، والذم، والتحذير[٣].

والثالث: مختصر كتاب «المؤمل للرد إلى الأمر الأول»[٤]،

---

(١) انظر: المبحث الرابع من الفصل الرابع.

(٢) ومع ذلك فقد كانت له بعض الانتقادات الدقيقة للفلاسفة كمسألة أزلية الكون، وعنها انظر: المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٣) انظر: تلبيس إبليس، حققه فريق من الباحثين، دون مكان للنشر، دار النور الإسلامية، (د ت)، ص٤٩ وما بعدها.

(٤) طبع ضمن مجموع: من هدى المدرسة السلفية، الجزائر، دار الشهاب (١٩٨٨م).

للفقيه شهاب الدين أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م).

موضوعه: نقد الأوضاع العلمية السائدة في القرن (السابع الهجري/ ١٣م) والتي سيطر عليها التقليد المذهبي والجمود الفكري، وقلَّ فيها الاجتهاد الحر.

وقد أفادني في مبحث الاجتهاد والتقليد، واستشهدت بأقوال مؤلّفه الجريئة[١].

وأما المجموعة السابعة من المصادر:

فهي كتب تساعد على الفهم، والتحقيق، والتوضيح، والإثراء، والتعريف بالفرق والمفاهيم والمصطلحات والمذاهب.

قسم منها في أدب العلم والتعلم: ككتاب «أدب الإملاء والإستملاء»[٢] للحافظ أبي سعد ابن محمد السمعاني (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، و«تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم»[٣] للقاضي بدر الدين ابن جماعة الحموي الشافعي (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

وقسم آخر في علوم الحديث، منها: كتاب «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث»[٤] للحافظ أبي عمرو عثمان بن الصلاح الشافعي الدمشقي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، و«المنار المنيف في الصحيح والضعيف»[٥] للفقيه شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقي (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م).

---

(١) انظر: مبحث الاجتهاد والتقليد، من الفصل الثالث.

(٢) حققه شفيق زيغور، ط١، بيروت، دار اقرأ، (١٩٨٤م).

(٣) حققه شفيق زيغور، ط١، بيروت، دار اقرأ، (١٩٨٤م).

(٤) حققه مصطفى ديب البغا، الجزائر، دار الهدى (١٩٩١م).

(٥) حققه عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليمني، ط٢، الرياض، دار العاصمة (١٤١٩هـ).

وقسم ثالث في الفرق والمقالات، منها: «الفرق بين الفرق»[1] للمتكلم عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، وكتاب «الملل والنحل»[2] لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

ثانياً المراجع

قسّمت المراجع إلى أربعة مجموعات:

أولها: المصنّفات المتخصصة في النشاط العلمي الحنبلي:

وهي قليلة، إذ لم أعثر من بينها على أي كتاب شامل ومتخصص في الحركة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)؛ لكنني عثرت على كتب ركّزت، على جانب محدود من جوانب هذا الموضوع.

منها: كتاب «مؤلفات ابن الجوزي»، للباحث عبد الحميد العلوجي.

أفرده لمصنفات ابن الجوزي، إحصاء، وتقسيماً، وتمييزاً لمخطوطها من مطبوعها ومفقودها، وقدر مجموعها بأكثر من أربعمائة كتاب[3].

وقد أفادني كتابه في فصل: «تراث الحنابلة العلمي»، بما أورده من أرقام عن مؤلفات ابن الجوزي حسب موضوعاتها، فساعدتني في إنشاء بعض الجداول والرسومات البيانية.

---

(١) حققه محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية (١٩٩٥م).

(٢) حققه أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، بيروت، دار المعرفة (١٩٩٨م).

(٣) مؤلفات ابن الجوزي، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد، (١٩٦٥م)، ص٣، ٥، ٢٢٣ وما بعدها.

ورغم ما بذله المؤلّف من مجهودات في إحصاء مصنّفات ابن الجوزي، فقد فاته قسم منها، استدركه عليه الباحث محمد باقر علوان[1].

ومنها: **كتاب «ابن قدامة وآثاره الأصولية»**، للباحث عبد العزيز عبد الرحمٰن السعيد.

تطرق فيه لأشهر المؤلفات الحنبلية، في أصول الفقه (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، ثم توسع في دراسة مصنفات الموفّق ابن قدامة المقدسي؛ كـ«المغني»، و«المقنع»، و«العمدة»[2]، وأسهب في الدراسة النقدية لكتابه «روضة الناظر وجنة المناظر».

وقد أفادني كثيراً بانتقاداته، وتحليلاته القيمة، عندما قارن «الروضة» بكتاب «المستصفى في علم الأصول» لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي.

ومنها: ثلاثة كتب في دور ابن تيمية في نقد المنطق الصوري، هي: **«ابن تيمية والمنطق الأرسطي»**[3] للباحث المنطقي محمود يعقوبي، وكتاب: **«منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري»**[4] للباحث محمد حسني الزين، والأخير: **«مناهج البحث عند مفكري الإسلام»**[5] للباحث المنطقي

---

(١) «المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي»، مجلة المورد، العراق، مج ١ ج ١، ٢ (١٩٧١م)، ص١٨٣، ١٩٠.

(٢) ابن قدامة وآثاره الأصولية، ط٢، السعودية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية (١٣٩٩هـ)، ١/ ٢٩، ٨٧ وما بعدها.

(٣) طبع بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ت).

(٤) ط١، بيروت، المكتب الإسلامي (١٩٧٩م).

(٥) بيروت، دار النهضة العربية (١٩٨٤م).

علي سامي النشار[1].

وهي مصنفات قيّمة للغاية، أظهرت الدور الكبير الذي قام به شيخ الإسلام ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي، نقداً تجريبيّاً شرعيّاً. وقد أفادتني هذه الكتب في إثراء ونقد مبحث: نقد علماء الحنابلة للفلسفة وعلم الكلام[2].

وآخرها: كتاب «آثار الحنابلة في علوم القرآن»؛ للباحث سعود بن عبد الله الفنيسان.

أفرده لمصنفات الحنابلة في علوم القرآن المطبوعة، والمخطوطة، والمفقودة، متبعاً في عرضها طريقة التراجم، من عصر الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) إلى سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)[3].

وقد أفادني بمعلومات عن المؤلّفات التي تخصّ (القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، وكتابه عبارة عن تراجم لعلماء الحنابلة المصنفين في علوم القرآن، ويكاد يكون خالياً من التحليل والمقارنات لمحتويات الكتب المذكورة فيه.

وأشير هنا إلى إني عثرت على كتاب عنوانه: «الحنابلة في بغداد»[4]، للباحث أحمد علي محمود، وبعد اطلاعي عليه تبين لي أن بحثه قد شمل (القرنين الثالث والرابع الهجريين/ ٩ ـ ١٠م)[5]، وأنه توسّع في دراسة حياة الإمام أحمد بن حنبل وعصره (من ص٩ إلى

---

(١) لم يخصص كتابه كله لابن تيمية، وإنما أفرد له فصلاً مطولاً من كتابه.

(٢) انظر: المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(٣) آثار الحنابلة في علوم القرآن، الإسكندرية، المكتب المصري الحديث (١٩٨٩م).

(٤) نشره ببيروت ودمشق المكتب الإسلامي (١٩٨٦م).

(٥) لأنه لم يحدد إطاره الزمني علي غلاف الكتاب.

ص١٤٢)[١]. ثم تطرق للنزاع بين الحنابلة وأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، وبينهم وبين الصوفية ببغداد. لكنّه أغفل أطرافاً أخرى، وفاته الكثير عن الحنابلة، فلم يذكر ما حدث بينهم وبين الشيعة من صراع دموي، ولا تطرق لنشاطهم العلمي والسياسي في بغداد[٢]، ولا زوَّد دراسته بوسائل الإيضاح، ولا رجع إلى أبحاث حديثة عن الحركة الحنبلية في بغداد[٣].

❀ والمجموعة الثانية من المراجع:

تشمل كتباً عامة عن الحياة العلمية ومؤسساتها بالمشرق الإسلامي، أفادتني بما انتهت إليه من نتائج، وبما ذكرته من أرقام عن المصنفات، والمدارس وآثارها المتبقية إلى العصر الحديث.

أذكر منها ستة مؤلفات هي: «**منادمة الأطلال ومسايرة الخيال**»[٤] للباحث عبد القادر بدران الدمشقي، و«**خطط الشام**»[٥] للمؤرخ محمد كرد علي، و«**تاريخ علماء المستنصرية**»[٦] للمؤرخ ناجي معروف، **وكتاب «مدارس بغداد في العصر العباسي»**[٧] للباحث عماد عبد السلام رؤوف، و«**الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، بمصر والشام**»[٨]

---

(١) من مجموع الصفحات وهو: ٣٠٨.

(٢) عن ذلك انظر لكاتب هذه السطور: الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر (١٩٩٥ ـ ١٩٩٦م).

(٣) عنها انظر: قائمة المراجع في فهرس المصادر والمراجع.

(٤) نشره بدمشق المكتب الإسلامي، (د ت).

(٥) نشرته بدمشق، مطبعة الترقي، (١٩٢٦م).

(٦) ط ٢، بغداد، مطبعة العاني، (١٩٦٥م).

(٧) ط١، بغداد، دار البصري (١٩٦٦م).

(٨) القاهرة، دار نهضة مصر (١٩٧٢م).

للأديب أحمد أحمد بدوي، **وآخرها: «التاريخ السياسي والفكري للمذهب السُّنِّي في المشرق الإسلامي، (من القرن الخامس الهجري/ ١١م، إلى سقوط بغداد، سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)»**[١] للمؤرخ عبد المجيد أبي الفتوح بدوي.

ويلاحظ على كتاب «مدارس بغداد»، أن مؤلّفه لم يركّز على المقارنات بين مدارس الحنفية، والشافعية، والحنابلة، وقد بلغ مجموعها خمساً وثلاثين مدرسة[٢]، كما أنه أورد للحنابلة ثلاث عشرة مدرسة، لكنني أحصيتُ لهم أربع عشرة مدرسة دون حساب مدرستين أخريين ألحقهما هو بمدارسهم[٣].

كما يؤخذ على مؤلف الكتاب الأخير أمران:

الأول: أنه نسب بناء المدرسة الحنبلية بدمشق إلى الملك سيف الإسلام طغتكين[٤] (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، متابعاً في ذلك ما قاله المؤرخ عز الدين بن شداد، وقد سبق وأن ذكرت أن الذي بناها هو شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد المقدسي (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م).

والثاني: أنه لم يكن موضوعياً في تأريخه للمذهب السُّنِّي بالمشرق الإسلامي، عندما أغفل دور الحنابلة وأصحاب الحديث في الدعوة لمذهب السلف، وفي نزاعهم الطويل مع خصومهم؛ ومما يدعم ما قلته هو أنه عندما تعرض للتيارات الفكرية الفاعلة في الحياة العلمية والمذهبية بالمشرق الإسلامي خلال القرن (الخامس الهجري/ ١١م)، ذكر المعتزلة،

---

(١) ط٢، مصر دار الوفاء (١٩٨٨م).

(٢) انظر: عماد عبد السلام: المرجع السابق ٣٢، ٧٦، ١٤٠.

(٣) عن ذلك انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٤) عبد المجيد بدوي: المرجع السابق ص٢٤١.

والشيعة، والفلاسفة، والصوفية، والأشاعرة، ولم يشر إلى مذهب الحنابلة وأهل الحديث[1].

﴿ وأما المجموعة الثالثة من المراجع، فتخص كتب المخطوطات العربية:

وهي مصنفات متخصصة، أفادتني كثيراً في التعرف على مخطوطات التراث العلمي الحنبلي الموزّع بين مكتبات الشرق والغرب، أذكر منها أربعة مؤلّفات هي: «**تاريخ الأدب العربي**»[2] لكارل بروكلمان، و«**خزائن الكتب في دمشق وضواحيها**»[3] للباحث حبيب الزيات، و«**المختار من المخطوطات العربية في الأستانة**»[4] للباحث أحمد تيمور باشا، وآخرها «**فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية (١٩٣٦ ـ ١٩٥٥)**»[5]، للباحث فؤاد سيد.

﴿ والمجموعة الأخيرة تخص المراجع باللغة الفرنسية:

وهي قليلة جداً بالمقارنة إلى المراجع العربية، كما أنني لم أعثر من بينها على أي كتاب متخصص في الحياة العلمية الحنبلية، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، لكنها ذات علاقة مباشرة بشتى جوانب حياة الحركة الحنبلية في المشرق.

وهي في معظمها من إنجاز المستشرقَيْن: هنري لاوست، وجورج مقدسي.

---

(١) عبد المجيد بدوي: المرجع السابق ص١١، ١٥، ٢٢.

(٢) ترجمه السيد يعقوب بكر، مصر، دار المعارف (١٩٨٣م).

(٣) دمشق، دار الحوار، (د ت).

(٤) حققه صلاح الدين المنجد، ط١، بيروت دار الكتاب الجديد (١٩٦٨م).

(٥) القسم الأول: أ ـ س، القاهرة، مطبعة دار الكتب، (١٩٦١م).

*** فبالنسبة لهنري لاوست:**

فمن أبحاثه: **مقال عن الحنابلة في بغداد زمن الخلافة العباسية**، نشره في مجلة الدراسات الإسلامية (R E I)[1]، تطرق فيه للتطور العام للجماعة الحنبلية ببغداد (من زمن الإمام أحمد بن حنبل، إلى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، من خلال الترجمة لكبار علمائها وعرض أعمالهم، ومؤلفاتهم[2]، كما أنه أفادني بملاحظاته التي أبداها على مؤلفات الحنابلة المخطوطة[3].

وله **كتيب عن الحنابلة في عهد المماليك البحرية** (٦٥٨ ـ ٧٨٤هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٣٨٢م)، وهو بحث عام عن الحنابلة أيام المماليك البحرية، بمصر والشام.

ويؤخذ على مؤلفه ثلاثة مآخذ:

أولها: أنه اعتمد كثيراً على كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، وأهمل ـ تقريباً ـ مصادر أخرى هامّة مصنّفوها معاصرون لابن كثير؛ كشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٩م)، وصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ/ م١٣٦٢م)، وابن رجب البغدادي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩١٢م).

والثاني: أنه ركز على نشاط تقي الدين ابن تيمية، وأغفل دور علماء الحنابلة الآخرين، من المقادسة، وبني الحنبلي، وبني المنجا[4].

والثالث: أنه أهتم بالأوضاع السياسية والعسكرية للمغول والمماليك، على حساب موضوعه عن الحنابلة الذي لا يحتمل ذلك التوسع[5].

---

(١) Le hanbalisme sous Le califa de bagdad)) Paris Tome 1 1959.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ: I B I D Tome 1 1959 P 108.

(٣) I B I D Tome 1 P 103.

(٤) عن هذه الأسر انظر: المبحث الخامس من الفصل الأول.

(٥) انظر: Henri Laoust op cit P 1 et seq.

ومن أبحاثه: **مدخل مطول عن المذهب الحنبلي**، في ثماني وثلاثين صفحة، ألحقه بكتاب «السياسة الشرعية» لابن تيمية، عندما ترجمه إلى اللغة الفرنسية. وقد تضمن مبحثه هذا خلاصة أرائه، واستنتاجاته عن المذهب الحنبلي وأتباعه، ثم ختمه بإبراز أهمية كتاب «السياسة الشرعية»، وأثره في العلماء من زمن ابن تيمية إلى العصر الحديث[١].

وله كتاب: «Les schismes dans L' islam» موضوعه الانقسامات السياسية، والاجتماعية، والمذهبية، والحركات التجديدية التي شهدها المسلمون، منذ صدر الإسلام إلى العصر الحديث. وقد أفرد فيه مؤلفه للحنابلة مباحث عديدة متفرقة، تعرض فيها لأعمال كبار علمائهم؛ كابن عقيل، وعبد القادر الجيلاني البغدادي (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، وعبد الرحمٰن ابن الجوزي، وتوسع في الترجمة لابن تيمية، وتأثيره في علماء الشافعية من أصحاب الحديث[٢].

وكتابه هذا يعطي لنا نظرة عامة وشاملة للمذاهب الإسلامية، والحركات التجديدية، والانقسامات الطائفية، التي حدثت بين المسلمين عبر تاريخهم الطويل.

غير أنه يعاب على مؤلّفه أنه كرّر فيه كثيراً مما قاله في أبحاثه السابقة عن الحنابلة، وأنه بالغ في اتباع طريقة التراجم، مما جعله يكثر من النقل والسرد مع عدم التوسع في التحليل والمقارنات، كما أنه لم يزود كتابه بوسائل الإيضاح كالصور، والخرائط.

---

(١) Ibn Taimiya Le traite du droit public Taduit par Henri Laoust Algerie ENAG EDITIONS 1990 P 3 12 14 15 16 32.

(٢) Les schismes dans L' islam Paris Payot 1977 P 209 374 et seq.

* **وأما الباحث جورج مقدسي:**

فمن أبحاثه عن الحنابلة: **مقال عنوانه:** «L' islam Hanbalisant»[1]، نشره في مجلة الدراسات الإسلامية (R E I)، تطرق فيه لموضوعات متنوعة، منها: الدراسات الاستشراقية في الإسلاميات، وتحامل جولد تزهير على الحنابلة، ومصنفات ابن الجوزي عن الصوفية[2].

ولجورج مقدسي **كتاب عن أبي الوفاء ابن عقيل** (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م)، تطرق فيه لحياته، ودوره العلمي والاجتماعي في بغداد، وركّز على مؤلفاته، وعلى أشهر مصنفات كبار علماء الحنابلة المعاصرين له[3].

وقد أفادني كتابه فيما يخص حياة ابن عقيل، وأعماله الفكرية، وفي التمهيد للحركة العلمية الحنبلية، في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م).

غير أنه يعاب على المؤلّف أنه أطنب كثيراً في التأريخ للطوائف الاجتماعية، والمذهبية ببغداد في كتاب عن ابن عقيل، وقد امتد هذا الفصل من ص٢٩٤ إلى ص٣٨٣[4].

* **وأشير هنا إلى أن هناك كتباً فرنسية أخرى** استفدت منها،

---

(١) هذه تسمية خاطئة؛ لأنها تعني أن هناك إسلاماً متعدداً، وهذا غير صحيح؛ لأن الإسلام واحد، وإنما المذاهب هي المتعددة.

(٢) L' islam hanbalisant R E I Paris Tome 2 1974 P 226 et Tome 1 1975 P 47 56 57.

(٣) Ibn Aqil et La resurgence de L' islam Traditionaliste Damas Institut Francais 1963 P241 265 293 529.

(٤) انظر: I B I D P 294 et seq.

ورجعت إليها في مواضع متفرقة من الأطروحة، منها: **كتاب عن «تعليم اللغة والآداب العربية في المدرسة النظامية في بغداد»**، للباحث محمد بوقمرة[١].

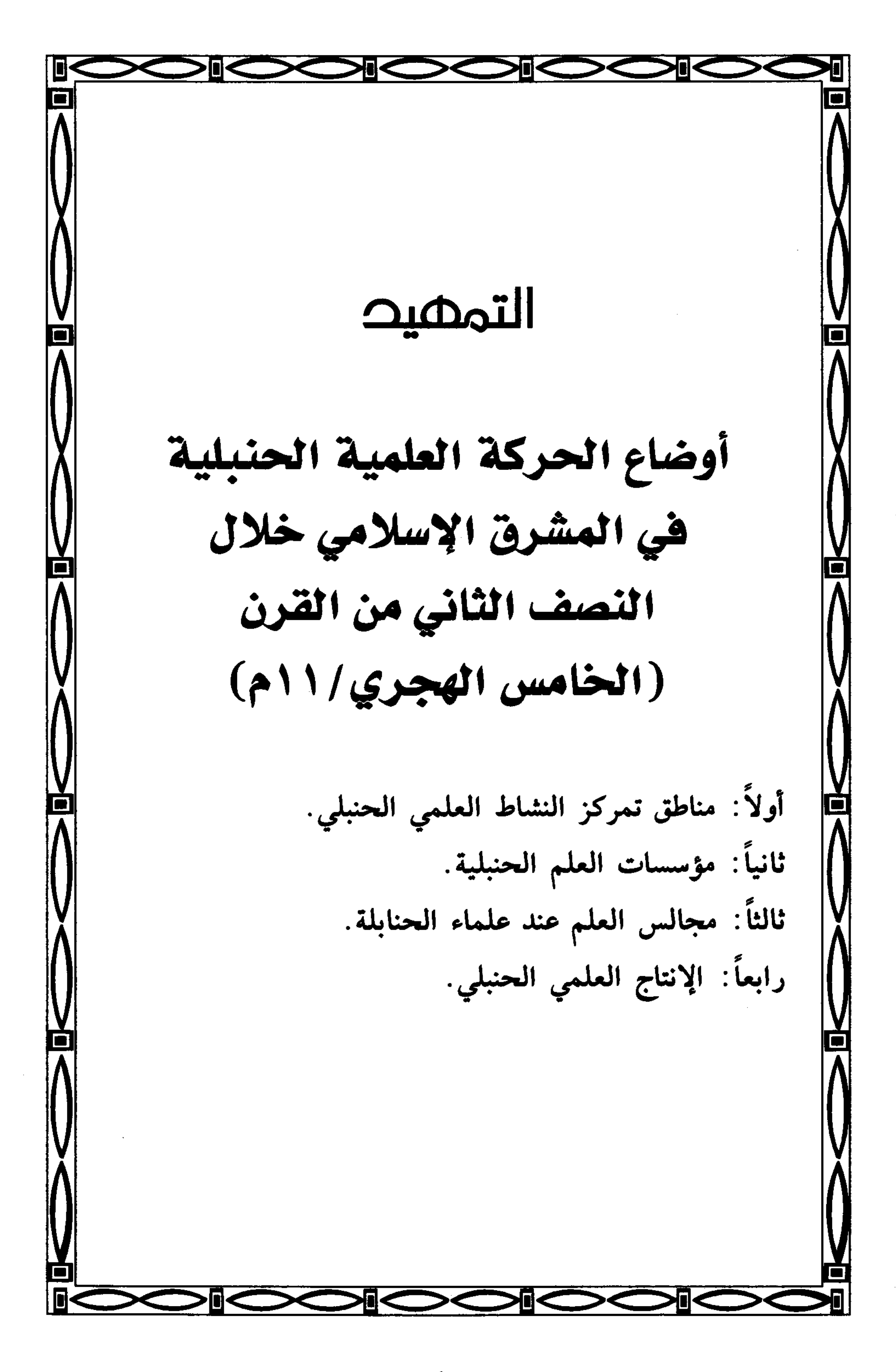
والثاني: كتاب عن «الصوفي إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)» للمستشرق س د أ لوجي[٢].

وبهذين الكتابين يصل مجموع المصنفات التي عرضتها في هذا المبحث إلى واحد وستين مصنفاً من بينها خمسة وثلاثون مصدراً، وستة وعشرون مرجعاً.



(١) عنوان كتابه: L' enseingnement de La langue et de La Litteratture Arabes A La Nizamiya de bagdad Tunis Centre D' etudes et de Recherches economiques et sociales 1980.

(٢) عنوان كتابه: Khawdja Abdullah Anssari beyrouth Imprimerie Catholique.



التمهيد

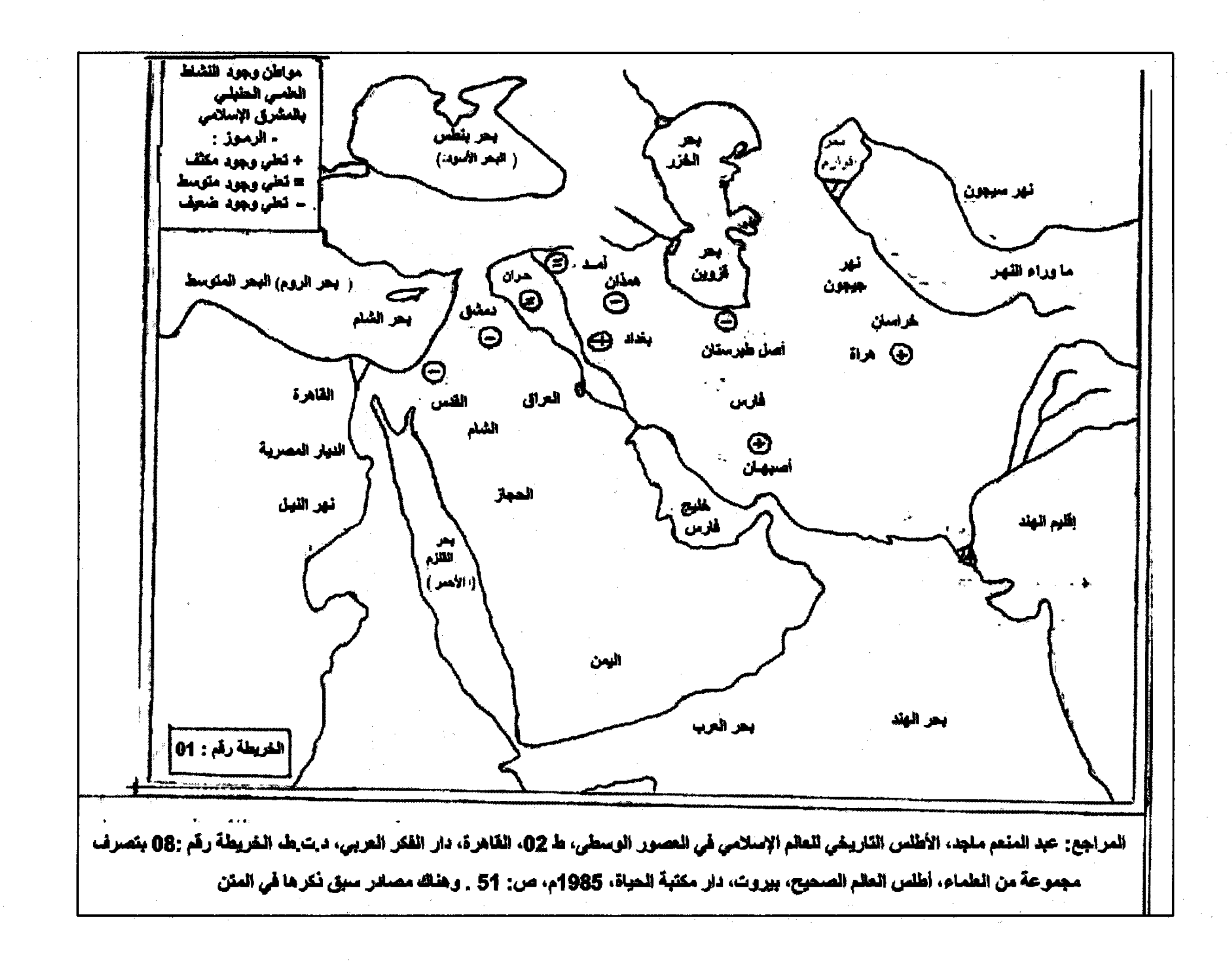
أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/١١م)

أولاً: مناطق تمركز النشاط العلمي الحنبلي.

ثانياً: مؤسسات العلم الحنبلية.

ثالثاً: مجالس العلم عند علماء الحنابلة.

رابعاً: الإنتاج العلمي الحنبلي.



المراجع: عبد المنعم ماجد، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ط 02، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.ط الخريطة رقم :08 بتصرف

مجموعة من العلماء، أطلس العالم الصحيح، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1985م، ص: 51 . وهناك مصادر سبق ذكرها في المتن

أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي

خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/١١م)

توفي الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، ولم يترك من بعده حركة حنبلية منظمة، لكنه ترك بذرتها ومقوماتها، فنمت وتقوّت من بعده بفضل مجهودات أصحابه، وتلامذته، وأتباعه، فلم ينته القرن (الثالث الهجري/ ٩م) حتى أصبحت تمثل تجمعاً مذهبياً حركياً، له زعاماته وأنصاره[١]، ثم ازدادت اتساعاً ونفوذاً (في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ ١٠ ـ ١١م)، وأصبح لها اتجاه علمي بارز، مثَّل الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)[٢].

❁ أولاً: مناطق تمركز النشاط العلمي الحنبلي: (٤٥٠ ـ ٥٠٠هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١٠٦م):

تمركز النشاط العلمي الحنبلي في المشرق خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) في تسع مدن كبرى (انظر: الخريطة رقم: ١) هي: بغداد، وأصبهان، وهراة، وحران، وآمد، وهمذان، وبيت المقدس، ودمشق، وآمل طبرستان.

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق، ط دار صادر (١٩٦٥م)، ٨/ ١٦.

(٢) كان للحنابلة في بغداد نشاط اجتماعي وسياسي بارزين (في القرنين ٤ ـ ٥هـ/ ١٠ ـ ١١م)، وللتوسع في ذلك انظر لكاتب هذه السطور: الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد، ص٨٣ وما بعدها، و١١٥ وما بعدها.

فبالنسبة لبغداد، فهي الموطن الأصلي للحنابلة، لهم فيها نفوذ قوي، وأتباع كثيرون[1]، ومؤسسات علمية، ونشاط علمي مكثف[2].

وأما مدينة أصبهان، فأكثر أهلها حنابلة[3]، لهم فيها نفوذ كبير، وتأثير علمي واجتماعي بارزين[4]، من كبار علمائهم بها، أبو القاسم عبد الرحمٰن بن منده (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)[5]، والحافظ أبو زكريا يحيى بن منده (ت٥١١هـ/ ١١١٧م)[6].

وفيما يخص مدينة هراة، فقد كانت من معاقل الحنابلة، بفضل الدور الكبير الذي قام به الصوفي عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٧م) في نصرة المذهب الحنبلي، والتمكين له، بما له من علم، وجاه، ومكانة في بلده، فقد كان له بها أصحاب، وأتباع، ومجالس علم، ومناظرات مع خصومه من الأشاعرة[7] والمعتزلة[8].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٣١٢.

(٢) سيأتي تفصيله قريباً من هذا التمهيد.

(٣) أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨، ومصطفى جواد: في التراث العربي، حققه عبد الحميد العلوجي، بغداد، دار الحرية (١٩٧٥م)، ص٢٣٣.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٠٤، (ط د).

(٥) نفسه ١/ ٣٤، ونفسه ٥/ ٣٠٤.

(٦) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ١٥٤، ١٥٥.

(٧) هم فرقة كلامية ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري البصري (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٦م)، وسترد أفكارهم كثيراً فيما يأتي من فصول هذا البحث، وللتعرف أكثر على مذهبهم انظر: الشهرستاني: المصدر السابق ص١٠٦ وما بعدها.

(٨) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٦٦، ٧١، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٤٩، (ط د).

وأما مدينة حران[1]، فكثير من أهلها على المذهب الحنبلي؛ نشره فيها القاضي أبو الفتح عبد الوهاب بن جلبة البغدادي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، عندما تولّى بها القضاء، والخطابة، والإفتاء، والوعظ، والتدريس[2].

وأما مدينة آمد[3]: فكانت فيها جماعة حنبلية نشطة كوَّنها الفقيه أبو الحسن علي بن محمد البغدادي (ت٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) عندما استوطنها (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) وأصبح له بها أصحاب وتلاميذ، درسوا على يده المذهب الحنبلي[4].

وأما مدينة همذان، فقد سكنتها جماعة حنبلية كان لها نشاط علمي بارز ساهمت به في عقد مجالس العلم والمناظرات[5].

وأما بيت المقدس، فكانت فيه جماعة حنبلية صغيرة، كوَّن نواتها الفقيه عبد الواحد بن محمد الشيرازي (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، وخلف فيها تلاميذ تخرجوا عليه[6].

---

(١) عن موقعها انظر: الخريطة رقم (١) (ص٥٠)، وهي مدينة قديمة تقع على طريق الموصل والشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت دار صادر (١٩٦٨م)، ٢/ ٢٣٥.

(٢) أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ٢/ ٨٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٥٤، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٢٧، ٣٢٨، (ط د).

(٣) عن موقعها انظر: الخريطة رقم (١)، وهي مدينة قديمة من أكبر مدن دياربكر، تقع على نهر دجلة. ياقوت الحموي: المصدر السابق ١/ ٥٦.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢، ١٧، (ط د). ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨١، (ط د).

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٧١، (ط د).

(٦) نفس المصدر ١/ ٨٧، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٦٩، (ط د).

وأما في مدينة دمشق، فيعود الوجود الحنبلي فيها إلى القرن (الرابع الهجري/ ١٠م)[١]، لكنه ظل ضعيفاً إلى أن جاء إليها الفقيه عبد الواحد بن محمد الشيرازي، فأصبح له فيها أصحاب، وتلاميذ، وأتباع نشطين، وكانت له فيها مناظرات كثيرة مع الأشاعرة[٢]. وهو جد بني الحنبلي المشهورين في دمشق بالرياسة والعلم[٣].

وأخيراً مدينة طبرستان[٤]، فسكنتها جماعة حنبلية صغيرة، نشاطها العلمي فيها ضعيف، وعلماؤها قليلون، منهم: المقرئ أبو الحسن علي بن أبي القاسم الطبري (ت٥٢٨هـ/ ١١٣٣م)[٥].

وأشير هنا إلى أني لم أعثر على أي ذكر للحنابلة **بمدينتي مصر والقاهرة،** خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) في ظل الدولة الفاطمية، لكنهم سيظهرون بهاتين المدينتين في النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)[٦].

ويتبين مما ذكرناه: أنه كان للحنابلة في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) انتشار محدود في مدن المشرق الإسلامي، لهم في بعضها نشاط علمي مكثف كهراة، وأصبهان، ولهم في أخرى تأثير علمي واجتماعي ضعيفين، كما في همذان، وآمل طبرستان، وتأتي بغداد

---

(١) أدخله إليها الفقيه عمر بن الحسين الخرقي البغدادي (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) وهو صاحب مختصر الخرقي في الفقه، وهذا الكتاب من أشهر كتب الفقه الحنبلي. ابن كثير: المصدر السابق ١١/ ٢١٤.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٨٧، (ط د).

(٣) عن بيت ابن الحنبلي انظر: مبحث: الأسر العلمية الحنبلية من الفصل الأول.

(٤) عن موقعها انظر: الخريطة رقم (١).

(٥) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٨٦.

(٦) عن ذلك انظر: المبحث الرابع من الفصل الأول.

في مقدمة تلك المدن، فهي موطنهم الأصلي، ومعقلهم الحصين، لهم فيها قدرات بشرية كبيرة، ومؤسسات علمية كثيرة.

ثانياً: مؤسسات العلم الحنبلية (٤٥٠ ـ ٥٠٠هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١٠٦م):

* قدِّر مجموع مساجد[(١)] الحنابلة في بغداد، خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)، **بنحو أحد عشر مسجداً**[(٢)]. منها: مسجد المقرئ أبي بكر ابن علي الخياط (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، أقرأ فيه القرآن، وأملى فيه الحديث في حضور جمهور غفير[(٣)]. ومسجد الفقيه أبي جعفر ابن أبي موسى العباسي (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٥م)، موقعه بسكة الخرقي، بباب البصرة بالجانب الغربي من بغداد[(٤)]. ومسجد الفقيه أبي يعلى ابن الكيال (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م). ومسجد الفقيه أبي الوفاء ابن القواس (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)[(٥)]. ومسجد الشري محمد بن جرادة (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، بنهر المعلى بالجانب الشرقي من بغداد، أمّ فيه المقرئ أبو منصور الخياط (ت٤٩٩هـ/ ١١٠٥م) مدة طويلة، وأقرأ فيه آلاف العميان[(٦)].

---

(١) كانت المساجد في بغداد على نوعين: مساجد سلطانية، يتولى الخليفة رعايتها وتعيين أئمتها، ومساجد عامية بناها العوام في شوارعهم، ليس للخليفة فيها أن يعترض على أئمتها. أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، حققه محمد حامد الفقي، ط١ مصر، شركة البابي الحلبي (١٩٣٨م)، ص٧٨.

(٢) جورج مقدسي: (رعاة العلم في بغداد)، ترجمة: إحسان عباس، مجلة الأبحاث، بيروت، مج ١٤ (١٩٦١م)، ٤/ ٥٠٠.

(٣) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٣، (ط د).

(٤) نفس المصدر ١/ ٢١، ٦٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٤٧، (ط د).

(٥) نفس المصدر ١/ ٤٧، ٥٠، ونفس المصدر ٥/ ٣٠٧، ٣٢٧.

(٦) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ١٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١١٩، =

وأما مساجدهم في المدن التي لهم فيها وجود بارز كأصبهان، وحران، وهراة، فإني لم أعثر لهم فيها على مساجد، إلا على واحد فقط بمدينة هراة، للفقيه عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الصوفي[1]، لكن لا شك أنه كانت لهم في تلك المدن مساجد كثيرة، أغفلت المصادر التي وصلتنا ذكرها.

وهناك مساجد جامعة ليس لها صبغة مذهبية، كان فيها للحنابلة نشاط علمي مكثف، منها: جامع المهدي ـ الرصافة ـ بالقسم الشرقي من بغداد، درَّس فيه الفقيه أبو الغنائم علي بن زبيبا (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، والقاضي أبو منصور علي بن الأنباري (ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م)[2]. ومنها: جامع القصر ـ الخليفة ـ بالجانب الشرقي من بغداد، درّس فيه المقرئ أبو علي ابن البناء (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، والفقيه رزق الله بن عبد الوهاب التميمي[3] (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وجامع المنصور ـ المدينة ـ، بالقسم الغربي من بغداد، درَّس فيه كذلك أبو علي ابن البناء، ورزق الله التميمي[4].

وأما الجوامع خارج مدينة بغداد، فمنها اثنان هما: جامع مدينة آمد، وجامع حران:

الأول: كانت فيه حلقة فقه لأبي الحسن ابن محمد البغدادي

= (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤١٧، (ط د).

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٧٠، (ط د).

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ١٧٦، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٩، (ط د).

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣، (ط د)، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٦٣٠، (ط د) المعرفة.

(٤) نفسه ١/ ٤٣، ونفسه ١٢/ ٦٣٠.

ثم الآمدي[1].

والثاني: درّس فيه القاضي عبد الوهاب بن جلبة البغدادي ثم الحراني[2].

وأما عن المؤسسات العلمية من غير المساجد؛ كالأربطة، والزوايا، والمدارس، فإني لم أعثر للحنابلة منها على أية مؤسسة، خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م).

في حين كان للحنفية، والشافعية عدة مدارس في بغداد وخارجها، منها مدرستان في بغداد:

الأولى: مدرسة أبي حنيفة، بناها السلطان السلجوقي ملكشاه (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) للحنفية.

والثانية: المدرسة النظامية، أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، ووقفها على الشافعية[3].

وحتى المدارس البيتية التي يبدو أنها كانت كثيرة، لم أعثر منها للحنابلة إلّا على واحدة ببغداد، للمقرئ أبي بكر محمد بن علي الخياط (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، كان يقرئ فيها القرآن الكريم، ويملي فيها الحديث النبوي الشريف[4].

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ١٢، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨١، (ط د).

(٢) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٥٢، ٥٣، (ط د).

(٣) عن هاتين المدرستين، ومدارس الحنفية والشافعية الأخرى انظر: ابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٤٢، وعبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ج١، وطه الولي: المساجد في الإسلام، ط١ بيروت، دار العلم للملايين (١٩٨٨م)، ص٨٥، ٨٦، وجورج مقدسي: رعاة العلم في بغداد، مجلة الأبحاث، مج ١٤، ٤/ ٥٠٠.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٣، (ط د).

وأشير هنا إلى أمرين:

الأول: أنه اشتهر من بين علماء الحنابلة أربعة مدرسين كبار، كانت لهم حلقات علم في مساجد الحنابلة، وجوامع بغداد، هم: القاضي أبو يعلى الفراء (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)[١]، والفقيه أبو جعفر ابن أبي موسى العباسي (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، والمقرئ أبو منصور الخياط، وأبو الوفاء ابن عقيل[٢].

والثاني: هو أنه لا يعرف أنه كانت للحنابلة في النصف الثاني من القرن (الخامس/ ١١م)، مؤسسات علمية تنفق عليها الدولة، أو لها أوقاف تمولها، لذلك اعتمدوا على أموالهم الخاصة في الإنفاق على أهل العلم، وعلى التبرعات، والوصايا[٣]، وعلى ما يجود به الأغنياء، فقد كان الثري أبو منصور ابن يوسف البغدادي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، كثير الإنفاق على الطلاب ومدرسيهم، فيتحمل مؤنهم، ويهتم بأمورهم[٤].

ويتبيّن مما أوردناه عن مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي، خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) أنها كانت مقتصرة على المساجد والبيوت، دون المدارس[٥]، والأربطة،

---

(١) شمس الدين الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه عمر عبد السلام تدمري ط١ بيروت، دار الكتاب العربي (١٩٩٤م)، ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١١٩، (ط د)، وابن كثير: المرجع السابق ١٢/ ١٨٤.

(٣) نفسه ١/ ١١٩، ونفس المصدر ١٢/ ٤١.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، بيروت دار الكتاب العربي، (د ت)، ١٠/ ٤٣٤، وابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ٢١٢، ٢١٣، والذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٨٦.

(٥) ستكون لهم مدارس (في القرن الخامس الهجري/ ١٢م) وما بعده، وعن أسباب =

والزوايا[1]. وأن الحنفية والشافعية قد سبقوا الحنابلة في إنشاء المدارس، بينما بقوا هم ـ أي: الحنابلة ـ محافظين على المساجد؛ كأهم مؤسسة علمية تجمع بين عبادة الصلاة، والنشاط العلمي.

❁ ثالثاً: مجالس العلم عند علماء الحنابلة (٤٥٠ ـ ٥٠٠هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١٠٦م):

كانت لعلماء الحنابلة في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) مجالس علم كثيرة ذات موضوعات متنوعة، منها:

*** المناظرات:**

غلبت عليها قضايا الفقه، وأصول الدين، وكانت تعقد في المساجد، والبيوت، ومجالس الأعيان، منها: مناظرة بجامع المهدي للفقيه علي بن زبيبا البغدادي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، وأخرى بجامع المنصور، بالقسم الغربي من بغداد، للفقيه أبي الحسن ابن محمد البغدادي ثم الآمدي (ت٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، وواظب عليها مدة طويلة، إلى أن رحل إلى مدينة آمد سنة (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)[2]، ومنها: مناظرة للفقيه أبي جعفر ابن أبي موسى العباسي (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، يوم كل اثنين في مسجده بباب البصرة، بالقسم الغربي من بغداد، ويحضرها الفقهاء من مختلف المذاهب[3].

وللفقيه عبد الله الأنصاري الهروي الصوفي (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)

= تأخر ظهورها عندهم، انظر: مبحث المدارس من الفصل الثاني.

(١) ستظهر عندهم الأربطة، والزوايا (في القرن الخامس الهجري/ ١٢م، وما بعده)، وعنها انظر: مبحث الزوايا والأربطة من الفصل الثاني.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٩، ١٠، ١٢، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨١، (ط د).

(٣) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٢١، (ط د).

مناظرات كثيرة جرت بينه وبين مخالفيه من الحنفية والشافعية في مسائل العقيدة، منها: أنه كان في مجلس بحضرة الوزير السلجوقي نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، فسأله أحد الشافعية: لم تلعن أبا الحسن الأشعري؟ فسكت، ثم قال: «لا أعرف الأشعري، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله ﷻ في السماء، وأن القرآن في المصحف، وأن النبي اليوم نبي» ثم انصرف، فقال الوزير لمن معه: «هذا أردتم؟ كنا نسمع أن يذكر هذا بهراة، فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا»[١]. وفي مجلس آخر طلبه أئمة من الشافعية، والحنفية للمناظرة، فاستدعاه نظام الملك، فلمّا حضر قال له الوزير: «إن هؤلاء القوم قد اجتمعوا لمناظرتك، فإن يك الحق معك رجعوا الى مذهبك، وإن لم يكن الحق معك، إما أن ترجع، وإما أن تسكت عنهم»، فقال: «أنا أناظر على ما في كمي، فقال له: وما فيهما؟ قال: كتاب الله في اليمين، وسُنَّة رسوله في اليسار»، فنظر الوزير إلى «القوم كالمستفهم لهم، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذه الطريق»[٢].

*** ولهم مجالس فقهية عامة كثيرة، تعقد في المساجد الجامعة:**

منها: سبع حلقات في جامع المنصور بالجانب الغربي من بغداد:
الأولى: حلقة البرامكة، للقاضي أبي يعلى الفراء (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، داوم عليها عدة سنين، ويحضرها جمهور غفير، حتى أنه يحتاج إلى مبلِّغين ليسمعوا الحاضرين، وعندما توفي خلفه في حلقته تلميذه أبو الوفاء ابن عقيل، أجلسه فيها الثري أبو منصور بن يوسف[٣]. وأما الحلقات الستة الباقية فهي للفقهاء الآتية أسماؤهم: أبو الحسن علي بن محمد

(١) ابن رجب: المصدر نفسه: ١/ ٧٠، (ط د).

(٢) نفسه ١/ ٧٠.

(٣) أبو الحسين ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٠، وابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ٢١٣، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٣، ١١٧، ١٢٩، (ط د).

الآمدي، وأبو عبد الله ابن عمر الباجسرائي[(١)] (ت٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، وأبو علي ابن البناء، وأبو الوفاء ابن القواس (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)[(٢)]، ورزق الله بن عبد الوهاب التميمي (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) وأبو منصور ابن محمد الأنباري[(٣)] (ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م).

ومنها: أربعة مجالس فقهية في جامع القصر، بالجانب الشرقي من بغداد، لأربعة فقهاء حنابلة، هم: أبو علي ابن البناء، والقاضي يعقوب بن إبراهيم البرزبيني[(٤)] (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٢م)، ورزق الله التميمي، وأبو منصور الأنباري[(٥)].

ومن حلقاتهم الفقهية خارج بغداد حلقتان: الأولى: للفقيه أبي الحسن ابن محمد الآمدي بجامع مدينة آمد درس فيها الفقه الحنبلي[(٦)]، والثانية: للقاضي عبد الوهاب بن جلبة (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، بجامع حران عندما تولى إمامته وخطابته[(٧)].

* **ومن مجالسهم العلمية، حلقات إقراء القرآن الكريم**، أذكر منها أربعة:

---

(١) ابن رجب المصدر السابق ١/ ١٢ ١٣.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ١٨٨، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٣٥٧، (ط د) المعرفة.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٣٧، والذهبي: المصدر السابق ج: (٤٨١ - ٤٩٠هـ)، ص٢٤٢.

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ١٨٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣، ٩٣، ١٤٣، (ط د).

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٩٣، ٩٧، (ط د)، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٦٣٠، (ط د) المعرفة.

(٦) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ١٢٣، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨١، (ط د).

(٧) نفس المصدر ١/ ٥٤، (ط د). ونفسه ٥/ ٣٢٧، ٣٢٨، (ط د).

أولها: حلقة المقرئ أبي محمد ابن علي الخياط البغدادي (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، بجامع المنصور[١].

والثانية: للمقرئ أحمد بن محمد الرزاز البغدادي (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، داوم عليها مدة طويلة، وختم على يده القرآن أناس كثيرون[٢].

والثالثة: للمقرئ أبي منصور ابن أحمد الخياط البغدادي (ت٤٩٩هـ/ ١١٠٥م)، استمر عليها بضعاً[٣] وستين سنة يقرئ فيها العميان القرآن الكريم، لوجه الله، بمسجد ابن جردة بحريم دار الخلافة ببغداد، وكان يسأل لهم، وينفق عليهم.

وقد روي أنه علّم من العميان سبعين ألفاً، لكن بعض الناس أنكر ذلك، وقال: إنه مستحيل، وإنما أريد به سبعون نفساً، وهذا القول لا يستقيم عند المؤرِّخين: ابن رجب، وابن العماد الحنبلي؛ لأننا نرى آحاد المقرئين يختم عليه القرآن أكثر من سبعين نفساً، فكيف يبلغ من أقرأهم أبو منصور سبعين نفساً؟ وهو قد داوم على الإقراء أكثر من ستين سنة بمساعدة أصحابه، لذا فإن عدد سبعين ألفاً عندهما صحيح[٤]. واعتراضهما سديد ووجيه، فلا شك أن أبا منصور قد أقرأ عشرات الآلاف من العميان بمساعدة أصحابه، لكن عدد سبعين ألفاً مبالغ فيه! فهل وجد ذلك العدد الكبير من العميان في بغداد؟ وهل في

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ١٣، (ط د).

(٢) نفس المصدر ١/ ٤٠، (ط د).

(٣) البضع في العدد هو من الثلاث إلى التسع، في غير العقود، ومن العشر إلى التسعين في العقود، ولا يستعمل مع المائة والألف. علي بن هادية، وآخران: القاموس الجديد، ط٧ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب (١٩٩١م)، ص١٥١.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١١٩، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤١٧، (ط د).

إمكان أبي منصور ومساعديه إقراء ـ مثلاً ـ أكثر من ألف أعمى سنوياً لمدة تزيد عن ستين عاماً، مع رعايتهم والإنفاق عليهم؟ يبدو لي أنه ليس في مقدورهم ذلك.

وأما الحلقة الرابعة: فهي للمقرئ أحمد بن علي العلثي (ت٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)، كان يعقدها، بأحد مساجد بغداد(١).

*** وكان لبعض علماء الحنابلة مجالس لتفسير القرآن الكريم:**

أشهرها مجالس عبد الله الأنصاري الهروي الصوفي، داوم على عقدها سنوات طوال، بدأها سنة (٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، إلى وفاته سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، فسّر فيها القرآن الكريم ولم يكمله، لكثرة الانقطاعات، وتوسعه في تفسير بعض الآيات، من ذلك أنه فسّر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، في مجالس عديدة، ويقال: إنه فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] في ثلاثمائة وستين مجلساً، وفي أواخر حياته أصبح يستعجل لإكمال تفسير القرآن الكريم، فأصبح يفسّر في المجلس الواحد مقدار عشر آيات، لكنه توفي ولم يكمله، وتوقف عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧ ـ ٦٨]، وكان في تفسيره للقرآن يرجع إلى العشرات من كتب التفاسير قد تزيد عن المائة(٢).

*** ولعلماء الحنابلة مجالس لإملاء الحديث النبوي الشريف:**

منها: مجالس القاضي أبي يعلى الفراء البغدادي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، بجامع المنصور، استمر في إملائها سنين طويلة، ويحضرها جمهور غفير، حتى أنه يحتاج إلى ثلاثة مبلِّغين عنه ليسمعوا الحاضرين

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ١٢٩، (ط د).

(٢) نفس المصدر ١/ ٧٣، ٧٤، (ط د).

المقدر عددهم بالآلاف[1]. ومنها: حلقات للمقرئ أبي بكر ابن علي الخياط البغدادي (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، أملى فيها الحديث في بيته، ومسجده، وجامع المنصور[2]. وكانت للحافظ إسماعيل بن أحمد الهمذاني ثم البغدادي (ت٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م) مجالس حديث أملاها بخراسان، وبغداد[3]. وعندما قدم الحافظ يحيى ابن منده الأصبهاني (ت٥١١هـ/ ١١١٧م) إلى بغداد سنة (٤٩٨هـ/ ١١٠٤م) أملى مجالس حديث سمعها منه خلق كثير[4].

*** وكانت لهم مجالس لقراءة الكتب والتحديث بها:**

منها: حلقات للفقيه أبي الوفاء طاهر بن القواس البغدادي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، بجامع المنصور، خصصها لقراءة بعض المختصرات الفقهية من مصنفات شيخه أبي يعلى الفراء[5].

ومنها: مجلسان للتحديث بالمصنفات:

الأول: حدَّث فيه الفقيه أبو الحسن علي بن عمرو الحراني (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، بكتاب «الإبانة الصغرى» لابن بطة العكبري[6]، قرأه بحران سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)[7].

---

(١) أبو الحسين ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٨، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٥٢، (ط د).

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٣، (ط د).

(٣) نفس المصدر ١/ ١١٢، (ط د).

(٤) نفس المصدر ١/ ٢١٦، (ط د).

(٥) نفس المصدر ١/ ٥٠، (ط د)، وابن كثير المصدر السابق ١٢/ ٥٥٧، (ط د المعرفة، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٢٧، (ط د).

(٦) هو الحافظ أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي المتوفى سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م). ابن كثير: المصدر السابق ١١/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٧) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٠٧، (ط د).

والثاني: عقده الفقيه زياد بن علي البغدادي (ت٤٩٣هـ/١٠٩٦م) حدَّث فيه بكتاب «الوجيز» لابن خزيمة[١]، سمعه منه الفقيه أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي الحنبلي (ت٥٢٧هـ/١١٣٢م)[٢].

وعندما دخل الفقيه رزق الله بن عبد الوهاب التميمي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) مدينة سمرقند[٣]، وجد بعض أهل العلم يروون كتاب «الناسخ والمنسوخ» لهبة الله[٤] عن خمسة رجال لكي يصل الإسناد[٥] إلى مؤلفه، فقال لهم: «الكتاب معي والمصنف جدي لأمي، ومنه سمعته، ولكن ما أسمعكم[٦] كل واحد منكم إلا بمائة دينار، فما كان الظهر حتى جاءني كيس فيه خمسمائة دينار والجماعة، فسمعوا علي، وسلموا إليَّ الذهب»[٧].

وكانت للفقيه أبي الخطاب الكلوذاني البغدادي (ت٥١٠هـ/١١١٦م) جلسات علمية مع شيخه القاضي أبي يعلى الفراء، قرأ فيها عليه كثيراً من مصنفاته، في الفقه والأصول[٨].

---

(١) هو الحافظ الفقيه أبو بكر محمد بن خزيمة النيسابوري الشافعي المتوفى سنة (٣١١هـ/٩٢٣م). ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/٥٧، ٥٨، (ط د).

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١١٠، (ط د).

(٣) تقع بلاد خوارزم، فيما وراء نهر جيحون. عبد المنعم ماجد، وعلي البنا: الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ط٢، د م ن، دار الفكر العربي، (د ت) ص رقم (٨).

(٤) لم أجده.

(٥) الإسناد في علم مصطلح الحديث هو سلسلة الرجال الموصلة للمتن. محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ط٣ الرياض، مكتبة المعارف (١٤١٧هـ)، ص١٢٣٨.

(٦) كذا في الأصل.

(٧) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٠٠، (ط د).

(٨) نفس المصدر ١/١٤٣، (ط د).

وأشير هنا إلى أني أحصيتُ ـ من خلال مجالس العلم الحنبلية ـ أكثر من تسعة عشر عالماً، ساهموا في تنشيط الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي، ومعظمهم من بغداد وقلة من خارجها، **أذكر منهم أربعة:**

أولهم: القاضي أبو يعلى الفراء:

وهو أكبر شخصية علمية حنبلية، في القرن (الخامس الهجري/ ١١م)، دون منازع بفضل تفرغه للعلم، ونشاطه الدؤوب في نشره[١].

فكانت مجالسه مكتظة بالحاضرين، وتأتيه أسئلة المستفتين من مكة، وأصبهان وغيرهما من المدن[٢]، منها: **ثلاثة أسئلة وردت إليه من مكة المكرمة:**

أولها: هل حركة اللسان بالقرآن قديمة؟

فأجاب: إن حركة اللسان محدثة، ولا يجوز القول بأنها قديمة[٣].

والسؤال الثاني: هل يقال: أفضل الناس بعد الرسول ﷺ الخلفاء الأربعة، ثم الزبير إلى آخر المبشرين بالجنة؟

فأجاب: الأفضل التوقف في الخلفاء الأربعة؛ لأن «ثمّ» تستلزم الترتيب، وليس لنا نقل في ذلك، وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه أمر هؤلاء العشرة أن يختاروا واحداً منهم، ولم يعينه، وذلك ظاهر التساوي، كما أن «ثم» تفيد الترتيب وهذا يعني تقديم طلحة على الزبير والزبير على

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٩٤، ٩٥.

(٢) أبو الحسين ابن أبي يعلى: المصدر السابق ٢/ ٢٠٥، ٢٣٠، والذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٤.

(٣) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، بيروت دار الكتاب العربي (د ت)، مج٢، ٤/ ٤٠، ٤٠١.

عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه[1].

والثالث: هو: هل يجوز القول أن الله يرحم الكفار؟

فرد بقوله: لا يجوز لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦] و﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [البقرة: ١٦٢]، لكنه تعالى يخفف عذاب بعضهم، لقوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] و﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨][2].

ومما يزيد في شأن القاضي أبي يعلى ويرفع من مكانته، أن معظم أعيان علماء الحنابلة في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) وما بعده، قد تخرجوا على يده أو على أيدي تلامذته، وقد أحصيتُ منهم تسعة عشر طالباً هم من كبار تلامذته، كما هو مبين في الشكل رقم (١)[3].

والعالم الثاني: هو أبو عبد الرحمٰن ابن منده الأصبهاني (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م).

كان كثير السماع للحديث، وواسع الرواية، من بيت عريق في العلم والحنبلية[4]، وله جاه عريض، ونفوذ قوي في بلده أصبهان، وله بها أصحاب وأتباع يقتفون أثره[5]، وينسبون إليه أقوالاً لا تثبت عنه؛ كقولهم: إن التيمم بالتراب جائز مع القدرة على استعمال الماء، وأن صلاة التراويح بدعة[6]. وقد اتهمه خصومه بالتشبيه لأنه كان مفرطاً في

---

(١) ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه مج ٢ ٤/ ٤٠، ٤٠١.
(٢) نفس المصدر مج ٢ ٤/ ٤١.
(٣) ص: ٦٩.
(٤) انظر: شجرة نسبه في مبحث الأسر العلمية الحنبلية، من الفصل الأول.
(٥) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٦١ ـ ٤٧٠هـ)، ص٤٨٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٠٤، (ط د).
(٦) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٨، (ط د).

إثبات الصفات، مما جعلهم يتوهمون فيه التجسيم، وهو منه بريء؛ لأنه كان ينفي عن نفسه تلك التهمة، ويصرح أنه متبرئ إلى الله تعالى من التشبيه، والمثل، والضد، والند، والجسم، والأعضاء، والآلات، ومن كل ما ينسب إليه ويدعى عليه[1].

والثالث: هو أبو علي ابن البناء البغدادي (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م).

كان متعدد الفنون، جمع بين علم القراءات، والفقه، والحديث، والأدب، والوعظ، وناظر ودرَّس وأملى الحديث وأفتى في جامعي المنصور والقصر، وصنف عشرات الكتب في الفروع والأصول، والتاريخ والأدب[2].

وآخرهم: رزق الله بن عبد الوهاب التميمي البغدادي (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

جمع علوماً شتى؛ كالفقه، والحديث، والتفسير، واللغة، وكانت له مجالس علم في بغداد، وأصبهان، وسمرقند[3].

* **ويستنتج مما أوردناه عن مجالس العلم عند علماء الحنابلة، في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)**، أنها اتخذت - في عمومها - من المساجد مقراً لها، وشملت موضوعاتها العلوم الشرعية دون علوم الأوائل، وتولّى عقدها علماء كثيرون غالبيتهم من بغداد، ومعظمهم من تلاميذ القاضي أبي يعلى الفراء أو من تلامذتهم، فكان لهم الدور الكبير في الرفع من مكانة بغداد العلمية، وفي تفعيل الحركة العلمية الحنبلية، وإثرائها بالمصنفات.

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٠٥، (ط د).

(٢) نفس المصدر ١١/ ٤٣، ٤١٢، (ط د). ونفسه ٥/ ٣٠٦، (ط د).

(٣) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٨١ - ٤٩٠هـ)، ص٢٤٢، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٣٦٠، (ط د) المعرفة.

أشهر تلامذة القاضي أبي يعلى الفراء وبعض تلامذتهم[1]

التلميذ	تلامذته
← أبو الوفاء بن عقيل (ت ٥١٣هـ)	← أحمد بن علي الأبرادي (ت ٥٣١هـ)
	← عبد الله بن المبارك (ت ٥٢٨هـ)
	← أبو الحسين بن عقيل (ت ٥١٠هـ)
← أبو الخطاب الكلوذاني (ت ٥١٠هـ)	← أبو بكر بن الدينوري (ت ٥٢٢ هـ)
	← علي بن الحسين الدواجي (ت ٥٢٦هـ)
	← عبد الوهاب بن حمزة (ت ٥١٥هـ)
← أبو محمد رزق الله التميمي (ت ٤٨٨هـ)	
← أحمد بن محمد البرداني (ت ٤٩٨هـ)	
← يعقوب بن البرزبيني (ت ٤٨٦هـ)	← أبو الحسن بن الزاغوني (ت ٥٢٧هـ)
	← المبارك بن المخرمي (ت٥١٣هـ)
	← محمد بن علي الحلواني (ت ٥٠٥هـ)
← عبد الواحد بن محمد الشيرازي (ت ٤٨٦هـ)	
← عبد الوهاب بن جلبة (ت ٤٧٦هـ)	
← طاهر بن القواس (ت ٤٧٦هـ)	
← أبو يعلى بن الكيال (ت ٤٧١هـ)	
← أبو علي بن البناء (ت ٤٧١هـ)	← أبو نصر بن البناء (ت ٥١٠هـ)
← الشريف أبو جعفر العباسي (ت ٤٧٠هـ)	← أبو الحسين بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ)
	← المبارك بن المخربي (ت ٥١٣هـ)
	← جعفر بن الحسين (ت ٥٠٦هـ)
← أحمد بن محمد الرزاز (ت ٤٧٠هـ)	
← محمد بن أحمد البرداني (ت ٤٦٩هـ)	
← عبيد الله بن أبي يعلى الفراء (ت ٤٦٩هـ)	
← أبو بكر بن علي الخياط (ت ٤٦٨هـ)	← أبو بكر بن المزرفي (ت ٥٢٧هـ)
	← أبو الحسين بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ)
← علي بن محمد الآمدي (ت ٤٦٧هـ)	← محمد بن أحمد الغازي (......)
	← عبد الله بن أبي يعلى (ت ٤٦٩هـ)
← محمد بن عمر الباجسرائي (ت ٤٦٧هـ)	
← علي بن زبيبا (ت ٤٦٠هـ)	
← علي بن الحسين العكبري (ت ٤٦٨هـ)	

الشكل رقم: ٠١

[1] - المصادر: منها ، ابن كثير، المصدر السابق، ج:١١ ص: ٣٤٩، وج:١٢، ص:٩٤،٩٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج:٤٥١-٤٦٠ ص: ٤٥٩. وابن رجب: الذيل، ج:١، ص:٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ٤٠، ٥٠، ٥٤، ٨٧،١١٧،٩٧، ١٣١، ١٣٦، ١٣٦،١٤٣، ١٤٠،٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٧،٢١٢، ٢١٤،٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٦، ٢٩٢.. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ١٧، ٢٥٢، ط د .

❁ رابعاً: الإنتاج العلمي الحنبلي (٤٥٠ ـ ٥٠٠هـ/١٠٥٨ ـ ١١٠٦م):

أحصيتُ لعلماء الحنابلة في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م) خمسمائة وواحد وستين كتاباً(١):

منها: خمسمائة مصنّف لأبي علي بن البناء وحده، ومنها: أربعون كتاباً للقاضي أبي يعلى الفراء، والمؤلفات المتبقية موزعة على ستة عشر عالماً.

فبالنسبة لمصنفات ابن البناء: فتشمل علوماً شتى؛ كالفقه والحديث، والتاريخ والأدب، وعلوم القرآن، وكان قد شرع في التأليف في حياة شيخه القاضي أبي يعلى، وعرض عليه مؤلفاته فكتب له بخطه عليها بالإصابة والاستحسان(٢).

وأما كتب شيخه أبي يعلى، فمعظمها في الفقه وأصول الدين،

---

(١) المصادر هي: الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩، ج: (٤٦١ ـ ٤٧٠هـ)، ص٢٦٢، ٤٥٩، ج: (٤٧١ ـ ٤٨٠هـ)، ص٤٠، ج: (٤٨١ ـ ٤٩٠هـ)، ص٥٤، ٥٥، ج: (٤٩١ ـ ٥٠٠هـ)، ص٣١٦، ٥١٦، ٥١٧، وابن الجوزي: المنتظم ٩/ ١٥١، وابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٢، ١٩، ٢٢، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٥٩، ٤٥، ٤٦، ٥٥، ٦٠، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٨٩، ٩٩، ١١٢، ١١٨، ١٢٣، ١٣٢، ٢٨٧، وابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٦٥٥، (ط د) المعرفة، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥/ ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢٩، (ط د). وسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٨/ ٢١، وأبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٠٥، وابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد مج٢ ٤/ ٤١، ٤٠١، وجعفر بن أحمد السراج: مصارع العشاق، بيروت دار بيروت (١٩٨٠م) ١/ ٤ وما بعدها. وGeorge Makdisi Ibn Aqil P 2 34. S D E Laugier khawadja Abdullah anssari P 270.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٢، ٤٣، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٠٦، (ط د).

ويؤخذ عليه فيها احتوائها على أحاديث باطلة كثيرة؛ لأنه لم يكن خبيراً بعلل الحديث ورجاله[١].

* **ومنها: ستة مصنفات في علوم القرآن،** اثنان في القراءات هما: «القراءات السبع»، للمقرئ أبي الخطاب بن علي الصوفي البغدادي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، و«المهذب في القراءات»، للمقرئ أبي منصور الخياط البغدادي (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م)[٢].

* **ومنها: أربعة كتب في «تفسير القرآن الكريم»:**

الأول: للقاضي أبي يعلى.

والثاني: لأبي علي بن البناء، توجد منهما نسختان مخطوطتان بالمكتبة الظاهرية[٣] بدمشق[٤].

والثالث: تفسير باللغة الفارسية، للصوفي عبد الله الأنصاري الهروي[٥].

وآخرها: كتاب «الجواهر»، في ثلاثين مجلدة، للفقيه أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ثم الدمشقي (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)[٦].

* **ولهم أربعة وعشرون كتاباً في الفقه** وما يتصل به من أصول وخلاف، منها: ثلاثة في أصول الفقه، وواحد في الجدل والمناظرة، والباقي في الفروع، منه: «شرح مختصر الخرقي»، و«الخلاف الكبير»

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩، ٤٦٢.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٥٩، ١١٨، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨٧، ٣٢٩، (ط د).

(٣) كان ذلك قبل نقل مخطوطاتها إلى مكتبة الأسد.

(٤) George Makdisi op cit P 234.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٦٦، ٢٨٧، (ط د).

(٦) نفس المصدر ١/ ٨٩، (ط د).

للقاضي أبي يعلى[1]، و«عمدة الحاضر وكفاية المسافر» في أربعة مجلدات، لأبي الحسين علي بن محمد الآمدي (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، وكتاب «شرح مختصر الخرقي»، و«الكامل في الفقه»، و«الكافي المحدد في شرح المجرد»، لأبي علي ابن البناء[2]، و«الإيضاح في الفرائض»، للفقيه أبي الفضل ابن الحداد البغدادي (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٦م)، حرر فيه مذهب الحنابلة في الميراث تحريراً جيداً[3].

*** وعثرت لهم في علم الحديث على ثلاثة مصنفات:**

أولها: «جزء في صلاة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه».

والثاني: «المنامات النبوية»، وهذان الكتابان لأبي علي أحمد بن محمد البرداني البغدادي[4] (ت٤٩٨هـ/ ١١٠٤م).

وآخرها: «السراجيات»، في خمسة أجزاء حديثية خرّجها أبو بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٦٠م)، للمقرئ جعفر بن أحمد السراج البغدادي الحنبلي[5].

*** ولهم ـ من مجموع مصنفاتهم[6] ـ ثمانية عشر كتاباً في أصول الدين وعلم الكلام، منها:**

«مسائل الإيمان»، و«الرد على المجسمة»، و«الرد على الأشاعرة»،

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢، ٤٥، (ط د).

(٣) نفس المصدر ١/ ١١٢، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٠٥، (ط د).

(٤) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ١١٨، (ط د).

(٥) نفس المصدر ١/ ١٢٣، (ط د).

(٦) التي سبق إحصاؤها.

و«الرد على الباطنية»، و«إبطال التأويلات لأخبار الصفات»، و«المعتمد في أصول الدين»، وهي كلها من تأليف القاضي أبي يعلى الفراء[1]، وقد وصلنا منها كتابه «المعتمد في أصول الدين»[2]، شرح فيه مذهب الحنابلة وأهل الحديث في مسائل أصول الدين، ورد فيه على الأشاعرة والمعتزلة والشيعة[3]، وأبان فيه عن كفاءة علمية عالية في إلمامه بمقالات عصره، وغزارة علمه، وتمكنه من المنهج الجدلي[4].

ومنها: «الفاروق في الصفات»، و«ذم الكلام وأهله»، وهما للصوفي عبد الله الأنصاري الهروي، وفي كتابه الأول أحاديث باطلة أوردها دون تحقيق[5]، والثاني: توجد منه نسخة مخطوطة كانت في المكتبة الظاهرية، اتبع فيه مؤلّفه طريقة المحدّثين في ذكر النصوص الشرعية والأخبار المسندة، مع الاسترسال أحياناً في التعبير عما يجول في خاطره[6].

*** ولهم في الوعظ والتربية والتصوف ستة كتب:**

منها: «أدب العالم والمتعلم»، لأبي علي ابن البناء، ومما حكاه فيه أنه ورد في زمانه سؤال يقول: هل يجوز أن يقرأ على المحدّث الثقة

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩، وعبد القادر أبو فارس: القاضي أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٩٨٣م)، ص٢٤٦.

(٢) حققه الباحث وديع زيدان، بيروت، دار المشرق، (١٩٧٣م).

(٣) المعتمد في أصول الدين ص٥١ وما بعدها و٢٥٩ وما بعدها.

(٤) نفس المصدر ص٥٤، ٦١.

(٥) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٨١ ـ ٤٩٠هـ)، ص٥٤، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٦٥، (ط د).

(٦) ابن رجب: المصدر السابق ج ١ هامش ص٦٥، (ط د). وأرم ضياء العمري: دراسات تاريخية ط١، السعودية، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (١٩٨٣م).

كتاب ذكر أنه من سماعه وليس معه خط يشهد له؟ فاتفق الفقهاء على الجواز. وكتب الفقيهان أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، ورزق الله بن عبد الوهاب التميمي (٤٨٨هـ/١٠٩٥م): إن «الخط عادة محدثة، استظهرها المحدثون من غير إيجاب لها». وذهب ابن البناء إلى القول بأن المحدّث الثقة يصدق فيما قاله لأن السَّلف الأول كثير منهم كان يحدث من حفظه، دون إظهار لخطٍّ من حدثه[١].

ومنها: كتاب «مجالس التذكير» باللغة الفارسية، و«علل المقامات»، و«منازل السائرين»، وهي للحافظ عبد الله الأنصاري الهروي الصوفي، وكتابه الأخير شرحه الفقيه ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)، في كتابيه: «مدارج السالكين»، و«طريق الهجرتين»[٢].

*** وفي التاريخ والفضائل:**

عثرت لهم على ثلاثة عشر مصنفاً: منها: «فضائل أحمد بن حنبل»، للقاضي أبي يعلى الفراء[٣]. وكتاب «فضائل الشافعي»، و«أخبار الأولياء والعباد بمكة»، و«طبقات الفقهاء»، و«أصحاب الحديث الخمسة»، و«أخبار القاضي أبي يعلى»، و«التاريخ»، وهي كلها لأبي علي ابن البناء[٤]. ولعل مصنفه «التاريخ»، هو يومياته التي سجل فيها حوادث بغداد يوماً بيوم طيلة ثلاثة أشهر من سنة (٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، وسنة (٤٦١هـ/١٠٦٨م) بكاملها، وقد استمر في تدوينها إلى سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م)، ولا تعرف السنة التي بدأ فيها كتابة يومياته[٥]. ومنها: كتاب

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/٥٢، ٥٣، (ط د).

(٢) هما مطبوعان ومتداولان.

(٣) الذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/٤٦، (ط د).

(٥) حققها المستشرق جورج مقدسي، وترجمها إلى اللغة الإنجليزية، ونشرها مع =

«طبقات الصوفية» باللغة الفارسية، للصوفي عبد الله الأنصاري الهروي، ترجم فيه لأعيان الصوفية كأبي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي (٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، وأبي منصور الحسين الحلاج[١] البغدادي (ت٣٠٩هـ/ ٩٢١م).

*** وفي الأدب:**

أحصيتُ لهم خمسة كتب، منها: «مصارع العشاق» للمقرئ الأديب أبي محمد ابن أحمد السراج البغدادي (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م)، دوَّن فيه أشعار وحكايات العشق وأهله، بأسلوب عفيف[٢]. وأما الأربعة الباقية فهي كتب منظومة، ثلاثة منها لأبي محمد السراج، هي: «مختصر الخرقي في الفقه»، و«مناسك الحج»، و«التنبيه في الفقه» لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي[٣]، والرابع: في «عدد آيات القرآن الكريم»، للمقرئ أبي الخطاب علي بن أحمد الصوفي البغدادي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م). ومن نظمه كذلك، قصيدة عينية في أكثر من أربعين بيتاً موضوعها مسائل الاعتقاد، منها قوله:

حقيقة إيماني أقول لتسمعوا ... لعل به يوماً إلى اللَّه أرجع

= النص العربي، في نشرة الدراسات الشرقية والإفريقية التي تصدرها جامعة لندن (B S O A S) Tome 18 1956 P 9 - 31 239 - 260 Tome 19 1957 P 13 - 48 281 - 303 426 - 443.

(١) حكم عليه علماء بغداد بالقتل، لادعائه أن الله قد حل فيه، وقتل في بغداد سنة (٣٠٩هـ/ ٩٢١م). ابن كثير: المصدر السابق ١١/ ١٣٢.

(٢) جعفر بن أحمد السراج: مصارع العشاق، بيروت، دار بيروت (١٩٨١م)، ١/ ٤ وما بعدها. وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٢١، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٦٥٥، (ط د) المعرفة.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ١٥١، والذهبي: المصدر السابق ج: (٤٩١ ـ ٥٠٠هـ)، ص٥١٦، ٥١٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢٣، (ط د).

بأن لا إلٰه غير ذي الطول[1] وحده تعالى بلا مثل له الخلق خضع
وليس بمولود وليس بوالد يرى ما عليه الخلق طرّاً ويسمع[2]

ولأبي محمد ابن أحمد السراج أشعار كثيرة[3]، منها قوله في مدح أصحاب الحديث:

لله در عصابة يسعون في طلب الفوائد
يدعون أصحاب الحديث بهم تجلت المشاهد
يتتبعون من العلوم بكل أرض كل شارد
فهم النجوم المهتدى بهم إلى سبل المقاصد[4]

*** ولهم مصنفات أخرى متعددة الموضوعات:**

منها: خمسة كتب[5]، من بينها أربعة للقاضي أبي يعلى الفراء، هي: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، و«الأحكام السلطانية»، و«كتاب الطب»، و«ردود وإجابات على أسئلة المستفتين»[6]، والخامس كتاب «حكم الصبيان»، للمقرئ أبي محمد ابن أحمد السراج[7].

---

(١) مأخوذة من قوله تعالى ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] ـ معناها أن الله ذو الفضل والنعم المبسوطة، على من يشاء من خلقه. محمد علي الصابوني، وصالح أحمد رضا: مختصر تفسير الطبري، الجزائر مكتبة رحاب (١٩٩١م)، ٢/ ٢٨٧.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٦٠، (ط د).

(٣) ذكر بعضها ابن رجب، المصدر السابق ١/ ١٢٤ وما بعدها.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢٦، (ط د).

(٥) من ضمن المجموع العام المقدر بخمسمائة وواحد وتسعين مصنفاً.

(٦) أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ٢/ ٢٠٥، والذهبي: المصدر السابق ج: (٤٥١ ـ ٤٦٠هـ)، ص٤٥٩، وابن قيم الجوزية: المصدر السابق مج ٢ ٤/ ٤١، ٤٠١.

(٧) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٢١، وابن رجب البغدادي: المصدر السابق ١/ ١٢٣، (ط د).

والكتاب الأول للقاضي أبي يعلى وصلت إلينا منه نسخة مخطوطة كانت في المكتبة الظاهرية بدمشق، وقد ضَمّ تسعة وعشرين باباً، منها: الباب الثالث أوجب فيه أبو يعلى الإنكار على السلطان إذا عطّل الحدود، واستأثر بأموال الفيء والغنائم، مع عدم جواز شهر السيف عليه[1]، وفي الباب الخامس والعشرين: منع التسمّي بملك الملوك، وملك الأملاك، وشاهنشاه[2]. وفي كتابه «الأحكام السلطانية»، تعرض للموارد المالية للدولة، ولعلاقة الخليفة بالرعية وواجبات كل طرف نحو الآخر[3]، وكتابه هذا هو أول كتاب في الفقه السياسي الإسلامي صنّفه عالم حنبلي[4]، وهو كذلك شديد الشبه بكتاب «الأحكام السلطانية»، للقاضي أبي الحسن علي الماوردي البغدادي[5] (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

* **وتلخيصاً لما ذكرته عن تراث الحنابلة العلمي في النصف الثاني من القرن** (الخامس الهجري/ ١١م)، أمثّل الأرقام الواردة آنفاً في جدول رقم (١)، ورسم بياني رقم (١) ص(٧٩ و٨٠)، ومنهما يتبين أن أكثر العلوم نصيباً ـ من حيث عدد المصنفات ـ هو علم الفقه وأصوله. بأربعة وعشرين كتاباً (بنسبة ٣٠٪)، ثم يليه علم أصول الدين. بثمانية عشر مصنفاً (بنسبة ٢٢,٥٪)، ثم تأتي باقي العلوم تباعاً، أقلها علم الحديث بثلاثة كتب، (بنسبة ٣,٧٥٪)، كما يتبين منهما غياب المؤلفات في علوم الأوائل، من فلسفة وفلك، وهندسة

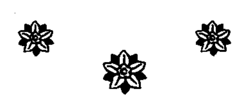
---

(١) عبد القادر أبو فارس: المرجع السابق ص١٨٦، ١٨٩.
(٢) نفس المرجع ص١٨٨.
(٣) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية ص٣ وما بعدها.
(٤) عبد القادر أبو فارس: المرجع السابق ص٣٩٢.
(٥) نفس المرجع ص٤٩٩ وما بعدها.

وكيمياء، من تراث الحنابلة العلمي، مما يدل على إهمالهم لها، واهتمامهم الكبير بالعلوم الشرعية.

كما أن الفارق كبير جداً بين ما صنّفه ابن البناء، وباقي العلماء، فقد قدّرت مصنّفاته بخمسمائة كتاب، ثم يليه أبو يعلى الفراء بأربعين مؤلفاً، والواحد والخمسون كتاباً المتبقية، هي لستة عشر عالماً حنبلياً[1].

* **ويتبين مما ذكرناه عن أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)** أنه كان للحنابلة انتشار محدود في مدن الشرق الإسلامي، لهم في بعضها نشاط علمي بارز ومؤثر؛ كبغداد، وأصبهان، وهراة. وأنه لم تكن لهم أربطة، ولا زوايا، ولا مدارس، كما هو حال الحنفية والشافعية، مكتفين بالمساجد كمؤسسة جامعة بين الصلاة والعلم، فكانت مقراً لمجالسهم العلمية، ومعهداً لتخريج العلماء، الذين أثروا التراث العلمي الحنبلي بمصنفات أحصيتُ منها خمسمائة وواحد وتسعين كتاباً، الأمر الذي مهد الأرضية الفكرية، للحركة العلمية الحنبلية (في القرنين: السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، لتزداد اتساعاً، وعمقاً، وتنوعاً، وتأثيراً.



(١) انظر: الجدول رقم (١)، والرسم البياني رقم (١).

جدول تقريبي لمجموع مصنفات الحنابلة

(٤٥٠ ـ ٥٠٠هـ/١٠٥٨ ـ ١١٠٦م)[(١)]

(الجدول رقم: ١)

الرمز	نوع العلم	مجموع كتب المتن	النسبة المئوية[(٢)]	مجموع المصنفات
•	الفقه وأصوله	٢٤	٣٠	
-	أصول الدين	١٨	٢٢,٥	
×	التاريخ والفضائل	١٣	١٦,٢٥	٥٠٠[(٣)]
+	علوم القرآن	٠٦	٧,٥	+
=	تربية وتصوف	٠٦	٧,٥	٤٠[(٤)]
÷	أدب ولغة	٠٥	٦,٢٥	٥١[(٥)]
v	علوم الحديث	٠٣	٣,٧٥	
!	مصنفات أخرى	٠٥	٦,٢٥	
المجموع	٨	٨٠[(٦)]	١٠٠٪[(٧)]	٥٩١

---

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

(٢) من الكتب المذكورة في المتن.

(٣) هي مجموع مصنفات أبي علي ابن البناء.

(٤) هي من مصنفات القاضي أبي يعلى الفراء.

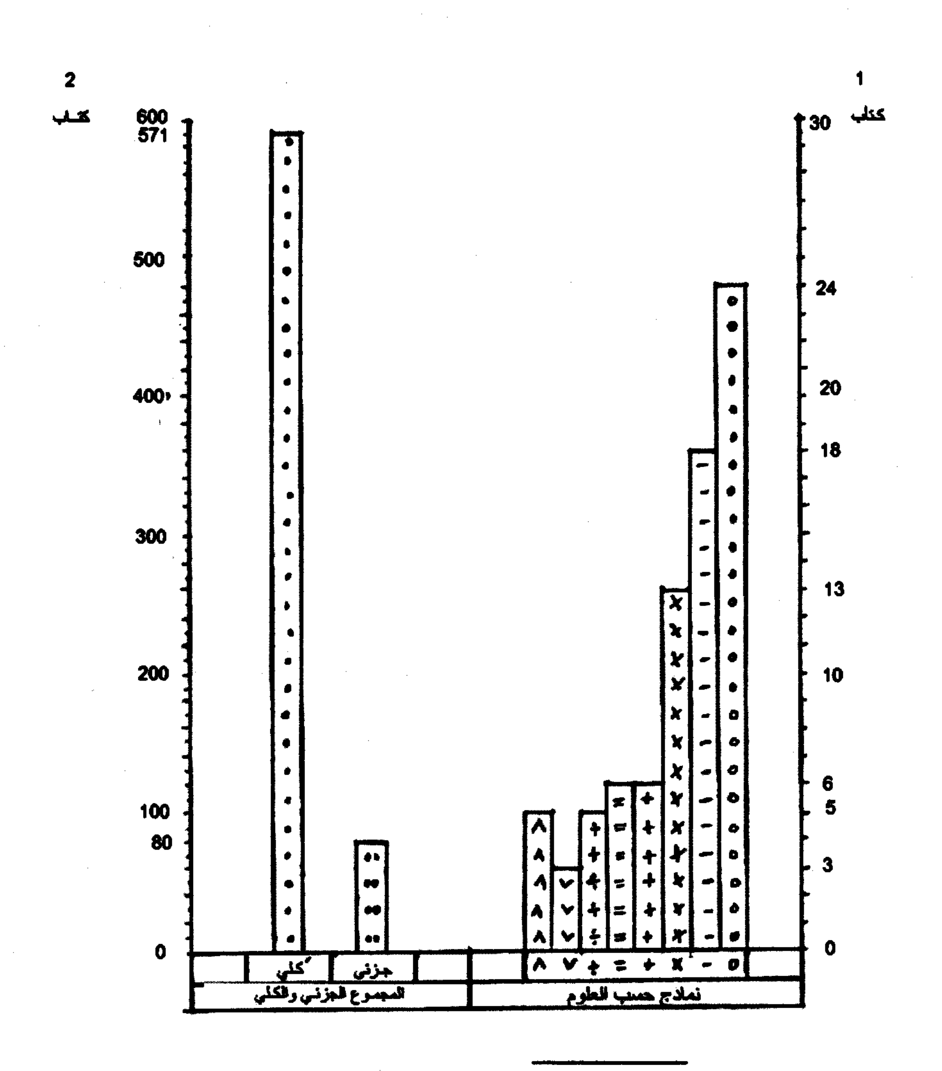
(٥) هذا الرقم هو حصيلة طرح كتب القاضي أبي يعلى، وابن البناء التي ذكرت في المتن مع باقي الكتب، وهي قد أدخلت في مجموع مؤلفاتيهما.

(٦) يمثل الكتب المذكورة في المتن، دون المجموع العام.

(٧) أخذت النسبة من مجموع الكتب المذكورة في المتن حسب العلوم.

الشكل البياني رقم : 01

رسم بياني بالأعمدة لمجموع مصنفات الحنابلة في النصف الثاني من القرن 5هـ/ 11م



(1) كل كتاب يُـقابله على الرسم : 5ملم.
(2) كل عشرة كتب يُـقابلها على الرسم : 20.5 ملم



الفصل الأول

جهود علماء الحنابلة في تحصيل العلم ونشره في المشرق الإسلامي في القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

المبحث الأول: رحلات علماء الحنابلة في طلب العلم واجتهادهم فيه.

المبحث الثاني: التكسب عند علماء الحنابلة.

المبحث الثالث: التخصصات العلمية عند علماء الحنابلة.

المبحث الرابع: نساء عالمات حنبليات.

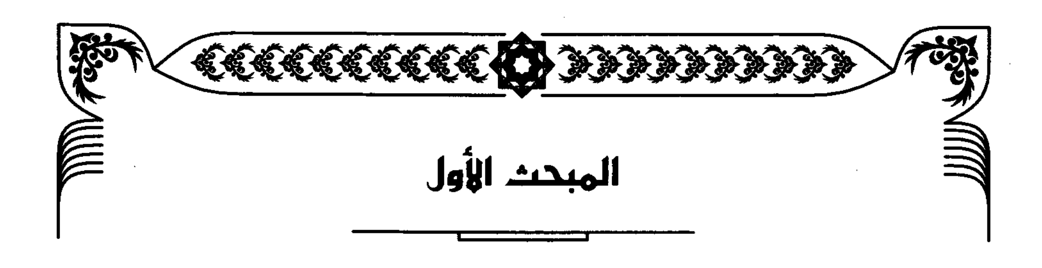
المبحث الخامس: الأسر العلمية الحنبلية.

المبحث السادس: مجالس العلم عند علماء الحنابلة.

المبحث السابع: دور علماء الحنابلة في نشر المذهب الحنبلي.

جهود علماء الحنابلة في تحصيل العلم ونشره
في المشرق الإسلامي
في القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

بذل أعيان علماء الحنابلة ـ كغيرهم من علماء عصرهم ـ جهوداً كبيرة في طلب العلم وتحصيله، والتخصص والتمهر فيه، ثم نشره والمشاركة في عقد مجالسه، واستخدامه وسيلة لنشر مذهبهم والدفاع عنه. وقد برز منهم علماء كثيرون كأفراد وأُسر حنبلية اشتهرت بالعلم: تخصصاً وتوارثاً. كل ذلك ـ وغيره ـ سيأتي ذكره تباعاً فيما يلي:



المبحث الأول

رحلات علماء الحنابلة في طلب العلم واجتهادهم فيه

لم يضق مجال الرحلة في طلب العلم، بعد تدوين العلوم الإسلامية (في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ ٨ ـ ٩م)[١]، بل اتسع نطاقها، وازدادت العناية بها في القرون التي تلت القرن (الثالث الهجري/ ٩م)؛ لأنها توفر لأهل العلم فرصة لقاء الشيوخ ومذاكرتهم، وتمكنهم من طلب علو الإسناد[٢]، والبحث عن أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً[٣]، لذلك أولاها العلماء اهتماماً بالغاً جعل بعضهم[٤] يمنع الإجازة[٥] كوسيلة

---

(١) انظر: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، الجزائر، قصر الكتاب (١٩٩٠م)، ص٨٦ وما بعدها.

(٢) الإسناد العالي في علم مصطلح الحديث، هو الذي قل عدد رجاله، بالنسبة إلى إسناد آخر ورد فيه نفس حديث الإسناد الأول بعدد أكثر. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، الجزائر دار رحاب، (د ت)، ص١٨٠.

(٣) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب العلم، حققه نور الدين عتر، ط١، بيروت دار الكتب العلمية (١٩٧٥م).

(٤) منهم الإمام الشافعي (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، والقاضي أبو الحسن الماوردي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، وإبراهيم الحربي الحنبلي (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م). ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، حققه مصطفى ديب البغا، الجزائر دار الهدى (١٩٩١م)، ص٨٧.

(٥) الإجازة هي إذن بالرواية، لفظاً أو كتابة، كأن يقول الشيخ لأحد طلابه: أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري، والإجازة أنواع كثيرة. انظر: ابن الصلاح: =

لأخذ العلم؛ لأنها تبطل الرحلة[1]، وتثبط العزائم على السفر وتحمّل مشاقه، كما تحوّلت الرحلة لديهم إلى تقليد علمي ثابت، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم[2].

أولاً: نماذج من رحلات علماء الحنابلة

كانت عادة الطلبة في العصر الإسلامي، أخذ العلم عن شيوخ بلدهم أولاً، ثم التطلع إلى الرحلة خارجه ثانياً، لمن أراد منهم الاستزادة من العلم، وكان مستعداً للتضحية بماله، ووقته، وجهده، وصابراً على مفارقة أهله ووطنه، لأجل بلوغ غايته، وقد أكثر أهل العلم من الحنابلة من الترحال، طلباً للعلم؛ فكان منهم المقلُّون، والمتوسطون، والمكثرون.

*** فمن المقلِّين:**

الفقيه فتيان بن مياح الحراني الضرير (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م): رحل إلى بغداد وتفقه بها على الفقيهين الحنبليين: عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، وصالح بن شافع الجيلي[3] (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م).

ومنهم: الواعظ زين الدين بن نجا الدمشقي (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢)، قدم إلى بغداد فتفقه وسمع بها الحديث، ثم رجع إلى دمشق[4]. وارتحل

= المصدر السابق ص٨٦ وما بعدها. ومحمود الطحان: المرجع السابق ص١٥٩ وما بعدها.

(١) ابن الصلاح: نفس المصدر ص٨٧.

(٢) سيتبين ذلك فيما يأتي من هذا المبحث.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١٥، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢١٩.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٥.

الفقيه نجم الدين بن عبد المنعم الحراني (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) إلى بغداد سنة (٥٨٧هـ/ ١١٨٢م)، فأخذ قسطا من العلم ورجع إلى بلده حران، ثم عاد إلى بغداد ثانية ومعه ولداه، سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)، فطلب علم الحديث، واسمع ابنيه معه، وحصَّل وناظر ولم يعد إلى حران[١].

* **ومنهم: ثلاثة من آل تيمية الحرانيين:**

ـ **أولهم**: الفقيه فخر الدين ابن تيمية (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م): طلب العلم في بلده أولاً. ثم ارتحل إلى بغداد، فسمع الحديث من شيوخها؛ كأبي الفضل ابن شافع الحنبلي (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)، وشهدة فخر النساء بنت أحمد الإبري الكاتبة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، وتفقه على الفقيهين الحنبليين أبي العباس بن بكروس (ت٥٧٣هـ ـ ١١٧م)، وناصح الدين ابن المني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، ولازم المؤرخ عبد الرحمٰن ابن الجوزي، فسمع منه كثيراً من مصنفاته، وقرأ عليه كتابه «زاد المسير في علم التفسير»، قراءة بحث وفهم، ثم رجع إلى بلده وواصل فيه الطلب[٢].

ـ **والثاني**: المفسر عبد الغني بن فخر الدين (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م): أخذ العلم عن شيوخ بلده؛ كوالده، والحافظ عبد القادر الرهاوي الحنبلي (٦١٢هـ/ ١٢١٥م). ثم رحل إلى بغداد، فسمع الحديث من شيوخها؛ كعبد الوهاب بن سكينة الصوفي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، وأبي حفص ابن طبرزد المؤدب (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، ثم رجع إلى حران وتفرغ للخطابة والتدريس والوعظ[٣].

ـ **وثالثهم**: الفقيه مجد الدين أبو البركات ابن تيمية (٦٥٢هـ/

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣.
(٢) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٥١، ١٥٢.
(٣) نفس المصدر ٢/ ٢٢٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٠٥.

١٢٥٤م): سمع الحديث من عمه فخر الدين، والحافظ عبد القادر الرهاوي بحران. ثم سافر إلى بغداد سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) فسمع الحديث من شيوخها؛ كعبد العزيز بن الأخضر (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، وابن طبرزد، وأقام بها ست سنوات يشتغل بأنواع العلوم، ثم عاد إلى بلده وجلس إلى عمه فخر الدين، ثم رجع إلى بغداد للمرة الثانية، وتفقه بها على الفقيهين الحنبليين أبي بكر ابن غنيمة الحلاوي (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، والفخر إسماعيل غلام ابن المني[١] (٦١٠هـ/ ١٢١٣م).

* **ومنهم: جماعة من المقادسة**[٢] **الدمشقيين**، انتقلوا إلى بغداد طلباً للعلم، أذكر منهم:

- الفقيه عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحل إليها مرتين[٣].

- والفقيه الموفّق ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

والحافظ عبد الغني بن عبد الواحد (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م).

بقيا فيها أربع سنوات، وقد دخلها الموفّق ثلاث مرات[٤].

- **والرابع**: المحدّث عز الدين ابن الحافظ عبد الغني (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م)؛ دخل بغداد طلباً لعلم الحديث، ومنها ارتحل إلى أصبهان ومصر، وقد دامت رحلته أكثر من عشر سنوات[٥].

- **والخامس**: الفقيه شرف الدين بن أبي عمر بن قدامة (ت٦٤٣هـ/

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر: ٢ ص٢٥٠، وابن العماد: نفس المصدر ٥/ ٢٥٧.

(٢) عنهم انظر: مبحث: الأسر العلمية الحنبلية، من هذا الفصل.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٤٨.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٥، ١١٣.

(٥) الذهبي: المصدر السابق ٢٢/ ٤٣، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٩٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٥٧.

١٢٤٥م)؛ سمع الحديث من شيوخ بغداد؛ كابن الجوزي، وعبد الوهاب بن سكينة[١].

ـ **والسادس**: سليمان ابن الحافظ عبد الغني (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)؛ سمع الحديث ببغداد من ابن الجوزي، وطبقته[٢].

ـ **وآخرهم**: زين الدين أحمد بن عبد الدائم (ت٦٨٦هـ/ ١٢٨٨م)؛ أخذ العلم من شيوخ بغداد؛ كابن الجوزي، وأبي الفتح ابن المني، ثم انتقل إلى حران، وسمع من خطيبها فخر الدين ابن تيمية[٣].

*** ومن الرحالين الحنابلة، بعض البغداديين أخذوا العلم في بلدهم، ثم ارتحلوا إلى أقطار أخرى للاستزادة منه:**

منهم: الفقيه عبد الله بن كتيلة الصوفي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢)؛ حلّ بحران وتفقه بها على مجد الدين ابن تيمية، ومحمد بن تميم (ت نحو٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، ثم انتقل إلى دمشق وأخذ عن القاضي شمس الدين ابن أبي عمر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٣م)، ثم توجه إلى مصر وجالس الفقيه أبا عبد الله ابن حمدان (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، واستفاد من علمه[٤].

ـ **والثاني**: الفقيه تقي الدين بن محمد الزريراني (ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)؛ رحل إلى دمشق سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، فقرأ الفقه والأصول على شيوخ المذهب الحنبلي، وحفظ كتاب «الهداية»، و«مختصر الخرقي»، وأكثر كتاب «المغني»[٥]، ثم عاد إلى بلده[٦].

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢١٩.

(٢) نفس المصدر ٥/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) نفس المصدر ٥/ ٣٢٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٧٩.

(٤) نقس المصدر ٥/ ٣٧٣، ونفس المصدر ٢/ ٣٠١.

(٥) عن هذه الكتب الثلاثة انظر: المبحث الثالث من الفصل الخامس.

(٦) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ٢/ ٢٨٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر =

ـ ورحل المقرئ شمس الدين بن خروف الموصلي (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) إلى بغداد ـ بعد تخريب المغول لها ـ سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) طلباً للعلم، فقرأ علم القراءات على المقرئ عبد الصمد بن أبي الجيش الحنبلي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، ولازمه مدة طويلة، ثم أقبل على طلب الحديث النبوي، فسمع من شيخه الأول، ومن الصوفي علي بن الوجوهي الحنبلي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، ومن غيرهما من علماء بغداد[1].

ـ **وآخرهم**: الفقيه أبو محمد ابن عبد الكريم الحصني المصري (ت٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م)؛ رحل إلى دمشق طلباً للعلم، فتفقه بها على الشيخ الموفّق ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، ثم انتقل إلى حران فسمع بها الحديث من عبد القادر الرهاوي (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، ثم توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فغرق في البحر في طريقه إليها، لكنه نجا وضاعت منه كل كتبه، وعاد إلى مصر مجرداً من كل متاعه[2].

*** وأما علماء الحنابلة الذين توسطوا في الرحلة، بين المقلِّين والمكثرين، فمنهم ستة:**

ـ **أولهم**: الحافظ الأديب أبو العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣هـ)؛ رحل في طلب العلم إلى أصبهان، وبغداد، وواسط وخراسان. وأنفق ماله الذي ورثه عن والده في تحصيل العلم، وسافر ماشياً إلى أصبهان وبغداد عدة مرات حاملاً كتبه على ظهره. وكان يبيت في المساجد، وقد شوهد في بعضها يكتب، وهو قائم على رجليه لأن

= السابق ٦/ ٩٠، (ط د الآفاق).

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٨١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٧٨، (ط د الآفاق).

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٧٢.

السراج كان عالياً[1].

ـ **والثاني**: عبد الله بن أبي الحسن الجبائي (ت٦٠٥هـ/١٢٠٨م)؛ طلب العلم بدمشق، ثم غادرها إلى همذان ونزل عند أبي العلاء العطار، فأخذ عنه علم القراءات، وسمع منه الحديث، وأصبح عنده مصدراً يقرئ الناس، ثم تركه ودخل بلاد العجم، ومنها ارتحل إلى بغداد للاستزادة من العلم، ثم استقر به المقام بأصبهان[2].

ـ **والثالث**: الفقيه علي بن ثابت الطالباني البغدادي (ت٦١٨هـ/١٢٢١م)؛ خرج في طلب العلم إلى الموصل، وحران، ودمشق، ورأس العين بأرض الجزيرة، ثم عاد إلى بغداد[3].

ـ **والرابع**: المحدّث عبد الرحمٰن بن شحانة الحراني (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)؛ عني بعلم الحديث، وجدّ في طلبه، فسمع بحران، ودمشق، وحلب، والموصل، ومصر، وبغداد، وكتب بخطه كثيراً من الأجزاء. ومن كبار شيوخه: الحافظ أبو الفضل الأرموي البغدادي (ت٥٧٤هـ/١٠٥٢م)، والمحدّث مسمار بن العويس الموصلي، والمحدّث عبد القادر الرهاوي ثم الحراني[4].

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ حققه عبد الرحمٰن المعلمي، بيروت دار إحياء التراث العربي، (د ت)، ٤/ ٣٢٤ وما بعدها. ومحمد بن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، ٤/ ١٠٣، وياقوت الحموي: معجم الأدباء، حققه إحسان عباس، بيروت دار الغرب الإسلامي (١٩٩٣م)، وابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، حققه ج برجستراس، مصر مكتبة الخانجي، (١٩٣٢م) ١/ ٢٠٣، وصلاح الدين الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، سلسلة النشرات الإسلامية، جمعية المستشرقين الألمانية، دار فرانز شتايز، ١١/ ص٣٨٥.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤٥.

(٣) نفس المصدر ٢/ ١٢٥.

(٤) نفس المصدر ٢/ ٢٤٠، وابن العماد الحنبلي المصدر السابق ٥/ ٢٢٠.

- **والخامس**: هو المحدّث أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)؛ تشاغل بالكسب إلى الثلاثين من عمره، ثم تفرغ لطلب علم الحديث فاستفرغ فيه وسعه وطاقته، وكتب كثيراً من الحديث بخطه المتقن المليح، وسمع الحديث بدمشق من الحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، ثم رحل إلى بغداد، وأصبهان، ومصر للاستزادة من العلم[١].

- **وآخرهم**: الفقيه تقي الدين إبراهيم بن الواسطي الدمشقي (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)؛ سافر في طلب العلم إلى بغداد، وحلب، وحران، والموصل، واهتمّ بعلمي الحديث والفقه، وله إجازات كثيرة من جماعات من الأصبهانيين والبغداديين، وتفرد بعلو الإسناد[٢].

* **وبخصوص المكثرين من الأسفار طلباً للعلم،** فمنهم اثنا عشر عالماً، من بينهم واحد حراني، وأربعة بغاددة، وسبعة دماشقة:

- **الأول**: هو الحافظ عبد القادر الرهاوي ثم الحراني (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)؛ رحل إلى أصبهان، وهمذان، وسجستان، ومرو[٣]، وكان يمشي على رجليه طوال رحلاته والناس يحملون له كتبه لعدم امتلاكه دابة تحمله، وقد التقى خلال أسفاره بكبار مشايخ عصره أخذ عنهم علم الحديث؛ كأبي العلاء العطار الهمذاني، وأبي طاهر السِّلَفي الإسكندري[٤] (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م).

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥١، ١٥٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٤١٠، وابن طولون: القلائد الجوهرية ٢/ ٣١٧، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٢٠.

(٣) انظر مواقع هذه المدن: في الخريطة رقم (٢).

(٤) أبو شامة المقدسي: ذيل الروضتين حققه عزت العطار الحسيني، ط٢، بيروت، دار الجيل (١٩٧٤م)، ص٩٠، والذهبي: المختصر المحتاج إليه، =

وأما البغداديون فمنهم:

ـ الفقيه أبو الخير دلف بن عبد الله (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)؛ رحل في طلب العلم إلى خراسان، ونيسابور، وخوارزم، ثم استقر به المقام بسمرقند[١].

ـ **والثاني**: الحافظ الفقيه أبو نصر عبد الرحيم ابن النفيس (ت٦١٨هـ/ ١٢٢١م)؛ جدَّ في تحصيل العلم وبالغ فيه فدخل الشام، والجزيرة، ومصر والعراق، وخراسان، وسمرقند، ثم حط عصا الترحال بخوارزم، وبقي بها إلى أن قتله التتار عندما دخلوها سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)[٢].

ـ **والثالث**: الحافظ المؤرخ أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)؛ تردد على مشايخ بلده ثم سافر في طلب العلم إلى أصبهان، ونيسابور، وحران، ودمشق، وحلب، ومصر، ودمنهور، والإسكندرية، ومكة، وإربل، وخراسان، والموصل، وأشهر الذين أخذ عنهم العلم: تاج الدين الكندي الحنفي الدمشقي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٢م) وعبد القادر الرهاوي ثم الحراني، وأصحاب السلفي بالإسكندرية[٣].

= من تاريخ ابن الدبيثي، حققه مصطفى عبد القادر عطا ط١، بيروت دار الكتب العلمية (١٩٩٧م)، ص٢٧٢، وتذكرة الحفاظ، ٤/ ١٣٨٧، ١٣٨٨، وابن رجب البغدادي: المصدر السابق ٢/ ٨٣، ٨٤.

(١) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٠ (ط ق).

(٢) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، حققه مصطفى عبد القادر عطا ط١، بيروت دار الكتب العلمية (١٩٩٧م)، ص١٢٠، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٢/ ١٤٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٢٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٨٠، ٨١.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، (د ت) ٤/ ٢٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١٢، والصفدي: المصدر السابق ٣/ ٢٦٧، ٢٦٨.

ـ **وآخرهم**: الحافظ عبد الرحمٰن بن كوكب الطائي (ت٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)؛ أخذ العلم عن شيوخ بغداد، ثم خرج في طلبه إلى مصر، والإسكندرية، والبصرة وحلب، وواسط، وأصبهان، وقد دخل هذه الأخيرة ـ بعدما خربها المغول ـ طمعاً في أن يجد فيها محدثين، فلم يلق شيوخاً ولا طلبة، فرجع واستقر بمصر، وقد حصّل خلال أسفاره الأجزاء والأصول، وكتب العالي والنازل[١] من الحديث[٢].

وفيما يخص الدمشقيين:

ـ **فأولهم**: الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)؛ أَوْلى الرحلة لسماع الحديث اهتماماً كبيراً، وفضلها على الغزو وسائر النوافل[٣]، ورحل في طلب العلم إلى بغداد سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، فمكث بها أربع سنوات، ثم سافر إلى مصر سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠) ومن ثم رجع إلى دمشق، ثم توجه إلى الإسكندرية، وبقي بها ثلاث سنوات عند الحافظ أبي طاهر السلفي (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، ثم عاد إلى بلده، وبعد فترة غادره إلى أصبهان سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، ومنها دخل حران، وبيت المقدس، وهمذان، ثم رجع إلى بلده بعدما حصَّل علما غزيراً، وكتباً كثيرة[٤]، وأصبح يحرّض طلبته على الرحلة لطلب العلم، فقد حرض

---

(١) سبق تعريف الحديث الذي له إسناد عال، وأما الإسناد النازل فهو «الذي كثر عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أقل» محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ص١٨٠، ١٨١.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٥٥، ٣٥٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ١٧ ١٨، (ط د الآفاق).

(٣) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٠.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٤٠، ٤٤٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٣، والمنذري: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٥، ٦، ابن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٤٧.

الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) على السفر إلى مصر وأرسل معه ابنه عبد الرحمٰن وعمره عشر سنوات، وسفّر إسماعيل بن مظفر[1] إلى أصبهان، وخراسان، وأعطاه مالاً ليستعين به في سفره، وحرّض كذلك أبا الحجاج يوسف بن خليل، على الرحلة لطلب العلم بعدما بلغ من العمر ثلاثين سنة[2].

ـ **والثاني**: الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الواحد المعروف بالبخاري (ت٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)؛ سافر لتحصيل العلم إلى بغداد، وواسط، وهمذان، وبلاد فارس، ونيسابور، وتوقف بمدينة بخارى مدة، ثم رجع إلى دمشق وعُرِف بها بالبخاري[3].

ـ **والثالث**: الحافظ أبو موسى بن عبد الغني المقدسي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)؛ رحل في طلب العلم إلى بغداد، وواسط، ومكة، والمدينة، والموصل، وإربل، ومصر، وأصبهان، ونيسابور، وقد قاسى في طريقه إلى هاتين الأخيرتين الشدائد، والجوع، والعري، ومشى على رجليه مسافات طويلة، ثم عاد إلى بغداد ثانية وسمع الحديث من شيوخها؛ كأبي الفتح بن المني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وعبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، ثم رجع إلى بلده دمشق محملاً بالأصول والأجزاء الحديثية الكثيرة[4].

ـ **وأما الرابع**: فهو المحدّث إسماعيل بن مظفر النابلسي ثم

---

(١) سيأتي ذكره قريباً.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٢/ ٢٥٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٠٧.

(٤) محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٩٢، ١٩٣، والذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٨٥.

الدمشقي[1] (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)؛ رحل في طلب العلم إلى مكة، وبغداد، ومصر وحران، وأصبهان، وخراسان، ونيسابور[2]. وقد سمع ـ خلال أسفاره ـ الحديث الكثير من كبار حفاظ عصره؛ كأبي الفرج بن كليب الحراني الحنبلي (ت٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)، وعبد القادر الرهاوي، وأبي الفتوح بن الحصري البغدادي الحنبلي (٦١٩هـ/ ١٢١٢م)، ومع كثرة رحلاته وتضحياته، فقد كان فقيراً فقراً مدقعاً، صبوراً على شظف العيش، مع صلاح ومروءة[3].

ـ **والخامس**: المحدّث تقي الدين بن محمد الصريفيني ثم الدمشقي (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)؛ سافر طلباً للعلم إلى بغداد، والموصل، وحران ونهاوند، وبوشنج، ونيسابور، وهراة، وتستر، ودمشق، وبيت المقدس[4]، فسمع ـ خلال أسفاره ـ الحديث من أعيان حفاظ زمانه؛ كأبي حفص ابن طبرزد البغدادي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، وعبد العزيز بن الأخضر الحنبلي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)[5].

ـ **والسادس**: الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)؛ دامت رحلته في طلب العلم خمس سنوات،

---

(١) هو الذي حرضه الحافظ عبد الغني على الرحلة.
(٢) عن مواقع تلك المدن انظر: الخريطة رقم (٢) ص١٠٤.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٢، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٢٤.
(٤) عنها وعن مواقع المدن الأخرى، انظر: الخريطة رقم (٢).
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٣، ١٤٣٤، والصفدي: المصدر السابق ٦/ ١٤١، وابن رافع السلامي: تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار، حققه عباس العزاوي، بغداد، مطبعة الأهالي (١٣٥٧هـ)، ص١٥، ١٦، وابن رجب البغدادي: المصدر السابق ٢/ ٢١٢٨، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/ ٢١٠.

دخل خلالها مصر وبغداد، وهمذان وأصبهان، وهراة ومرو[1]، وسمع الحديث الكثير من كبار محدثي عصره؛ كابن الجوزي، وأبي طاهر ابن المعطوش البغدادي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، وعبد الوهاب بن سكينة (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، فجمع علماً غزيراً، وأصبح حجة في علم الحديث رواية ودراية[2].

ـ **وآخرهم**: مسند الشام الفقيه فخر الدين علي بن البخاري (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)؛ أخذ العلم عن شيوخ بلده، ثم رحل في طلبه إلى القدس ومصر، والإسكندرية وحلب، وحمص وبغداد، ثم عاد إلى دمشق، وتفرد بعلم الرواية[3]، ورحل إليه أهل الحديث لعلو إسناده[4]، وهو آخر من كان بينه وبين النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثمانية رجال ثقاة بالسماع المتصل[5].

❀ نماذج من رحلات غير الحنابلة:

وأشير هنا إلى أن القرنين (السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) قد شهدا علماء رحالين كثيرين من غير الحنابلة، ضربوا أمثلة رائعة في الصبر على تحصيل العلم، وتحمل مشاقه:

---

(١) عن مواقع تلك المدن انظر: الخريطة رقم (٢).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٧ وما بعدها. وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٥، ١٤٠٦، والنعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٩٢، ٩٣، والصفدي: ٤/ ٦٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٣٧.

(٣) لأنه عمر طويلاً، فقد ولد سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) وتوفي سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م).

(٤) الذهبي: معجم محدثي الذهبي ص١١٢، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢٥، وابن طولون: القلائد الجوهرية ٢/ ٢٧٧.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢٨.

ـ **منهم**: الحافظ أبو علي بن مسعود الحنفي العراقي (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)؛ اشتغل بالجندية ثم تركها وأقبل على طلب الحديث، فرحل في سبيله إلى أصبهان، ونيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وبلاد الهند[١].

ـ **والثاني**: المحدّث أبو سعد عبد الكريم السمعاني الشافعي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)؛ طاف بالأقاليم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، فدخل بلاد خراسان، وما وراء النهر[٢] عدة مرات، ورحل كذلك إلى أصبهان وهمذان، والموصل، والجزيرة، والحجاز، والشام، فزاد عدد شيوخه ـ الذين أخذ عنهم العلم ـ عن أربعة آلاف شيخ[٣].

ـ **والثالث**: الحافظ أبو طاهر السلفي الإسكندري الشافعي (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)؛ خرج في طلب العلم، وطاف ببلدان كثيرة حافياً لقلة ذات يده، فدخل بغداد، والكوفة، والبصرة، والحرمين، وهمذان والري، والدينور، وقزوين، وأذربيجان[٤]، والشام، ومصر، ثم استقر بالإسكندرية واستوطنها بضعاً وستين سنة[٥].

ـ **والرابع**: الفقيه عمر بن الحاجب المالكي الدمشقي (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)؛ رحل في طلب العلم إلى بغداد، ومصر، والإسكندرية، وإربل، والموصل، وحلب، ومكة، والمدينة المنورة[٦].

---

(١) العماد الأصبهاني الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، حققه محمد بهجت الأثري، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١/ ٢٨٤.

(٢) انظر: الخريطة رقم (٢).

(٣) ابن خلكان: المصدر السابق ٢/ ٣٧٨.

(٤) عن مواقع هذه المدن انظر: الخريطة رقم (٢).

(٥) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٣٦١، والذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٨.

(٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٥٥.

أشهر مدن الشرق الإسلامي جذبا لطلاب العلم (ق : 6و 7 هـ)

الخريطة رقم :02

المراجع: عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، الخريطة ص: 4 - 9 بتصرف، والمصادر سبق ذكرها في المتن

ـ **والخامس**: الحافظ المؤرخ ابن النجار البغدادي الشافعي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)؛ خرج من بغداد ـ طلباً للعلم ـ وله خمس عشرة سنة، فسافر إلى الشام، ومصر، والحجاز، أصبهان، ومرو، وهراة، ونيسابور. ودامت رحلته سبعاً وعشرين سنة وقيل: ثماني وعشرين سنة، كتب خلالها عمن دب ودرج، وحصَّل الأصول، وعُنِي بالحديث عناية بالغة[1].

ـ **وآخرهم**: الحافظ أبو محمد عبد الحق الدمياطي الشافعي (ت٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)؛ طاف بأقطار عديدة طلباً للحديث النبوي، منها: الديار المصرية، والشام، والعراق، وقد زاد مجموع شيوخه عن ألف وثلاثمائة شيخ[2].

الخلاصة: مما ذكرته عن رحلات علماء الحنابلة في المشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أنها كانت تقليداً علمياً متبعاً لدى أهل العلم للحنابلة فيه نصيب وافر. وأن نطاقها قد شمل أقاليم كثيرة وشاسعة؛ كالشام والعراق وبلاد فارس وخراسان. وأن معظم الرحالين كانوا من أهل الحديث، اتخذوا الرحلة سُنَّة متبعة، وضربوا من خلالها أمثلة رائعة في التضحية والجد، طلباً للحديث، وخدمة للسُّنَّة النبوية الشريفة، وامضوا سنوات طوال في الترحال، والتنقل بين الحواضر والأمصار، كما هو موضح (في الجدول رقم: ٢، والرسم البياني رقم: ٢)[3]، ومنهما يتبين التقارب في مدة رحلة الموفّق والضياء من جهة، والتباين الكبير بينهما وبين عز الدين بن عبد الغني من جهة أخرى.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٣١، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٨/٤، ومحمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٢١٣/٤، ابن كثير: المصدر السابق ١٦٩/١٣.
(٢) ابن كثير: نفس المصدر ١٤/ ٤٠.
(٣) ينظر الصفحة التالية وما بعدها.

المدة الزمانية لرحلات بعض كبار العلماء[1]

(الجدول رقم: ٠٢)

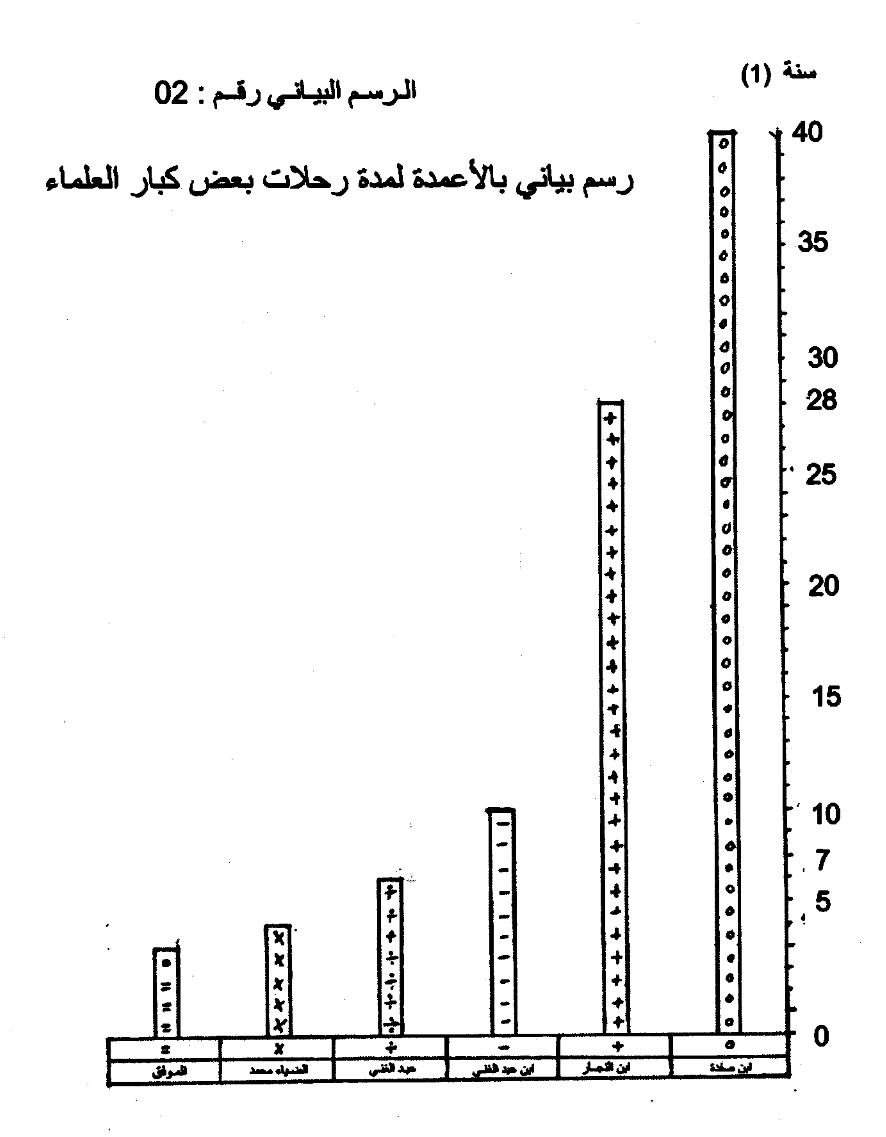
الرمز	العالم	الموطن	مدة الرحلة بالسنة
•	ابن منده (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)[2]	أصفهان	٤٠
+	ابن النجار (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)	بغداد	٢٨
-	العز بن عبد الغني (ت٦١٣هـ)	دمشق	١٠
÷	الحافظ عبد الغني (ت٦٠٠هـ)	=	٠٧
×	الضياء بن عبد الواحد (ت٦٤٣هـ)	=	٠٥
=	الموفّق بن قدامة (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)	=	٠٤

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن، ما عدا فيما يخص ابن منده، ومصدره هو: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٩.

(٢) هو من علماء القرن الرابع الهجري. ذكرته هنا للمقارنة، وكل العلماء الذين ذكرتهم حنابلة ما عدا ابن النجار فهو شافعي.

الرسم البياني رقم : 02

رسم بياني بالأعمدة لمدة رحلات بعض كبار العلماء



---

(1)كل سنة يُـقابلها على الرسم 5ملم .

كما أنني لم أعثر على عالم حنبلي آخر استغرقت رحلته عقداً من الزمن، أو أكثر (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) بالمشرق الإسلامي، وبذلك يكون ابن النجار الشافعي قد فاق هؤلاء بفارق كبير، وأما ابن منده فهو من أعلام القرن (الرابع الهجري/ ١٠م)، ذكرته للمقارنة والاعتبار فهو قدوة حسنة لأهل العلم، فقد روي أنه طاف بأقطار العالم الإسلامي، وعاد إلى بلده أصبهان شيخاً، ومعه من الكتب والأجزاء الحديثية، ما حمولته أربعين جملاً، جمعها في مدة أربعين سنة[١].

كما تبين لي من إحصاء تقريبي (قمت به[٢] الجدول رقم: ٣، والرسم رقم: ٣) لأكثر المدن جذباً للعلماء الرحالين الحنابلة، (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أن بغداد هي أول المدن استقطاباً لهؤلاء، إذ استقبلت ٤٥ رحلة من مجموع ١٨٩ رحلة، موزعة على ٢٧ مدينة؛ لأنها ـ أي: بغداد ـ هي الموطن الأصلي والرئيسي للحنابلة، ولهم فيها قدرات بشرية، ومادية، ومعنوية كبيرة، لذلك أمَّها طلاب العلم الحنابلة، لكنها فقدت الكثير من مكانتها بعد تخريب المغول لها سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، غير أن ذلك لم يظهر في الجدول والرسم البياني؛ لأن معظم العينات المأخوذة كانت رحلاتها قبل عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). ثم تليها مدينة مصر بثماني عشرة رحلة بفارق كبير بينها وبين بغداد، ومما جذب إليها الرحالين أنه كانت بها جماعة حنبلية نشطة مشهورة بالعلم[٣].

---

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال، حققه محمد البجاوي، بيروت دار المعرفة، (د ت)، ٣/ ٤٩٧.

(٢) أخذت عينة من الرحالين الحنابلة، مكونة من ٥٩ رحالاً عاشوا (في القرنين السادس والسابع الهجريين)، ثم أحصيتُ المدن التي رحلوا إليها، فكانت النتيجة كما هي مبينة في الجدول الآتي رقم (٣)، والرسم البياني رقم (٣).

(٣) عن ذلك انظر: المبحث السابع من هذا الفصل.

جدول تقريبي لأكثر المدن جذباً لطلاب العلم الحنابلة

(في القرنين ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)[1]

(الجدول رقم: ٠٣)

الرمز	المدينة	عدد الرحلات لكل مدينة	النسبة المئوية لكل مدينة
•	بغداد	٤٥	٢٣,٨١
-	مصر	١٨	٩,٥٣
+	أصفهان	١٦	٨,٤٧
×	دمشق	١٥	٧,٩٤
÷	حرّان	١٢	٦,٣٥
=	الموصل	١٢	٦,٣٥
v	الإسكندرية	١٠	٥,٢٩
×	نيسابور	٠٨	٤,٤٢
••	واسط	٠٨	٤,٢٤
××	همذان	٠٧	٣,٧١
vv	خراسان	٠٧	٣,٧١
××	حلب	٠٦	٣,١٨
❋	مكة المكرمة	٠٣	١,٩٥
I	بيت المقدس	٠٣	١,٥٩
II	ست مدن أخرى	٠٢ لكل مدينة	١,٠٦
.	سبع مدن أخرى	٠١ لكل مدينة	٠,٥٢
المجموع	٢٧	١٨٩	نحو: ١٠٠٪

---

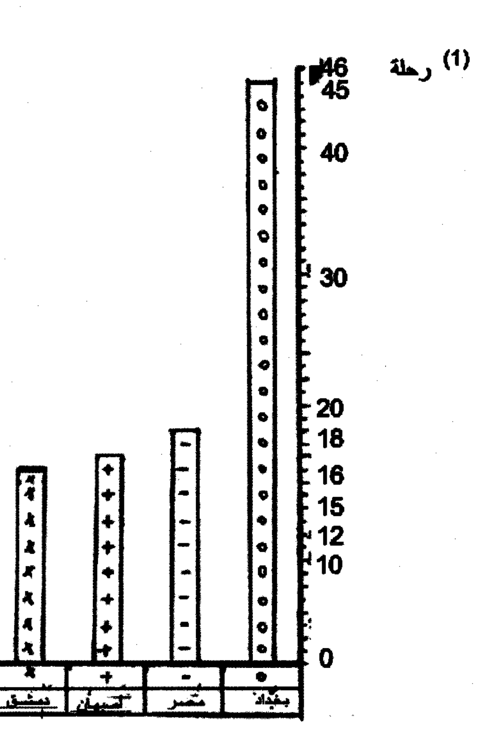
(١) المصادر: ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥، ٣١٥، ٤٤٧، ٢/ ٦، ٤٠، ٤٥، ٦٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٥١، ١٥٢، ١٧٢، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٨١، ٢٧٩، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٨١، ٤٣٤، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٣٥، ٣٤٥، ٥/ ٣، ١٠، ٤٧، ٥٧، ١١٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٤٠، ٢٥٧، ٣٢٦، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٦٣، =

. . . .

= ٣٧٣، ٦/ ١٧، ١٨، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٢٨٩، والنعمي: الدارس ٢/ ٧٠، ابن طولون: القلائد ١/ ١٥٨، ١٥٩، وابن كثير: البداية ١٣/ ٣٥، والمنذري: التكملة ٢/ ٣٧٣، ومعجم محدث الذهبي: ص٧٤، ١١٢، ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠، ٤٢، و٢٢/ ٤٣، ٤٨، ٧٢، ١٤٨، ١٦٦، ٢٥٦، ٣١٨، ٣٤٧، و٢٣/ ٨٩، ١٢٧، محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٩٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٩٩، والصفدي: الوافي ٣/ ٢٦٧، وابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام ١/ ٢٩٥، وابن النجار: ذيل تاريخ بغداد ١٧/ ١٧، ١٨.

الرسم البياني رقم : 03

رسم بياني لأكثر المدن جذبا لطلاب العلم الحنابلة خلال القرنين 6و7 هـ / 12 و 13م



(1) كل رحلة يُـقابلها على الرسم = 2.5 ملم

ثم تأتي مدينة أصفهان بست عشرة رحلة، وهي في عمومها كانت خاضعة لتأثير أهل الحديث والحنابلة، لكنها فقدت مكانتها بعد الاجتياح المغولي لها، فقد رحل إليها طالب حنبلي بعد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) فلم يجد فيها من أهل العلم من له اهتمام بعلم الحديث. ثم تليها مدينة دمشق بخمس عشرة رحلة؛ لأن فيها للحنابلة جماعة كبيرة، ولهم فيها مؤسسات علمية كثيرة[١] لكنها لم تصبح أهم مدينة للوجود الحنبلي إلا بعد تخريب المغول لبغداد. ثم تأتي بعدها حران باثنتي عشرة رحلة، وهي مدينة فيها حنابلة كثيرون[٢] لذلك أمَّها الطلاب الحنابلة. وأما المدن الأخرى فقصدها الطلبة؛ لأنها كانت مراكز علم، أو اشتهر فيها علماء كبار، أو وصلوا إليها بحثاً عن العلم وأهله.

كما أنني لم أعثر - من بين ٥٩ رحّالة - على أيّ عالم حنبلي توجه في رحلته لطلب العلم، إلى المغرب والأندلس (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ - ١٣م)، فإنهم لم يجاوزا الديار المصرية، ربما لعلمهم بعدم وجود علماء بهما هم بحاجة ماسَّة إليهم، ولهيمنة المذهب الأشعري عليهما، وهم - أي: الحنابلة - من خصومه التقليديين، ولمعرفتهم أن العلم بالمشرق أكثر ازدهاراً منه في المغرب والأندلس، ومما يؤيد ذلك أن الرحّالة ابن جبير (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) عندما زار المشرق سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، أبدى إعجاباً كبيراً بمؤسساته العلمية وبظروفه المشجعة على العلم، وأوصى المغاربة بالرحلة إليه لطلب العلم[٣].

ومما جناه هؤلاء الطلاب من رحلاتهم، أنها مكنتهم من الاحتكاك

---

(١) عن ذلك انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل، وانظر: مؤسسات العلم الحنبلية في الفصل الثاني.

(٢) انظر: المبحث السابع من هذا الفصل.

(٣) ابن جبير: المصدر السابق ص٢٤٤، ٢٥٨.

المباشر بالعلماء، الأمر الذي سهل حصول الملكات وترسيخها، وتصحيح المعلومات، ومعرفة مناهج البحث العلمي، إذ لكل شيخ طريقته، ولكل علم مصطلحاته[1].

كما أنها فتحت لهم مجالاً واسعاً للاطلاع على الجديد من الأفكار والمذاهب، وأثرت ثقافتهم بما حفظوه من أشعار وأقوال، وحكم ونصوص، وأكسبتهم صداقات جديدة بمخالطتهم للناس[2]، ونمت فيهم الفضائل وكمالات النفس، وعلمتهم أخلاق الصحبة والصبر، وأدب المداراة، واتساع الصدر، وتقبل آراء الغير[3]، وساعدتهم على نشر العلم ـ الذي سبق وأن حصّلوه ـ في المدن التي دخلوها، فأعطوا وأخذوا.

كما أنها سمحت لهم بالتعرف على المسالك والممالك، ومشاهدة مختلف المظاهر الطبيعية والبشرية، وفتحت لهم مجالاً واسعاً لجمع المصنّفات القيّمة والأصول النادرة، وبعثت فيهم حبّ العلم وتعظيمه؛ لأنهم تعبوا كثيراً في طلبه، وضحوا من أجله بأموالهم، وجهودهم، وأوقاتهم.

وأشير هنا إلى أنّه ليس كل من رحل في طلب العلم قد اكتسب تلك الفوائد وانتفع بها، وانعكست إيجاباً على معارفه وأخلاقه، وإنما المقصود أن الرحلة قد فتحت له مجالاً واسعاً للترقي في العلوم، والأخلاق، والتجارب، ثم بعد ذلك كلّ يأخذ وينتفع حسب قدراته، ورغباته، وظروفه؛ فإذا كان الحافظ الضياء محمد المقدسي قد انتفع

---

(١) عبد الرحمٰن بن خلدون: المقدمة، ط١ بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ)، ص٤٦٤، وأحمد شلبي: التربيه والتعليم في الفكر الإسلامي، ط٢ القاهرة، مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٧م)، ص٣٢٥.

(٢) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب العلم ص٢٤، ٢٦، ٢٨.

(٣) نفس المصدر ص٢٧، وابن خلدون: المصدر السابق ص٤٦٤.

برحلاته، وتفرد في عصره بعلم الحديث رواية ودراية[1]، فإن المحدّث أبا حفص بن طبرزد البغدادي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) الذي رحل إلى الأقطار، وسمع كثيراً من الحديث، وحصّل الأصول، وانفرد برواية كتب، فقد روي أنه لم يكن يعرف شيئاً[2]. ولنا في عبد الرحمٰن ابن الجوزي مثال آخر للعالم البارع الذي لم يرحل في طلب العلم[3]، إنّما اكتفى بشيوخ بلده، ومطالعاته الشخصية ولم يرحل خارج بغداد لطلب العلم[4]، فهو وإن فاتته فضائل الرحلة وفوائدها، فإنه قد جدّ في الطلب واستغل وقته ـ الذي تستغرقه منه الأسفار ـ في كثرة المطالعة، والحرص على مجالسة شيوخ بلده[5]، فمكنته همته العالية من التفوق على كثير من أقرانه الرحالين، بغزارة العلوم والمصنّفات، والاجتهاد والمثابرة.

ثانياً: اجتهاد علماء الحنابلة في التحصيل العلمي

حثّ عبد الرحمٰن ابن الجوزي، العالم والمتعلم على تنظيم وقتهما، وتقسيمه بين المطالعة والنسخ والتصنيف، على أن يجعلا همتهما في النسخ والإعادة، وأن يخصصا لهما أوقات الراحة في طرفي النهار والليل، ويوزعا باقي الأعمال على القراءة والكتابة مع إعطاء البدن راحته، وحذر من أن تجرهما نفساهما إلى ترك الإعادة الثقيلة على

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/١٤٠٦، والصفدي: المصدر السابق ٤/٦٦.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٤٢٢، والمنذري: المصدر السابق ٣/٣٣٧.

(٣) لقد وهم الباحث حسن حلاق، عندما ذكر أن الفقيه المحدث ابن الجوزي طاف ببلاد عديدة، ثم استقر به المقام ببغداد. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط١، بيروت دار النهضة العربية (١٩٨٩م)، ص١٧٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٦، ٣٦٧.

(٥) ستأتي نماذج عنه في هذا المبحث.

النفس، والإقبال على النسخ والمطالعة والتأليف[1]. ويرى الفقيه بدر الدين ابن جماعة الشافعي (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، أنه على طالب العلم[2] أن يجعل الحفظ في الأسحار، والبحث والكتابة وسط النهار، والمطالعة والمذاكرة في الليل، مع الإقلال من الطعام والقناعة بالرزق اليسير الحلال، وأخذ النفس بالورع، وإعطائها حقها من النوم بمقدار ثماني ساعات والترويح عليها، وعلى الذهن والبصر، بشيء من الرياضة والتنزه، والمزاح المباح[3]. وقوله هذا أكثر دقة وتفصيلاً وفائدة مما قاله ابن الجوزي.

ولعلماء الحنابلة أخبار كثيرة في الحرص على الوقت، والجد في تحصيل العلم، هي جديرة بالتأمل والتنويه:

منها: أن المتكلم أبا الوفاء ابن عقيل (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م) كان لا يسمح لنفسه بتضييع ساعة من عمره، حتى أنه إذا توقف عن مذاكرة أو مناظرة أعمل فكره قي حال راحته، فلا ينهض إلا وخطر له ما يسطره[4]، وإذا جلس للأكل تقلل منه، وتناول سف الكعك بالماء بدلاً من الخبز لما بينهما من تفاوت في المضغ، ليوفر وقته للمطالعة

---

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر: حققه محمد الغزالي، الجزائر، مكتبة رحاب، (١٩٨٨م)، ص٢٠٥، ٢٠٦، ٢٦١، ٢٦٢، ٣١١.

(٢) نبه ابن قيم الجوزية، طالب العلم من آفات قد تصيبه في طريقها وحذره منها، فعليه ألا يقصر همتها على معرفة الخلاف، وتتبع أقوال الناس وشواذ المسائل، والقضايا التي قد لا تقع، فقل أن ينتفع بعلمه من يفعل ذلك، بل عليه أن يصرف جهده في معرفة الصحيح من الأقوال، وأن يجعل همته في طلب علم الكتاب والسُّنَّة، والفهم عن الله ورسوله. الفوائد، حققه أحمد راتب عرموش، ط٤ بيروت، دار النفائس (١٩٨٣م)، ص٨٠.

(٣) ابن جماعة: المصدر السابق ص١١٧.

(٤) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٧.

والكتابة[1]. ومنها: أن الفقيهين البغداديين قاضي المارستان (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، وعبد الوهاب الأنماطي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، كانا من أكثر الناس حرصاً على الوقت يمضيان يومهما في تحصيل العلم ونشره، ولا عمل لهما غيره[2].

وأظهر الحافظ أبو العلاء العطار همّة عالية في الاجتهاد والحرص على الطلب، فقد كان كثير الأسفار، يحمل كتبه على ظهره، ويبيت في المساجد، ويتناول الضروري من الأكل[3]، ويسرع في المشي ويسابق الناقة في سيرها، وقد روي أنه سار في ليلة واحدة ـ طلباً للحديث ـ من جرباذقان[4] إلى أصبهان[5]، وعندما أنهى مرحلة التحصيل العلمي جلس للطلبة طول النهار، لا يأخذ أجراً على التعليم والتحديث[6].

ومنها: أن عبد الرحمٰن ابن الجوزي (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، يُعدّ قدوة لطالب العلم المُجدّ، الصبور على مشاق التحصيل وتكاليفه، فلم يكن يشبع من المطالعة، إذا رأى كتاباً لم يقرأه كأنه عثر على كنز[7].

وأخبرنا عن نفسه أنه طالع أحمالاً من الكتب، وهو ما يزال طالباً،

---

(١) ابن رجب: ١/ ١٧٧، (ط د).

(٢) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٢٢٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٢، (ط د).

(٣) اليافعي المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان ط٢ بيروت، منشورات الأعلمي (١٩٧٠م)، ٣/ ٣٩٠.

(٤) هي بلدة من نواحي أصبهان، وتجد أخرى لها نفس الاسم قرب مدينة جرجان جنوب بحر طبرستان: عبد المنعم ماجد وعلي البنا: المرجع السابق خريطة رقم (٨)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٠١، ٣٧٤، (ط د).

(٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ٨٢٥.

(٦) نفس المصدر ٢/ ٨٣١، وابن الجزري: المصدر السابق ١/ ٢٠٥.

(٧) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٤٤٠.

قدرها بأكثر من عشرين ألف مجلد[١]؛ وقد شك في ذلك العدد الباحث محمد محفوظ[٢]، وعد ما ذكره ابن الجوزي مبالغة منه[٣]، وهو عدد كبير حقاً، لعل ابن الجوزي نسي، أو أخطأ في تقديره لمجموع ما طالعه من المصنفات، ومع ذلك فإنه يمكن تقبل ذلك العدد إذا تذكرنا أن ابن الجوزي كان شغوفاً بالمطالعة، متفرغاً لها طول اليوم، وأنه لم يرحل في طلب العلم، ثم إذا افترضنا بعد ذلك أنه أمضى عشرين سنة في الطلب، وأن قراءاته لم تكن قراءة بحث، ونقد، وتدبر، واستقصاء[٤]، وإنما هي قراءات خفيفة وسريعة. وأن المجلد في زمانه يضم نحو ١٥٠ صفحة[٥]، يمكننا أن نقول أن في مقدوره مطالعة ثلاثة مجلدات في اليوم، وهو ما يساوي مجلداً من ٤٥٠ صفحة في وقتنا الحاضر، وعليه فإنه يقرأ في السنة (٣٦٥×٣) ١٠٩٥ مجلداً، ويقرأ في ظرف عشرين سنة (١٠٩٥×٢٠) ٢١٩٠٠ مجلداً، وهو عدد يزيد عما ذكره ابن الجوزي أنه طالعه.

وانتقد ابن الجوزي طلاب زمانه في أنهم يميلون إلى السهل بإقبالهم على مطالعة المختصرات من الكتب، وتركهم للمطولات، مما أدى إلى إهمالها، واندثارها، وعدم نسخها[٦]. وأمّا هو فلم يكن يضيع من وقته شيئاً، فيومه كلّه في البحث والنسخ، حتى أنه ينسخ في اليوم أربعة كراريس[٧]. وعندما سجن بواسط واصل نشاطه العلمي مدة خمس

(١) ابن الجوزي: المصدر نفسه ص٤٤٠، ٤٤١.

(٢) هو محقق مشيخة ابن الجوزي.

(٣) ابن الجوزي: مشيخة ابن الجوزي حققه محمد محفوظ، تونس، الشركة التونسية للنشر والتوزيع (١٩٧٧م)، ص٢٢.

(٤) لأن سنّه لا يسمح له بذلك.

(٥) عن ذلك انظر: المبحث الأول من الفصل الخامس.

(٦) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٤٤٠.

(٧) تضم الكراسة ما بين ١٠ ـ ١٢صفحة. معهد الاستشراق السوفياتي: دراسات =

سنوات، وقد جاوز الثمانين من عمره، وحين جاء ولده محيي الدين يوسف (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) لإخراجه من السجن قرأ معه شيئاً من العلم، ثم عاد معه إلى بغداد[١]. ومما يدل على حرصه الشديد على وقته لئلا يضيع منه شيء، أنه كان يتألم من كثرة زيارة الناس له؛ لأنهم يأخذون منه وقتاً ثميناً هو في أمس الحاجة إليه، فلمّا لم يجد بداً من استقبالهم أصبح يدافع لقاءهم، ويقصر في الكلام معهم تعجيلاً لفراقهم، ثم أصبح يعد أعمالاً يقوم بها عند لقائهم؛ كقطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، وهي أعمال لا بد منها لكنها لا تحتاج إلى فكر وحضور قلب[٢].

ومن أخبار علماء الحنابلة الجديرة بالتأمل والاعتبار:

أن المحدّث أبا الفداء ابن الخباز الدمشقي كان شغوفاً بطلب علم الحديث، فجد واجتهد في تحصيله من سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) إلى وفاته سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، فسمع الحديث، وكتب الأجزاء ما لا يوصف كثرة، وخرّج لنفسه مشيخة في مائة جزء عن أزيد من ألفي شيخ، ودوَّن الحديث العالي والنازل عمن دب ودرج[٣]؛ لكنه مع كثرة تعبه، وغزارة علمه، فلم يبدع فيه ولا أتقنه، بل كانت له دربة في الجملة مع قلة صواب ورداءة خط[٤].

ومنها: أن الأديب أبا البقاء العكبري البغدادي (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) مع فقدانه لبصره فقد كان دائم الاشتغال بالمطالعة[٥] والكتابة، وله

= في تاريخ الثقافة العربية، موسكو، دار التقدم (١٩٨٩م)، ص٣١٥.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٧.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٨، (ط د الآفاق).

(٤) الصفدي: المصدر السابق ٩/ ٦٥.

(٥) كان معه من يقرأ عليه الكتب.

مصنفات كثيرة تدل على ذكائه، وعلو همته، وغزارة علمه[1].

ولشدة حرص الفقيه مجد الدين ابن تيمية الحراني (ت٦٥٢هـ/١٢٥٤م) على الوقت والعلم، روي أنه كان إذا أراد دخول بيت الخلاء، جعل في الخارج من يقرأ عليه كتاباً ما ويأمره برفع صوته ليسمعه[2]. وهذا من الغرائب في تاريخ العلم والعلماء، وأما حفيده الفقيه تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، فلم تكن له لذّة في شهوات الدنيا من مأكل وملبس وجنس، وإنما كانت لذّته العلم فلا يشبع منه، ولا يمل ولا يكل من البحث[3]، حتى أنه قد يرجع في تفسير الآية الواحدة إلى نحو مائة تفسير، وعندما تنغلق عليه بعض المسائل العلمية يهرع إلى الدعاء، فيختلي بنفسه ويمرغ وجهه في التراب ويبالغ في التضرع إلى الله ﷻ ويقول: «يا معلم آدم، وإبراهيم علمني»[4].

ومن العلماء غير الحنابلة، الذين جدوا في طلب العلم واجتهدوا فيه:

- الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)، كان يذهب إلى شيخه المحدّث زاهر بن طاهر المقدسي (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م) قبل طلوع الشمس، فيقرأ عليه كتباً في مختلف العلوم طول اليوم إلى وقت الغروب[5].

- **والثاني**: المتكلم فخر الدين الرازي الشافعي (ت٦٠٦هـ/

---

(١) الصفدي: المصدر السابق ١/ ٢٣٢.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٥٢.

(٣) الذهبي: معجم محدثي الذهبي ص٢٦، وابن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٢٢٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٩٠، ٣٩٥.

(٤) محمد بن عبد الهادي: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، حققه محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة حجازي (١٩٣٨م)، ص٢٦.

(٥) ابن الدمياطي: المصدر السابق ص٨٨.

١٢٠٩م)، عرف بحرصه الشديد على وقته، حتى أنه كان يتأسف على الزمن الذي يقضيه في تناول الطعام؛ لأنه أخذ منه وقتاً عزيزاً، وفوّت عليه فرصة الاشتغال بالعلم[١].

ـ **والثالث**: هو الأديب الطبيب موف الدين عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، بذل جهوداً مضنية في تحصيل العلم، ففي النهار يواظب على حضور مجالس العلم عند شيوخ بغداد، وفي الليل يمضي أكثره في الحفظ والإعادة، حتى أنه استظهر كتباً في الأدب، وعلوم الشريعة[٢].

ـ **وآخرهم**: الفقيه محيي الدين بن شرف النووي الشافعي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) كان لا يضيع من وقته شيئاً، ويقرأ في اليوم على مشايخه اثني عشر درساً شرحاً وتصحيحاً، في مختلف العلوم الإسلامية، وداوم على ذلك نحو عشرين سنة ليلاً ونهاراً، حتى فاق أقرانه[٣].

وأما فيما يخص حفظ العلوم:

فقد انتقد عبد الرحمٰن ابن الجوزي طلاب زمانه في مبالغتهم في الحرص على نسخ ما يقرؤون، فتضيع الأوقات، ويذهب العمر، وما حصلوا من العلم إلا اليسير، والأولى بهم أن يصرفوها في الحفظ والفهم، والطالب الموفّق عنده هو الذي يكرس معظم وقته للحفظ والإعادة، ويخصص للنسخ والمطالعة والتصنيف، الأوقات المناسبة لها، وعليه أن يجاهد نفسه ليحملها على الحفظ؛ لأنه ثقيل عليها، وتتهرب

---

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الفكر، (١٩٥٦م)، ٣/ ٣٤.

(٢) نفس المصدر ٣/ ٣٣٢.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، ١٤٧٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٥٥.

منه إلى أعمال أخف عليها منه، وعليه أن يرسخه في زمن الصبا والشباب، ويحكمه بالإكثار من التكرار، وإلا سيندم يوم يحتاج إليه عندما يمارس الاجتهاد والإفتاء[1].

وإيماناً منه ـ أي: ابن الجوزي ـ بأهمية الحفظ صنّف كتاباً عنوانه: «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ»، حثّ فيه على الحفظ وبيَّن صفة من هو أهلاً له، وذكر الأدوية والمطاعم المعينة عليه وطرق إحكامه وكبار الحفاظ المبرزين فيه[2]، لكنه نبَّه إلى عدم المبالغة والانهماك فيه ليلاً ونهاراً؛ لأنه قد يؤدي إلى الفتور والمرض، فعلى الطالب أن يأخذ منه قدر طاقته، ويعطي لبدنه قدراً من الراحة، ويريح نفسه من الإعادة يوماً في الأسبوع[3].

ويدل اهتمام ابن الجوزي بالحفظ وحثّه عليه، على أنه كان يرى فيه هو الأساس الذي يقوم عليه التكوين العلمي؛ لأن الطالب الحافظ الذكي النبه يكون قد تحرر من الرجوع إلى المصنفات، وسهل عليه البحث، والنقد، والمناقشة والمقارنة، على عكس نظيره الذكي النبه غير الحافظ فإنه يضطر إلى العودة إلى الكتب، وتصعب عليه عمليه الهضم والبحث. وأما الطالب الحافظ المهمل للفهم والتدبر، فهو من أهل الرواية لا الدراية.

فالخلل إذاً يدخل على صنفين من أهل العلم: الأول: من اهتم بالفهم وأهمل الحفظ. والثاني: من حفظ ولم يبال بالفهم، والكامل من جمع بينهما.

ونصح ابن الجوزي الطلاب باختيار الأوقات المناسبة للحفظ

---

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٢٠٥، ٢٠٦، ٢٦٢، ٣٧٣.

(٢) ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، حققه فؤاد عبد المنعم، ط٢ الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (١٤١٢هـ)، ص٣٣ وما بعدها.

(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص١٧٧، ١٧٨، ٢٠٦.

والإعادة، أفضلها الأسحار، وانتصاف النهار، والغدوات خير من العشيات، وحالات الجوع خير من حالات الشبع، والخلوة هي أصل في الحفظ وجمع الهمّة، مع الابتعاد عن الشواطئ وأماكن الاخضرار لأنها تلهي وتشغل البال[١]. وقوله هذا هو نفسه قرره الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، والفقيه بدر الدين بن جماعة الشافعي (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)[٢]، وهو صحيح مجرب لدى أهل العلم، غير أنه تبقى للفروق الفردية بينهم، وللظروف المحيطة بهم تأثيرها البارز في عملية الحفظ، من حيث الأوقات والأماكن، والإقبال والإدبار.

*** وفي المشتغلين بالعلم من الحنابلة علماء كثيرون حفظوا مصنّفات في شتى العلوم، أذكر منهم عشرة:**

ـ **أولهم**: المفسرة بنت عبد الواحد بن محمد الشيرازي الدمشقية[٣] (ت ق٦هـ/ ١٢م)، كانت عالمة بالتفسير تحفظ كتاباً لوالدها عنوانه: «الجواهر في التفسير»، في ثلاثين مجلدة[٤].

ـ **والثاني**: الأديب أبو العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، روي أنه حفظ القرآن الكريم، وكتاب «الجمهرة في اللغة» لابن دريد[٥]، و«الجمل» لابن فارس[٦]، و«النسب» للزبير بن بكار

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق ص١٧٧، ١٧٨.

(٢) انظر: ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٤.

(٣) لم أعثر على اسمها، وهي والدة الواعظ زين الدين بن نجا الدمشقي الحنبلي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م). ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٤٠ (ط ق).

(٤) نفسه ١/ ٤٤٠.

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسين المعروف بابن دريد المتوفى سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٢م)، كتابه الجمهرة هو من أقدم معاجم اللغة العربية، كتبت مواده على حسب الحروف. محمد ماهر حمادة: المصادر العربية والمعربة ص١٨٢.

(٦) هو أبو الحسن أحمد بن فارس المتوفى سنة (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) من مصنفاته =

(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، ويقال أنه حفظ كتاباً في النحو في يوم واحد، من الغداة إلى العصر[١]، وهذا غريب جداً لا يكاد يصدق.

ـ **والثالث**: الفقيه وجيه الدين ابن نباتة الدمشقي (ت قبل: ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، حفظ كتاب «أصل الفقه» للبستي[٢]، و«الهداية» في الفقه لأبي الخطاب الكلوذاني[٣].

ـ **والرابع**: هو المحدّث الشهاب محمد بن خلف المقدسي ثم الدمشقي (ت٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، أجهد نفسه في حفظ مقامات الحريري، فاستظهرها في خمسين ليلة، فتشوش خاطره[٤].

ـ **والخامس**: الحافظ الفقيه محمد اليونيني (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) اشتهر بقدرته على الحفظ السريع المتقن، فيروى أنه يستظهر كتاب «الجمع بين الصحيحين»، للحافظ أبي محمد الحميدي الأندلسي (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، و«صحيح مسلم» في أربعة أشهر، وأكثر «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، ويقال أنه حفظ سورة الأنعام ـ فيها: ١٦٥ آية ـ في يوم واحد، وثلث «مقامات الحريري» في بعض يوم، وسبعين حديثاً في جلسة واحدة[٥].

= مقاييس اللغة وهو معجم ألفبائي. نفس المرجع ص١٨٢.

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ٨٢٥، والصفدي: المصدر السابق ١١/ ص٣٨٥، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٣٢.

(٢) لعله الفقيه حمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م). ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٤٧١.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥١، (ط ق).

(٤) أبو شامة المقدسي: ذيل الروضتين ص١٣٠، وابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٣٣٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٨٢.

(٥) قطب الدين اليونيني: المصدر السابق ٢/ ٤٠، ٥٨، ٧١، والذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩، وابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث ٤/ ٢٢٥، =

ـ **وأما السادس**: فهو الفقيه أبو طالب عمر بن أبي القاسم البصري، ثم البغدادي الضرير (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، حفظ القرآن الكريم، وكتابين في الفقه الحنبلي هما: «مختصر الخرقي» لعمر بن الحسين الخرقي البغدادي (ت٣٤٣هـ/ ٩٤٥م)، و«الهداية» لأبي الخطاب الكلوذاني[(١)].

ـ **والسابع**: الفقيه فخر الدين بن يوسف البعلي ثم الدمشقي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٠م)، استظهر كتاب «علوم الحديث»، وعرضه على مؤلفه الحافظ تقي الدين عمرو بن الصلاح الدمشقي الشافعي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)[(٢)].

ـ **والثامن**: الفقيه نجم الدين بن عبد القوي الطوفي (ت٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، حفظ ثلاثة كتب هي: «مختصر الخرقي»، و«المحرر في الفقه»، و«اللمع في النحو» لابن جني[(٣)].

ـ **والتاسع**: هو الفقيه تقي الدين بن محمد الزريراني البغدادي (ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، كان يستظهر «مختصر الخرقي» في الفقه، و«الهداية» لأبي الخطاب الكلوذاني، وأكثر كتاب «المغني» للموفق بن قدامة المقدسي، وقد طالعه ثلاث وعشرين مرة[(٤)].

ـ **وآخرهم**: المقرئ الفرضي شرف الدين بن يوسف البغدادي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، حفظ القرآن الكريم، وكتاب «المقنع في الفقه»

= وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٢٨، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٦٩.

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٥٩، ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٠٤.

(٣) نفس المصدر ٦/ ٣٩، (ط د الآفاق).

(٤) نفس المصدر ٦/ ٩٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤١١.

للموفق بن قدامة، و«الشاطبية في القراءات»، و«ألفية ابن مالك» في النحو، و«مقامات الحريري»، وكتاب في العروض، ومقدمة في الحساب[1].

* **واشتهرت جماعة من علماء الحنابلة، بقدرتها الفائقة على الحفظ المتقن السريع.** غير أنني لم أعثر لها على مصنفات محددة حفظتها، منهم:

ـ الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، تفوق في الحفظ على كبار حفاظ عصره كأبي العلاء العطار الهمذاني، وأبي طاهر السلفي الإسكندري (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م)، وقال عنه النحوي تاج الدين أبو اليمن الكندي الدمشقي (ت٦١٣هـ/١٢١٦م): إنه لم يكن بعد أبي الحسن الدارقطني البغدادي (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) مثله[2]، ووصفه غيره بأنه: أمير المؤمنين في الحديث؛ لأنه كان آية في الحفظ، فلا يكاد يسأل عن حديث إلا وذكره وبيَّنه، ولا عن رجل إلا وقال: فلان ابن فلان[3]. ويروى أنه يحفظ أكثر من مائة ألف حديث، وقد سأله الناس ـ وهو على المنبر بجامع دمشق ـ أن يقرأ لهم أحاديث من غير جزء، فقرأ لهم أحاديث بأسانيدها عن ظهر قلب، فقيل له: لما لا تقرأ من غير كتاب[4]؟ قال لهم: أخاف على نفسي العجب، وعندما جاءه شخص وقال له: إن رجلاً حلف بالطلاق إنك تحفظ مائة ألف حديث، أجابه: لو قال أكثر لصدق[5]. وهذا يعني أنه كان يحفظ أكثر مما في

---

(١) ابن العماد: نفس المصدر ٦/٩٩، وابن رجب: نفس المصدر ٢/٤١٧.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/٨.

(٣) نفسه ٢/٨.

(٤) فضَّل الحافظ أبو سعد السمعاني التحديث من الكتاب على التحديث من الحفظ؛ لأن الحفظ خوان، وروي في ذلك أثراً عن أحمد بن حنبل، دعم به موقفه. أدب الإملاء والاستملاء ص١١٣.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٩، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٧٥، وابن رجب: =

كتب الحديث المعروفة كصحيحي البخاري ومسلم، والسنن والمسند لأن مجموع ما فيها أقل من مائة ألف بكثير[1].

- **والثاني**: المفسّر مجد الدين ابن تيمية الحراني (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) كان مفرط الذكاء قوي الذاكرة عجباً في حفظ مذاهب الناس والأحاديث، يسردها سرداً بلا كلفة[2].

- **والثالث**: شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، تفوق على جده مجد الدين - السابق الذكر - في سرعة الحفظ وكثرته، وبطيء النسيان[3]. ويروى أنه حفظ كتاباً في صغره فلما أخبر والده، تعجب منه كالمنكر فلما عرضه عليه قبَّله بين عينيه، وأمره بألا يخبر أحداً خوفاً عليه من العين[4]. ويقال أنه كان يطالع الكتاب مرة فينتقش في ذهنه، فيذاكر به وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه[5]. وقد حضر الناس مجالسه في التفسير بجامع دمشق، فيلقي عليهم من حفظه كراسين أو أكثر دون تلعثم[6]. وكثيراً ما كتب رسائل من حفظه في قعدة واحدة، رداً على المستفتين دون الرجوع إلى

= المصدر السابق ٢/ ٧، والسيوطي: طبقات الحفاظ، ط٢ بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٨٨م)، ص٤٨٨.

(١) عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق ص٩٥.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٥٨.

(٣) ابن ناصر الدين: الرد الوافر، حققه زهير الشاويش ط١ بيروت، المكتب الإسلامي، (١٣٩٣هـ)، ص١١٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٨٦، (ط د الآفاق).

(٤) ابن ناصر الدين: نفس المصدر ص١٣٣.

(٥) نفسه ص١٣٣.

(٦) ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، حققه أحمد رفعت البدراوي، ط١ بيروت، دار المعرفة (١٩٨٠م)، ٢/ ٤٠٨.

الكتب[1]. وصنّف كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ـ وهو يومئذ في السجن بالقاهرة بعيداً عن مصنفاته ـ فأورد فيه الأحاديث وأقوال العلماء اعتماداً على حفظه وفهمه، دون العودة إلى المصادر، فلما أخرج كتابه للناس راجعه تلامذته فلم يجدوا فيه خللاً[2].

وكان كذلك سريع الاستحضار للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية للاستدلال بها، حتى قيل عنه: إنه يغترف في علم الحديث من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي، وأن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث[3]. وهذه أقوال مبالغ فيها قيلت في مدح الرجل، لكنها تكشف عن قدرات ابن تيمية العلمية التي حباه الله بها، فإنه قد جمع الذكاء والفهم، والحفظ وقوة الاستدلال، وكثرة العلوم وشجاعة النفس، الأمر الذي أهله ليكون عبقرياً من كبار عباقرة المسلمين.

*** ولما كان الحفظ سمة بارزة في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي خلال القرنين** (السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، **وجد حفاظ كثيرون من غير الحنابلة، منهم:**

ـ الحافظ أبو الخير ابن محمد الأصفاني (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، حفظ صحيحي البخاري ومسلم، وكان يقول: من أراد أن يقرأ الإسناد اقرأ له المتن، ومن أراد أن يقرأ المتن اقرأ له الإسناد[4].

ـ **والثاني**: اللغوي أبو علي ابن الحظير الفارسي المعروف بالظهير (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، يقال أنه حفظ من كل فن كتاباً من ذلك: كتاب

---

(١) ابن ناصر الدين: المصدر السابق ص١٣٣.

(٢) أبو حفص ابن علي البزار: الأعلام العلية ص٢٤، ٢٥.

(٣) ابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٤٠٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٨١، (ط د الآفاق).

(٤) ابن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٩٩.

«التفسير» لتاج القراء[1]، و«الوجيز في الفقه» لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، و«الجامع الصغير في الفقه الحنفي»، لمحمد بن الحسن الشيباني، و«نهاية الأقدام في علم الكلام»، لأبي الفتح الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، و«أرجوزة ابن سينا» في المنطق و«الجمهرة في اللغة» لابن دريد، يسردها كما يسرد القارئ الفاتحة[2].

ـ **والثالث**: الأديب الطبيب الموفّق بن عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، من محفوظاته ستة كتب منها ثلاثة لعبد الله بن قتيبة (ت٢٢٦هـ/ ٨٨٩م) هي: «أدب الكاتب»، و«مشكل القرآن»، و«غريب القران»[3].

ـ **والرابع**: النحوي شمس الدين أحمد بن الخباز الشافعي (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) استظهر خمسة كتب في اللغة، منها «الإيضاح» لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، و«المفصل في النحو» لمحمود بن عمر الزمخشري[4] (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

ـ **والخامس**: هو اللغوي فتح الدين بن عبد الحميد الوبري الخوارزمي (ت ق٧هـ/ ١٣م)، من محفوظاته ثلاثة كتب في اللغة منها: «مقامات الحريري»، و«الجمهرة» لابن دريد، ويقال أنه كان يكرر على ٤١ ألف بيت بالعربية[5].

ـ **وأما السادس**: فهو الفقيه صدر الدين بن الوكيل الدمشقي الشافعي (ت٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، يروى عنه أنه حفظ كتباً إذا وضعت على

---

(١) لم أجده.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ٨٥٨.

(٣) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ٣/ ٣٣٢.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٥٧.

(٥) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ٣٧.

بعضها بلغت مقدار قامته، منها «المفصل» استظهره في مائة يوم، و«مقامات الحريري»، في خمسين يوماً، و«ديوان المتنبي» في جمعة واحدة[١].

ـ **وآخرهم**: أبو الخطاب ابن دحية الكلبي الأندلسي ثم الدمشقي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، كان كثير المحفوظات وغزير العلم، لكنه صاحب مجازفات، ودعاوى عريضة في النقل والحفظ. فلما بلغ أمره إلى ملك دمشق الكامل محمد بن العادل الأيوبي (ت٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)، طلب منه أن يكتب له شيئاً على كتاب في الحديث اختاره الملك بنفسه، فعلّق ابن دحية على أسانيده وقدّمه له، وبعد أيام قال له الملك: إن الكتاب قد ضاع مني فعلّق لي مثله، ففعل ما طلبه منه، فجاء الكتاب مختلفاً عن الأول، فعلم الملك صحة ما قيل عنه وعزله عن دار الحديث بدمشق[٢]. وعندما ادعى أنه يحفظ «صحيح مسلم»، و«جامع الترمذي»، امتحنه أحد المحدّثين وهو لا يدري، فأخذ خمسة أحاديث من الترمذي، وأخرى من المسند، وخمسة من الموضوعات وجعلها في جزء، ثم عرضها عليه فلم يعرف منها شيئاً[٣].

ويتبين مما ذكرناه عن اجتهاد علماء الحنابلة في الحفظ، أن الكثير منهم قد أولاه اهتماماً كبيراً، وأن محفوظاتهم كانت متنوعة الموضوعات ومتباينة الأعداد، وأن هذه الظاهرة وجدت عند غيرهم من علماء الطوائف الأخرى، كما هو موضح (في الجدول رقم: ٤ الآتي، والرسم

---

(١) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، حققه عبد العليم خان، ط١، بيروت عالم الكتب (١٩٨٧م)، ٢/ ٢٣٣، وابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٣٧٨، والنعيمي: المصدر السابق ١/ ٢٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٤١.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢١، ١٤٢٢.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٣/ ١٨٨، ١٨٩، ونفسه ٤/ ١٤٢٢.

البياني رقم: ٤ الآتي)، ومنهما يتبين أن أقلهم قد حفظ ثلاثة كتب، هو: الفقيه محمد اليونيني الحنبلي، وأكثرهم حفظ سبعة مصنفات، هما: الأديب عبد اللطيف البغدادي، والمقرئ شرف الدين بن يوسف البغدادي، مما يدل على أن كلّاً من هؤلاء قد حفظ حسب قدراته العقلية، وظروفه الاجتماعية.

كما أنه بالنسبة لأشهر المصنفات التي حفظوها وأكثرها تداولاً بينهم، فقد تبين لي من إحصاء قمت به[1] (جدول رقم: ٥، ورسم بياني رقم: ٥) أن العيّنة المأخوذة قد اهتمت بحفظ كتب الفقه، أكثر من اهتمامها بمصنفات العلوم الأخرى، إذ مثلت (٥١,٢٨٪) من مجموع الكتب المحفوظة، ومن بين ٢٤ عالماً شملهم الإحصاء، يوجد واحد وعشرون حفظوا مؤلفات فقهية؛ كـ«مختصر الخرقي» تكرر ست مرات، و«الهداية» خمس مرات، ثم «المقنع» للموفق ابن قدامة أربع مرات. ثم تأتي مصنفات اللغة والنحو والأدب (بنسبة ٢٦,٨٣٪) من مجموع كتب سبعة علوم، وقد حفظها أحد عشر عالماً من مجموع العيِّنة، وقد تكررت فيها «مقامات الحريري» ثلاث مرات، ثم «الألفية» و«اللمع» كل منهما تكرر مرتين.

ثم تليها مؤلفات علم الحديث، (بنسبة ٩,٧٢٪) من إجمالي المصنفات، وقد حفظها أربعة علماء. ثم تأتي باقي العلوم تباعاً، كما هو مبين في الجدول والرسم البياني.

ويتبين منهما كذلك، أن الثقافة الفقهية هي التي كانت سائدة بين علماء الحنابلة، (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، ثم تليها ثقافات أخرى بفارق كبير بينها وبين الثقافة الفقهية.

---

(١) شمل الإحصاء ٢٤ عالماً وعدد ما يحفظونه من مصنفات في سبعة علوم، وهو إحصاء تقريبي، لكنه يعطي لنا فكرة عامة تقريبية.

جدول مقارن لكبار الحفاظ وعدد محفوظاتهم[1]

(في القرنين ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

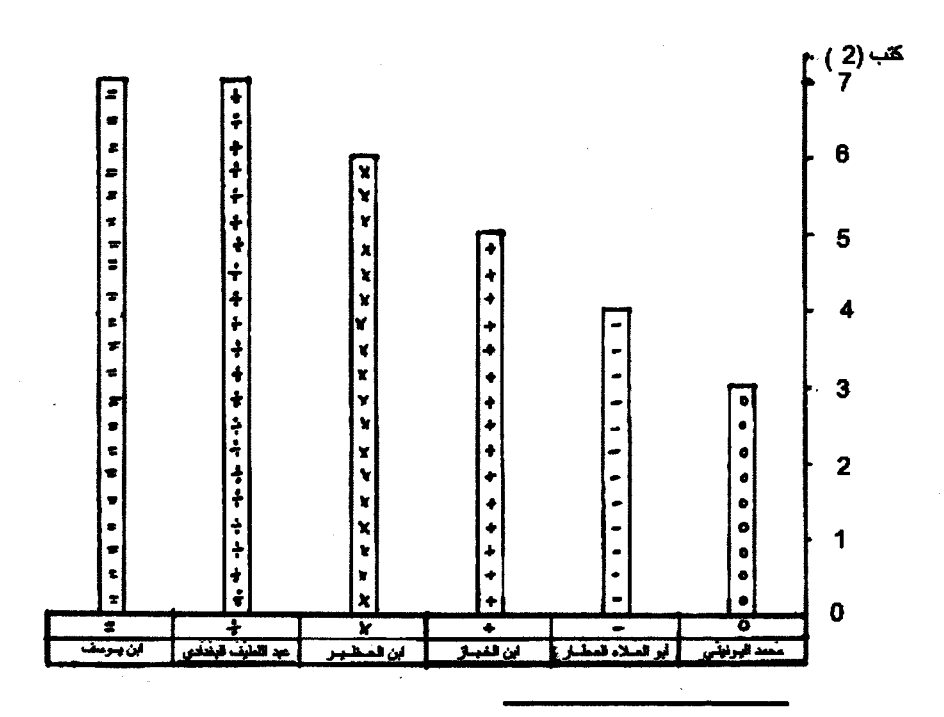
(الجدول رقم: ٠٤)

الرمز	العالم	المذهب	الموطن	عدد الكتب المحفوظة
•	محمد اليونيني (ت٦٥٨هـ)	حنبلي	بعلبك	٠٣
-	أبو العلاء العطار (ت٥٦٩هـ)	حنبلي	همذان	٠٤
+	ابن الخباز (ت٦٢٩هـ)	شافعي	-	٠٥
×	ابن الحضير (ت٥٨٨هـ)	حنفي	-	٠٦
÷	عبد اللطيف البغدادي (ق: ٧هـ)	شافعي	بغداد	٠٧
=	الشرف بن يوسف (ت٧٣٢هـ)	حنبلي	بغداد	٠٧

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

الرسم البياني رقم: 04

رسم بياني بالأعمدة لكبار الحفاظ وعدد محفوظاتهم (1)



(1) المصادر سبق ذكرها في المتن

(2) كل كتاب يُقابله على الرسم = 1.5 سم

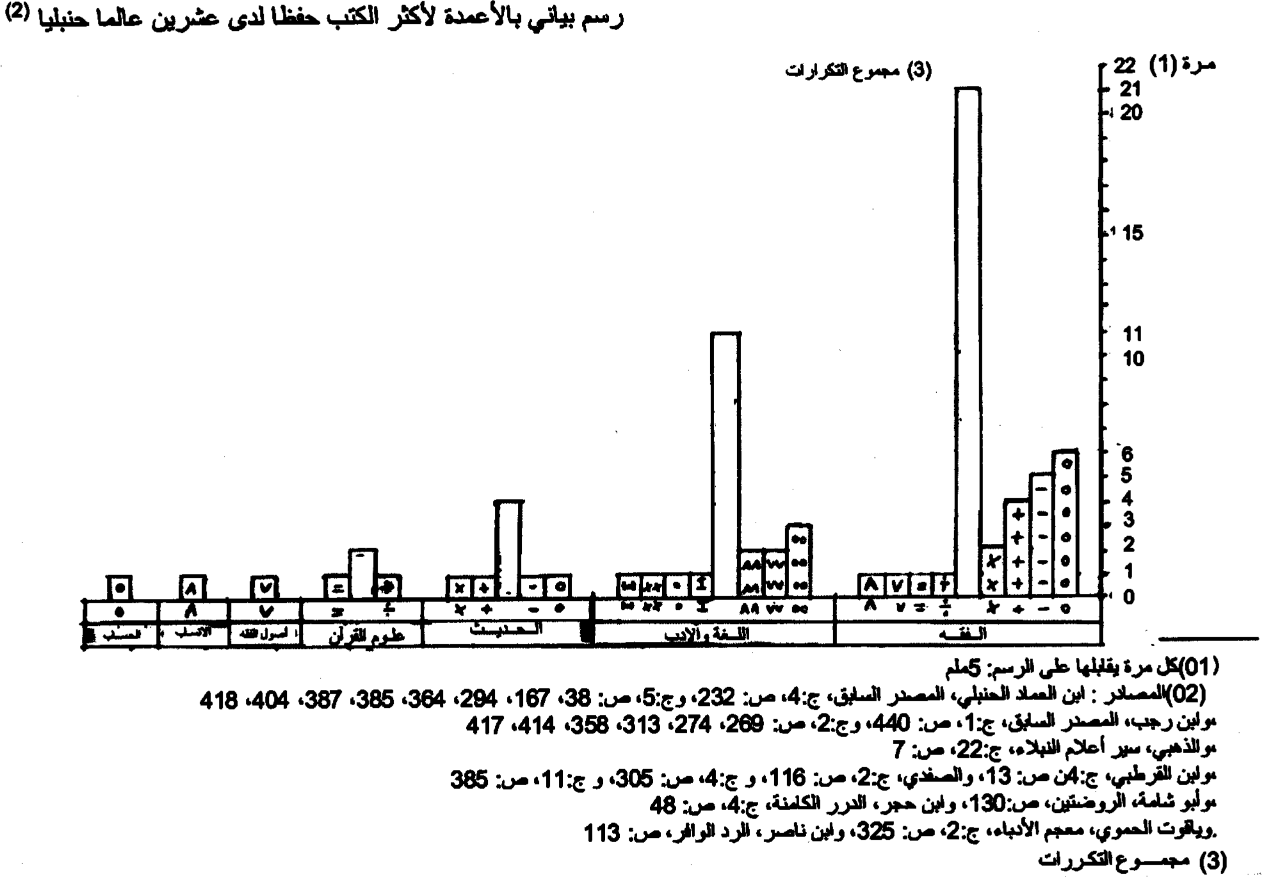
جدول لأكثر الكتب حفظاً لدى عشرين عالماً حنبلياً

(الجدول رقم: ٠٥)

نوع العلم	الرمز	الكتب المحفوظة	مرات الحفظ	٪ لكل كتاب	٪ لكل علم
الفقه	•	مختصر الخرقي	٠٦	١٤,٦٦	٥١,٢٨
=	-	الهداية	٠٥	١٢,٢٣	=
=	+	المقنع	٠٤	٠٩,٧٨	=
=	×	الروضة الفقهية	٠٢	٠٤,٨٩	=
=	÷	عمدة الأحكام	٠١	٠٢,٤٣	=
=	=	العمدة	٠١	٠٢,٤٣	=
=	v	المحرر في الفقه	٠١	٠٢,٤٣	=
=	❊	المغني	٠١	٠٢,٤٣	=
اللغة والأدب	••	مقامات الحريري	٠٣	٠٧,٣٣	٢٦,٨٣
=	vv	الألفية	٠٢	٠٤,٨٩	=
=	❊❊	اللمع	٠٢	٠٤,٨٩	=
=	ا	الجمل في النحو	٠١	٠٢,٤٣	=
=	.	الجمهرة	٠١	٠٢,٤٣	=
=	××	الجمل لابن فارس	٠١	٠٢,٤٣	=
=	-	عروض ابن الحاجب	٠١	٠٢,٤٣	=
الحديث	•	مسند أحمد	٠١	٠٢,٤٣	٠٩,٧٢
=	-	الجمع بين الصحيحين	٠١	٠٢,٤٣	=
=	+	صحيح مسلم	٠١	٠٢,٤٣	=
×	×	في علوم الحديث	٠١	٠٢,٤٣	=
علوم القرآن	÷	الشاطبية	٠١	٠٢,٤٣	٠٤,٨٦
	=	الجواهر في التفسير	٠١	٠٢,٤٣	=
أصول الفقه	v	أصول الفقه للبستي	٠١	٠٢,٤٣	٠٢,٤٣
حساب، أنساب	❊ -.	**النسب، الحساب**	١ لكل كتاب	٢,٤٣ لكل كتاب	٢,٤٣ لكل كتاب
المجموع	-	٢٤ كتاباً	٤١	نحو: ١٠٠٪	نحو: ١٠٠٪

الشكل البياني رقم : 05

رسم بياني بالأعمدة لأكثر الكتب حفظا لدى عشرين عالما حنبليا (2)



(01)كل مرة يقابلها على الرسم: 5ملم

(02)المصادر : ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:4، ص: 232، وج:5، ص: 38، 167، 294، 364، 385، 387، 404، 418
وابن رجب، المصدر السابق، ج:1، ص: 440، وج:2، ص: 269، 274، 313، 358، 414، 417
والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج:22، ص: 7
وابن القرطبي، ج:4ن ص: 13، والصفدي، ج:2، ص: 116، و ج:4، ص: 305، و ج:11، ص: 385
وأبو شامة، الروضتين، ص:130، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج:4، ص: 48
.وياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج:2، ص: 325، وابن ناصر، الرد الوافر، ص: 113

(3) مجمـــوع التكررات

وأما بالنسبة للأسباب والعوامل التي أدت بأهل العلم إلى الاهتمام بالحفظ والإكثار منه، فيبدو أن أهمها عشرة:

ـ **أولها**: طبيعة الحياة العلمية التي سادت (القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، حيث أعطيت فيها الأولوية للحفظ على الفهم والتأليف، وقد حثَّ عليه علماء كثيرون، وخصصوا له أحسن الأوقات، منهم: أبو بكر الخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وأبو سعد السمعاني، وبدر الدين ابن جماعة[١].

ـ **والثاني**: هو أن الحفظ يعد من أساسيات العملية التعليمية والتربوية، فلا يستغنى عنه في أي علم من العلوم، وإن اختلفت درجة التركيز عليه حسب طبيعة كلّ علم.

ـ **والثالث**: هو أن طالب العلم في حاجة ماسة إلى الحفظ؛ لأنه يوفر له جهد حمل الكتب والرجوع إليها، في بحوثه ومناظراته، فيصبح العلم في رأسه لا في كراسه. ويرى بعض الباحثين أن العلم المحفوظ في الذاكرة فَقَد أهميته في عصرنا الحالي، بعد انتشار الطباعة التي وفرت المجهودات التي كانت تبذلها الذاكرة قديماً[٢].

وهذا التعليل لا يصدق على العصر الإسلامي، (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)؛ لأن الذي دفع أهل العلم إلى الاهتمام بالحفظ ليس هو خوف ضياع العلم؛ لأن التدوين كان منتشراً بكثرة بين الناس، كما أن وسائل الطباعة الحديثة، والإعلام الآلي قد حلّت بالدرجة الأولى محل النسخ باليد، ولم تحل محل الحفظ، فحاجتنا إليه ما تزال ماسة في التربية والتعليم، والبحوث والتحاليل

---

(١) سبق ذكر أقوالهم.

(٢) عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي، والمنهج الأوروبي، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية (١٩٧٦م)، ص٤٢، ٤٣.

العلمية، فشتان بين العالم الذكي الحافظ لعلمه، وبين نظيره الفاقد للحفظ، المكثر من الرجوع إلى كتبه وحاسوبه، فهل يستوي الاثنان؟

ـ **والرابع**: الخوف من ضياع المصنفات، وهو سبب لم يكن عاماً، وإنما يخص بعض المشتغلين بالعلم؛ كالأديب الطبيب عبد اللطيف البغدادي، الذي كان يحث الطلاب على حفظ أي كتاب يطالعونه، لاحتمال أن يعدم، فيجدون أنفسهم مستغنين عنه[1].

وهذه مبالغة في الاحتياط، ونصيحة غير عملية؛ لأن احتمال فقدان كتاب بعد انتشاره في الأمصار بين الناس، في عصر شاع فيه التدوين ضعيف جداً، كما أنه ليس في مقدور كل طالب حفظ أي كتاب يقرأه.

ـ **والخامس**: هو طبيعة العلوم الشرعية وسيادتها على المجتمع، فطالب العلم الشرعي عليه أن يحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأحكام التجويد، والقراءات، وأقوال العلماء في الأصول والفروع، فهذه العلوم تقوم على الحفظ أولاً، ثم الفهم ثانياً، ويبدو أن الحفظ قد تغلب عليه (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م).

ـ **والسادس**: هو الانتشار الواسع لعلوم اللغة والأدب وهي بطبيعتها تعتمد أساساً على الحفظ، فعلى الأديب والنحوي واللغوي أن يستظهر كثيراً من الأشعار والحكم، والأقوال والقواعد، والأمثال ليصبح عالماً كبيراً.

ـ **والسابع**: تشجيع المجتمع على الحفظ، فقد كان له الأثر الفعال في دفع الطلبة إلى الاهتمام به، من ذلك أن الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبي (ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، كان يعطي كل من يحفظ كتاب «المفصل في النحو» لجار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ/

---

(١) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ٣/ ٣٤٢.

١٢٤٠م)، جائزة بثلاثين ديناراً[١]. وكذلك الناس فقد حضروا مجالس الحفاظ وعظموهم وكافؤوهم[٢]. وعندما تبين للملك الكامل بن محمد العادل (ت٦٣٥هـ/١٢٣٧م) أن المحدّث أبا الخطاب بن دحية الكلبي كان كاذباً في دعواه كثرة محفوظاته عزله عن مشيخة دار الحديث، عقاباً له على كذبه[٣].

ـ **والثامن**: الاستعداد الفطري لدى الحفاظ وقدراتهم الذاتية، كانت أحسن عون لهم في الحفظ الكثير، حتى أن الباحث ليتعجب مما ترويه المصادر عما يحفظه هؤلاء، فأحدهم يحفظ كتاباً في أيام قليلة، وآخر يحفظه في يوم واحد، وآخر تبلغ محفوظاته سبعة كتب، وآخر يستظهر أكثر من مائة ألف حديث، نعم قد تبالغ المصادر فيما ترويه عن هؤلاء، لكنها تضافرت في ذكر كثرة ما يحفظونه. وقد خصص الذهبي كتابه: «تذكرة الحفاظ»، لكبار حفاظ أهل الحديث، وأورد أخباراً عن حفظهم، وهو محدّث ومؤرخ ثقة، وناقد محقق لا يتهم بتعمد الكذب.

وعلى كلٍّ فإن قدرات هؤلاء على الحفظ، ظاهرة غريبة عن عصرنا وتثير الإعجاب، وتفصح عن قدرات العقل البشري على الحفظ. كما تعتبر الجهود الفردية المضنية التي يبذلها الطلبة في الصبر على الحفظ والإعادة، عاملاً أساسياً في نبوغهم وكثرة محفوظاتهم، فإذا قرأنا أن الفقيه بكر بن محمد الأنصاري الحنفي (ت٥١٢هـ/١١١٨م) كان يحفظ مذهب الإمام أبي حنيفة، ويلقي دروسه دون كتاب، وأن علماء مذهبه يرجعون إليه إذا أشكل عليهم شيء، فليكن في علمنا أن هذا الرجل كان

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٦٩، ١٢١.

(٢) نفس المصدر ١٤/ ٢٩٤ وما بعدها.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢١، ١٤٢٢.

في أيام طلبه للعلم يكرر بعض المسائل الفقهية أربعمائة مرة ليحفظها ويرسخها في ذهنه[١].

ـ **والتاسع**: هو الدوافع الشخصية لدى بعض الحفاظ، طلباً للمجد، والكسب، والمناصب، والتباهي بكثرة المحفوظ، فقد رحل الحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي من الأندلس إلى دمشق وأشاع بين الناس أنه يستظهر «صحيح مسلم» و«جامع الترمذي»، فكان ذلك من أسباب توليه مشيخة دار الحديث بدمشق[٢]. وجاء رجل من بلاد خراسان إلى دمشق سنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦١م) وادعى أنه يحفظ «الصحيحين» و«جامع المسانيد» لابن الجوزي، و«الكشاف» للزمخشري، فاجتمع العلماء لامتحانه في حضور جمع غفير من الناس، فتبين لهم أنه مبالغ في دعواه ولا يتقن حفظ الصحيحين، لكنهم ابدوا إعجابهم به وأجازوه[٣].

ـ **وآخرها**: هو أن بعض المشتغلين بالعلم قد تدفعهم حالتهم المادية الصعبة إلى حفظ المصنفات ليدخروا ثمن النسخ والحبر وشراء الورق، لتوفير حاجياتهم الضرورية، وقد حفل القرنان (السادس والسابع الهجريان/ ١٢ ـ ١٣م) بالعلماء والطلاب الذين لا كسب لهم[٤].

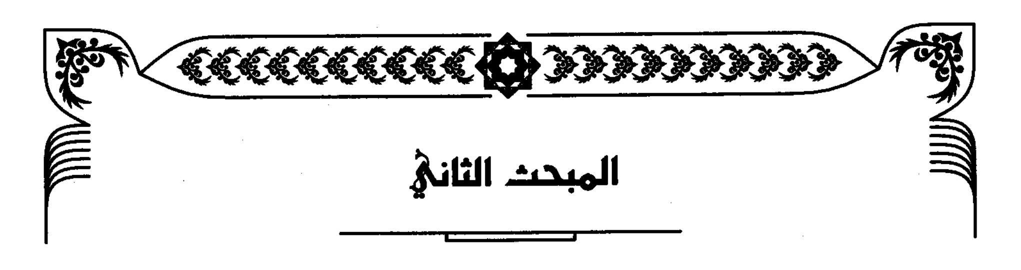


(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ١٨٣.

(٢) سبق ذكر تفاصيل الحادثة في هذا المبحث.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ٢٩٤.

(٤) ستذكر منهم نماذج كثيرة في المبحث الثاني الآتي.



المبحث الثاني

التكسب عند علماء الحنابلة

أولاً: ضرورة تكسب العلماء عند ابن الجوزي

يُعد المؤرخ عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) أكثر علماء الحنابلة اهتماماً بالمسألة الاقتصادية لأهل العلم، فقد كتب عنها فصولاً قيّمة نادرة في كتابه «صيد الخاطر»، منها أنه أشار إلى أن العلماء قبل زمانه كان لهم نصيب من بيت المال، ورفق من الإخوان، ومساعدة من العوام، وأما في أيامه هو فانقطع كل ذلك، وأصبح المتشاغل بالعلم والعبادة مسكيناً، في زمن قبيح لا يجد فيه من يومئ إليه بمعونة، ولا استقراض[١].

ثم أشار إلى حقيقة معروفة في تاريخ العلماء المسلمين هي أن أكثرهم فقراء؛ لأن العلم قد شغلهم عن المكاسب في بداياتهم فلما احتاجوا لقوام أنفسهم ذلّوا وهم أحق بالعز[٢]، وقد عبَّر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) عن هذه الفكرة بقوله: إن القائمين بأمور الدين القضاء، والفتيا والتدريس، والإمامة والخطابة، ونحو ذلك لا تعظم ثرواتهم في الغالب[٣].

---

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٣٧١، ٣٩١، ٣٩٢.

(٢) نفس المصدر ص٢٢.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص٣٠٩.

ووصف ابن الجوزي لأوضاع العلماء والطلاب في زمانه بأنها متدهورة، لكنها لا تصدق عليهم كلهم؛ فقد وجدت مدارس كثيرة في بغداد وخارجها، لمدرسيها وطلبتها مرافق متعددة وجرايات دارة[١]. وعندما زار ابن جبير المشرق سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) أبدى إعجابه الشديد بما شاهده من ازدهار للحياة العلمية وكثرة مدارسها وأوقافها[٢].

ونظراً لأهمية المال للمشتغلين بالعلم، فقد نصحهم ابن الجوزي، بالقناعة باليسير وقلة النفقة، وتقليل أفراد الأسرة، ومزاولة عمل ما؛ كالنسخ بالأجرة، وحثّ من له مال منهم، على الاجتهاد في تنميته وحفظه، وهذا أفضل من التشاغل بفضول العلم؛ فما بقي من يؤثر، ولا من يقرض، فالناس قد صاروا عبيداً للمال، لذا فالكسب ضروري للعالم لكي لا يستعبده أحد، ولا يداري ظالماً، ولا يداهن جاهلاً، وإن لم يفعل ذلك ولم يقنع باليسير أفسد دينه بمخالطته للسلاطين والعوام[٣].

*** وصنّف ابن الجوزي العلماء في تصرفهم تجاه المسألة المادية إلى أربع طوائف:**

ـ **الأولى**: مالت إلى السلطان، واتبعت طرقاً تأولتها أنقصت من قلوبها وكمال دينها أكثر مما نالته من الدنيا، وكان الأحسن لها الابتعاد عن ذلك المسلك.

ـ **والثانية**: دفعها فقرها إلى المداهنة، والمدح بما لا يجوز، والسكوت عن المنكرات[٤].

ـ **والثالثة**: بعدما ضاق بها معاشها، وقلّ ما تنشده لنفسها

---

(١) عن ذلك انظر: الفصل الثاني.
(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص١١، ٢٤٤.
(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ص٢٢، ٣٧١، ٣٩١، ٤٧٥.
(٤) نفس المصدر ص١٦١.

من الحظوظ، سافرت في البلاد طلباً للدنيا عند الأراذل والسفلة.

ـ **والرابعة**: نجت من فتنة الفقر، وهي صنفان: الأول: له مال وتجارة كعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م)، وسفيان الثوري (ت١٦١هـ/ ٩٧٧م)، والثاني: شديد الفقر قنوع بالرزق القليل؛ كالإمام أحمد بن حنبل[١] (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

* وأشار ابن الجوزي إلى أن معظم أرباب الأموال في زمانه يستخدمون العلماء المعوزين، ويستذلونهم، ويمنون عليهم لما يعطونهم من شيء يسير من زكاة أموالهم. فإذا كان لأحدهم ختمة قال: فلان ما حضر، وإذا مرض قال: فلان ما تردد ـ أي: لزيارته ـ، لذا فعلى العلماء صيانة العلم بالقناعة باليسير، وصرف بعض أوقاتهم في طلب الرزق، ليرفعوا عن أنفسهم الذلّ ويحافظون على مكانة العلم[٢]. وليس أنفع للعالم في الدنيا من جمع المال للاستغناء به عن الناس، فإذا اجتمع المال والعلم حيز الكمال، لكن عليه أن يحذر أن يصبح جامعاً للمال من أوجه قبيحة، ومن شبهات قوية، وبحرص شديد، وبذل في الطلب، ثم يأخذ الزكوات وهي لا تحل له مع الغنى ثم يدخره ولا ينتفع به، حتى أن أحد شيوخ ابن الجوزي بلغ الثمانين وليس له أهل ولا ولد، فلما مرض ألقى نفسه عند أحد أصدقائه، فكان يوفر له الدواء وما يشتهيه بعناء، فلما توفي وجدت لديه أموال عظيمة[٣].

ويستخلص مما قاله ابن الجوزي أنه كان شديد الحرص على دعوة العالم بأن يتخذ لنفسه وظيفة يتقوت منها هو وأهله وأولاده، ليحافظ على دينه وكرامته وعلمه، ونصحه بالصبر والاقتصاد في النفقة، والقناعة

---

(١) ابن الجوزي: نفس المصدر ص١٦٢، ١٦٦.

(٢) نفس المصدر ص٢١١.

(٣) نفس المصدر ص٢٦١، ٢٩٢.

بالقليل، وتنظيم النسل، لتقليل أفراد الأسرة تجنباً للمزيد من النفقات والمتاعب في طلب الرزق[1].

ثانياً: وظائف علماء الحنابلة ووضعياتهم المادية

اتخذ كثير من علماء الحنابلة (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) وظائف ومهن للارتزاق؛ كالنسخ بالأجرة، وممارسة التجارة، وتولي المناصب السلطانية، فبالنسبة للذين امتهنوا النسخ أذكر منهم عشرة:

ـ **أولهم**: المتكلم أبو الوفاء بن عقيل. نسخ بالأجرة في فترة من حياته كان فيها محتاجاً، مع العفة وعدم المزاحمة لغيره[2].

ـ **والثاني**: الفقيه عبد الوهاب أبو البركات الأنماطي البغدادي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م). تفرّغ للعلم والنسخ، ومن المصنفات التي نسخها: «طبقات ابن سعد»، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي[3].

ـ **والثالث**: المتكلم صدقة بن الحسين البغدادي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م). مارس النسخ بالأجرة وتقوت منه مدة طويلة، ومع ذلك فيروى أنه كان يبالغ في الطلب من الناس مقيماً وحده بمسجد له، فلما مات خلف ثلاثمائة دينار[4].

ـ **وأما الرابع**: فهو عفيف الدين بن المبارك البغدادي (ت٥٧٥هـ/

---

(١) لأن ذلك يصرفه عن التفرغ للعلم.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٦.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٨٣، وتاريخ الإسلام ج: (٥٢١ ـ ٥٤٠هـ)، ص٤٦٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٢٧٧، ٢٧٨، وصيد الخاطر ص٢٩٢، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٢٠١، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٤٧٤، ابن كثير: المصدر السابق ج ١٢ ص٢٩٨.

١١٧٩م). ورقَّ للناس بالأجرة وله خط حسن[١].

ـ **والخامس**: المحدّث الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الدائم المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م). تخصص في النسخ، ومارسه خمسين سنة، ويكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس أو أكثر، ويقال أنه ينظر في الصفحة نظرة واحدة ثم يكتبها، لذلك توجد له أخطاء كثيرة فيما يدوّنه، وخطه لا نقط فيه ولا ضبط[٢]. وروي أنه نسخ في ظرف خمسين سنة ألفي مجلدة، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: بل أكثر من ألفين، ونقل عنه أنه أنشد عندما عجز:

عجزت عن حمل قرطاس وعن قلم ... من بعد إلفي بالقرطاس والقلم

كتبت ألفاً وألفاً من مجلدة ... فيها علوم الورى من غير ألم[٣]

وبعملية حسابية بسيطة يتبين أن أحمد بن عبد الدائم كتب أكثر من ذلك بكثير، فإذا كان يكتب تسعة كراريس في اليوم عند تفرغه للكتابة، وأخذنا أربعة كمتوسط يومي لما ينسخه، وعرفنا أن الكراسة الواحدة تضم ما بين (١٠ ـ ٢٠) صفحة وافترضنا أنها تحتوي على خمس

---

(١) ابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ١٩٥.

(٢) الذهبي: العبر في خبر من غبر حققه السعيد بن زغلول، بيروت دار الكتب العلمية، (د ت) ٣/ ٣١٨، والصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، حققه أحمد زكي بك، مصر المطبعة الجمالية، (١٩١١م)، ص١٠٠، وكتاب الوافي بالوفيات ٧/ ٣٤، ٣٥، وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ١/ ٨٥، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٥٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣١٢٦.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ٧/ ٣٥، ٣٦، ونكت الهميان ص١٠٠، وابن رافع السلامي: المصدر السابق ص٣٠، وقطب الدين اليونيني: المصدر السابق ٢/ ٤٣٧، والذهبي: العبر ٣/ ٣١٨، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٥٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٢٦، وابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ٢٠/ ٣٩٣.

عشرة صفحة، وأن المجلدة فيها نحو ١٥٠ صفحة، فإن مجموع ما ينسخه في اليوم يبلغ ستين صفحة، وإذا افترضنا كذلك أنه يشتغل ثلاثمائة يوم في العام فقط فيكون مجموع ما ينسخه سنوياً: ٣٠٠×٦٠= ١٨٠٠٠ صفحة، وبالمجلدات يساوي: ١٨٠٠٠÷١٥٠=١٢٠ مجلداً في السنة، وفي الخمسين عاماً: ١٢٠×٥٠ =٦٠٠٠ مجلد، وهذا عدد كبير يفوق ألفي مجلدة بكثير.

ـ **والسادس**: أبو القاسم علي بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي البغدادي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٢٣م). تفرّغ للنسخ فيكتب في اليوم عشرة كراريس، وخطه لم يكن جيداً[١].

ـ **والسابع**: هو أبو محمد ابن الطباخ البغدادي ثم المكي (ت٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م). كان يتكسب من كتابة مناسك العمرة، يبيعها في المسجد الحرام لمن لا يعرف مناسكها[٢].

ـ **والثامن**: الفقيه عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي ثم الدمشقي (ت٧١١هـ/ ١٣١١م). مارس النسخ ليتقوت به، ولا يكتب إلا مقدار ما يدفع به الضرورة[٣].

ـ **والتاسع**: هو المؤرخ الأديب عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م). نسخ للناس بالأجرة وله خط منسوب في غاية الجودة، ويكتب في اليوم أربع كراريس وهو مستلق على ظهره، ولم يكن مدخوله من النسخ ومن وظيفته يكفيه لينفق على أسرته، لذلك رهن داره عندما أصابته ضائقة مالية[٤].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٣.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٧١ ـ ٥٨٠هـ)، ص١٨٦.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٤) ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ٢٠، ٤٢، ٨١، ١٢٦، وابن شاكر =

ـ **وآخرهم**: الأديب شهاب الدين محمود بن سليمان الدمشقي (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م). نسخ للناس بالأجرة[١] مصنفات كثيرة، وخطه منسوب أنيق، وقد اشتغل كاتباً في ديوان الإنشاء نحو خمسين سنة بمصر والشام[٢].

* **وأما عن النسّاخ من غير الحنابلة**، فأذكر منهم أربعة:

ـ **أولهم**: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، اتخذ النسخ مصدراً للرزق بعدما تصوف[٣].

ـ **والثاني**: المقرئ أبو العباس ابن الحطيئة الفاسي ثم المصري (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م). نسخ للناس بالأجرة، وخطه جيد مضبوط، وقد علَّم زوجته وابنته الكتابة وتقليد خطه، فإذا شرع في نسخ كتاب ما أشركهما معه في النسخ، فلا يفرق بين خطوطهم إلا الحاذق المدقق[٤].

ـ **والثالث**: المحدّث محمد بن مسلم القيسي الدمشقي (ت٦٨٠هـ/ ١٢٨١م). كان سريع الكتابة ينسخ في اليوم ثلاثة كراريس[٥].

ـ **وآخرهم**: المؤرخ أحمد بن عبد الوهاب المصري الشافعي (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م). ناسخ بارع مطيق، يكتب في اليوم ثلاثة كراريس،

= الكتبي: فوات الوفيات ١/ ٥٦٧، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٧٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٦٠، (ط د الآفاق).

(١) كان الشيخ أبو عمر ابن قدامة المقدسي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) من كبار النساخ، لكنه ينسخ للناس مجاناً، ويكتب في اليوم كراسين كبيرين وقد نسخ لهم مصحف وكتباً كثيرة منها: مختصر الخرقي في الفقه، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة العكبري الحنبلي. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧، ٨، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٩، ٥٩.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٧٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٦٩.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ١٧٤.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات ٧/ ٣٢٤.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٩٩.

وينسخ المصنفات ويجلدها ثم يبيعها، وقد صنّف تاريخاً في ثلاثين مجلداً وباعه[1].

* ويتبين مما ذكرناه عن هؤلاء النسّاخ أن كثيراً من أهل العلم اتخذوا النسخ مصدراً للرزق، وهو يندرج ضمن نشاطهم اليومي كعلماء، وقد مارسه بعضهم عقوداً من الزمن، وغالبهم له خط جيد أنيق. كما أنه قد تباين مقدار ما ينسخونه في اليوم من الكراريس تبايناً واضحاً، حسب قدراتهم وظروفهم، في مقدمتهم أبو القاسم ابن الجوزي، ثم يليه أحمد بن عبد الدائم، ثم يأتي الباقون وهم متقاربون كما هو مبين (في الجدول رقم: ٦، والرسم البياني رقم: ٦).

*** وأما الذين احترفوا التجارة من علماء الحنابلة:**

فمنهم: من خرج إلى الأمصار؛ كالمؤرخ أبي الثناء حمّاد بن هبة الله الحراني (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، والفقيه أبو زكريا ابن الحبير البغدادي[2] (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، والمحدّث عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، والفقيه عبد العزيز بن باقا المصري[3] (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، والمحدّث فخر الدين ابن البخاري المقدسي ثم الدمشقي[4] (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م).

ومنهم من تاجر في الملابس؛ كالفقيه أبي الفضل محمد بن زبيبا البغدادي (ت٥١١هـ/ ١١١٧م)، والمحدّث عبد العزيز بن الأخضر

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ١٦٤، وابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٤٣٠.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٣٥، ٥/ ٣١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣١ (ط ق).

(٣) ابن تغري بلدي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، حققه فهيم محمد شلتوت، السعودية جامعة أم القرى، (د ت)، ١/ ٤٢٨، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٣٦.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧.

البغدادي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)، (مارس النسخ بالأجرة، ثم أصبح بزازاً يبيع الملابس في دكان له، ويعقد فيه كذلك مجالس قراءة الحديث)[1]. ومنهم: المقرئ عبد الرحمٰن بن الفويرة البغدادي (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) له حانوت للملابس بسوق الثلاثاء بالجانب الشرقي من بغداد[2].

وتاجَر آخرون في مواد اقتصادية أخرى، منهم: الفقيه عبد الرحمٰن بن محمد الحلواني البغدادي (ت٥٤٦هـ/ ١١٥١م) اتجر في الخل[3]. والمقرئ عبد الوهاب بن محمد الصابوني البغدادي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) كان يبيع خفاف النساء[4]. وأما الفقيه زين الدين علي بن أحمد الآمدي ثم البغدادي (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م) فقد تاجر في الكتب مع كونه مكفوف البصر، وكانت له مكتبة عامرة يعرف كتبها باللمس، فإذا طلب منه كتاب ما استخرجه من الخزانة كأنه ينظر إليه، ووضعه[5].

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣١، ومحمد بن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث ٤/ ١٦٤، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦١١ ـ ٦٢٠هـ)، ص٧٤، ٧٥.

(٢) ابن رافع السلامي: المصدر السابق ص٨٣، ٨٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٣٨.

(٣) العليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٦٣، والداودي: المصدر السابق ١/ ٢٨١.

(٤) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٢٢٩.

(٥) وكان إذا اشترى كتاباً يأخذ ورقة أو أكثر ويفتلها على هيئة حرف أبجدي، وفق حساب الجمل، ثم يلصقها بإحكام في أعلى الورقة الأولى، فإذا شذ عنه ثمن كتاب ما مس هذه الحروف البارزة فيعرف ثمنه. الصفدي: نكت الهميان ص٢٠٧، ٢٠٨. وبهذا يكون هذا العالم المسلم الضرير قد سبق الفرنسي براي في اختراع الكتابة البارزة للعميان. نفس المصدر (مقدمة المحقق). ومثال على حساب الجمل، أنه إذا أخذنا حرفين كرمز لثمن كتاب، وهما: ر ب يكون السعر: ٢٠٢ درهم ـ مثلاً ـ؛ لأن حرف: ر يساوي: ٢٠٠ وحرف: ب يساوي: ٢، ولمعرفة المزيد عن حساب الجمل انظر: عبد الله الدفاع: العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية.

جدول لكبار النسّاخ وما يكتبونه يومياً[1]

(في القرنين ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

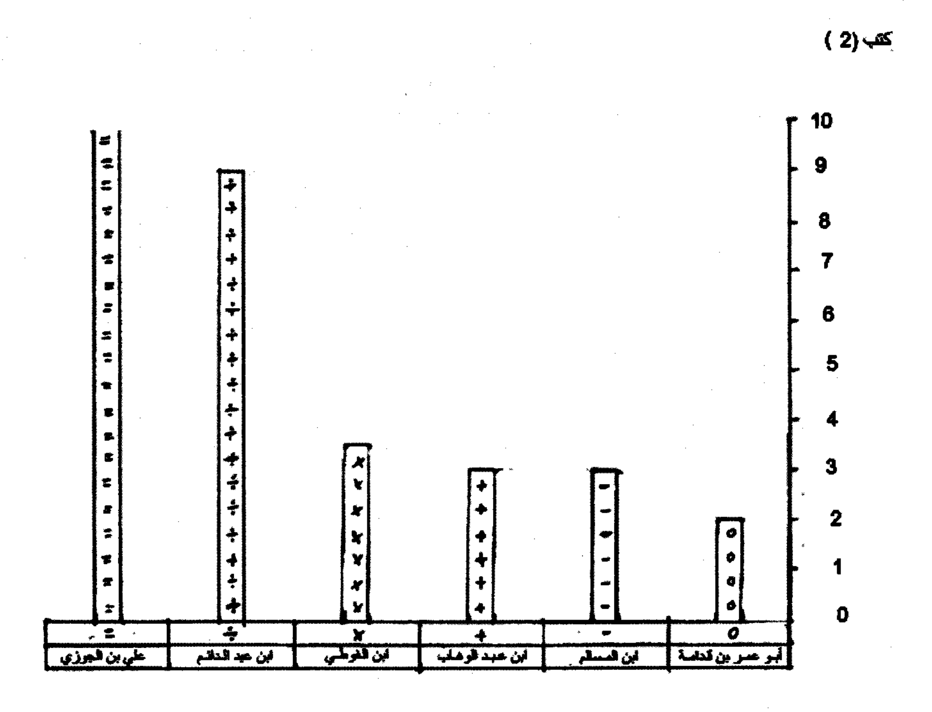
(الجدول رقم: ٠٦)

الرمز	الناسخ	المذهب	الموطن	الكراريس المكتوبة
•	أبو عمر بن قدامة (ت٦٠٧هـ)	حنبلي	دمشق	٠٢
-	محمد بن مسلم (ت٦٨٠هـ)	-	=	٠٣
+	أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)	شافعي	مصر	٠٣
×	ابن الفوّطي (ت٧٢٣هـ)	حنبلي	بغداد	٠٤
÷	أحمد بن عبد الدائم (٦٦٨هـ)	=	دمشق	٠٩
=	علي ابن الجوزي (ت٦٣٠هـ)	=	بغداد	١٠

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

الرسم البياني رقم : 06

رسم بياني لكبار النسّاخ وعدد ما كتبوه يوميا (1)



---

(1) المصادر التي سبق ذكرها في المتن

(2) كل كتاب يُقابله على الرسم : 1سم

* **ومارس بعضهم مهناً وحرفاً أخرى،** منهم: الفقيه أبو محمد خذاداذ بن سلامة البغدادي (ت٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)، **امتهن حرفة نقش المبارد،** وقد خلفه فيها ولده الفقيه الكاتب أبو بكر[١] (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م).

ومنهم ثلاثة تكسبوا من الخياطة:

- **أولهم:** الفقيه أبو حكيم ابن دينار النهرواني البغدادي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م). كان إذا خاط ثوباً وأعطي الأجرة يأخذ منها قليلاً ويرجع الباقي لصاحبها، ويقول: «خياطتي لا تساوي أكثر من هذا»[٢].

- **والثاني:** المقرئ أبو بكر الحلاوي البغدادي[٣] (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م).

- **وآخرهم:** المقرئ أبو العباس ابن إبراهيم الدمشقي (ت٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م). جمع بين الخياطة والدلالة في الأسواق[٤].

وأما المحدّث الطبيب أبو بكر ابن المارستانية البغدادي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٩٧م)، فإنه عندما أخرج من السجن[٥] شرع في تطبيب الناس في منازلهم، وصادف قبولاً لديهم، وأُثريَ من جديد وتحسنت

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣١، (ط د). والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٧٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات ٥/ ٣٧٤، وابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ٥٨٢، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٩ (ط ق).

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٧.

(٤) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٢٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٦٠.

(٥) كان قد أصابته محنة على إثر مشاركته في إحراق كتب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلاني وإبعاد صديقه عبد الله بن يونس من الوزارة، لذلك أدخل السجن. ابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ٦٧، ٦٨، وابن رجب: ١/ ٤٤٣ (ط ق).

أحواله كما كان من قبل[1].

وجمع الفقيه أبو الخير مكي بن شبيب المقدسي ثم المصري (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) بين الاشتغال في البناء والإمامة في مسجد يعرف به بمدينة مصر[2].

*** وأما علماء الحنابلة الذين تولوا مناصب سلطانية:**

ـ فمنهم ثلاثة باشروا وظائف ديوانية:

أولهم: الفقيه عبد الواحد بن شنيف البغدادي (ت٥٢٨هـ/ ١١٣٣م). اشتغل في ديوان التركات وجمع مالاً كثيراً[3].

والثاني: المتكلم الفخر إسماعيل غلام ابن المني البغدادي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م). عيّن في ديوان السجون فلم تحمد سيرته، وأبعد تماماً من الخدمة في أجهزة الدولة، وأقام في بيته خاملاً يعيش من صدقات الناس إلى أن توفي[4].

والثالث: الأديب الموفّق ابن عبد القاهر الفوطي البغدادي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). تولى كتابة ديوان العرض[5] ـ الجيش ـ.

ـ ومنهم: ثلاثة تقلّدوا مناصب عليا في الدولة:

اثنان توليا الوزارة[6]، وهما: الفقيه عون الدين بن هبيرة البغدادي

---

(١) ابن النجار: نفسه ١٧/ ٦٦، ٧٦، ٨٦، وابن رجب: نفسه ١/ ٤٤٣.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٢٢٢، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢١٥.

(٣) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ١٥٠.

(٤) الذهبي: المصدر السابق ج: (٦٠١ ـ ٦١٠هـ)، ص٣٦١، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٦٥، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٦١.

(٥) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٧٨.

(٦) لم أعثر في المصادر التي اطلعت عليها إلا على خمسة حنابلة تولوا الوزارة =

(ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، بقي في الوزارة نحو خمسة عشر عاماً، جمع خلالها أموالاً طائلة، أنفقها في خدمة العلم والعلماء والفقراء[1]. والمتكلم عبد الله بن يونس البغدادي[2] (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م). وأما الثالث فهو الفقيه محيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، تقلد منصب أستاذ دار الخلافة زمن الخليفة المستعصم بالله العباسي[3] (٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م)، وكان قد تولّى من قبل حسبة بغداد، فلمَّا أصبح أستاذاً لدار الخلافة، خلفه فيها بالتتابع ولداه شرف الدين (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وعبد الكريم (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[4].

ـ **ومنهم: اثنان مكتبيان متخصصان في الإشراف على المكتبات،** أشرفا على أكبر خزائن الكتب بالمشرق الإسلامي في القرن (السابع الهجري/ ١٣م):

أولهما: المقرئ الناسخ عبد العزيز بن دلف البغدادي (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، ولّاه الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م)، أمر خزانة كتب المدرسة المستنصرية[5].

= (خلال القرنين ٦ و٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م)، أذكر منهم أربعة: ابن هبيرة، وابن يونس، والمؤرخ إسماعيل بن أبي سعد الشيباني الآمدي (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) كان وزيراً بماردين، ثم خلفه ولده الأديب شمس الدين (ت٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) في الوزارة. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ١١، (ط د الآفاق).

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٥١، ٢٥٢، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٢٥٦، وابن الطقطقى: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مصر، مكتبة عز للتوريدات، (د ت)، ص٢٥٢ وما بعدها.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٥١٣، ٥١٤، (ط د).

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٤) نفسه ٥/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٣٣٤، ٣٣٥، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

والثاني: الأديب المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، أشرف على مكتبة الرصد بمراغة[١]، وخزانة كتب المدرسة المستنصرية في زمن دولة المغول، وقد أمضى فيهما أكثر من ستّ وخمسين سنة[٢].

ـ **ومنهم: من تولّى القضاء**، وهم قليل جداً فيما بين عامي: (٥٠١ ـ ٦٦٢هـ/ ١١٠٧ ـ ١٢٦٣م)، ثم كثر عددهم عندما تعدد القضاء في مصر والشام[٣]، وأصبح للحنابلة قضاء خاص بهم كباقي الطوائف السُّنِّية الأخرى، فمن الذين تقلّدوه قبل تعدده: الفقيه أبو الحسين ابن أبي يعلى الفراء البغدادي (ت٥٢٦هـ/ ١١٣١م)، والفقيه أبو يعلى الصغير محمد بن أبي خازم الفراء البغدادي[٤] (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، والمحدّث أبو صالح ابن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، وهو أول حنبلي تولّى قضاء القضاة[٥]، وآخرهم: الفقيه عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي[٦] (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م).

---

(١) أنشأها المتكلم نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) في دولة المغول، بمدينة مراغة بأذربيجان. ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ١٧.

(٢) ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ٢٨٠، وق٣، ٤/ ٣٣٣، وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ١/ ٥٦٧.

(٣) تعدد القضاء حسب المذاهب السُّنِّية الأربعة، في ظل الدولة المملوكية سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م) بمصر، وسنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) بدمشق. ابن طولون: قضاة الشام حققه صلاح الدين المنجد، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، (١٩٥٦م)، ص١٨٧.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢١، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٩٠.

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بيروت، دار الفكر الحديث، (١٩٨٧م)، ص٤٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٩٠.

(٦) عثمان بن المنجا: كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجا، حققه صلاح الدين =

وأما الذين تولّوا القضاء ـ بعد تعدده ـ بمصر، فمنهم: شمس الدين محمد المقدسي ثم المصري (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وعز الدين بن عبد الله المصري، تقلّده سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)[١]، وشرف الدين أبو محمد عبد الغني الحراني[٢] (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). والذين تقلدوه بالشام؛ فأولهم: شمس الدين ابن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م)، ثم خلفه ابنه نجم الدين أحمد[٣] (ت٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، ثم جاء من بعده ابن عمه شرف الدين حسن بن قدامة المقدسي[٤] (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م).

* ويتبين مما تقدم ذكره أنه كانت لطائفة من علماء الحنابلة، وظائف يرتزقون منها جمعوا بينها وبين اشتغالهم بالعلم، لإدراكهم أنه لا بد لأهل العلم من عمل يتكسبون منه، لينفقوا على أسرهم، وليحافظوا على كرامتهم وعلمهم. كما أنهم قد مارسوا وظائفَ وحِرفاً متنوعة حسب قدراتهم وظروفهم، وقد أخذت منهم عيّنة مكونة من ٧٧ عالماً، ثم أحصيتُ وظائفهم ومهنهم فانتهيت[٥] إلى أن ٣١ عالماً اشتغل في قطاع التجارة والحرف، (بنسبة ٤٠,٢٥٩٪)، من مجموع الوظائف، و٢٨ عالماً تولّوا مناصب سلطانية، (٣٦,٣٦٣٪) من إجمالي الوظائف والحرف، ثم تأتي مهنة النسخ، مارسها ٢٨ عالماً (بنسبة ٢٣,٣٧٦٪)

= المنجد، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (١٩٤٩م)، ص٢١، ٢٢.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، مصر المؤسسة المصرية العامة للتأليف، (د ت)، ٧/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) نفسه ٧/ ١٣٥.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق ص٢٧٣، وفضل الله الصفاعي: تالي وفيات الأعيان، حققه جاكلين سوبلة، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ص١٠٦.

(٤) ابن طولون: نفس المصدر ص٢٧٧، ٣٥٠.

(٥) انظر: الجدول رقم (٧)، والرسم البياني رقم (٧).

من مجموع المهن والمناصب، لكن حقيقة الأمر أن حرفة النسخ تأتي في المرتبة الأولى؛ لأنها هي لوحدها مثلت ذلك الرقم، في حين قطاع التجارة والحرف يضم العديد من الفروع؛ كالخياطة وبيع الملابس، وكذلك المناصب السلطانية فيها عدة وظائف؛ كالوزارة والحسبة، لكن القضاء ـ وهو من المناصب السلطانية ـ يأتي في المرتبة الثانية بعد النسخ (بنسبة ٢٣,٣٧٦٪) من إجمالي الوظائف والحرف كما هو مبين (في الجدول رقم: ٧، والرسم البياني رقم: ٧).

ووجدت في مقابل هؤلاء طائفة ـ من علماء الحنابلة ـ **لم تكن لها وظائف وحرف ترتزق منها**، لتفرغها للعلم والعبادة، واعتمادها على طرق أخرى تطلب بها الرزق.

منهم: الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) تفرغ للإشغال والاشتغال[١]، فكان ينفق على نفسه وتلامذته مما يعطيه له الناس، وقد يضطره الحال إلى الطلب والاقتراض منهم، له ولطلابه[٢].

ـ **والثاني**: المؤرخ عبد الرحمٰن ابن الجوزي، لم يكن له عمل يتقوت منه لأن العلم شغله عن التكسب[٣]، وقد سبق وأن ذكرنا نصحه لأهل العلم بضرورة ممارسة عمل ما، وهو نفسه لم تكن له وظيفة محددة، ولعله أخذ العبرة من نفسه، لذلك حذر غيره من الوقوع فيما وقع هو فيه، ويبدو أنه كان يتقوت مما يهديه له الأعيان والناس، ومما يبيعه من مصنفاته التي جاوزت ثلاثمائة كتاب[٤].

---

(١) هما مصطلحان كانا سائدين (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، ويقصد بالأول التدريس، والثاني الطلب والبحث.

(٢) الذهبي: سير اعلام النبلاء ٢١/ ٤٣، وابن رجب، المصدر السابق ١/ ٣٢٦.

(٣) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٣٨.

(٤) عنها انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث.

جدول لأكثر المهن والوظائف ممارسة لدى علماء الحنابلة[1]

(في القرنين ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ٠٧)

الرمز	المهنة	مجموع الوظائف	النسبة المئوية لكل نوع	النسبة المئوية للمجموع
•	تجارة وحرف = مجموعها	٣١، منها:	٢٥,٩٧٥[2]	٤٠,٢٥٩
÷	تجارة وحرف = بيع الملابس	٠٣	٠٣,٨٩٦	=
-	تجارة وحرف = الخياطة	٠٤	٠٥,١٩٤	=

(١) المصادر: ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢١، ٢٣١، ٣٧٧، ٣٣٩، ٣٩٧، و٢/ ٦، ١٢٤، ٢١٨، ٣٤٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٧٨، ٤٣٤، والداودي: طبقات المفسرين ١/ ٢٣٩، ٢٨١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣١، ٣٦، ١٩٠، و٥/ ١٢، ٣١، ٤١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ٢١١، ٢١٢، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٢٨، و٦/ ٣، ١٠، ٤٥، ٦٩، ٩٣، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٩٨، و١٣/ ٢٣، ٦٥، ٥٠، ٢٥٧، و١٤/ ١٥٠، وابن الفوّطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ٢٠، ٤٠، وق٣، ٤/ ٥٨٢، والحوادث الجامعة ص٤٨، والسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ١٥٠، ٢٥٦، وابن تغري بلدي: النجوم الزاهرة ٧/ ١٣٤، ١٣٤، والذهبي: سير أعلام ٢٢/ ٧، ٨، ٣٥١، ٣٥٣، وتاريخ الإسلام ج: (٥٧١ ـ ٥٨٠هـ)، ص١٨٦، وج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٤٥١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٤، وابن رافع السلامي: المنتخب المختار ص٨٣، ٨٤، ١١١، ١١٧، ١١٨ وابن طولون: قضاة دمشق ص٢٧٣، ٢٧٧، ٣٥٠، والسيوطي: بغية والوعاة ١/ ٤٥٧، وابن تغري بلدي: الدليل الشافي ١/ ٤٢٨، ومحمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٦٤، والمنذري: المصدر السابق ٢/ ٢٠٥، والصفدي: الوافي: ٤/ ٩١، ٢٢٩، و٥/ ٣٤٧، ونكت الهميان ص٢٠٧، والنعيمي: الدارس ٢/ ١١٤، وابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٢٩٩، وابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٧.

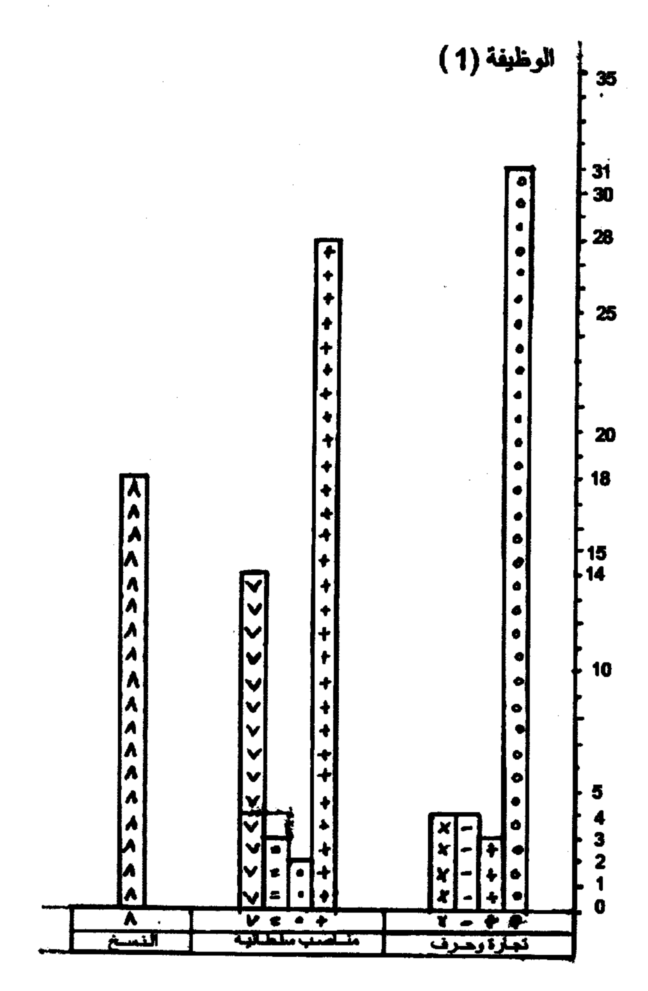
(٢) تمثل باقي مهن التجارة والحرف.

الرمز	المهنة	مجموع الوظائف	النسبة المئوية لكل نوع	النسبة المئوية للمجموع
×	تجارة وحرف = الأسفار	٠٤	٠٥,١٩٤	=
+	مناصب سلطانية = مجموعها	٢٨، منها:	١١,٦٨٩[١]	٣٦,٣٦٣
.	مناصب سلطانية = الوزارة	٠٢	٠٢,٥٩٧	=
=	مناصب سلطانية = الحسبة	٠٣	٠٣,٨٩٦	=
v	مناصب سلطانية = القضاء	١٤	١٨,١٨١	=
*	النسخ	١٨	٢٣,٣٧٦	٢٣,٣٧٦
المجموع	-	٧٧	نحو: ١٠٠٪	نحو: ١٠٠٪

(١) تمثل باقي الوظائف السلطانية.

الرسم البياني رقم : 07

رسم بياني بالأعمدة لأكثر المهن والوظائف ممارسة لدى علماء الحنابلة - القرنين 6 و7 هـ / 12 و 13 م



---

(1) كل وظيفة يقابلها على الرسم : 5ملم

- **والثالث**: هو الفقيه أسعد بن عثمان بن مرزوق المصري ثم البغدادي (ت٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)، اعتزل الناس وتفرغ للعبادة، ولم يكن يقبل من أحد شيئاً، ويتقوت من مال يرسل إليه من مصر كل عام، فيكفيه طول السنة[١].

- **والرابع**: الفقيه ضياء الدين بن عبد الملك الحموي ثم الدمشقي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) اعتزل المجتمع وخلا بنفسه للعبادة، ويأكل من مزروعات تصله من بلدة حوران ـ من بلاد الشام ـ إلى دمشق[٢].

- **والخامس**: الشيخ تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، أمضى حياته في الاشتغال بالعلم والعبادات، ولم تكن له وظيفة يتكسب منها، وليس له من الدنيا إلا الضروريات، يوفرها له أخوه لأمه التاجر أبو القاسم محمد بن خالد الحراني[٣] (ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م).

*** ومن علماء الحنابلة الذين عانوا الفقر والعوز[٤]:**

- الحافظ أبو الفضل ابن ناصر البغدادي (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، أقرأ

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٨٥ (ط ق).

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٢٣.

(٣) ابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٤١٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٤٥، (ط د الآفاق).

(٤) من أشهر العلماء الأعلام الذين عانوا من الفقر الفقيه ابن دقيق العيد المالكي ثم الشافعي (ت٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) كان في غالب في فاقة تلزمه الإضاقة، والاستدانة، وقد تفضي به إلى بذل ماء وجهه، حتى أنه أراد يوماً شراء شمعه فما وجد درهماً، ومن أسباب فقره كثرة أفراد أسرته، وكثرة شرائه للكتب، حتى أنه يستدين ليشتريها. ، ويبدو أن الفقر اضطره إلى تولي القضاء في آخر حياته. الأدفوي: الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، حققه سعد محمد حسن، مصر الدار المصرية للنشر، (١٩٦٦م)، ص٥٩٥، ٥٩٦.

الحديث النبوي مجاناً، ودرّس الشعر واللغة بالأجرة[1].

- **والثاني**: الفقيه عبد المنعم بن الصيقل الحراني ثم البغدادي (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) عاش حياة فقر مدقع، لكنه كان ورعاً عفيفاً[2].

- **والثالث**: المحدّث عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني البغدادي (ت٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) انقطع في بيته للعبادة، صابراً على فقره قانعاً من الدنيا باليسير، ولم يدخل فيما دخل فيه إخوته[3] في طلب المناصب.

- **والرابع**: الأديب عبد القاهر بن الفوطي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، كان فقيراً صاحب عيال ولم يكن مدخوله من وظيفته من ديوان العرض يكفيه[4].

- **والخامس**: المفسّر الصوفي إبراهيم بن أحمد الرقي ثم الدمشقي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) عاش منقطعاً في زاوية صابراً على مرّ العيش[5].

- **والسادس**: الحافظ الحسن علي بن النفيس الموصلي ثم الدمشقي (ت٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)، كان مع قلة ماله يشتري أجزاء الحديث، ويتحمل الجوع ويقنع بكسرة ويتعفف[6].

- **وآخرهم**: المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي، جمع أموالاً عندما تولى وظائف سلطانية، ثم افتقر عندما عزل منها لسوء

---

(١) محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٦٥، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٤١ ـ ٥٥٠هـ)، ص٤٠٩، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢٦.

(٢) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ١٨.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤١.

(٤) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٧٨.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٦) نفس المصدر ٢/ ٣٥٢.

سيرته، ولزم بيته خاملاً يعيش من صدقات الناس إلى أن توفي[1].

* **وفي علماء الحنابلة أغنياء كثيرون جمعوا بين العلم والمال،** منهم أربعة من أسرة بني المنجا الدمشقية[2]:

ـ **أولهم**: الفقيه عثمان بن أسعد ابن المنجا (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م) له ثروة طائلة، من محلات وعقارات، وبساتين وممتلكات أخرى[3].

ـ **والثاني**: صدر الدين أسعد ابن المنجا (ت٦٥٧هـ/١٢٥٩م) صاحب أموال وصدقات، تولّى نظر الجامع الأموي بدمشق، واستثمر له أموالاً كثيرة[4].

ـ **والثالث**: الفقيه زين الدين أبو البركات ابن المنجا (ت٦٩٥هـ/١٣٩٥م)، جمع بين العلم والعمل وصحة الذهن[5].

ـ **والرابع**: الفقيه وجيه الدين بن عثمان بن أسعد (ت٧٠١هـ/١٣٠١م)، له برّ وصدقات، وهيبة وجاه، تولّى نظر الجامع الأموي فأحسن فيه السيرة[6].

ـ **والخامس**: العالمة أمة اللطيف بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية (ت٦٥٣هـ/١٢٥٥م)، بَنَت مدرسة للحنابلة، وكانت لها أموال

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٠١ ـ ٦١٠هـ)، ص٣٦١.

(٢) عنها وعن باقي الأسر العلمية الحنبلية انظر: المبحث الخامس من الفصل الأول.

(٣) عثمان ابن المنجا: المصدر السابق ص٢١، ٢٢، ٢٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر ٥/٢١١، ٢١٢.

(٤) ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ٥/٢٨٨.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/٣٤٥.

(٦) الصفدي: المصدر السابق ٤/٩١، وفضل الله الصفاعي: المصدر السابق ص١٥٥، وابن رجب: المصدر السابق ٢/٣٤٧.

طائلة، وعندما توفيت وجدت لها ذخائر وجواهر ثمينة تقارب ٦٠٠ ألف درهم، ما عدا الأملاك والأوقاف[١].

ـ **والسادس**: الفقيه التاجر محمد بن خالد الحراني (ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م) أخ تقي الدين ابن تيمية لأمّه[٢].

* وأشير هنا إلى أنه يروى أن الأديب أبا محمد ابن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، كان ثرياً له دكان خلفه فيه ولده بعد وفاته، ثم تقول روايات أخرى أن ابن الخشاب ما تزوج ولم يتسر[٣]، فكيف يكون له ولد يرثه وهو ما تزوج ولا تسرى؟! وأغلب الظن أن الرجل لم يكن غنياً، ولا أسرة له؛ لأن في حياته قرائن تدل على ذلك، منها أنه لم يكن يجد المال الكافي لشراء الكتب حتى أنه رهن بيته لشراء كتاب، وأن ملابسه كانت متسخة، ومكتبته مبعثرة مليئة بالغبار وفضلات الطيور[٤]، فلو كان ثرياً ومتزوجاً هل يحدث له كل ذلك؟

*** وفي علماء الحنابلة الأغنياء من بالغ في التنعم بالدنيا.**

ـ **منهم**: المحدث عبد المنعم بن أبي الفتح الحراني ثم البغدادي المعروف بابن كليب (ت٥٩٦هـ/ ١٢٠٤م)، كان تاجراً صاحب ثروة كثير التمتع بالجواري، فيروى أنه اشترى ١٤٨ جارية[٥].

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٧٠، ١٧١، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٨٠، ٨١.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٤٥، (ط د الآفاق).

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٥٠٣، وابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، حققه حسن محمد الشماع، بغداد، دار الطباعة الحديثة، (١٩٩٦م)، ق٤، ١/ ١٩١، ٢٠٥.

(٤) انظر: ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢٠، ومبحث المكتبات من الفصل الثاني.

(٥) المنذري: المصدر السابق ٢/ ٢٠٥، واليافعي المكي: المصدر السابق ٣/ ٤٨٨، ابن العماد الحنبلي: ٤/ ٣٢٧.

ـ **والثاني**: المفسّر الواعظ زين الدين بن نجية الدمشقي ثم المصري (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، جمع أموالاً عظيمة من الملوك والخلفاء، وتنعم تنعماً زائداً، فبنى حماماً في داره بالقاهرة، وملك عشرين جارية حسناء، وتوسع في المآكل الفاخرة، لكنه أذهب أمواله في تمتعه الزائد وافتقر في آخر حياته، وضاق صدره من دَين عليه فلمّا سمع به أحد الملوك أرسل إليه ما يزيد على أربعة آلاف دينار مصرية[١].

ـ **والثالث**: هو الأديب العقاقيري أبو طاهر إسماعيل بن عمر بن شبيب الرومي المصري (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) كانت له أموال طائلة ومائة غلام ومائة جارية[٢].

*** وبعضهم كان فقيراً ثم تغير حاله وأصبح ثرياً.**

ـ **منهم**: الأديب أبو الأمانة جبرائيل بن صارم المصري ثم البغدادي (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، دخل بغداد معوزاً سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، ثم دخل في خدمة الخلافة العباسية، فمدح الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م)، وخرج في رسائل إلى الملوك فنَبُلَ قدره، وجمع الأموال، وحصّل الغلمان[٣].

ـ **والثاني**: المحدّث حنبل بن عبد الله البغدادي الرصافي (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)، كان فقيراً يعمل دلالاً في الأسواق، وتخصص في

---

(١) أبو شامة المقدسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، بيروت، دار الجيل، (د ت)، ٢/ ٢١، ٥٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣٩.

(٢) المقريزي: المقفى الكبير، حققه محمد اليعلاوي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ٢/ ١٠٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٩.

(٣) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٢، ٤/ ١٠٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢، ٣.

رواية مسند الإمام أحمد بن حنبل، فخرج إلى مدينة إربل بشمال العراق، ومنها استقدمه الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبي (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) إلى دمشق فأسمع أهلها المسند، فأعطوه ذهباً وأموالاً كثيرة، وعاد إلى بلده غنياً[١].

ـ **والثالث**: الفقيه الصوفي محمد اليونيني البعلي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٩م) كان له نفوذ وجاه لدى بعض الأمراء والملوك، فحصل منهم على ثراء كبير، ودنيا واسعة، ورفاهة عيش بعد فقر وعوز، وأصبح يقول: «أنا لي في بيت المال أكثر من هذا»[٢].

*** وأشير هنا إلى أن كثيراً من علماء الحنابلة الفقراء، والمحتاجين، والمتوسطي الحال، قد تحصنوا بسلاح الصبر والقناعة والزهد،** للتغلب على العوز ومغريات الدنيا وشهواتها، فكانت لهم عبادات، ومجاهدات، وأوراد زودتهم بطاقة روحية أشاعت فيهم الأمل، والطمأنينة، والرضى، والاجتهاد في العلم والعبادات.

ـ **منهم**: الفقيه أبو حكيم بن دينار النهرواني البغدادي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، كان من العلماء العاملين، كثير الصوم والأوراد، والصلاة في الليل، ومؤثر للخمول، وشديد التواضع[٣].

ـ **والثاني**: الفقيه سعد بن عثمان بن مرزوق المصري ثم البغدادي (ت٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)، انقطع عن الناس في رباط ببغداد، وكان خشن العيش غاية في المجاهدة والورع[٤].

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٢٣/ ٥٠، ابن العماد الحنبلي ٥/ ١٢.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٧١، ٢٧٢، اليونيني: المصدر السابق ٢/ ٤٤.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٩، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٧٨.

(٤) وكانت فيه كذلك وسوسة ومبالغة في الطهارة. ابن رجب، المصدر السابق ١/ ٣٨٦ (ط ق).

ـ **والثالث**: الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي، تفرغ للعلم، والصوم والصلاة، وفعل الخيرات، والإحسان إلى الناس[1].

ـ **والرابع**: الفقيه أبو عمر بن قدامة المقدسي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) لازم الأذكار والصيام، ولم يترك قيام الليل منذ شبوبيته، وإذا خرج مع قوم في الليل ناموا وبقي هو يحرسهم ويصلّي[2].

ـ **والخامس**: الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٠م)، لا شغل له إلا العلم والعبادة، يقرئ الناس طول النهار، ويصوم يوماً بيوم مع كثرة الدعاء والابتهال[3].

ـ **والسادس**: المحدّثة رابعة بنت أحمد بن قدامة الدمشقية (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) كانت كثيرة العبادات، ملازمة للصوم وقيام الليل[4].

ـ **والسابع**: الأديب تقي الدين بن أحمد الدمشقي الصالحي (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م)كان زاهداً متقللاً من الدنيا، ويقال أنه ليس في بيته أثاث، ولا طاسة، ولا فراش، ولا زبدية، ولا سراج[5]، وإن صحّت عنه هذه الأخبار فهي مبالغات لا مبرر لها شرعاً ولا عقلاً.

ـ **وآخرهم**: شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية لم يكن له من الدنيا

---

(١) أبو شامة: ذيل الروضتين ص٤٧، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٥٢، ٤٥٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٢.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق ص٧١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٥٣، وابن طولون: القلائد الجوهرية ٢/ ٤٢١.

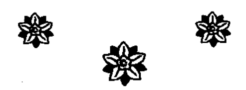
(٣) الذهبي: نفس المصدر ٢٢/ ٤٩، وابن طولون: نفس المصدر ٢/ ٣٣٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦١١ ـ ٦٢٠هـ)، ص٤٨٠.

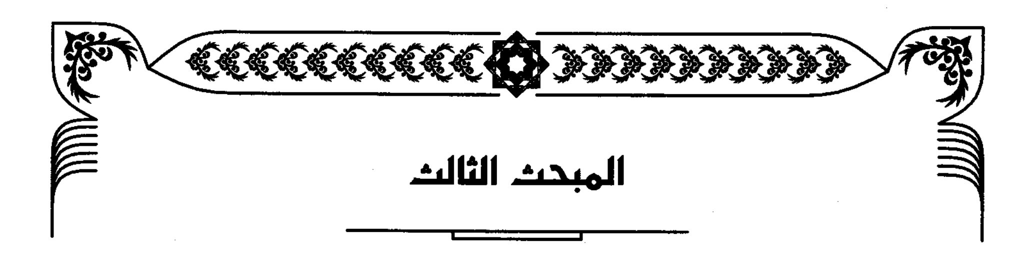
(٥) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٤٩، (ط د الآفاق).

إلا القليل، همته في العلم والعبادة[1].

* ويتبين مما ذكرناه عن التكسب عند علماء الحنابلة، (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أن فيهم من لم تكن له وظيفة ولا مهنة يرتزق منها، لكنه وطَّن نفسه على الصبر والقناعة باليسير. وأن منهم من كانت له دنيا واسعة بالغ في التمتع بملذاتها وشهواتها. وأن الكثير منهم قد جمعوا بين الاشتغال بالعلم والتكسب إدراكاً منهم أن الجمع بينهما هو الطريق الصحيح والأسلم، ليعولوا أسرهم ويحافظوا على كرامتهم ورسالتهم في المجتمع، فمارسوا وظائف وحِرفاً متنوعة، لكن أغلبهم امتهن النسخ والتجارة، على اختلاف تخصصاتهم العلمية.



(١) الذهبي: معجم محدثي الذهبي ص٢٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٩٠، ٣٩٥.



المبحث الثالث

التخصصات العلمية عند علماء الحنابلة

شارك علماء الحنابلة في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي (خلال القرنين: السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) مشاركة فعالة، في كثرة عددهم وتنوع تخصصاتهم العلمية، في عصر ازدهرت فيه المدارس والعلوم[١]، وكثر فيه أهل العلم الجامعين بين التخصص والموسوعية، فما هي مواقف العلماء من هاتين الظاهرتين؟ وما هي مظاهرهما عند علماء الحنابلة؟

۞ أولاً: مواقف العلماء من التخصص والموسوعية في العلوم:

يعتبر الفقيه عبد الرحمٰن ابن الجوزي من أكثر علماء الحنابلة دعوة إلى الموسوعية في العلوم، وعدم الاكتفاء بعلم واحد، ويرى أنه ينبغي على كلّ متخصص في علم ما أن يلم بباقي العلوم ويطالع منها طرفاً؛ لأن كلّ علم له تعلّق بآخر، وحثّ طالب الفقه على أن يأخذ من كل فن قسطاً؛ لأن الفقيه يحتاج إلى جميع العلوم[٢].

وبذلك يكون ابن الجوزي قد جعل الفقيه بمثابة عالم اجتماع يدرّس ويفتي في كلّ الظواهر، الاجتماعية والسياسة والاقتصادية

---

(١) عن ذلك انظر: الفصلين الثاني والخامس.

(٢) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٣١٠، ٤٣٨، ٤٣٩.

والعلمية، ودعاه إلى الإلمام بالعلوم الشرعية والإنسانية، ولفت انتباهه إلى أن كل العلوم لها علاقة فيما بينها.

وأخذ ابن الجوزي على طائفة من الفقهاء جَهْلها بالتاريخ، فذكر أن بعضهم قال: اجتمع الشبلي والقاضي شريك، وهذا عجيب كيف لم يدرك هذا القائل الفارق الزمني بين الرجلين(١)، وهو سبعون سنة(٢). وقبيح بالفقيه أن يقال له: ما معنى قول الرسول ﷺ في كذا... فلا يدري صحة الحديث، ولا معناه! ولا يليق كذلك بمحدّث يسأل عن حادثة فلا يعرفها، وقد شغله عنها جمع طرق الحديث(٣). ويقال ذلك لكل المشتغلين بالعلم المكتفين بتخصص واحد من قرّاء، ولغويين، ونحاة، وقد سئل إمام النحو في زمانه أبو محمد ابن الخشاب البغدادي الحنبلي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م) عن حكم رفع اليدين في الصلاة؟ فقال: هو ركن، فاندهش الحاضرون من قلة فقهه(٤)!

لذلك حثّ ابن الجوزي الطلاب على الأخذ من كل علم طرفاً، ثم الاهتمام بالفقه والنظر في مقصود العلوم، وهو المعاملة لله ﷻ والمعرفة به والحبّ له(٥). فهو إذاً يدعو إلى الجمع بين التخصص والمشاركة في العلوم وإعطاء الأفضلية للفقه وما يوصل إلى معرفة الله وحبه.

ويرى القاضي أبو بكر ابن العربي المغربي المالكي (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، أنه على طالب العلم أن يلم أولاً بعدة علوم؛ كالحساب،

---

(١) ابن الجوزي: نفسه ص٤٣٨.

(٢) لأن القاضي شريك بن عبد الله الكوفي توفي سنة (١٧٧هـ/ ٧٩٣م) والصوفي أبو بكر الشبلي ولد سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م). ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٢/ ٣٤٦ و٤/ ١٨٩، ١٩٠، (ط د).

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ص٤٤٠.

(٤) نفس المصدر ص٣١٠.

(٥) المصدر نفسه ص٣١٠.

وعلوم القرآن، والحديث، والطب، ثم يتخصص في علم منها؛ لأنه ليس المقصود من الاطلاع على العلوم بلوغ الغاية فيها[1]، وعليه ألا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون: «إنساناً في الذي يعلم، وبهيمة فيما لا يعلم، ولا سيما من أقام عمره حاسباً أو نحوياً فقد هلك»، بل عليه أن يهتم بما هو واجب في حقه، ويجعل الباقي تباعاً[2].

وأما الذي يعيب الجمع بين التخصص والمشاركة، ويدعوا إلى طلب كل العلوم فهو جاهل بها؛ لأن الإحاطة بها غير ممكنة والمشاركة فيها ممكنة[3].

وللأديب الطبيب عبد اللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، وجهة نظر مغايرة لما قاله ابن العربي وابن الجوزي، هي أنه على المتعلم أن لا يطلب علمين دفعة واحدة، بل عليه أن يتفرغ لعلم واحد ويواظب عليه سنة أو سنتين، وبعد الانتهاء منه يمكن الانتقال إلى غيره، مع الاهتمام بما تعلَّم بالمذاكرة والتفكر، ومباحثة الأقران[4].

وعلى العكس منه يرى الفقيه عبد الباسط العلموي المقدسي (ت٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) أنه على الطالب الذي له قدرات تؤهله للتحصيل أن لا يترك علماً نافعاً إلا نظر فيه، ثم يتوسع بعد ذلك في علم يتخصص فيه إن طالت حياته؛ لأن العمر «لا يتسع لجميع العلوم، فالحزم أن يأخذ الطالب من كل علم أحسنه»[5].

---

(١) يرى ابن العربي أن بلوغ الغاية في العلوم لا يصل إليها إلا الأفراد. العواصم من القواصم، حققه عمار طالبي، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (١٩٨١م)، ص٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٧.

(٢) نفسه ص٤٩٧.

(٣) نفسه.

(٤) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ٣/ ٣٤٢.

(٥) العلموي: المعين في أدب المفيد حققه شفيق زيغور، ط١ بيروت دار اقرأ =

* والطريقة العملية السليمة في التحصيل العلمي هي ما ذهب إليه ابن العربي وابن الجوزي والعلموي؛ لأن الطالب المبتدئ يجب أن تكون له أولاً نظرة عامة عن العلوم فيأخذ الضروري منها، ثم يتخصص ثانياً، والمرحلة الأولى هي التي تكون فيه قاعدة علمية عريضة وتظهر ميوله وطاقاته، ومن ثم العلم الذي يميل إليه ويرغب فيه. وأما طريقة عبد اللطيف البغدادي فهي ليست عملية وغير مجدية في غالب الأحيان؛ لأنها تحرم الطالب من النظرة الأولية العامة للعلوم التي تساعده على اختيار تخصصه المناسب له، وقد يمضي الطالب ـ على طريقة عبد اللطيف البغدادي ـ سنوات في طلب علم أو أكثر، ثم يتبين له أن كان من الأولى له أن يبدأ بعلم آخر.

وأما المؤرخ شمس الدين الذهبي فقد دافع عن التخصص من خلال انتقاده لظاهرة الموسوعية في العلوم، فيرى أن كثرة الاطلاع والتبحر تحول دون التمهر والإتقان لأي علم من العلوم، كما هو حال عبد الرحمٰن ابن الجوزي، الذي فرّق نفسه في بحور العلم[1].

ووافقه الأديب أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، حين أكد أن الموسوعي المشارك في العلوم هو صاحب نتاتيف ينظر في علوم كثيرة ولا يبلغ الإمامة في شيء منها، وقد قال العقلاء: «ازدحام العلوم مضلة للمفهوم»، لذلك كان من بلغ الإمامة من المتقدمين في علم من العلوم، لا يكاد يشتغل بغيره ولا ينسب إلا إليه[2].

= (١٩٨٦م)، ص١٣١، ١٣٢.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام: ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٣٠٠.

(٢) ابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، حققه محمد رشيد رضا بيروت دار العلم للجميع (١٩٧٢م)، ٢/ ١٣٤.

وأقول ـ تعقيباً على هؤلاء ـ: إن الغالب على المتبحرين في العلوم قلة الإبداع وضعف الإتقان؛ لأنهم فرّقوا جهودهم في معارف شتى، لكن ليس من الضروري أن تؤدي الموسوعية بكل من خاضها إلى نفس النتائج، فقد يوجد بعض الموهوبين من له قدرات فطرية خلّاقة، وله ظروف اجتماعية مشجعة على العلم، فيقبل عليه بقوة، ويتبحر في علوم كثيرة، ثم يتمهر ويختص في أكثر من علم مع الإتقان والإبداع.

كما أن المبالغة في التخصص دون الاطلاع العام على باقي العلوم، تضرّ بصاحبها وتوقعه فيما يعرف بأمية المتعلمين. والطريق الأنفع والأسلم هو أن يتلقى الطالب مبادئ العلوم الضرورية، من شرعية، واجتماعية، وطبيعية، وعقلية، ثم يتخصص في العلم الذي يميل إليه ويرغب فيه وله فيه قدرات، ثم له بعد ذلك أن يوسع مطالعاته إن كان يريد المزيد. كما أنه في إمكان الذي له ثقافة عامة أن يجتهد لكي يتمهر في علم له فيه قدرات، فيتقنه ويبدع فيه. ومع ذلك فإن المسألة تبقى نسبية حسب طاقات كل طالب ورغباته وظروفه في القدرة على الجمع بين التخصص والموسوعية.

❁ ثانياً: مظاهر التخصص والموسوعية عند علماء الحنابلة:

جمع كثير من علماء الحنابلة بين التخصص والمشاركة في العلوم.

*** منهم طائفة غلب عليها تخصص واحد مع ثقافة واسعة في معارف شتى، أذكر منهم سبعة:**

أولهم: أبو محمد ابن الخشاب البغدادي (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) كان إمام أهل زمانه في النحو واللغة، وله معرفة بالحديث، والمنطق والفلسفة، والحساب والهندسة، والتفسير والقراءات، والأنساب والفرائض، لكنه قليل البضاعة في الفقه، فقد سئل عن رفع اليدين في

الصلاة فقال: هو ركن فضحك الناس عليه[1].

والثاني: محمد بن عبد الباقي البغدادي المعروف بقاضي المارستان (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) برع في الهندسة والحساب وما يتصل به من جبر ومقابلة، وشارك في فنون أخرى كالفقه والحديث، مع ضعفٍ في النحو[2].

والثالث: الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، تخصص في علم الكلام، مع معرفة بالفقه والمنطق والفلسفة والجدل[3].

والرابع: أبو البقاء محب الدين العكبري البغدادي الضرير (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) تمهر في النحو والأدب، وله مشاركة قوية في الفقه والأصول، والفرائض والتفسير[4].

والخامس: هو الوزير عبد الله بن يونس البغدادي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) تخصص في علم الكلام وأصول الدين، مع اطلاع واسع على الفقه والحساب والهندسة[5].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٤٩٤، والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١٩٦٥م)، ٢/ ٢٩، وابن رجب البغدادي: المصدر السابق ١/ ٣١٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٢١.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ٢/ ٣٦٩، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١٩ (ط ق). واليافعي المكي: المصدر السابق ٣/ ٢٦٣.

(٣) الذهبي: العبر ٣/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩، والمختصر المحتاج إليه ص١٣٨، والصفدي: الوافي بالوفيات ٩/ ١٥٨.

(٤) ابن خلكان: المصدر السابق ٢/ ٢٨٦، والصفدي: نكت الهميان ص١٨، ١٧٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٦٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/ ١٤٢.

والسادس: الأمير شمس الدين محمد بن إسماعيل الشيباني (ت٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)، برع في الأدب وشارك في الحديث والتاريخ، والنحو واللغة(١).

وآخرهم: عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، تخصص في التاريخ والأنساب، مع ثقافة عامة في الفلسفة والأدب العربي والفارسي(٢).

*** ومنهم طائفة أتقنت علمين ولها مشاركة في علوم أخرى:**

منهم: موفّق الدين بن قدامة المقدسي تخصص في الفقه وعلم الخلاف وتمهر فيهما، مع مشاركة قوية في الحديث والتفسير، والنحو والحساب، والنجوم السيارة ومنازلها(٣).

والثاني: صدقة بن الحسين الحداد البغدادي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، برع في الفقه وعلم الكلام، وشارك في التاريخ والأدب والفرائض والحساب(٤).

والثالث: عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني (ت٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) تمهر في الحديث والتفسير، وتفنن في الفقه وعلوم أخرى نقلية وعقلية(٥).

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ١١، (ط د الآفاق).

(٢) الذهبي: معجم محدثي الذهبي ص١٠٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٧٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٨٩.

(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق ٤/ ١٤٤٧، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٢٠١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٤٥.

(٥) ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ٥/ ٣٠٥.

والرابع: جلال الدين عبد الجبار بن عبد الخالق البغدادي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) أتقن الفقه والتفسير، وشارك في الأدب والطب والوعظ[١].

وبرزت من بين علماء الحنابلة فئة أتقنت ثلاثة علوم فأكثر، ولها مشاركة قوية في فنون أخرى، منهم: ثلاثة من آل تيمية:

أولهم: أبو محمد عبد الحليم بن محمد ابن تيمية الحراني (ت٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) برع في الفقه والأصول والخلاف والحساب والهندسة، وله معرفة واسعة بالفلسفة وغيرها من علوم الأوائل[٢].

والثاني: مجد الدين أبو البركات ابن تيمية الحراني (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، أتقن العربية والحديث والقراءات والتفسير والحساب وما يتصل به من جبر ومقابلة، وكان رأساً في الفقه وأصوله حتى قيل عنه: ألين له الفقه كما ألين الحديد لداود عليه السلام[٣].

وآخرهم: تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، فاق كل آل تيمية بكثرة تخصصاته ومشاركته القوية في العلوم، فقد تمهر في الحديث والفقه والتفسير، وأحكم علم أصول الفقه، والفرائض والحساب وما يتصل به من جبر ومقابلة، وبرع في التاريخ وعلم الكلام والمنطق والفلسفة[٤].

*** ومنهم طائفة غلب عليها تخصصها العلمي، وضعفت ثقافتها العامة:**

منها: أبو منصور موهوب بن الجواليقي البغدادي (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، كان إماماً بارعاً في الأدب واللغة، وله حلقة لإقراء الأدب في

---

(١) ابن العماد: نفس المصدر ٥/ ٣٧٤.
(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤٠.
(٣) نفس المصدر ٢/ ٢٤٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٥٧، ٢٥٨.
(٤) نفس المصدر ٢/ ٣٨٩، ونفس المصدر ٦/ ٨٠، (ط د الآفاق).

جامع القصر ببغداد، وقد سئل يوماً ـ وهو مع طلبته ـ عن أبيات شعرية في علم النجوم فلم يعرف معناها، واعترف أمامهم بجهله لها واستحى منهم، ثم أخذ على نفسه ألا يجلس في حلقته حتى يقرأ علم النجوم، فلم يرجع إليها حتى طالعه[1].

والثاني: ناصح الإسلام أبو الفتح ابن المني البغدادي (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٧م) كان فقيه العراق وشيخ الحنابلة في زمانه، ما تزوج ولا تسرى، وصرف كلّ همته لعلم الفقه أصولاً وفروعاً، مذهباً وخلافاً، وإشغالاً واشتغالاً، وقصده طلاب الحنابلة من مختلف الأمصار[2].

والثالث: جمال الدين يوسف بن جامع البغداي الضرير (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) تخصص في ثلاثة علوم حتى أتقنها كلها هي: النحو والفرائض والقراءات[3].

والرابع: فخر الإسلام بن عبد الرحمٰن البعلي ثم الدمشقي (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) تفرغ لدراسة الفقه الحنبلي فروعاً وأصولاً حتى تمهر فيه، ولم يتفرغ لغيره من العلوم[4]. ومن هذه الطائفة سبعة من كبار علماء الحديث تخصصوا فيه وغلب عليهم، وامضوا حياتهم في تحصيله وتدريسه، حتى برعوا فيه وأتقنوه، هم: عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، وعبد القادر الرهاوي ثم الحراني، وأبو موسى بن عبد الغني المقدسي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، وعبد الغني بن نقطة البغدادي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، وتقي الدين بن محمد الصريفيني ثم الدمشقي (ت٥٤١هـ/ ١٢٤٣م)، والضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي

(١) ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٤٢٥.
(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٧٧.
(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٠١.
(٤) الذهبي: معجم محدثي الذهبي ص١٦١.

(ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وأبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)[١].

*** ومن بين علماء الحنابلة فئة لها مشاركة قوية في العلوم، لكنها لم تبلغ درجة التخصص المتقن المبدع:**

منها: تقي الدين طلحة بن غانم العلثي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، برع في الفقه والحديث، والتفسير والفرائض[٢].

والثاني: عبد الرحمٰن ابن الجوزي، كان عالماً بالتفسير والتاريخ، والفقه والحديث، وله مشاركة في الطب، وتدل مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة على مدى سعة ثقافته العامة[٣]، ويرى شمس الدين الذهبي أن ابن الجوزي ـ مع كثرة اطلاعه ـ لم يكن مبرزاً في علم من العلوم؛ لأنه فرّق نفسه في بحورها[٤]، لذا فهو متوسط في الفقه، وليس له في علم الحديث ذوق في الكلام على صحيحه وسقيمه، ولا له نقد الحفاظ المتقنين؛ لأنه كثير الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة[٥] من جهة وكثير الذكر لها في الأحاديث الموضوعات[٦] من جهة أخرى، والتحقيق في ذلك أنه

---

(١) عن هؤلاء السبعة انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٣، ١٣٨٨، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٩، ١٤١١، ١٤١٣، ١٤٤٣.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩٠، (ط ق).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٦، ١٣٤٧، وعبد الحميد العلوجي: مؤلفات ابن الجوزي ص٢٢٢ وما بعدها.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٩١ ـ ٦٠هـ)، ص٣٠٠.

(٥) الحديث الضعيف هو ما فقد شرطاً من شروط الحديث الحسن، وهي: العدالة، والضبط، واتصال الإسناد، والخلو من الشذوذ والعلة. انظر: محمد الزفزاف: التريف بالقرآن والحديث، ط٤، الكويت، مكتبة الفلاح (١٩٨٤م)، ص٢٥١، ومحمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث ص٤٥، ٦٢.

(٦) الحديث الموضوع هو الذي «طعن في راويه بالكذب فيه والاختراع له» محمد الزفزاف: المرجع السابق ص٢٦٢.

لا يحتج بها لأنها ضعيفة، ولا تذكر في الموضوعات لأنها ليست موضوعة[1].

والثالث: أبو بكر ابن الماريستانية البغدادي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، له اطلاع واسع على علوم كثيرة؛ كالحديث، والفلسفة والمنطق، وعلم النجوم، والطب[2].

والرابع: شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، له مشاركة قوية في الفقه والفرائض، والحساب والهيئة[3].

والخامس: إبراهيم بن أحمد الرقي ثم الدمشقي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، عني بالتفسير والفقه، وشارك في الطب وعلوم أخرى[4].

وآخرهم: شرف الدين بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، كان عالماً بالفقه والنحو، والأصلين والحساب، والتاريخ والفرائض، والعربية والحديث[5].

* **وأشير هنا إلى أن ظاهرة الموسوعية، لم تكن قاصرة على علماء الحنابلة دون غيرهم**، بل كانت منتشرة بين علماء كل الطوائف، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أذكر منهم خمسة:

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٣٠٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ٢/ ٣٣٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٣٩٨، والمختصر المحتاج إليه ص٢٣٠، وتاريخ الإسلام ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٣٩٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٤٣ (ط ق).

(٣) النعيمي: المصدر السابق ١/ ٧٥، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٧٦.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٥) ابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٤٠١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٧٦، ٧٧.

أولهم: الحسن بن الحظير الفارسي المعروف بالظهير (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) له معرفة بالقراءات والتفسير، والفقه والخلاف، وعلم الكلام والمنطق، والحساب والهيئة، والطب والنحو، والتاريخ واللغة، ويناظر أهلها فيها[١].

والثاني: وجيه الدين المبارك البغدادي الشافعي المعروف بابن الدهان (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م) تضلع في النحو واللغة، والصرف والعروض، والتفسير والفقه، والطب وعلوم الأوائل، ويقال أنه كان يتقن ثماني لغات[٢].

والثالث: الموفّق عبد اللطيف البغدادي، شارك في علوم كثيرة، منها اللغة والأدب، وعلوم القرآن، والحديث والطب، والفلسفة والأصول، لكنه كان يبالغ في مدح نفسه، ودعاويه أكثر من علومه، ويستنقص الفضلاء المتقدمين منهم والمتأخرين[٣].

والرابع: الطبيب علاء الدين ابن النفيس الدمشقي (ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، برع في الطب وانتهت إليه مشيخته بالديار المصرية، وكانت له معرفة بالفقه والأصول، والحديث والعربية، والمنطق[٤].

وآخرهم: الوزير جمال الدين بن يوسف القفطي ثم الحلبي (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، له ثقافة واسعة وشارك في علوم كثيرة، منها اللغة

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ٨٥٧، ٨٥٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٨٧.

(٣) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ٣/ ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، والسيوطي: بغية الوعاة ٢/ ١٠٦، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، حققه أبو الفضل إبراهيم، ط١ القاهرة دار إحياء الكتب العربية، (١٩٦٧م)، ١/ ٥٤١.

(٤) ابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٣٣٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٠١.

والفقه، وعلوم القران، والحديث والأصول، والمنطق والفلسفة، والتاريخ والهندسة، وعلم النجوم، وقد تفرغ للمطالعة والبحث، إذ لم يكن يحب في الدنيا إلا الكتب، ويقال أنه لم يكن يملك داراً ولا زوجة[١].

*** وأما عن أسباب كثرة انتشار الموسوعية بين العلماء على اختلاف مذاهبهم، فأهمها أربعة:**

أولها: طبيعة الحياة العلمية في المشرق الإسلامي، التي أعلت من شأن الحفظ والتبحر في فنون العلم[٢]، مما جعل الطلاب يرون أن العالم البارع هو الذي يحفظ كثيراً ويعرف علوماً شتى، فما عليهم إذاً إلا السعي لبلوغ ذلك.

والثاني: تداخل العلوم واختلاطها فيما بينها، فطالب الفقه مثلاً يجد نفسه مدفوعاً إلى معرفة أصول الفقه، وعلوم القرآن، والحديث النبوي، لكي يفتي في مختلف الظواهر الاجتماعية، بل وعليه أن يجتهد لقراءة علم الحساب لتقسيم الميراث، وأن يلم بطرف من علم النجوم، لتحديد أوقات الصلوات والمواسم ومطالع الشهور.

وكذلك طالب الفلسفة يجد نفسه أمام علوم عديدة، من منطق وطبيعيات، وفلك ورياضيات، وإلٰهيات؛ كما أن كلّ من العلوم الشرعية والعلوم العقلية قد تداخلت فيما بينها وامتزجت[٣]، فساهم هذا التداخل في انتشار الموسوعية.

والثالث: رغبات وميول بعض أهل العلم الذين لهم همم عالية

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/٢٣٦.

(٢) انظر: مبحث الاجتهاد في طلب العلم من هذا الفصل.

(٣) الذهبي: الأمصار ذوات الآثار، حققه قاسم علي سعد، ط١، بيروت، دار البشائر (١٩٨٦م)، ص٢٣٥.

وقدرات فطرية في الإقبال على العلم، فتجدهم يجتهدون ويكدون ليلاً ونهاراً لبلوغ الغاية في العلوم كما هو حال كبار العلماء. والسبب الأخير رغبة كثير من المشتغلين بالعلم في التفوق على الأقران والظهور أمام الناس بكثرة العلوم، فعندما سئل أبو منصور الجواليقي عن أبيات في علم النجوم ولم يعرفها استحى من الحاضرين معه ـ في حلقته ـ وأخذ على نفسه ألا يرجع إليها حتى يطالع علم النجوم، فلم يعد إليها حتى ألم به[١].

*** ويستنتج مما ذكرناه عن التخصصات العلمية عند علماء الحنابلة (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م):**

أن كثيراً منهم جمع بين التخصص والموسوعية، وبعضهم تمهر في أكثر من علمين وآخرون اكتفوا بالمشاركة في العلوم. وأن معظمهم أقبل على طلب علم الفقه، ثم الحديث ـ كما هو موضح (في الجدول رقم: ٨، والرسم البياني رقم: ٨)[٢].

ومنهما يتبين أن العلوم الشرعية[٣] قد مثلت (٦١,٢٧٪) من مجموع العلوم المدروسة. ثم تليها علوم الأوائل[٤] (بنسبة ٢٣,٠٣٦٪). ثم تأتي اللغة والأدب والتاريخ (بنسبة ١٦,٦٨٥٪). وهذه الأخيرة هي التي تحتل المرتبة الثانية في حقيقة الأمر لأنها تضم ثلاثة علوم فقط، مقابل علوم الأوائل المكونة من ستة علوم، وقد رفع نسبتها علم الحساب لأن له

---

(١) ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٢٥.

(٢) أقمتهما على إحصاءِ شمَل العلوم التي طلبها خمسون عالماً حنبلياً، فانتهيت إلى النتائج المبينة أعلاه، وهي وإن كانت تقريبية فإنها تعبر عن ظواهر علمية قريبة من الواقع.

(٣) لاحظ أنها ضمت ٧ علوم.

(٤) لاحظ أنها مكونة من ٦ علوم.

علاقة مباشرة بعلم الميراث، مما دفع علماء الحنابلة إلى الإقبال عليه.

كما يستنتج منهما ـ الجدول والرسم البياني ـ: أن الفقه هو أكثر العلوم جذباً لعلماء الحنابلة، إذ طلبه ثمانية وثلاثون من مجموع خمسين عالماً، ثم يليه علم الحديث، بثماني وعشرين مرة، ثم اللغة والحساب كل منهما بخمس عشرة مرة، وأما الفلسفة والمنطق فقد درسهما ثلاثة عشر عالماً، من مجموع خمسين عالماً، ثم يليهما علم النجوم والهندسة بست مرات، وآخرها علم الهيئة درسه عالمان فقط، مما يشير إلى أن علوم الأوائل لها مكانة دنيا عند علماء الحنابلة، مقابل علوم الشريعة التي أولوها اهتماماً كبيراً؛ لأنها هي التي تحكم المجتمع، والغالبة على المشتغلين بالعلم رجالاً ونساء.



جدول لأكثر العلوم طلباً لدى طلاب العلم الحنابلة[1]

(في القرنين: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ٠٨)

الشعب العلمية	الرمز	نوع العلم	عدد الكرارات	٪ لكل علم	٪ لكل شعبة
العلوم الشرعية	•	الفقه	٣٨	١٨,٦٢٧	٦١,٢٧
=	=	الحديث	٢٨	١٣,٧٢٥	=
=	+	أصول الدين، ع الكلام	١٤	٠٦,٨٦٢	=
=	-	أصول الفقه	١٣	٠٦,٣٧٢	=
=	×	التفسير	١٣	٠٦,٣٧٢	=
=	÷	علم الخلاف	١٠	٠٤,٩٠١	=
=	v	القراءات	٠٩	٤١١,٠٤	=
اللغة، الأدب، التاريخ	❋	اللغة	١٥	٣٥٢,٠٧	١٥,٦٨٥
=	ا	التاريخ	١١	٠٥,٣٩٢	=
=	.	الأدب	٠٦	٠٢,٩٤١	=
علوم الأوائل	•	الحساب والمقابلة	١٥	٠٧,٣٥٢	٢٣,٠٣٦
=	=	الفلسفة	١٣	٠٦,٣٥٢	=
=	+	علم النجوم	٠٦	٠٢,٩٤١	=
=	-	الهندسة	٠٦	٠٢,٩٤١	=
=	×	الطب	٠٥	٠٢,٤٥٠	=
=	÷	الهيئة	٠٢	٠,٩٨٠	=
المجموع	---	١٥ علماً	٢٠٤	نحو: ١٠٠٪	نحو: ١٠٠٪

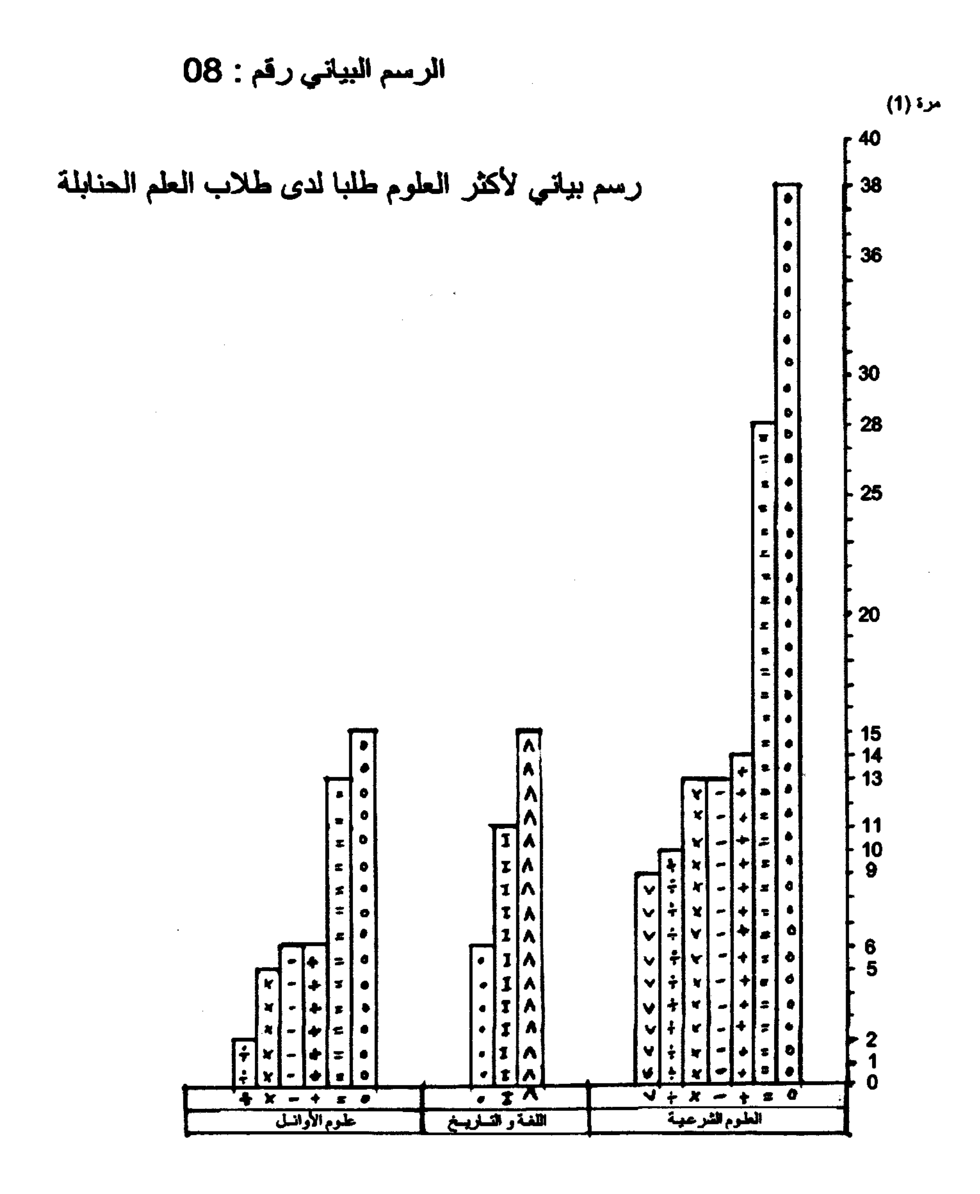
(١) المصادر: ابن رجب: المصدر السابق ١/١٢٦، ٢٣٢، ٣٩٠، ٤٣٤، ٤٤٩، و٢/٤٠، ٧٧، ٢١٥، ٢٤٩، ٣٠١، ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٧٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/٣٢، ٣٦، ١٦٩، ٢٤٥، ٢٧٧، ٢٩٣، ٣٣٦، ٤٣٨، ٥/٤١، ٦٨، ٨٩، ٣٠٥، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٦، و٦/٧، =

. . . .

= ١١، ١٣، ٦٧، ٧٧، ٨٠، ٨١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٢، ٢٩، ٣٦٧، والعبر ٣/ ١٥٢، ومعجم محدثي الذهبي: ص١٦١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧٣، ١٣٨٨، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٩، ١٤١١، ١٤١٣، ١٤٣٤، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٤٤٧/٤، ١٤٩٤، وابن خلكان: المصدر السابق ٢/ ٢٨٦ و٤/ ٤٢٥، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٥، ٤٥، ٢٥٧، واليافعي المكي: مرآة الجنان ٣/ ٢٦٣، ٤٨٨، والسبط ابن الجوزي: ٨/ ٣٢، ٢٥٦، وابن ناصر الدين: الرد والوافر ص١٠٩، وابن تغري بلدي: النجوم الزاهرة ٦/ ١٤٢.

الرسم البياني رقم : 08

رسم بياني لأكثر العلوم طلبا لدى طلاب العلم الحنابلة



---

(1) كل مرة يـقابلها على الرسم : 5 ملم



المبحث الرابع

نساء عالمات حنبليات

ذكر الفقيه عبد الرحمٰن ابن الجوزي أن النساء في زمانه أحوج إلى العلم من الرجال لأنهن معرضات عنه إلا القليل منهن[1].

فهل ما قاله يصدق على كلّ نساء الأمصار بالمشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أم هو خاص ببغداد وبزمنه هو فقط؟

وهل هو مبالغ فيما ذكره؟

وما هي أسباب إعراض المرأة عن العلم إن صحّ ما قاله؟

وللتوسع في الموضوع والإجابة عن هذه التساؤلات، قمت بإحصاء تقريبي[2] شمل عيّنة مكونة من واحد وخمسين عالمة حنبلية، انتهيت إلى نتائج هامة ـ.

منها: أن من بينهن خمس وأربعون امرأة طلبن علم الحديث، واثنتان فقيهتان، وست مقرئات للقرآن الكريم، ومفسّرة واحدة، وكاتبة، وواعظتان، فبلغ المجموع من حيث التخصص سبعة وخمسين من مجموع واحد وخمسين عالمة. وهذا يعني أن من بينهن من لها أكثر من تخصص.

ومنها ـ أي: النتائج ـ: أن أغلبهن دمشقيات بأربع وعشرين عالمة،

(١) ابن الجوزي: أحكام النساء، الجزائر، دار الشهاب (د ت)، ص٤.

(٢) انظر: الجدول رقم (٩)، والرسم البياني رقم (٩).

ثم البغداديات باثنتي عشرة، واثنتان حرانيتان، والباقيات من مدن أخرى متفرقة.

ومنها كذلك: أن علم الحديث قد غلب على العالمات الحنبليات، بفارق كبير بالمقارنة إلى العلوم الأخرى، وهذه الظاهرة لا تخصهن وحدهن، بل هي تشمل العالمات من الطوائف السُّنِّية الأخرى، فقد تبين لي من إحصاء قمت به[1] أنه من بين ثماني وأربعين عالمة ـ من غير الحنبليات ـ توجد سبع وأربعون محدّثة، واثنتان مقرئتان للقرآن، وثلاث فقيهات، وواعظتان، ومفسّرة، ونحوية[2].

ولعل السبب في إقبال معظمهن على الحديث، سهولته عليهن لأنهن تفرغن له رواية لا دراية، فكن من أوعيته لا من نقاده المحققين[3].



(١) مصادر هذا الإحصاء هي مع مصادر الإحصاء الأول الخاص بالنساء الحنبليات.

(٢) بذلك يبلغ مجوع تخصصاتهن ٥٦ تخصصاً من مجموع ٤٨ لأن لبعضهن أكثر من تخصص.

(٣) لم أعثر على عالمة عاشت (في القرنين ٦و ٧هـ/ ١٢، ١٣م). تمهرت في تحقيق الحديث ونقده إسناداً ومتناً.

جدول مقارن لإحدى وخمسين عالمة حنبلية(١)
حسب التخصص والأسر والبلدان

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ٠٩)

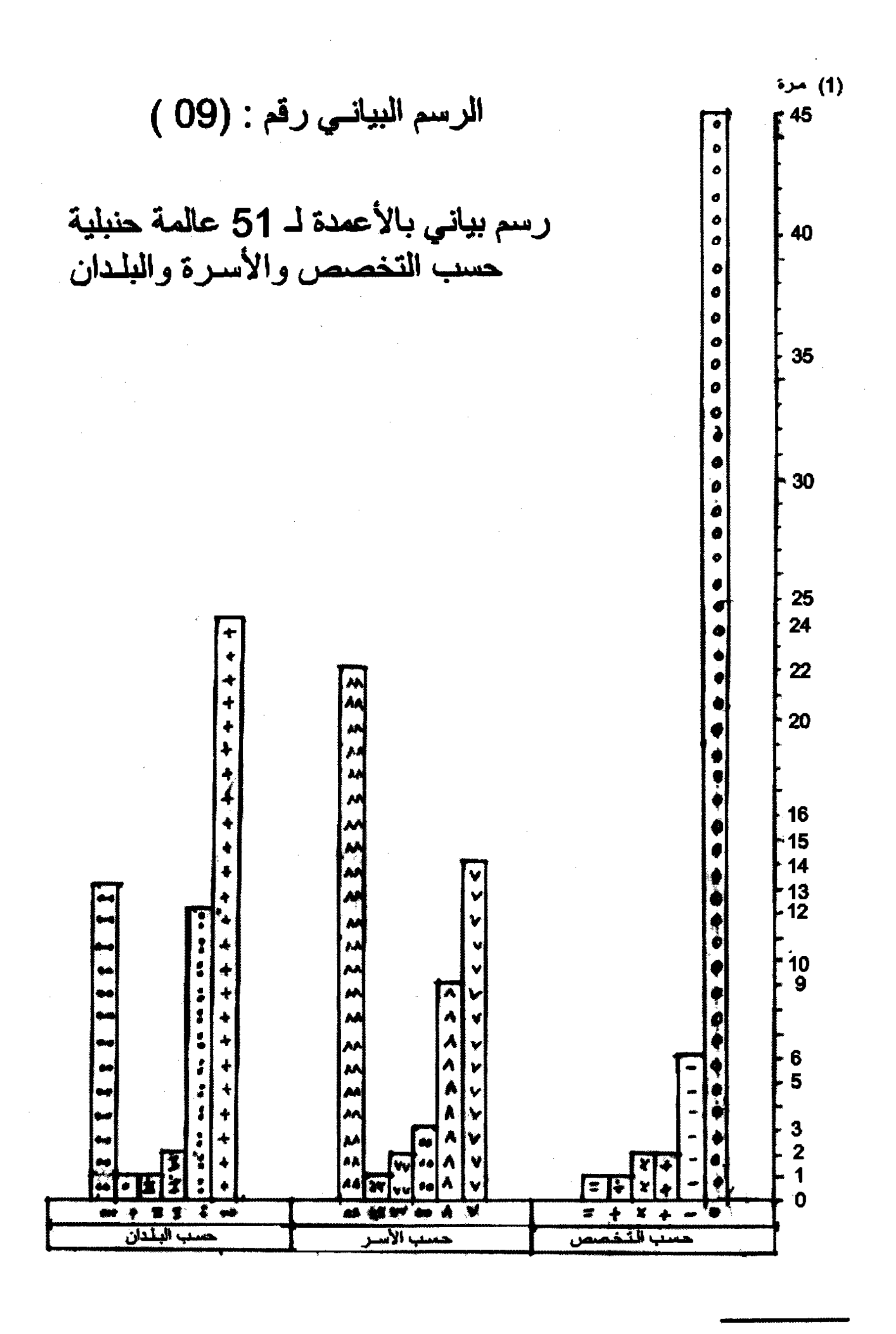
حسب التخصص	حسب التخصص	حسب التخصص	حسب الأسر	حسب الأسر	حسب الأسر	حسب البلدان	حسب البلدان	حسب البلدان
الرمز	العلم	العدد	الرمز	الأسرة	العدد	الرمز	البلد	العدد
•	حديث	٤٥	v	بنو قدامة	١٤	+	دمشق	٢٤
-	إقراء القرآن	٠٦	❀	سعديون، سروريون	٠٩	÷	بغداد	١٢
+	فقه	٠٢	••	بنو الحنبلي	٠٣	ا	حرّان	٠٢
×	وعظ	٠٢	vv	بنو راجح	٠٢	اا	همدان	٠١
÷	الكتابة	٠١	××	بنو المنجّا	٠١	.	مصر	٠١
=	تفسير	٠١	❀❀	أسر أخرى	٢٢	. - .	بلدان أخرى	١١
المجموع	-	٥٧(*)	المجموع	-	٥١	المجموع	-	٥١

(❀) بلغ المجموع ذلك العدد؛ لأن لبعض العالمات لهن أكثر من تخصص.

(١) المصادر: ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٦٩، ٧٠، ١٠٠، ١٢٣، ١٤١، ١٤٧، و٥/ ٢٤، ٢٥، ٤٢، ٢١٢، ٢٢١، ٢٥٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٣٨، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٤، و٦/ ٨، ١٧، ٢٠، ٧١، ١١٣، ١٢٦، ٣٥٤، والمنذري: المصدر السابق ٢/ ١٠٩، ٢٢٣، ٣٥٧، ٣٥٨، و٣/ ٢٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، و٤/ ٢٢٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٩٣، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٢، ٣٢١، و٢/ ٤٨، ١٩٣، ٢٤٤، ٢٤٥، والذهبي: العبر ٣/ ١٣٠، و٣٨٩، ومعجم شيوخ الذهبي، ص١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، وسير أعلام النبلاء ج: المفقود ص٢٢١، وتاريخ الإسلام ج: (٦١١ ـ ٦٢٠هـ)، =

. . . .

= ص٤٨٠، وج: (٦٢١ ـ ٦٣٠هـ)، ص٥٧، ٥٩، وج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص١٣٤، ٤٣١، ٤٣٣، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ١٤٣، و١٣/ ١٦٩، ١٧٠، و١٤/ ٤٢، ٧٩، ١١٤، ١٨٩، وابن طولون: القلائد ٢/ ٢٨٧، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، وابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ١٩٥، وعلم الدين البرزالي: مشيخة أبي بكر بن عبد الدائم ص٩٨، وناجي معروف: عالمات بغداديات ص٢٠، ٢١، والسبط: المصدر السابق ٨/ ٧٥، ١٢٦، ٣٥٢، وابن القاضي المكناسي: ذيل وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٨، وابن حجر العسقلاني: الدرر ٢/ ٥، و٣/ ١٢٥، ١٢٧، ٢٢٣، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٦، والصفدي: الوافي ٣/ ٣٨٧، و١١/ ٣٠٤، واليافعي: ٤/ ٢٣٢، وابن تغري بلدي: الدليل الشافي ١/ ٣١٢.



(1) كل مرة يُـقابلها على الرسـم : 5 ملم

ومن هؤلاء العالمات الحنبليات اللائي شملهن الإحصاء، خمس بغداديات:

أولهن: المحدّثة ستّ الناس زينب بنت عبد الوهاب بن الحسين الصابوني[1] (ت٥٨٨هـ/ ١١٨٨م).

والثانية: الفقيهة المحدّثة أمة الرحيم بنت عفيف بن المبارك الخياط (ت٦٢١هـ/ ١٢٢٤م)، سمّاها الذهبي سيدة العلماء، سمعت الحديث وأجازت للمقرئ كمال الدين بن الفويرة البغدادي الحنبلي (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، وروى عنها المؤرخ محب الدين ابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)[2].

والثالثة: المحدّثة آمنة بنت عبد العزيز بن الأخضر (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، روت الحديث عن الكاتبة شهدة فخر النساء البغدادية (ت٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) والمحدّث عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي البغدادي (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، وغيرهما من المحدّثين[3].

والرابعة: مسندة العراق عجيبة بنت محمد بن أبي غالب الباقداري الحنبلي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، هي من أسند شيوخ بغداد، سمَّعَها والدها الحديث، واستجاز لها من كبار الحفاظ، ولها مشيخة[4] في عشرة أجزاء[5].

---

(١) المنذري: المصدر السابق ١/ ٣٢٣.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٢١ ـ ٦٣٠هـ)، ص٥٧، وابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ١٩٥.

(٣) نفس المصدر ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص١٤٣.

(٤) عن معنى المشيخة انظر: المبحث الثاني من الفصل الخامس.

(٥) الذهبي: المصدر السابق ج: (٥٧١ ـ ٥٨٠هـ)، ص٢٥٢، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤٦ (ط ق)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٣٨.

والأخيرة: الفقيهة المحدّثة ستّ الملوك بنت علي بن الحسين الواسطية ثم البغدادية (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م) سمعت كثيراً من الحديث وروته، وأجاز لها المؤرخ أبو الحسن ابن القطيعي الحنبلي البغدادي[١] (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م).

* **ومن المحدّثات الهمذانيات**: عاتكة أم العلاء بنت الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني (ت٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، سمعت الحديث في بلدها، وأجازت للحافظ عبد العظيم المنذري المصري الشافعي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) من بغداد سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، ومن تلاميذها الذين أخذوا عنها الحديث الحافظ المؤرخ ابن الدبيثي البغدادي (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وهي من بيت مشهور بالعلم والرواية، أبوها وإخوتها محدّثون[٢].

* **وأما الدمشقيات**، فهن كثيرات، أذكر منهن ثلاث عشرة عالمة:

الأولى: رابعة بنت أحمد بن قدامة المقدسية الصالحية (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، حفظت القرآن الكريم وروت بالإجازة عن المحدّث أبي الفتح ابن البطي البغدادي (ت٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، وروى عنها الحافظان المقدسيان الضياء محمد (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، والفخر بن البخاري (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)[٣].

والثانية: ـ أخت السابقة ـ المحدّثة رقية بنت أحمد بن قدامة

---

(١) ابن رافع السلامي: المصدر السابق ص٢٤٢، والسيد فؤاد صالح: معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي الإسلامي ط١ بيروت دار العلم للملايين (١٩٩٠م)، ص١٥٨.

(٢) الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٣٩٧، وتاريخ الإسلام ج: (٦٠١ ـ ٦١٠هـ)، ص٣٣٢، وابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام، حققه بشار عواد، بغداد، دار الرشيد (١٩٧٩م)، ٢/ ٨٣، والمنذري: المصدر السابق ٤/ ٣٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦١١ ـ ٦٢٠هـ)، ص٤٨٠.

(ت٦٢١هـ/ ١٢٢٤م)، روت الحديث بالإجازة، وروى عنها حفيدها الفخر بن البخاري، وتعد مصدراً تاريخياً للمقادسة[١] في المواليد والوفيات[٢].

والثالثة: المقرئة المحدّثة آمنة بنت أبي عمر بن قدامة المقدسية (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) حفظت القرآن الكريم، وأقرأت البنات في دير الحنابلة[٣] بصالحية دمشق، وروى عنها الحديث أخوها شمس الدين، والفخر بن البخاري[٤].

والرابعة: آسية بنت الشهاب محمد بن خلف المقدسية الصالحية (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، حفظت كتاب الله، وسمعت الحديث وروته[٥].

والخامسة: المدرسة الحافظة آسية أم محمد بنت عبد الواحد المقدسية (ت٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) حفظت القرآن، ودرّست النساء وروت الحديث، وكانت كثيرة الصوم والصلاة[٦].

وأما السادسة: فهي الفقيهة أمة اللطيف بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)، عالمة ثرية، أنشأت مدرسة للحنابلة بدمشق، وهي التي أشارت على أخت صلاح الدين الأيوبي ربيعة خاتون (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) ببناء مدرسة للحنابلة بصالحية دمشق، ويروى أنها كانت مؤلفة لها مصنّفات، لم تذكر المصادر موضوعاتها ولا عناوينها[٧].

---

(١) عنهم انظر: مبحث الأسر العلمية الحنبلية، من هذا الفصل.
(٢) وكانت تفصل بين الناس في خصوماتهم، وتنكر على الرجال والنساء. الذهبي: المصدر السابق ج: (٦٢١ ـ ٦٣٠هـ)، ص٥٩.
(٣) عنه انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.
(٤) الذهبي: المصدر السابق ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٥٦.
(٥) نفس المصدر ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص١٤٣.
(٦) نفس المصدر ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٤٣١.
(٧) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٧٠، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٨٤.

والسابعة: المحدّثة المقرئة حبيبة بنت أبي عمر بن قدامة المقدسية (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) حفظت القرآن الكريم، ولقّنته للنساء في دير الحنابلة، وروت الحديث عن حنبل بن عبد الله، وأبي حفص بن طبرزد، وعبد الوهاب بن سكينة[١].

والثامنة: المفسّرة والدة الواعظ ابن نجية وبنت أبي الفرج عبد الواحد الدمشقية (ت ق٦/ ١٢م)، كانت عالمة بالتفسير تحفظ كتاب والدها الجواهر في تفسير القرآن في ثلاثين مجلداً[٢].

والتاسعة: هي الكاتبة المحدّثة أمة الكريم بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية (ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)، سمعت الحديث من والدها، وكتب عنها المحدّث إبراهيم بن الخباز الدمشقي الحنبلي، والحافظ علم الدين البرزالي الشافعي الدمشقي (ت٧٣٩هـ/ ١٢٣٨م)، وسمعت صحيح البخاري بمدينة إربل[٣].

والعاشرة: المقرئة المحدّثة خديجة بنت أحمد بن عبد الدائم المقدسية (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) لقنت النساء القرآن الكريم في دير الحنابلة، ولها إجازة من المحدّثة عفيفة الأصفهانية (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، ولم يوجد لها سماع عال رغم أنها ولدت سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) فكان في مقدورها السماع من ابن طبرزد (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، وأبي اليمن الكندي الدمشقي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م) ومن والدها المتوفى سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، لكنها تهاونت في الطلب[٤].

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات ١١/ ص٣٠٤.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٤٠ (ط ق)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٤١.

(٣) الصفدي: المصدر السابق ٩/ ٣٨٧.

(٤) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص١٨١.

والحادية عشرة: هي المسندة ستّ الوزراء وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا الدمشقية (ت٧١٦هـ/١٣١٦م)، روت صحيح البخاري ومسند الشافعي عدة مرات بدمشق ومصر، وكانت طويلة النفس على سماع الحديث، وهي خاتمة من روى عن والدها بالسماع[١].

وأما الثانية عشرة: فهي المحدّثة زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية (٦٤٦ ـ ٧٤٠هـ/١٢٤٨ ـ ١٣٣٩م) سمعت كثيراً من الحديث، وروت بالإجازة عن عجيبة الباقدارية البغدادية، وعن أبي الحجاج يوسف بن خليل، وروت كتباً كباراً، وتفرّدت بقدر وقر بعير من الأجزاء والإجازات، وتكاثر عليها طلبة الحديث، وقرؤوا عليها أكثر النهار[٢].

والأخيرة: هي الفقيهة المقرئة الواعظة أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية ثم المصرية (٦٣٤ ـ ٧١٤هـ/١٢٣٦ ـ ١٣١٤م)، أقرأت النساء القرآن الكريم، وحفظت أكثر كتاب المغني للموفق بن قدامة، وحضرت مجالس الشيخ تقي الدين ابن تيمية، واستفادت منه كثيراً، وكان هو يثني عليها، ويصفها بالفضل والعلم، ويستعد لها من كثرة أسئلتها[٣].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٨٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٢٦، وابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ٧٩، وابن تغري بلدي: الدليل الشافي ١/ ٣١٢، وابن حجر: الدرر الكامنة ٢/ ١٢٩.

(٢) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص١٩٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥٣، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤٨، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٣، وابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١١٧.

(٣) إلى جانب نشاطها العلمي، كانت تنكر على الصوفية مؤاخاتهم للنساء والمردان، وتنكر عليهم أحوالهم وبدعهم. ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ٤٢، وابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٢٢٦.

* **وأما بخصوص العالمات غير الحنبليات**[1]، فأذكر منهن طائفة:

أولهن: أم الخير فاطمة بنت علي بن دعبل البغدادية ثم النيسابورية (ت٥٣٢هـ/ ١١٣٧م)، لقنت النساء القرآن الكريم، وروت صحيح البخاري[2].

والثانية: الكاتبة الفقيهة شهدة بنت الإبري البغدادية (ت٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، لها مشاركة في كثير من العلوم؛ كالفقه والتفسير والحديث، وكانت لها مجالس لرواية الحديث[3].

والثالثة: المحدّثة عفيفة بنت أحمد الفارقانية[4] الأصفهانية (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، سمعت كثيراً من الحديث بأصفهان وبغداد، ولها إجازات عالية يقال أنها عن أكثر من ٥٠٠ شيخ من بغداد وأصفهان[5].

والرابعة: المحدّثة عائشة بنت أبي محمد بن عبد الواحد الأصفهانية (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) سمعت الحديث وروته، وأجازت للحافظ عبد العظيم المنذري من أصفهان سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م[6]).

والخامسة: المحدّثة جمال النساء بنت أحمد بن أبي سعد البغدادية (ت٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، سَمَّعَها والدها من شيوخ بغداد، وروت عنهم الحديث، وأجازت للحافظ أبي بكر بن عبد الدائم المقدسي (ت٧١٨هـ/

---

(١) اللواتي شملهن الإحصاء السابق الذكر.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٠٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٢٨٨، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٣٥٢، والذهبي: المختصر ص٣٩٤.

(٤) نسبة لقرية فارقان، وهي من قرى أصفهان. المنذري: المصدر السابق ٣/ ٣١٤.

(٥) المنذري: المصدر السابق ٣/ ٣١٣، ٣١٤، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٣٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٩، ٢٠.

(٦) المنذري: المصدر السابق ٣/ ٣٢٩.

١٣١٨م) وغيره من الحفاظ[1].

* **ويتبين مما تقدم ذكره** أنه ظهرت عالمات كثيرات ساهمن في تنشيط الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي، على اختلاف تخصصاتهن ومذاهبهن، وقد رحل الطلبة إلى بعضهن من مختلف الأمصار طلباً للعلم.

فلماذا إذاً قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) أن النساء في عصره معرضات عن العلم، إلا القليل منهن؟

لعله قصد جمهور نساء بغداد وليس خواصهن؛ لأنه قد استثناهن من حكمه، وقد يصدق قوله على بغداد في فترة من تاريخها قلّت فيها طالبات العلم.

ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الحافظ ابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، بلغ مجموع شيوخه ثلاثة آلاف شيخ من بينهم أربعمائة امرأة[2]. وعددهن هذا ليس بقليل يدل على كثرة النساء العالمات اللواتي كنّ زمنَ ابن الجوزي والقريبات منه، كما أنه يدل من جهة أخرى على الفارق الكبير بينهن وبين الرجال الذين بلغ مجموعهم ٢٦٠٠ شيخ أخذ عنهم ابن النجار العلم ويمثلون ما (نسبته ٨٦,٦٦٦٪) مقابل (١٣,٣٣٣٪) للنساء من مجموع شيوخه، الأمر الذي يبين أن نسبة انتشار التعليم بين الرجال أكبر من انتشاره بين النساء.

فما هي أسباب هذه الظاهرة؟

هي عند الباحث محمد منير سعد الدين: تتمثل في الظروف القاسية التي يعانيها الطالب المسلم في تحصيله للعلم، فهي التي أعاقت المرأة

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٤٣٣.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٦٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨.

المسلمة من الرحلة في طلب العلم، كما أن نظرة المجتمع لها كانت أسمى وأعلى من أن تسمح لها من أن تعرض نفسها لنصب العيش وشظف الحياة[1].

وهي عند المؤرخ أحمد شلبي محصورة في سببين رئيسيين:

أولهما: عدم سماح المجتمع للمرأة بتحمل مشاق الرحلة في تحصيل العلم.

وثانيهما: ضيق مجال تعليمها، فعليها أن تتعلم في البيت على يد والدها، أو أحد محارمها أو على يد معلم خاص.

وهاتان الوسيلتان لا تتيسران للجمهرة العظمى من النساء، عكس الرجل الذي كان مجال تعليمه واسعاً في الكتاتيب والمساجد[2].

وقول هذين الباحثين له جانب من الصحة لكنه لم يتناول الظاهرة من أساسها؛ لأن سببها العميق هو نظرة المجتمع لأدوار المرأة في الحياة، وحاجتها إلى التعليم والجدوى من تعليمها.

وقد أفصح ابن الجوزي عن ذلك بوضوح عندما قرر: إن المرأة مكلّفة كالرجل، يجب عليها طلب علم الواجبات يعلمها أبوها، أو أخوها، أو زوجها، أو محرمها، أو امرأة، فإن لم تجد تعلمت على أيدي الشيوخ من غير خلوة، وتقتصد قدر اللازم[3].

وقد سبق وأن ذكرنا عنه ـ أي: ابن الجوزي ـ أنه اشتكى من قلّة إقبال النساء على العلم، ثم ها هو هنا يضيق عليها مجال التعليم، ويحثّها على عدم التوسع فيه، والاقتصار على الضروري فقط.

---

(١) محمد منير سعد الدين: العلماء عند المسلمين، ومكانتهم في المجتمع ط١، بيروت دار المناهل، (١٩٩٢م)، ص٦٢.

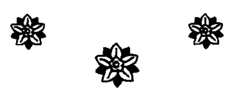
(٢) أحمد شلبي: المرجع السابق ص٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ص١٢.

وهذه نظرة ضيقة لا تشجع على توسيع مجال تعليم المرأة، وتفجير قدراتها العقلية، كما أنها لا تسمح بتوفير فرص التعليم لكلّ النساء.

لقد كان في مقدور المجتمع أن ينشئ مؤسسات تعليمية نسوية، في المدن والقرى، تلتحق بها النساء جماعياً بطريقة نظامية دون أن تضطر إلى تحمل مشاق الرحلة طلباً للعلم، لكنه ـ أي: المجتمع ـ لم يفعل ذلك، في حين بنى للرجال العشرات من المدارس المجهزة بمختلف المرافق المشجعة على العلم[1]؛ فنظرته هذه من عدم جدوى توسيع تعليم المرأة، هي التي جعلت الناس (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) يسمحون للنساء بالخروج إلى الأسواق، وحضور مجالس الغناء والرقص لدى الصوفية[2]، ولا يسعون إلى بناء مدارس لهن تتكفل بتربيتهن وتعليمهن جماعياً، ونحن لا ننكر أنه وجدت بعض الأماكن لتعليم المرأة؛ كدير الحنابلة والأربطة، لكن هذا الأمر لم يكن عاماً، ولا سياسة متبعة من قبل المجتمع والدولة، فإنهما لم يتكفلا بتعليم المرأة كما تكفلا بتعليم الرجل.

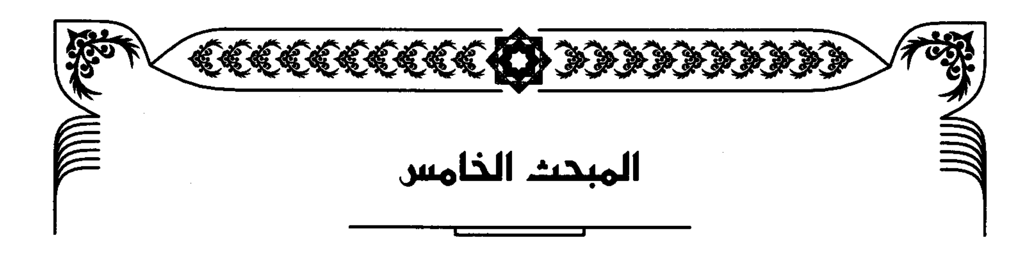
ويستنتج مما ذكرناه: أن (القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) قد شهدا حركة علمية نسوية نشطة، ساهمت فيها عالمات من مختلف الطوائف المذهبية، من بينهن حنبليات كثيرات كان لهن دور فعال في تنشيط الحياة العلمية عامة والنسوية خاصة، ومعظمهن ينتسبن إلى أسر عريقة في العلم والحنبلية؛ كبني المنجا، وبني الحنبلي، وبني قدامة.



---

(١) عن ذلك انظر: المؤسسات العلمية الحنبلية في الفصل الثاني.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ص٧٤.



المبحث الخامس

الأسر العلمية الحنبلية

برزت في التاريخ الإسلامي أسر توارثت العلم والمهن والمكانة، من الكُتَّاب والأطباء والفقهاء والقضاة[1]؛ من بينها أسر حنبلية عريقة في العلم، زاد عددها عن ثلاثة وعشرين أسرة، ظهرت في بغداد، وحرّان، ودمشق، وهمذان، وغيرها من مدن المشرق الإسلامي، أذكرها فيما يأتي حسب مواطنها، مبتدءاً ببغداد مركز الطائفة الحنبلية.

أولاً: في بغداد:

ظهرت في بغداد بيوت علمية حنبلية كثيرة أشهرها ثمانية:

أولها: بيت التميميين:

عرف بالفقه والحديث، والتقدم والرياسة، (خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ ١٠ ـ ١١م)، من أعلامه: الفقيه عبد العزيز بن الحارث التميمي (ت٣٧١هـ/ ٩٨١م)، وولداه عبد الواحد (ت٤١٠هـ/ ١٠١٩م)، وعبد الوهاب (ت٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، وحفيده المحدّث رزق الله ابن عبد الوهاب (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

(١) منها آل أثردي من الأطباء ببغداد وآل السمعاني بمرو وبغداد، وآل ابن عساكر من المحدثين بدمشق. شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ط١ بيروت، دار العلم للملايين (١٩٩٣م)، ص٨٣٣ وما بعدها.

وقد استمرت هذه الأسرة في العطاء العلمي أكثر من ١٥٠ سنة، ثم توقف عند آخر أفرادها الواعظ عبد الواحد بن رزق الله (ت٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م)، وبه خُتم بيته، ولم يعقب[١]. فلم يكتب لهذه الأسرة العريقة في العلم من ولوج القرن (السادس الهجري/ ١٢م).

والثاني: بيت بني الفراء:

مؤسسه شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء[٢] (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، عرف بالفقه والحديث، والقضاء والتأليف[٣]، استمر في نشاطه العلمي نحو قرنين من الزمن. (انظر: الشكل رقم: ٢).

وأثرى التراث العلمي الحنبلي بمصنفات لها مكانة معتبرة عند الحنابلة، منها: «المعتمد في أصول الدين» لأبي يعلى الفراء، و«المفردات في الفقه»، و«طبقات الأصحاب»، لأبي الحسين بن أبي يعلى[٤].

ومن أعلام هذه الأسرة بعد هذين الأخيرين: الفقيه أبو حازم محمد، وابنه القاضي عماد الدين، ، وحفيده الفقيه المظفر أبو منصور. (انظر: الشكل رقم: ٢).

---

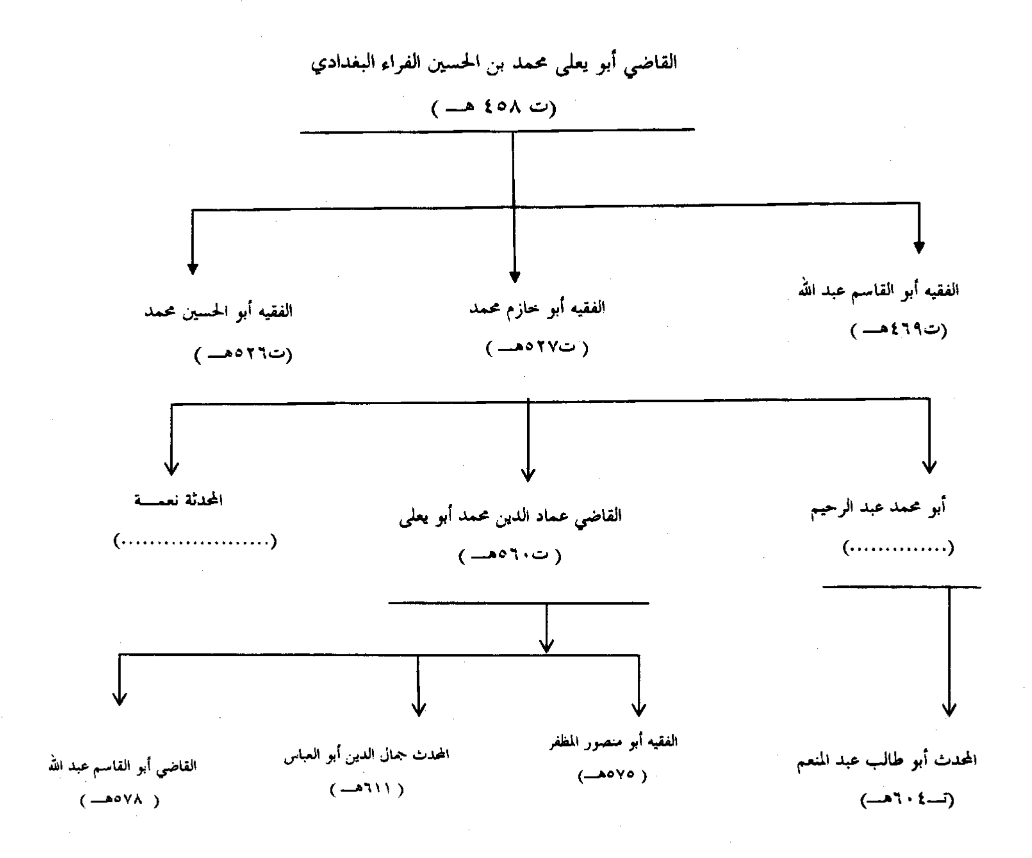
(١) أبو الحسين ابن أبي يعلى: المصدر السابق ٢/١٨٨، وابن كثير: المصدر السابق ٦/٣٥٨، ٦٣٠، (ط د) المعرفة، وابن رجب: المصدر السابق ١/٩٦، ١٠٧، (ط د).

(٢) كان والده الحسين بن محمد بن خلف، حنفي المذهب. ابن أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، حققه عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢ بيروت مؤسسة الرسالة (١٩٩٣م)، ٢/١٢٨، ١٢٩.

(٣) المنذري: المصدر السابق ٣/٢٠٩ و٤/٢٢١، ٢٢٢.

(٤) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/٧٩، وعن باقي تراث الأسرة العلمي انظر: الفصل الخامس.

شجرة نسب آل الفراء البغداديين [1]



الشكل: ٠٢

---

١ - المصادر: منها : المنذري : المصدر السابق، ج:٣، ص: ٢٠٨، ج:٤، ص: ١٢١، ١٢٢، والذهبي، المختصر المحتاج إليه، ص: ٢٢٨، وابن كثير، المصدر السابق، ج:٦، ص: ٥٥٧، وابن رجب، المصدر السابق، ج:١، ص: ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ج:٢، ص: ٧٦، وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٤، ص: ٧٩، ٨٢، ١٩٠، و ج:٥، ص: ٤٤ . و العليمي : المصدر السابق، ج:٢، ص: ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٨٣.

والثالث: بيت ابن البناء:

نسبة للفقيه أبي علي ابن البناء (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، له ولدان عالمان هما: الفقيه أبو نصر محمد (ت٥١٠هـ/ ١١١٦م)، والمدرّس أبو عبد الله يحيى (ت٥٣١هـ/ ١١٣٦م).

ولهذا البيت مساهمة كبيرة في إثراء المكتبة الحنبلية بكثير من المصنفات، وقد قاربت مؤلفات أبي علي الخمسمائة كتاب[١]، كما كانت له ـ أي: أبو علي ـ حلقتان للتدريس في جامعي القصر والمنصور، خلفه فيها ـ بعد وفاته ـ ولده أبو نصر محمد[٢].

ويبدو أن هذه الأسرة توقف عطاؤها العلمي بعد أبي عبد الله يحيى، إذ لم أعثر على أي عالم آخر انتسب إليها.

وأما الرابع: فهو بيت آل شافع[٣]:

مؤسسه الفقيه شافع بن صالح بن حاتم الجيلي البغدادي (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، واشتهر بالحديث والفقه والعدالة، وينسب إليه مسجد ببغداد يعرف بمسجد ابن شافع.

ومن أعلامه الفقيه أبو المعالي صالح بن شافع، وابنه المحدّث المؤرخ أبو الفضل أحمد صاحب كتاب تاريخ بغداد[٤]، ومجالس قراءة الحديث النبوي زمن الوزير عون الدين بن هبيرة[٥]، وآخرهم المحدّث فخر الدين محمد. (انظر: الشكل رقم: ٣).

---

(١) سبق ذكر بعضها في التمهيد.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢٧، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٨، ٢٩.

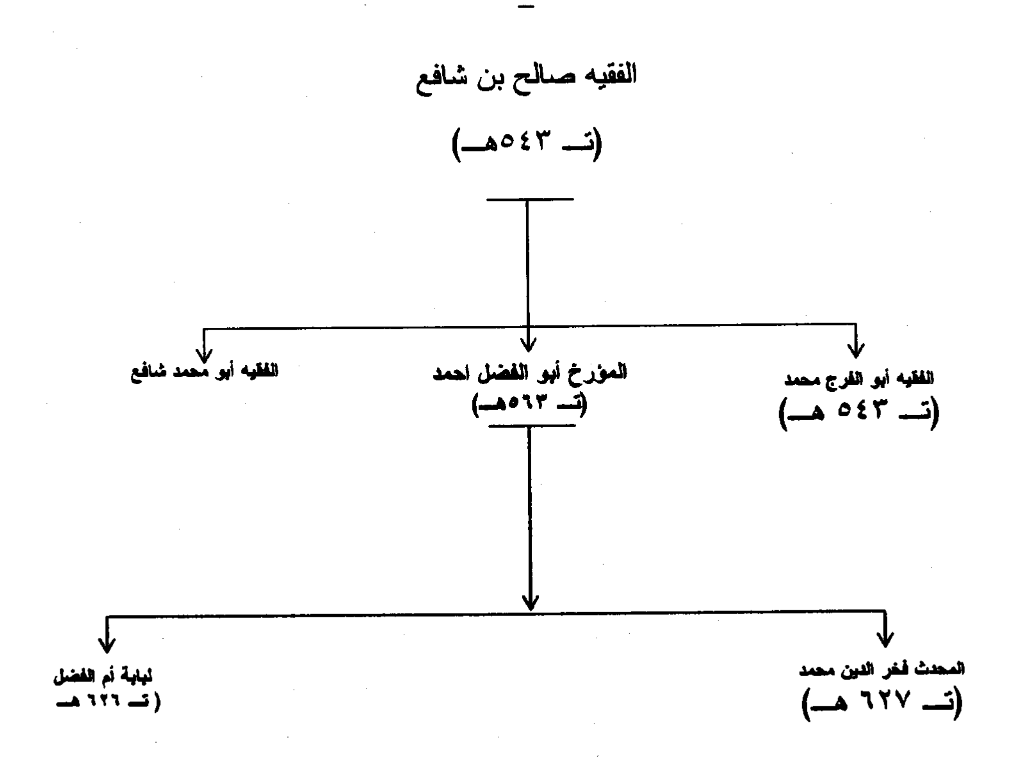
(٣) انظر: الشكل رقم (٣).

(٤) انظر: المبحث الخامس من الفصل الخامس.

(٥) عنها انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

شجرة نسب آل شافع[1]

الفقيه شافع بن صالح(ت٤٨٠)



الشكل: ٠٣

---

١ – المصادر : منها ابن رجب : الذيل ، ج: ٧، ص: ٢١٣، ٢١٤. وج:٢، ص: ٧٥. وابن خلكان، المصدر السابق،ج:٦، ص: ٢٣٠ و الذهبي تاريخ الإسلام، ج:٦١١- ٦٢٠هـ، ص: ٤٧٥. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٤، ص: ١٥٧، ١٩٢ . و ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد ، ج ١، ص: ١٥٧، ٢٩٢ .

والخامس: بيت آل هبيرة[1]:

معروف بالعلم والأدب والتقدم، في مقدمة أفراده: الوزير الفقيه عون الدين بن هبيرة الشيباني، اشتهر بين الناس بالعدل والعلم والحزم، كانت له في أيامه مجالس علم عامرة يحضرها العلماء والأعيان والعوام[2]، وله مصنفات عديدة منها: الإفصاح عن المعاني الصحاح، والعبادات في مذهب أحمد[3]، وله أبناء. أدباء شعراء (انظر: الشكل رقم: ٤) ذكرهم العماد الكاتب (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في الخريدة[4]، ومن أحفاده الأديب أبو الفتح بن ظفر (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، وقد ضعف النشاط العلمي لأسرته لنكبة حلّت بها بعد وفاته هو مباشرة سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[5].

والسادس: بيت الشيخ عبد القادر الجيلاني[6]:

معروف بالعلم والتصوف، مؤسسه الفقيه الصوفي عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، الذي تفرغ للعلم والتربية، واتخذ من مدرسته ورباطه مقراً له، فقصده الطلاب والمريدون من مختلف الأمصار، وله مصنفات في التصوف والوعظ منها: «الغنية لطالبي الحق»، و«فتوح الغيب»[7]، بعد وفاته خلفه أولاده

---

(١) انظر: الشكل رقم (٤).
(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣١٤.
(٣) ابن خلكان: المصدر السابق ٦/ ٢٣٠، وابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ٤/ ١٩١، ١٩٢.
(٤) ١/ ١٠١ وما بعدها.
(٥) عندما توفي نكل خصومه في الدولة بأسرته. ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢١٨، ٢٢٠.
(٦) انظر: الشكل رقم (٥).
(٧) ابن كثير: المصدر السابق ٦/ ٧٩٨، (ط د) المعرفة.

وأحفاده. في إدارة مدرسته ورباطه[1] (انظر: الشكل رقم: ٥)، ومن أبنائه النجباء الفقيه أبو بكر عبد الرزاق، والفقيه أبو محمد عبد الوهاب، ومن أحفاده المشهورين قاضي القضاة عماد الدين نصر بن عبد الرزّاق[2].

والسابع: بيت ابن الجوزي:

مشهور بالعلم والتقدم وذائع الصيت في العراق، مؤسسه الفقيه المؤرخ عبد الرحمٰن ابن الجوزي، له مشاركة قوية في العلوم، وزادت مصنفاته عن ٣٥٠ كتاباً[3]، وأشهر أولاده. الفقيه محيي الدين يوسف (انظر: الشكل رقم: ٦)، تولّى مناصب في الدولة العباسية منها: الحسبة، وأستاذ دار الخلافة، ودرّس للحنابلة في المستنصرية، والبشيرية، والشاطئية[4] هو وأبناؤه الثلاثة: جمال الدين وشرف الدين وتاج الدين[5]، لكن أسرته لم تستمر في نشاطها العلمي طويلاً؛ لأن المغول نكبوها في واقعة بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، قتلوه هو وأولاده الثلاثة[6].

---

(١) عنهما انظر: مبحث المدارس من الفصل الثاني.

(٢) انظر: الشكل رقم (٥).

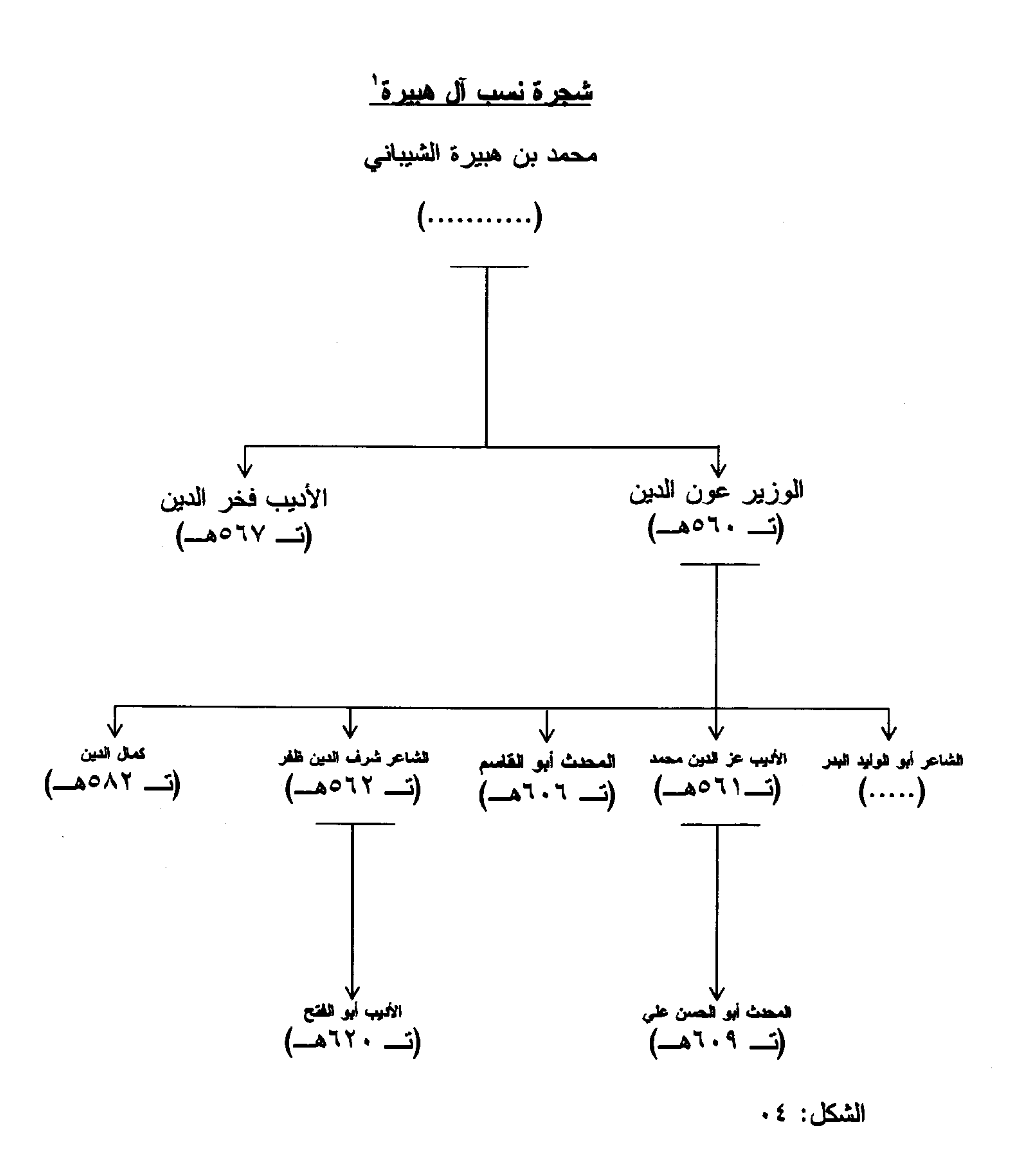
(٣) عنها انظر: المبحث الأول من الفصل الخامس.

(٤) عن هذه المدارس انظر: مبحث المدارس من الفصل الثاني.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/٢٥٩، ٢٥٢.

(٦) ذلك هو المشهور عن هؤلاء، انظر: مثلاً: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٥، واليونيني: المصدر السابق ١/٣٤٠، ٣٤١، وابن كثير: المصدر السابق ٢١١/١٣. لكن مؤرخ المغول رشيد الدين ذكر أن المغول لم يقتلوا شرف الدين، وإنما أخذوه معهم عندما غادروا بغداد، ولم يذكر مصيره. جامع التواريخ: ق٢، ١/٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩٦.

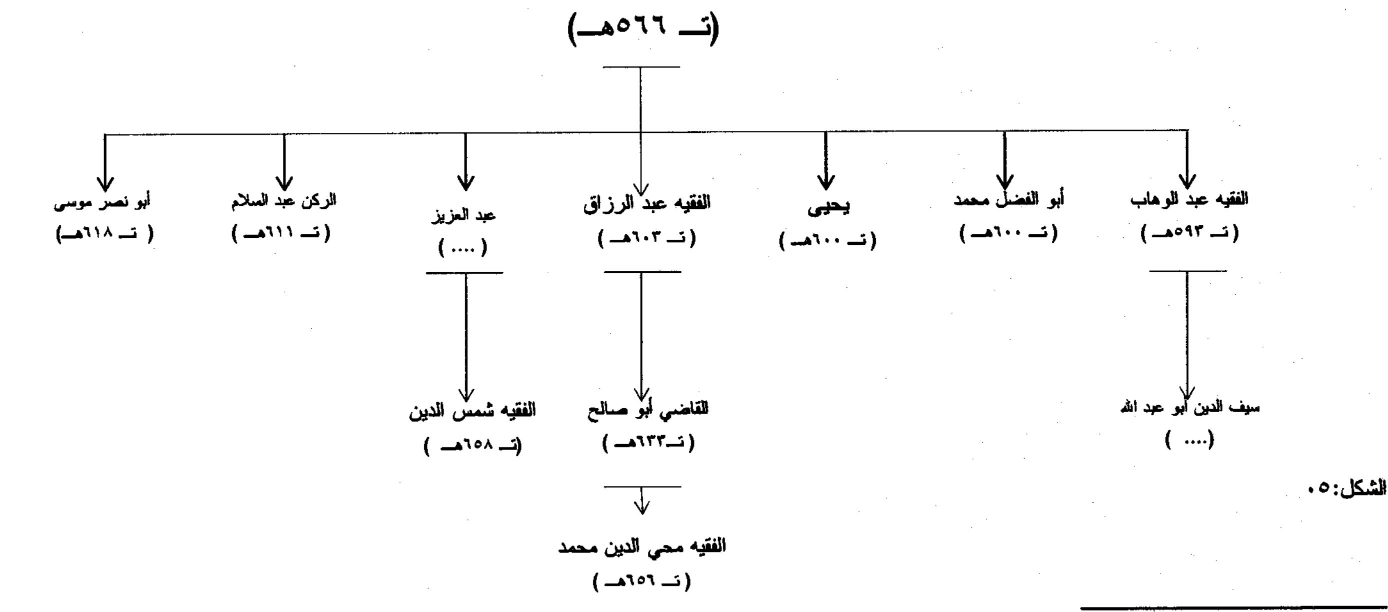
شجرة نسب آل هبيرة[1]



الشكل: ٠٤

١ - المصادر منها: سبط بن الجوزي، المصدر السابق، ج:٨ ص: ٣٨٧ . وابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص:٢٠٦، ٢٣١، ٢٣٢. والعماد الكاتب، خريدة القصر، ج:١، ص: ١٠١، ١٠٢. وابن النجار، المصدر السابق، ج:١٩، ص: ٨٧. وابن الفوطي، المصدر السابق، ق:٣، ج:٤، ص: ٤١٦. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج:٦١١-٦٢٠هج ص: ٤٧٥ . والعليمي، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٣١٣. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٤، ص: ١٩١.و المنذري: المصدر السابق ، ج : ٣ ص: ٣٨٧، ج ٤ ص: ١٨ .

شجرة نسب آل عبد القادر الجيلاني[1]

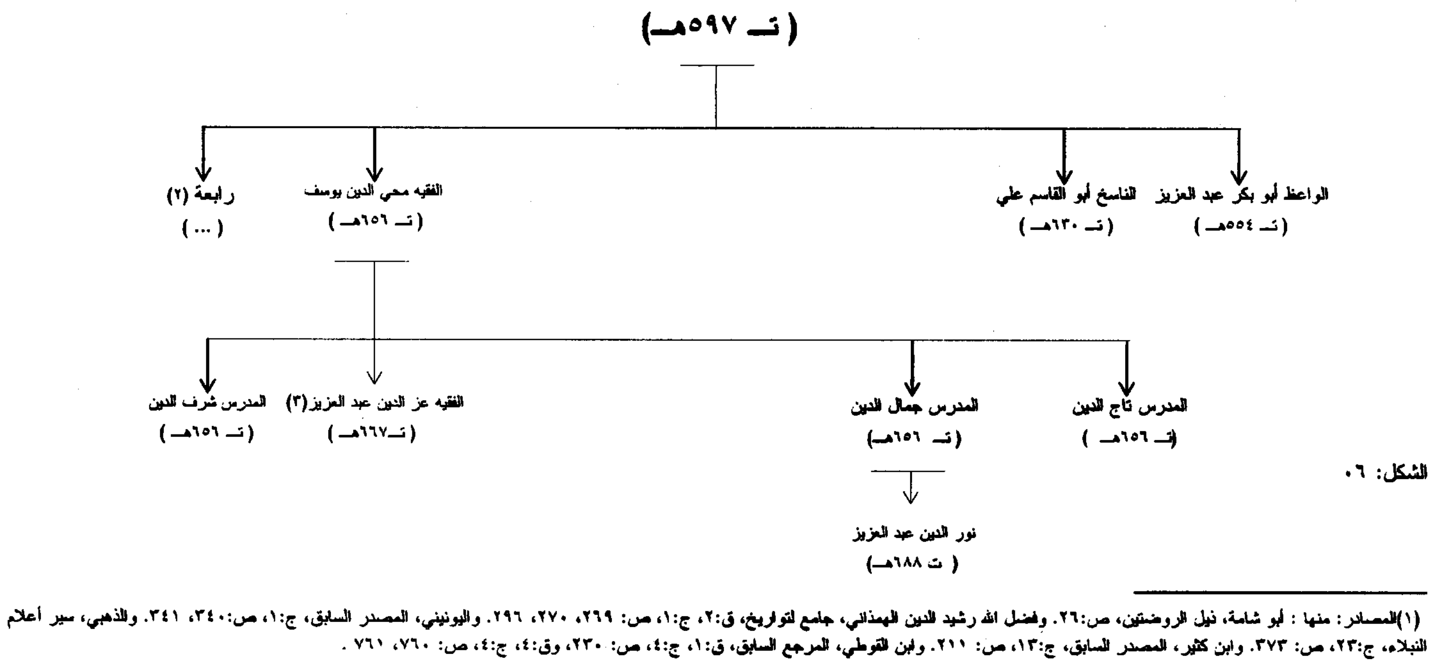


الشكل:٠٥.

---

[1] — المصادر، منها:: الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج:٢٢، ص:١٦، ٥٦، ١٢٤، وتاريخ الإسلام، ج:٥٩١- ٦٠٠هج ، ص:٤٧٧ ،ج:٦١١-٦٢٠هج ص:،٤٣١، ٤٣٢، والمختصر المحتاج إليه، ص:٣٨٢، وابن رجب البغدادي، المصدر السابق، ج:١، ص: ٣٨٨، ج:٢، ص:٤٢، ١٨٩. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٩، ٨٢، ٨٣، ٢٨٤.

شجرة نسب آل ابن الجوزي[1]



الشكل: ٠٦

(١)المصادر: منها : أبو شامة، ذيل الروضتين، ص:٢٦. وفضل الله رشيد الدين الهمذاني، جامع لتواريخ، ق:٢، ج:١، ص: ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩٦. واليونيني، المصدر السابق، ج:١، ص:٣٤٠، ٣٤١. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج:٢٣، ص: ٣٧٣. وابن كثير، المصدر السابق، ج:١٣، ص: ٢١١. وابن الفوطي، المرجع السابق، ق:١، ج:٤، ص: ٢٣٠، وق:٤، ج:٤، ص: ٧٦٠، ٧٦١ .

(٢) لابن الجوزي أربع بنات منهم رابعة، ولم اتعرّف على أسماء الباقيات، أبو شامة، المصدر السابق، ص:٢٦. والذهبي، المصدر السابق، ج:٢١، ص: ٣٨٤.

(٣) ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب، ق:١، ج:٤، ص: ٢٣١، ولم اعثر له على ذكر في المصادر الأخرى.

وآخرها: بيت طلحة العلثي[1]:

نسبة للفقيه المفسّر تقي الدين طلحة بن مظفر العلثي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، له زاوية وأتباع كثيرون يشرف عليهم، وله ثلاثة أولاد كلّهم محدّثون هم: عبد الرحمٰن، ومظفر، ومكارم[2]. وهذا بيت صغير لم أعثر له على إنتاج علمي، ولا على أفراد آخرين من المشتغلين بالعلم.

* **وأشير هنا إلى أن علماء الحنابلة البغداديين المنتسبين إلى الأسرتين العلوية والعباسية** قليل جداً، إذ لم أعثر على من ينتسب منهم إلى العلويين إلّا على اثنين فقط، واحد متفق على حنبليته، والآخر مختلف فيها:

الأول: هو المقرئ الفقيه أبو الحسن علي بن ما شاء الله العلوي الحسيني المعروف بابن الجصاص[3] (ت٦٤٢هـ/ ١٢٤٦م).

والثاني: الفقيه تاج العارفين أبو الوفاء محمد بن محمد العلوي الحسيني (ت٥٠١هـ/ ١١٠٧م) اختلف في مذهبه، أهو حنبلي، أم شافعي؟ والتحقيق في الأمر أنه هو شخصياً لم يذكر لنفسه مذهباً، وله شيوخ من الحنابلة والشافعية، ولم يترجم له ابن رجب الحنبلي في كتابه «الذيل على طبقات الحنابلة»، لاضطراب أمره، لكن مجير الدين العليمي ترجم له في كتابه «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»، وترجّح لديه أنه حنبلي؛ لأن كبار علماء الحنابلة اعتنوا بأمره وبالغوا في الثناء عليه، وذكروا له مناقب لم يذكرها عنه أحد من الشافعية، ولأن من تلاميذه الصوفي الحنبلي جاكير محمد بن دشم الكردي[4] (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٣م).

---

(١) نسبة لقرية العلث، من قرى ضواحي بغداد. ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣١٣.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣١٣.

(٣) العليمي: المنهج الأحمد ٢/ ١٨٦.

(٤) نفسه ٢/ ١٨٦.

* **وأما عن علماء الحنابلة من البيت العباسي** فهم أكثر عدداً من العلويين، منهم: شيخ الحنابلة أبو جعفر بن أبي موسى (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، والفقيه الأديب أبو علي الحسن بن جعفر (ت٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)، والأديب الخطيب أبو المظفر محمد بن أحمد (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، والفقيه الخطيب أبو العباس أحمد بن أكمل بن مسعود[١] (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م).

* **ويستنتج مما ذكرناه عن أشهر الأسر العلمية الحنبلية في بغداد،** أن معظمها لم يعمر طويلاً، ولم يبرز فيها علماء كبار كثيرون، ما عدا أسرة ابن الجوزي، فهي وإن لم تستمر طويلاً في نشاطها العلمي فإن كبيرها عبد الرحمٰن ابن الجوزي قد خلَّد اسمها بإنتاجه العلمي الغزير الذي ما يزال الناس ينتفعون به إلى اليوم. وأما بيت عبد القادر الجيلاني فإن ذريته ما تزال تشرف على مدرسته إلى وقتنا الحاضر[٢].

ثانياً: في حرّان:

تعد أسرة آل تيمية أشهر الأسر العلمية الحنبلية بمدينة حرّان.

عرفت بالفقه والحديث، والخطابة ومشاركتها القوية في مختلف العلوم، وقد برز فيها أعلام كبار. (انظر: الشكل رقم: ٧)، ساهموا بفاعلية في ازدهار الحياة العلمية بحرّان، وتولوا إمامة وخطابة جامع حرّان، وأثروا المكتبة الإسلامية عامة والحنبلية خاصة بمؤلفات قَيِّمة كـ«منتقى الأخبار»، و«المحرر في الفقه»، و«المسودة في أصول الفقه»، و«منهاج السُّنَّة النبوية»، و«درء تعارض العقل والنقل»[٣].

---

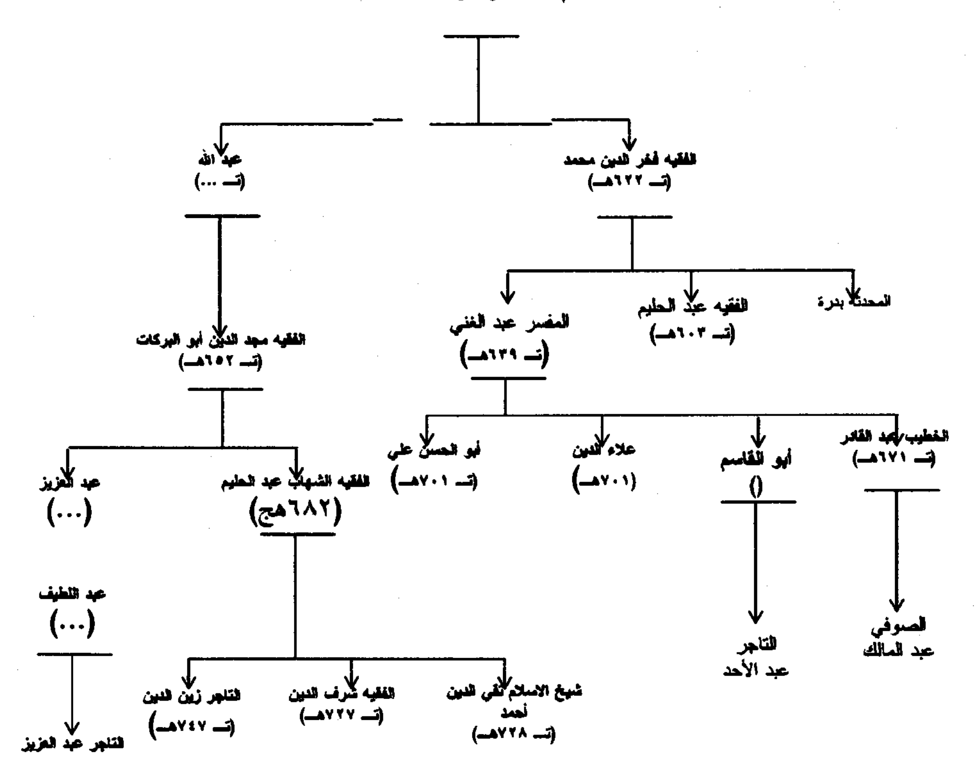
(١) عن هؤلاء انظر: ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٠، ٢٣٣، ٢٣٨ و٢/ ٢٠١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٦٧، ١٧١، ١٧٥.

(٢) عن ذلك انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٣) عن ذلك انظر: تراث الحنابلة العلمي في الفصل الخامس.

شجرة نسب آل تيمية[1]

أبو القاسم الخضر بن محمد بن تيمية



الشكل: ٠٧ -

---

١ - المصادر، مها : الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج:٢٢، ص:٢٨٨. ومعجم شيوخ الذهبي، ص: ٣١٧، ٣٣٩، ٣٧١. وابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥١، ٢٥٢، ٣١٠، ٣١١، ٣٨٧. والصفدي، الوافي في الوفيات، ج:٢، ص: ٤٠١. وابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج:١، ص: ١٤٤. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٢٠٥،٢٢٤، ٢٥٧،٢٥٨، ٢٨٦، ٣٧٦، وج: ٦، ص: ٢، ٣٠، ٤٥، ٨٠، ١٥٢.

منهم: الفقيه فخر الدين ابن تيمية، وولداه الفقيه أبو محمد عبد الحليم، والمفسّر عبد الغني، والفقيه مجد الدين أبو البركات، وابنه شهاب الدين عبد الحليم، وحفيده شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس. (انظر: الشكل رقم: ٧).

وتعد أسرة آل تيمية الوحيدة من بين الأسر العلمية الحنبلية، التي جمعت بين العلوم الشرعية والعقلية ـ علوم الأوائل ـ، وجعلت المرجعية للكتاب والسُّنَّة في توجيه الفكر والسلوك والتحكم فيهما بطريقة سليمة حكيمة تثير الإعجاب والتقدير، وقد تجلّى ذلك بوضوح في كتاب موافقة «صريح المعقول لصحيح المنقول» لتقي الدين ابن تيمية.

كما يلاحظ على هذا البيت قلّة نسائه العالمات المشهورات بالمقارنة إلى المقادسة الصالحيين مثلاً[١] إذ لم أعثر إلا على اثنتين فقط هما المحدّثة بدرة بنت فخر الدين، والمحدّثة زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم[٢].

وقد اضطر آل تيمية إلى ترك بلدهم حرّان والهجرة إلى دمشق هرباً من المغول سنة (٦٦٧هـ/١٢٦٨م)[٣]، فلما استقروا بها ساهموا بقوة في تنشيط الحياة العلمية بها، في مقدمتهم تقي الدين ابن تيمية وتلامذته[٤].

لكن دورهم العلمي ضعف كثيراً، ولم يبرز فيهم عالم بارع بعد وفاة تقي الدين ابن تيمية سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م).

---

(١) انظر: مبحث نساء عالمات حنبليات من هذا الفصل.
(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/٢٥٨، ٢٥٩، و٦/٣٥٨.
(٣) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٥٥، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١١.
(٤) الذهبي: الأمصار ذوات الآثار ص١٦٦.

❀ ثالثاً: في دمشق:

اشتهرت في مدينة دمشق عشر أسر علمية حنبلية:

أولها: بيت ابن الحنبلي(١):

مؤسسه: الفقيه عبد الواحد بن أحمد الشيرازي ثم الدمشقي نشر المذهب الحنبلي بدمشق، وعرف أحفاده بها ببني الحنبلي. (انظر: الشكل رقم: ٨) نسبة لابنه الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب المعروف بابن الحنبلي(٢).

وقد ظهر في هذا البيت علماء كبار كان لهم أثر كبير في الحياة العلمية بدمشق، منهم:

القاضي عبد الملك بن عبد الوهاب، وناصح الدين بن عبد الوهاب الذي انتهت إليه رئاسة المذهب الحنبلي بعد الموفّق بن قدامة المقدسي(٣).

ومن مفاخر بيت ابن الحنبلي: أن فيه عالمتين معروفتين هما:

الأولى: الفقيهة الثرية أمة اللطيف بنت ناصح الدين، أنشأت مدرسة للحنابلة وكانت لها مصنفات(٤).

والثانية: المحدّثة الكاتبة أمة الكريم بنت ناصح الدين، تولّت مشيخة رباط بلدق بدمشق(٥).

ومن مآثره كذلك: أنه أقدم أسرة علمية حنبلية بدمشق، وأول من بنى مدرسة للحنابلة بها(٦)، واستمر في نشاطه العلمي أكثر من ٢٥٠

---

(١) انظر: الشكل رقم (٨).

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٧، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠.

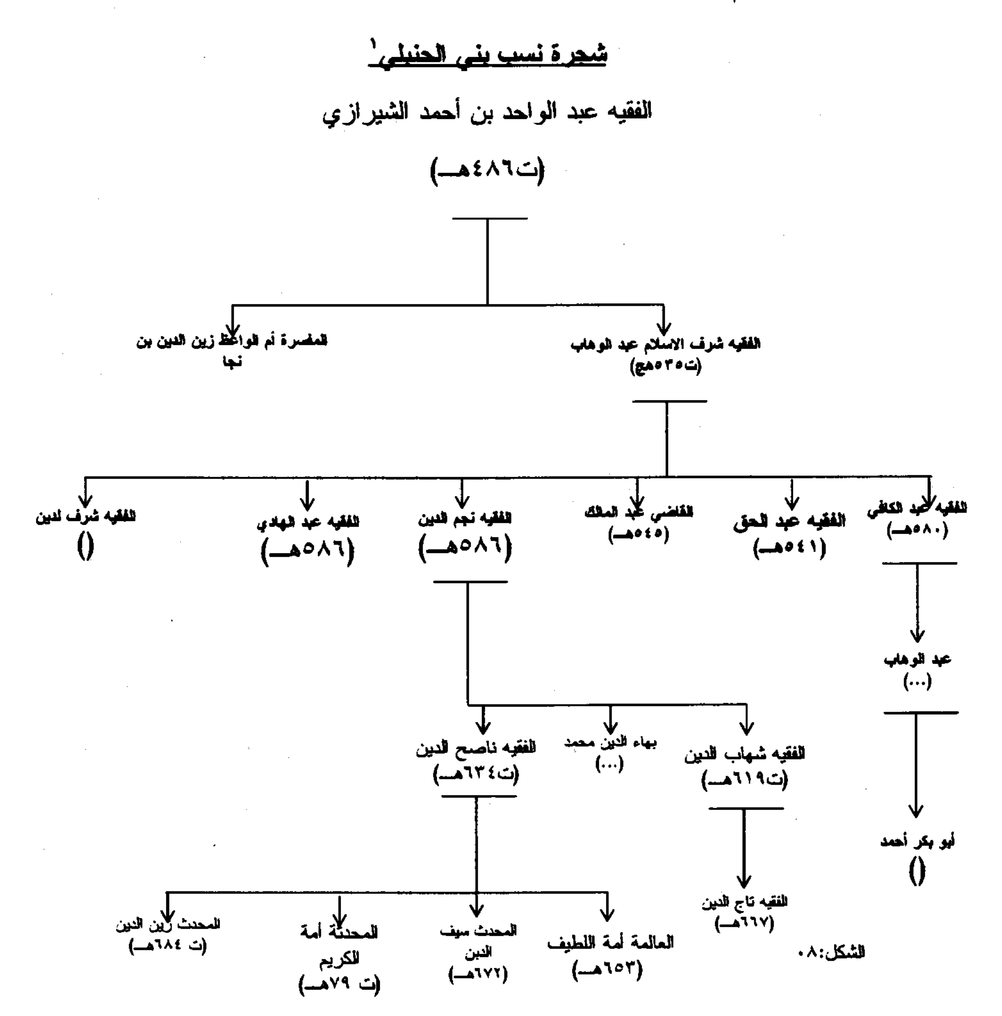
(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٩٥.

(٤) ابن كثير: البداية ١٣/ ١٧٠، ١٧١.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/ ٣٨٧.

(٦) عنها انظر: مبحث المدارس من الفصل الثاني.

سنة ابتداء من مؤسسه وانتهاء بالفقيه يوسف بن يحيى بن ناصح الدين (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)(١).



١ – المصادر: منها :ابن رجب، المصدر السابق، ج:١، ص: ٢١٩، ٣٦٩، ٣٧٠، وج:٢، ص: ٨٥ ١٩٣، ناصح الدين الحنبلي: كتاب الأقيسة ، ص: ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٣. وأبو شامة، ذيل الروضتين، ص: ٣٤، ١٣٣. وابن كثير، البداية ، ج:١٣ ص: ١٩، ١٧٠، ١٧١. والعليمي، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٢٦٢. والصفدي، المصدر السابق، ج:٩، ص: ٣٨٧. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٤، ص:٢٨٦.

(١) ناصح الدين ابن الحنبلي: أقيسة النبي ﷺ حققه أحمد حسن جابر وعلي أحمد الخطيب، ط١، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (١٩٧٣م)، ص٢٣.

والثانية: آل ابن المنجا:

نسبة لجدهم المنجا بركات بن المؤمل التنوخي.

وقد ظهر فيهم أعلام مشهورون[1] جمعوا بين العلم والدين، والرياسة والثروة، منهم القاضي الثري صدر الدين أسعد، واقف المدرسة الصدرية[2]، والفقيه التاجر زين الدين بن المنجا، والفقيه الثري أبو المعالي وجيه الدين ناظر جامع دمشق، والمحدّثة ست الوزراء بنت عمر، روت كتباً في الحديث منها «صحيح البخاري»[3].

وقد استمر بيتهم في نشاطه العلمي أكثر من ٢٠٠ سنة، ابتداء من القاضي أسعد بن المنجا، إلى قاضي القضاة صلاح الدين محمد. (انظر: الشكل رقم: ٩).

والثالثة: أسرة آل قدامة:

من المقادسة الصالحيين، أصلهم من قرية جماعيل بنابلس، هاجروا إلى دمشق هرباً من الصليبيين، يتقدمهم كبيرهم الفقيه الخطيب أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي[4] (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م).

---

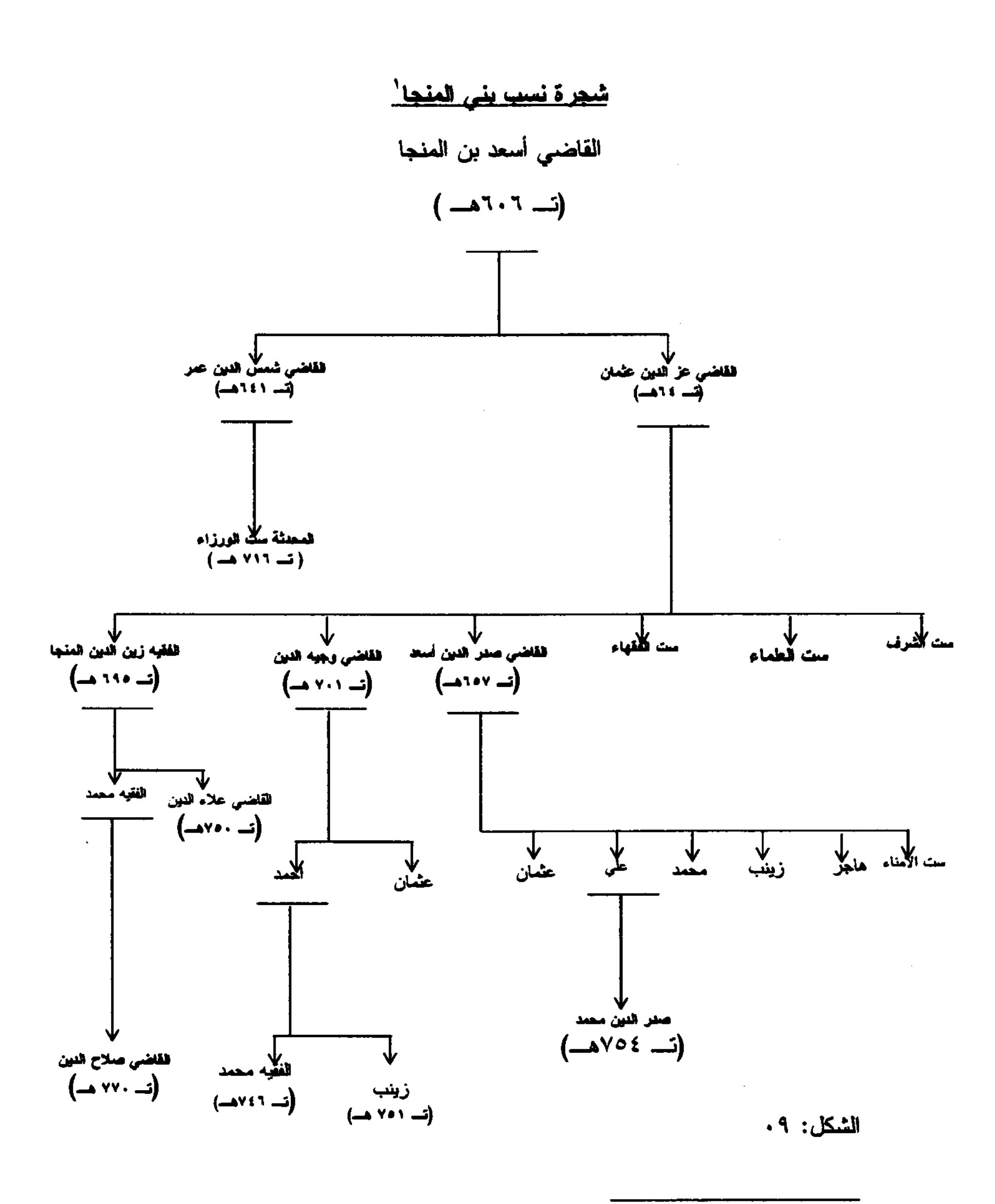
(١) انظر: الشكل رقم (٩).

(٢) عنها انظر: مبحث المدارس من الفصل الثاني.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ـ الجزء المفقود ـ حققه عبد السلام محمد عمر علوش، ط١، بيروت، دار الفكر، (١٩٩٧م) ص٤٢١، وابن تغري بلدي: الدليل الشافي ١/ ٣١٢.

(٤) فر من الصليبيين لأنهم حدوا من نشاطه، وسعوا في قتله ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٥٧، ٦١، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٢٧، ٢٩، ٣٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٨٦.

شجرة نسب بني المنجا[1]



الشكل: ٠٩

---

١ - المصادر ، منها: ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٤٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٦٨، ٣٧٧. وابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة، ص: ١٤٧. وابن كثير، المصدر السابق، ج:١٣، ص: ٣٤٥، ج١٤ ص: ٧٩، ١١٦ . وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص:١٨، ١٩، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٢، ٢٨٨، ٤٣٣. وج:٦، ص: ص: ٤٠، وابن طولون، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٣٧٠.

وصلوا إلى دمشق سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)، ومعهم عبد الواحد بن علي بن سرور وأولاده، ثم التحق بهم مقادسة آخرون سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)[١]، ونزلوا في دمشق بمسجد أبي صالح، ثم انتقلوا إلى الصالحية وفيها استقر بهم المقام[٢].

ويمثل بنو قدامة مع آل سرور وآل السعدي أكثر المقادسة الصالحيين، عدداً وتأثيراً، وهم متداخلون أسرياً بالمصاهرة[٣].

وكان لهم دور كبير في تنشيط الحركة العلمية الحنبلية بدمشق وتقويتها، فنشروا المذهب الحنبلي، وبنوا المدارس والمساجد، وتولّوا القضاء، وأعطوا دفعاً قوياً لعلوم الأثر[٤].

واستمر عطاؤهم العلمي نحو ٣٥٠ عاماً من أواسط القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، إلى (العاشر الهجري/ ١٦م) برز فيهم خلالها أكثر من ١١٥ عالماً وعالمة[٥].

وينقسم بنو قدامة إلى فرعين رئيسيين: الأول: فرع من ذرية يوسف بن محمد بن قدامة، ويعرف بآل عبد الهادي[٦]. والثاني: فرع من ذرية أحمد بن محمد بن قدامة، ويعرف بآل قدامة، فالفرعان ينتهيان إلى الأخوين يوسف وأحمد ابني محمد بن قدامة كما هو مبيّن في (الشكلين رقم: ١٠ و١١). فبالنسبة لبني قدامة فقد ظهر فيهم أكثر من ٢٥ عالماً وعالمة في نحو قرنين من الزمن، وتولّى بعضهم قضاء القضاة

---

(١) ابن طولون: نفس المصدر ١/ ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥، ٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٢١ ـ ٦٣٠هـ)، ص٥٩، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

(٤) الذهبي: الأمصار ذوات الآثار ص١٦٣.

(٥) شاكر مصطفى: المرجع السابق ص٨٨٣.

(٦) انظر: شجرة نسبهم في الشكل رقم (١١).

بمصر والشام[1]، وأكثرهم تأثيراً من حيث الانتاج العلمي الفقيه موفّق الدين، فهو وإن كان نسله قد انقطع مبكراً، فقد أثرى الفقه الحنبلي بمصنفات لها مكانة مرموقة عند الحنابلة؛ كـ«المغني في شرح مختصر الخرفي»، و«المقنع»[2].

والرابعة: أسرة بني عبد الهادي:

نسبة للفقيه عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة[3]، وهم من بيت الحديث والفقه، من أعلامهم المعرفين: عماد الدين عبد الحميد، والفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي، والمحدّثة هدية بنت عبد الحميد، والفقيه المحقق محمد بن أحمد بن عبد الهادي[4]، ويُعد هذا الأخير أكثرهم شهرة وتأليفاً إذ زادت مصنفاته عن سبعين كتاباً[5].

وأما الخامسة: هي أسرة آل سرور:

فرع عبد الواحد. (انظر: الشكل رقم: ١٢)، نسبة لعبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ثم الدمشقي، وهو الذي هرب بأهله وأولاده مع بني قدامة إلى دمشق، وقد أخرجت أسرته أكثر من ثلاثة عشر عالماً، في مقدمتهم الحافظ الرحال عبد الغني، وأخوه الفقيه عماد الدين إبراهيم، وابنه المحدّث أبو موسى، ومن النساء المحدّثة خديجة بنت القاضي شمس الدين، والمحدّثة حبيبة بنت تقي الدين أحمد[6].

---

(١) انظر: شجرة نسبهم في الشكل رقم (١٠). وانظر: كذلك الجدول العام عن الأسر العلمية الحنبلية رقم (١٠).

(٢) عنها انظر: المبحث الثالث من الفصل الخامس.

(٣) كان من بين المقادسة الدين هاجروا إلى دمشق، وتوفي بها لكنني لم أعثر على سنة وفاته. ابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٤٤٧.

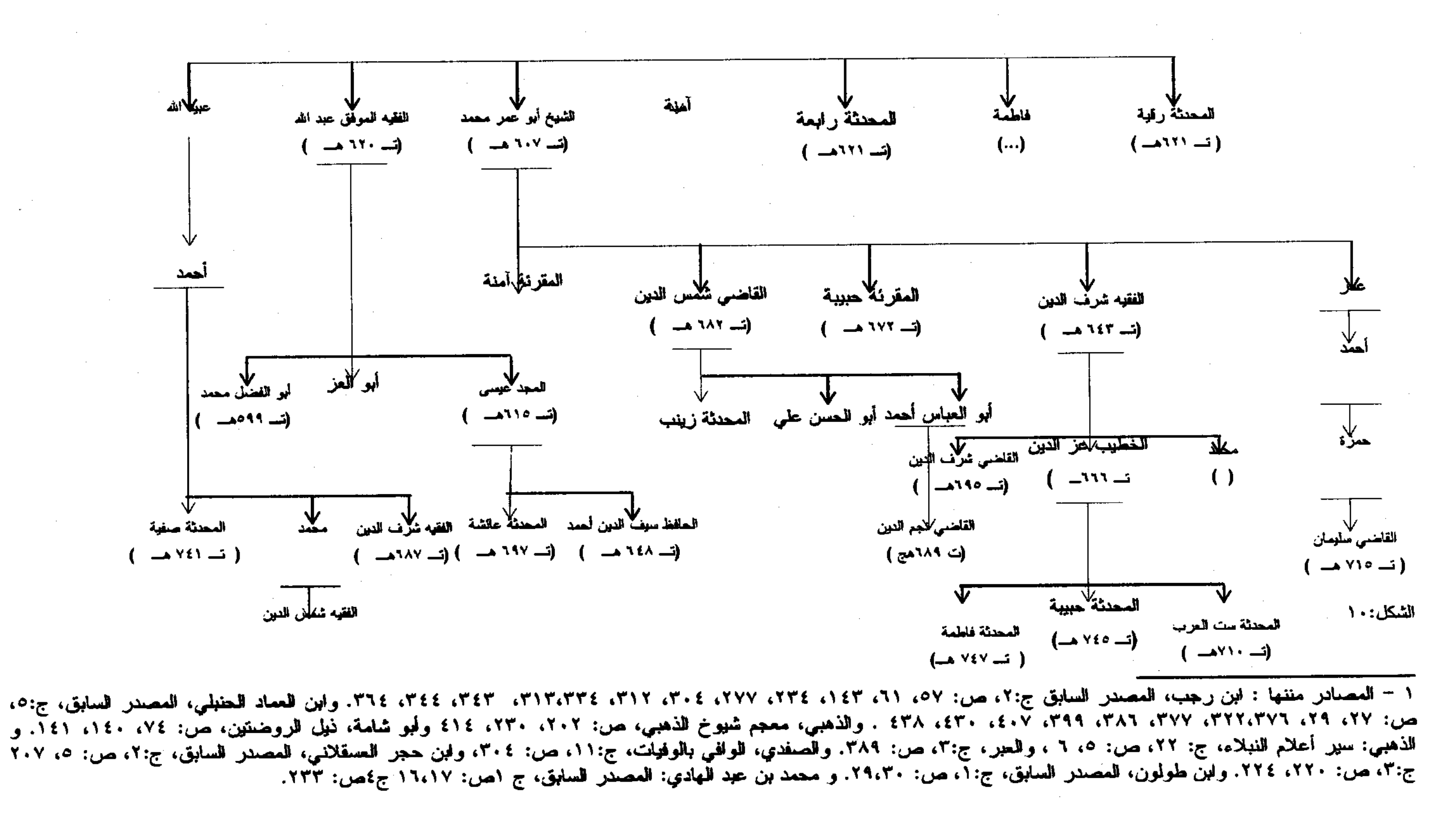
(٤) انظر: الشكل رقم (١١).

(٥) محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ١/ ٣٢، ٣٣، ٤١، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤٣٧.

(٦) انظر: الشكل رقم (١٢).

شجرة نسب آل قدامه[1]

الخطيب أحمد بن محمد بن قدامة
(تـ ٥٥٨ هـ)



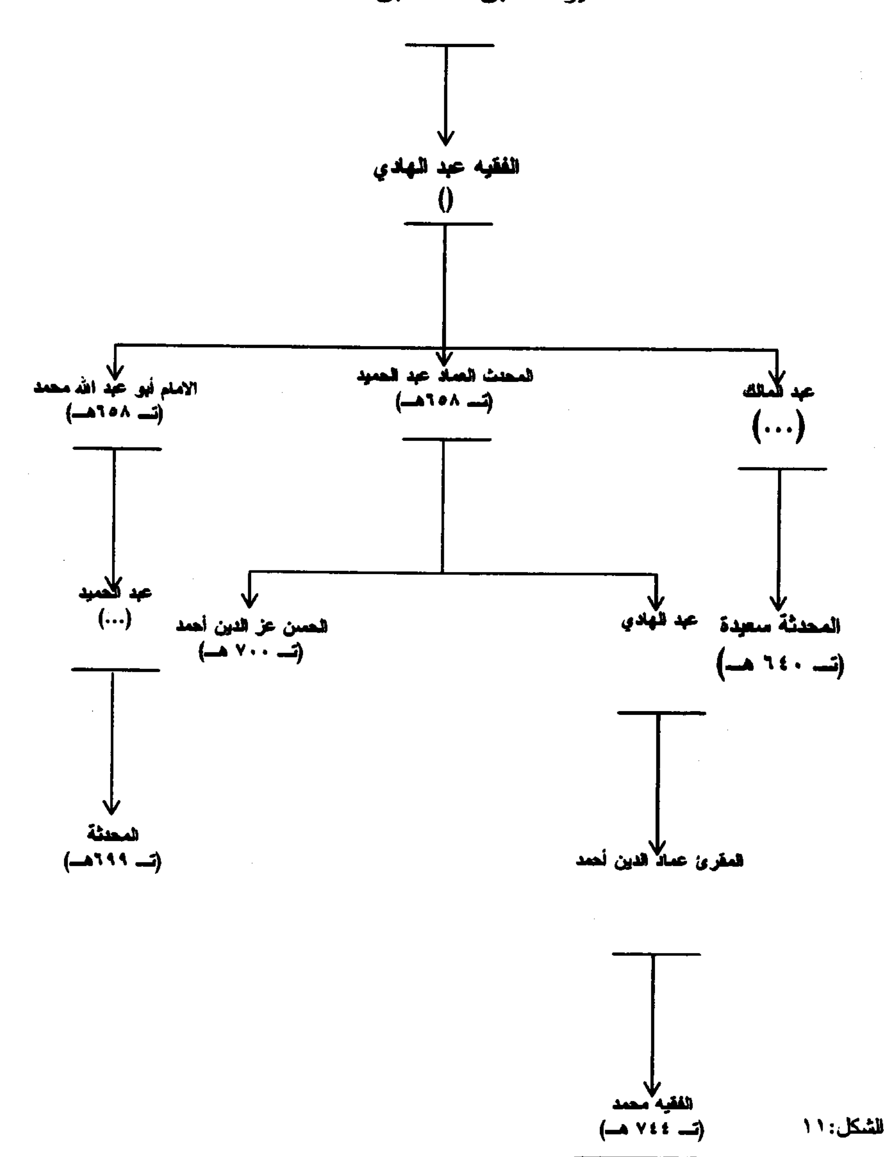
الشكل:١٠

---

١ – المصادر منها : ابن رجب، المصدر السابق ج:٢، ص: ٥٧، ٦١، ١٤٣، ٢٣٤، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٣،٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٤. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٢٧، ٢٩، ٣٢٢،٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٩٩، ٤٠٧، ٤٣٠، ٤٣٨ . والذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص: ٢٠٢، ٢٣٠، ٤١٤ وأبو شامة، ذيل الروضتين، ص: ٧٤، ١٤٠، ١٤١. و الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج: ٢٢، ص: ٥، ٦ ، والعبر، ج:٣، ص: ٣٨٩. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج:١١، ص: ٣٠٤، وابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٥، ٢٠٧ ج:٣، ص: ٢٢٠، ٢٢٤. وابن طولون، المصدر السابق، ج:١، ص: ٢٩،٣٠. و محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق، ج ١ص: ١٦،١٧ ج٤ص: ٢٣٣.

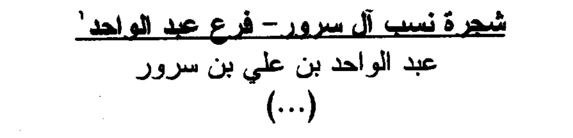
شجرة نسب آل عبد الهادي[1]

يوسف بن محمد بن قدامة



الشكل:١١

[1] - المصادر، منها: ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٢٩٣، ٢٩٥، ٤٥٤، ٤٥٥. وأبو محمد البرزالي، مشيخة أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم، ط١٠، دار البشائر، دمشق ،١٩٩٧، ص: ٩٥، ٩٨ .. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج:٢، ص: ٦٥٠. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج:١، ص: ٦١.و ابن القاضي المكناسي: درة الحجال ، ج١ ص: ٣٨ . و ابن ناصر الدين : الرد الوافر ، ص: ٣٠ . و ابن رجب : الذيل ، ج ٢ ص: ٤٣٦، ٤٣٧ .



شجرة نسب آل سرور – فرع عبد الواحد[1]

عبد الواحد بن علي بن سرور

(...)

الشكل رقم: ١٢

١ –المصادر، منها: ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٩٠، ٩٣،، ١٨٥، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٢،٢٣٦، ٢٧٦،٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٥٨. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص:٢٧٨، ٢٩٨، ٣٢٦. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج:٢٢، ص:٤٣، ٤٨. وشيوخ الذهبي، ص: ١٧٦، ٢٠٧. وابن كثير، المصدر السابق، ج:١٣، ص٧٤. و ابن طولون المصدر السابق ، ج ٢ ص: ٣٠٧ .

والسادسة: أسرة آل السعدي[1]:

نسبة لعبد الرحمٰن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي، وهو من المقادسة الذين هاجروا إلى دمشق في الدفعة الثانية سنة (٥٥٢هـ/ ١٢٥٧م) وأسرته هذه هي بيت فقه وحديث وأثر، ظهر فيها أكثر من عشرة علماء في نحو قرنين من الزمن منهم:

الحافظ الرحّال الضياء محمد، ومسند الشام أبو العباس أحمد المعروف بالبخاري، وابنه المحدّث فخر الدين المعروف بابن البخاري، والمحدّثة المعمرة زينب بنت الكمال، وأختها المحدّثة فاطمة. (انظر: الشكل رقم: ١٣).

والسابعة: هي أسرة آل عبد الدائم:

من المقادسة الصالحيين، يتسبون للمحدّث تاج الدين عبد الدائم بن نعمة بن أحمد المقدسي، واشتهر بيته بالحديث والرواية، من أعلامه[2] المحدّث الناسخ المعمر زين الدين أحمد (٥٧٥ ـ ٦٦٨هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٦٩م)، رحل إليه الطلاب من مختلف الأمصار، وعرف برحلة الشام، ثم ابنه المسند أبو بكر له مشيخة مشهورة[3]، ومنهم محدثتان من شيوخ الحافظ شمس الدين الذهبي هما خديجة ملقنة النساء (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وحرمة[4] (ت٧٠٥هـ/ ١٢٠٥م). (انظر: الشكل رقم: ١٤).

---

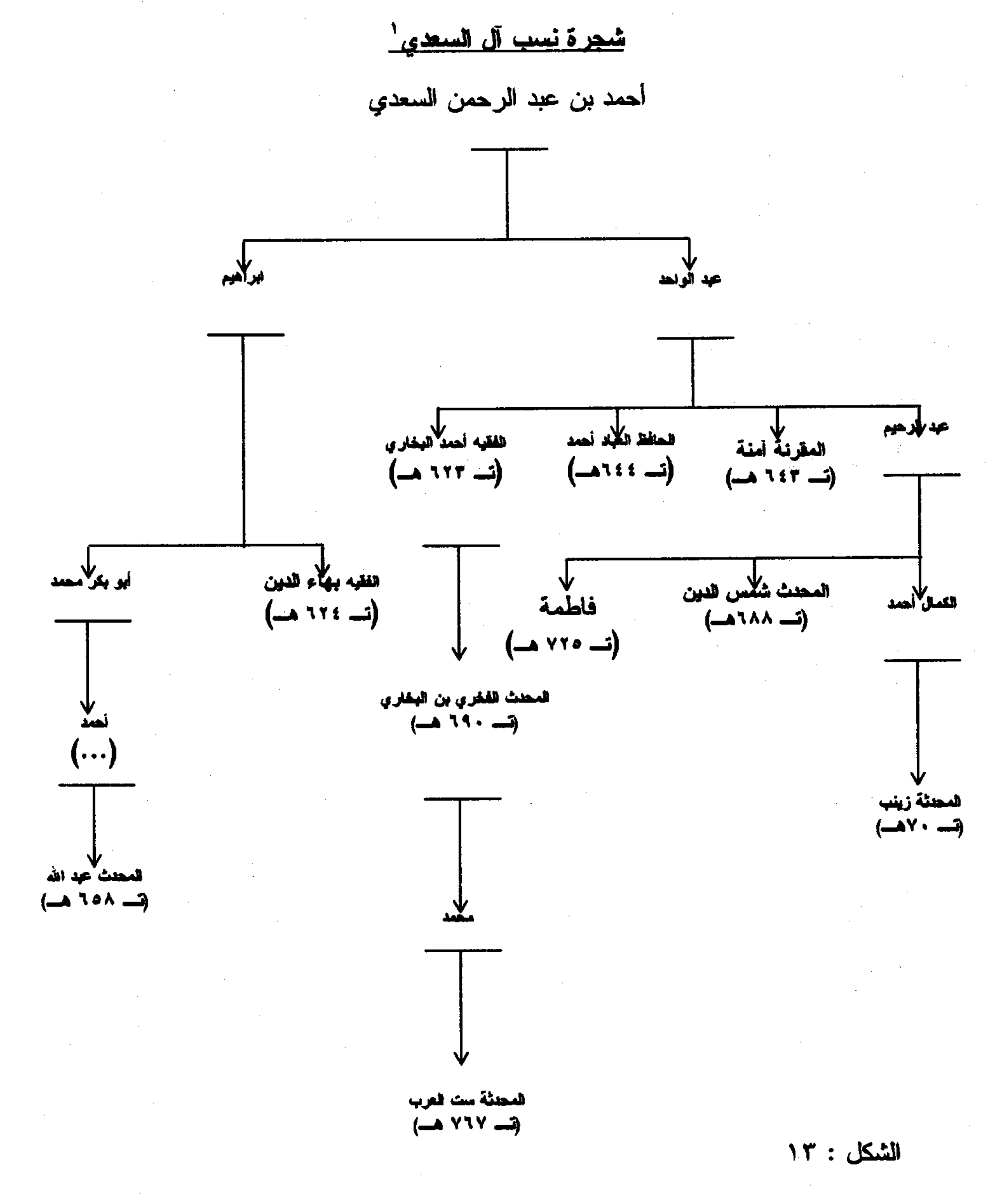
(١) انظر: الشكل رقم (١٣).

(٢) انظر: الشكل رقم (١٤).

(٣) عنها انظر: المبحث الثاني من الفصل الخامس.

(٤) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص١٧٧، ١٨١.

شجرة نسب آل السعدي[1]

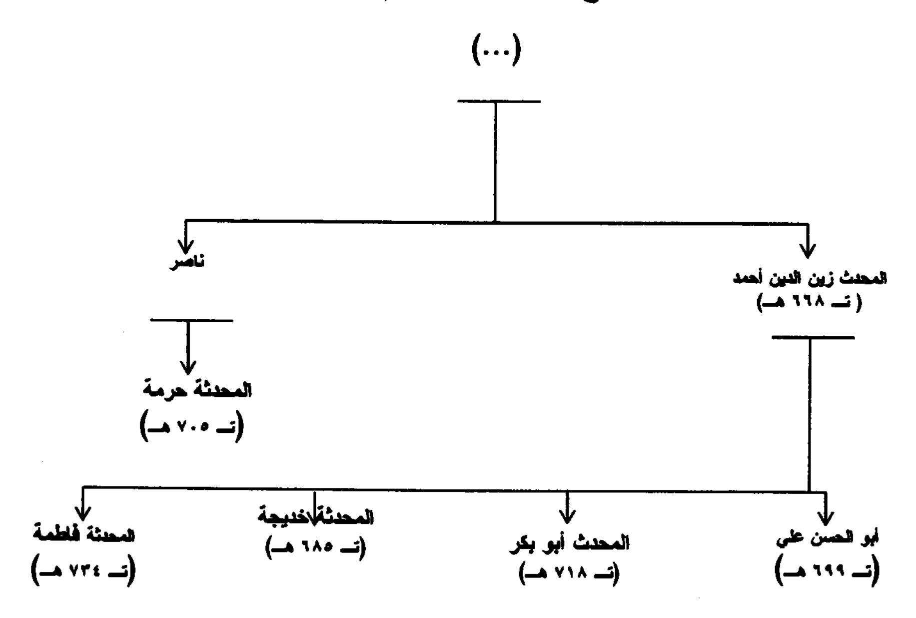


الشكل : ١٣

---

١ – المصادر، منها: ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ١٣٤، ١٦٨، ١٧١، ٢٣٥، ٢٦٩، ٣٢٠. وابن كثير، المصدر السابق، ج:١٣، ص: ٣٢٤. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج:٢٢، ص: ٢٥٦، ٢٧٠. ومعجم شيوخ الذهبي، ص: ١٩٩. وابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج:٢، ص: ٦٥٠. وابن العماد الحنبلي، ج: ٥ ص: ١٠٧، ١١٤، ٢٩٢ .

شجرة نسب آل عبد الدائم[1]



(الشكل: ١٤)

١ – ابن رجب، المصدر السابق، ج: ٢، ص: ٢٧٩. والصفدي : نكت الهميان ، ص: ١٠٠، ١٣٠، ١٣١. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٢٥١. وج:٦، ٤٨. والذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص: ١٧٧، ١٨١. و معجم محدثي الذهبي ، ص: ١٠١ . وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج: ٣، ص: ٢٢٣.

والثامنة: أسرة آل راجح[1]:

ينتسبون إلى الفقيه الواعظ شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسي ثم الصالحي (٥٥٠ ـ ٦١٨هـ/ ١١٥٥ ـ ١٢٢١م)، فيهم الفقهاء والمحدّثون منهم كبير الأسرة الشهاب محمد، والفقيه صلاح الدين موسى، والمحدّثة آسية بنت الشهاب محمد، والمحدّثة زينب بنت العماد إبراهيم. (انظر: الشكل رقم: ١٥)، وهذه الأسرة وإن عمرت أكثر من مائة عام فإن عدد علمائها قليل بالمقارنة إلى الأسر المقدسية الأخرى[2].

وأما التاسعة: فهي أسرة آل جبارة[3]:

نسبة لعبد الولي بن جبارة بن عبد الولي المقدسي ثم الدمشقي، كانت لهم مساهمة في الحياة العلمية بدمشق، من أعلامهم: المحدّث الفرضي أبو محمد عبد الله، برع في الفرائض والجبر والمقابلة، والثاني: الفقيه تقي الدين محمد. (انظر: الشكل رقم: ١٦)، وهم من أصغر البيوت العلمية الحنبلية المقدسية، وأقل تأثيراً من الناحية الثقافية، إذ لم أعثر لهم على أي أثر علمي.

وآخرها: بيت ابن الواسطي[4]:

مؤسسه الفقيه علي بن أحمد الواسطي ثم الدمشقي، له بنتان محدّثتان هما: زينب، وصفية، وله ابن فقيه هو: تقي الدين إبراهيم الذي له ثلاثة بنات محدّثات هنّ: زينب، وست الفقهاء، وفاطمة، وقد روى عنهن الحافظ شمس الدين الذهبي في معجم شيوخه[5]، ويُعد والدهن تقي الدين من كبار المدرسين الحنابلة، فقد درّس في المدرستين العمرية

---

(١) انظر: الشكل رقم (١٥).

(٢) قارن بينها وبين الأسر الأخرى.

(٣) انظر: الشكل رقم (١٦).

(٤) انظر: الشكل رقم (١٧).

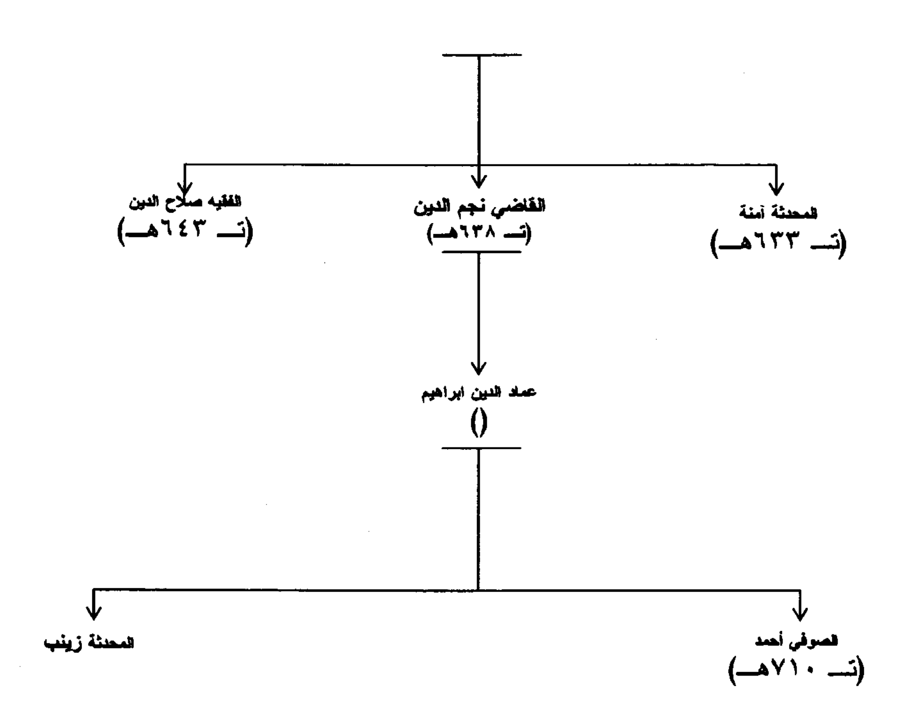
(٥) ص: ١٧٦، وسير أعلام البلاء الجزء المفقود ص٢١٤.

والصاحبية(١)، وولي في آخر عمره مشيخة دار الحديث الظاهرية بدمشق، وتفرد بعلو الإسناد وكثرة الروايات(٢).

شجرة نسب آل راجح[1]

الفقيه محمد بن خلف بن راجح

(تـ ٦١٨هـ)

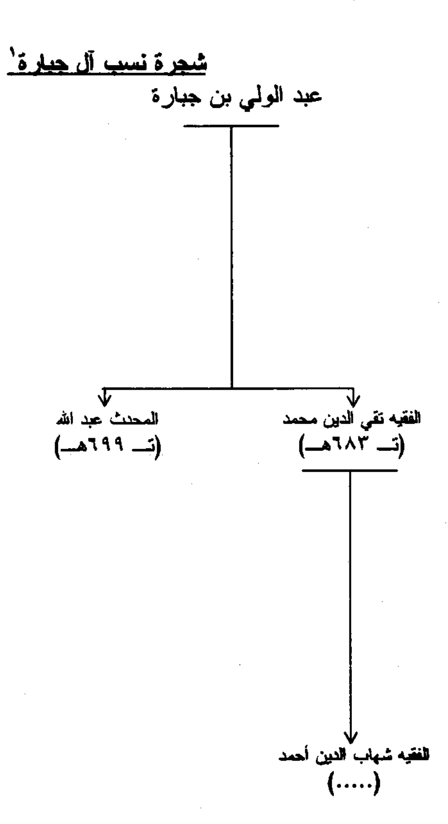


الشكل: ١٥

١ – المصادر: منها ، ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ١٢٤، ١٢٥، ٢٣٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج:١٢ ٦٣١-٦٤٠ ص:١٤٣ . ومعجم شيوخ الذهبي ص: ١٩٨. أبو شامة: ذيل الروضتين، ص:١٣٠، ١٧١ . وابن حجر، المصدر السابق، ج:١، ص:٨١. و ابن كثير : البداية ، ج ١٣ ، ص: ٩٦ . و ابن العماد الحنبلي : شذرات ، ج ٥ ص: ٤٤٥ .

(١) هما مدرستان حنبليتان، وعنهما انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

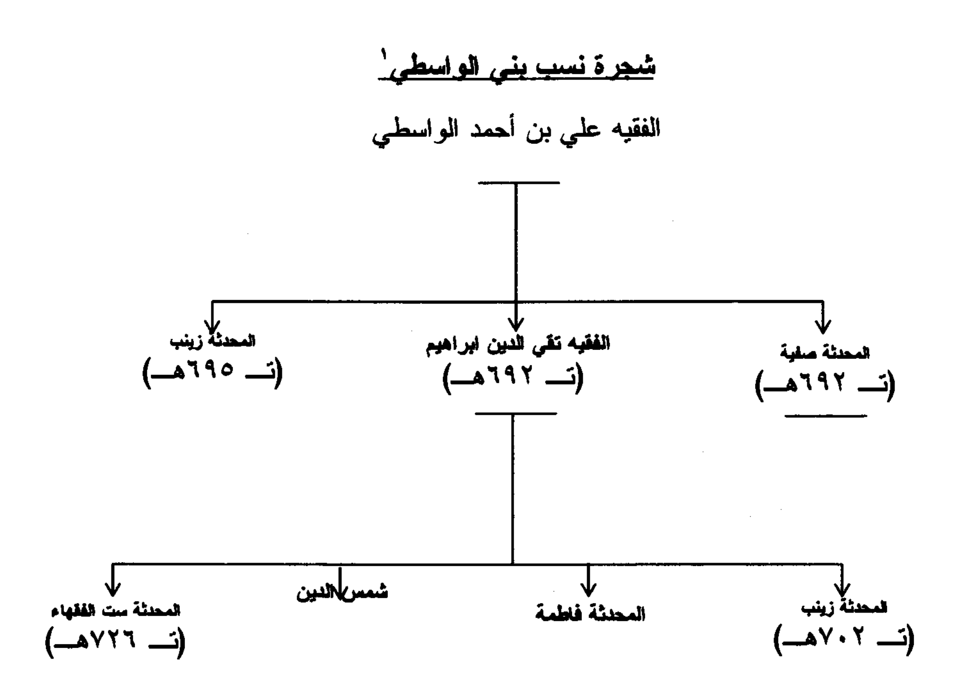
(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٢٠.



الشكل: ١٦

١ - ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٢٣٥، ٣١٢ ، ٢٤٣ وابن العماد، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٣٨٤،٣٨٥، ٤٤٩ . و ابن طولون : المصدر السابق ، ج ٢ ص: ٣٠٧ .

شجرة نسب بني الواسطي[1]



الشكل : ١٧

١ - الذهبي، معجم الشيوخ، ص:١٧٦، ١٩٣. و العبر ، ج٣ ص: ١٩٨ ، و سير أعلام النبلاء، الجزء المفقود، ص: ٢١٤. وابن العماد، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٠، ٤٤٧، وج:٦، ص: ٧١.

❀ رابعاً: في مدن أخرى:

وجدت أسر علمية حنبلية أخرى، سكنت أصفهان، ونابلس، وهمذان، ومصر والقاهرة، والبصرة، وبعلبك.

فبالنسبة لمدينة أصفهان:

فقد اشتهر فيها بيت آل منده، وهو عريق في العلم والحنبلية، يعود إلى القرن (الثالث الهجري/ ٩م)[١]، دام نشاطه العلمي أكثر من ثلاثة قرون، أول أعلامه المحدّث عبد الرحمٰن بن يحيى بن منده (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)[٢]، وآخرهم المسند أبو الوفاء محمود بن إبراهيم قتله المغول سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)[٣]، ومن كبار محدّثيه الحافظ أبو زكريا يحيى بن منده بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي، وبمعنى آخر: هو المحدّث ابن المحدث ابن المحدث ابن المحدث ابن المحدث ابن المحدث[٤]. (انظر: الشكل رقم: ١٨).

وقيل عن مكانة بيته: «بيت ابن منده بدئ بيحيى، وختم بيحيى»[٥].

---

(١) أبو نعيم الأصفهاني: كتاب ذكر أخبار أصفهان، ليدن، مطبعة بريل، (١٩٣٤م)، ٢/ ١١٧.

(٢) نفسه ٢/ ١١٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢ص٣٨٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ص١٥٥، ١٥٦.

(٤) محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٢٤، وابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ٤١.

(٥) ابن الدمياطي: المصدر السابق ص١٩٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٥٥.

ويلاحظ على هذا البيت أن نشاطه العلمي ضعف جداً بعد أبي زكريا يحيى بن منده بن عبد الوهاب المتوفى سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، إذ لم أعثر على أي عالم مشهور ينتمي إليه، إلا المسند محمود بن إبراهيم المقتول سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، كما أنه لم تبرز فيه نساء عالمات أعلام رغم عراقته في العلم وتوارثه له، على عكس ما رأيناه في الأسر الدمشقية من بني الحنبلي، وبني المنجا، وبني قدامة التي ظهرت فيها عشرات النساء العالمات.

وعن تراثه العلمي فمنه «الصحيح» على كتاب مسلم بن الحجاج، و«تاريخ أصفهان»، و«مناقب العباس»، و«مناقب الإمام أحمد»، وهي كلها لأبي زكريا يحيى بن منده ابن منده[١].

*** وأما في نابلس:**

فقد مكث فيها ـ بعد هجرة المقادسة إلى دمشق ـ بيت **عبد المنعم من آل سرور**[٢]، وظل يمارس نشاطه العلمي وإشرافه على مسجد الحنابلة بها، أثناء الوجود الصليبي وبعده[٣]. ومؤسسه هو عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي، ومن أولاده الأعلام الفقيه المحدّث أبو عبد الله يوسف، والفقيه جمال الدين. (انظر: الشكل رقم: ١٩)، ومن أحفاده الفقيه شمس الدين بن محمد أمَّ بمسجد الحنابلة بنابلس سبعين سنة[٤].

---

(١) ابن رجب: ١/ ١٥٤، (ط د).

(٢) انظر: الشكل رقم (١٩).

(٣) أنهى السلطان صلاح الدين الأيوبي الوجود الصليبي بنابلس على إثر تحريره للقدس الشريف سنة (٥٨٣هـ). ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٤٥٢، (ط د).

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٤٢٨.

شجرة نسب بني مندة الأصفهانيين[1]



()

المحدث أبو محمد عبد الرحمن
(تـ ٣٢٠ هـ)

محمد
(...)

اسحاق

الفقيه أبو عبد الله محمد
(تـ ٣٩٦ هـ)

أبو عمر عبد الوهاب
()

المحدث أبو القاسم عبد الرحمن
(تـ ٤٧٠١ هـ)

ابراهيم

الحافظ أبو زكريا يحي
(تـ ٥١١ هـ)

سفيان

ابراهيم

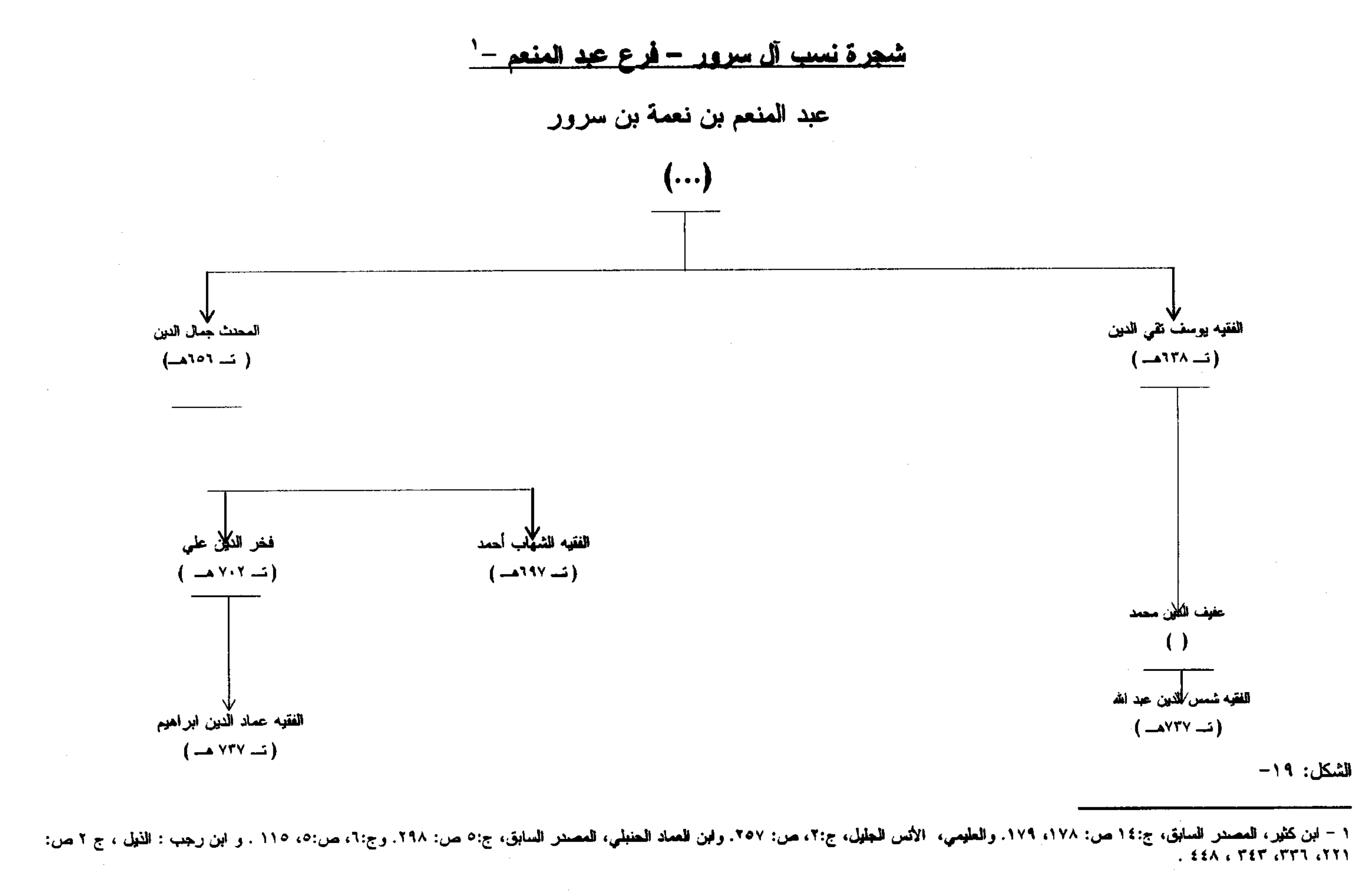
المُسند أبو الوفاء محمود
(تـ ٦٣٢ هـ)

الشكل: ١٨

---

١ - المصادر، منها: محمد بن عبد الهادي، المصدر السابق، ج:٤، ص:٢٣. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج: ٦٣١-٦٤٠هج ص: ١٢٥، ١٢٩. و ميزان الاعتدال، ج ٣ ص: ٤٧٩ أبو نعيم، المصدر السابق، ج٢ ص: ١١٧، ٣٠٦ . وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٤، ص: ٣٤، وج:٥، ص: ١٥٥.

شجرة نسب آل سرور – فرع عبد المنعم –[1]



الشكل: ١٩-

---

١ – ابن كثير، المصدر السابق، ج:١٤ ص: ١٧٨، ١٧٩. والعليمي، الأنس الجليل، ج:٢، ص: ٢٥٧. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥ ص: ٢٩٨. وج:٦، ص:٥، ١١٥ . و ابن رجب : الذيل ، ج ٢ ص: ٢٢١، ٣٣٦، ٣٤٣ ، ٤٤٨ .

*** وفي مدينة همذان:**

نجد أسرة آل العطار[1]، نسبة للحافظ أبي العلاء بن أحمد العطار، شيخ همذان في زمانه له أصحاب وأتباع وتلاميذ، وغلب على بيته علم الحديث والأثر، وله أولاد محدّثون. (انظر: الشكل رقم: ٢٠) منهم: أبو بكر محمد سمع منه الطلاب في بغداد الحديث النبوي، وأجاز للمؤرخ ابن الدبيثي (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)[2]، ومنهم: عاتكة أم العلاء، سمعت كثيراً من الحديث، وحدّثت به بهمذان وبغداد[3]، وببيت العطار ختم علم الأثر بهمذان، ثم استباحها المغول[4]، ومن تراثهم العلمي النادر كتاب «زاد المسافر في الحديث والقراءات»، في خمسين مجلداً، لأبي العلاء العطار[5].

*** وأما بخصوص مدينتي مصر والقاهرة:**

فلم أعثر فيهما على أية أسرة علمية حنبلية كبيرة، وعريقة في العلم والنسب، عاشت بهاتين المدينتين (خلال القرنين: السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، غير أنه وجدت بيوت علمية حنبلية صغيرة؛ كبيت عثمان بن مرزوق، وابن الصيقل، وابن حمدان.

فبالنسبة لأسرة ابن الصيقل. (انظر: الشكل رقم: ٢١) فهي تنتسب إلى الفقيه الواعظ عبد المنعم بن علي الحراني ثم البغدادي المعروف بابن الصيقل، طلب العلم في بغداد، ثم رجع إلى بلاده، ثم عاد بأهله

---

(١) انظر: الشكل رقم (٢٠).

(٢) ابن الدبيثي: المصدر السابق ١/ ٢١٥.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٨٣، والمنذري: المصدر السابق ٤/ ٣٠.

(٤) الذهبي: الأمصار ذوات الآثار ص١٩٧.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٣٢.

إلى بغداد واستقر بها[1]، لكن ولديه المحدّثين عبد اللطيف وعبد العزيز رحلا إلى مصر وأقاما بها[2].

وأما أسرة ابن حمدان. (انظر: الشكل رقم: ٢٢)، فهي بيت فقه وأدب وطب، تنتسب إلى شبيب بن حمدان الحراني، هاجر وولداه إلى القاهرة واستقروا بها.

أحدهما: القاضي نجم الدين بن حمدان، تمهر في الفقه وأصوله وله مصنفات لها تأثير واضح في الفقه الحنبلي منها الرعاية الكبرى، والرعاية الصغرى، وكتاب الوافي[3]. والثاني: تقي الدين شبيب كان طبيباً كحالاً، وأديباً شاعراً[4].

*** وفي مدينة البصرة:**

فإن البيوت الحنبلية العلمية بها قليلة جداً، أشهرها بيت بني دويرة (انظر: الشكل رقم: ٢٣) نسبة لأبي الحسن بن دويرة البصري، وكبير هذه الأسرة شيخ الحنابلة المقرئ أبو علي الحسن، له زاوية وأتباع، وتخصص في التربية وإقراء القرآن الكريم، ومن أشهر تلاميذه الفقيه المفسّر أبو طالب نور الدين بن عمر البصري ثم البغدادي الضرير[5] (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، ومن أفراد أسرته أخوه المقرئ أبو محمد عبد المحسن، وابنه جمال الدين الحسن[6]، ولم أعثر لهذا البيت على أية مصنفات رغم أنه ظهر فيه علماء.

---

(١) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٩٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣.

(٢) ابن رافع السلامي: المصدر السابق ص١١١، ١١٧، ١١٨، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٣٦.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣١.

(٤) نفس المصدر ٢/ ٣٣٢.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٥٤، ٢٥٤، ٣١٤.

(٦) نفسه ٢/ ٢٥٥.

*** وأما في بعلبك:**

فللحنابلة فيها وجود ظاهر، من أسرهم العلمية المشهورة بها: أسرة الفقيه محمد بن أبي الحسين اليونيني البعلي (انظر: الشكل رقم: ٢٤)، وهو صوفي حافظ فقيه، له دنيا واسعة وجاه عريض بين الناس[١]، وله ولدان من أهل العلم؛ أحدهما: الحافظ الرحّال شرف الدين أبو الحسين. والثاني: المؤرخ قطب الدين موسى صاحب كتاب «ذيل مرآة الزمان»[٢].

*** وختاماً لمبحث الأسر العلمية الحنبلية في القرنين** (السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) أورد جدولاً لعلماء ثلاث وعشرين أسرة علمية حنبلية، وأمثله في رسم بياني[٣]، ومنهما يتبين أن أكثر الأسر عدداً من حيث العلماء هي: آل قدامة بستة وعشرين عالماً، (بنسبة ١٤,٢٨٥٪)، ثم بنو الحنبلي بسبعة عشر عالماً (بنسبة ٩,٣٤١٪) ثم آل سرور ـ فرع عبد الواحد ـ بأربعة عشر عالماً، (بنسبة ٧,٦٩٢٪)، ثم آل تيمية باثني عشر عالماً، (بنسبة ٦,٥٩٤٪)، وأما العالمات الحنبليات فتأتي أسرة آل قدامة في المقدمة بإحدى عشرة عالمة، ثم آل الواسطي بخمس عالمات، ثم آل سرور ـ فرع عبد المنعم بنابلس ـ بأربع عالمات، ثم تأتي الأسر الأخرى كما هو مبين في الجدول والرسم البياني، وبعضها لا يعرف أنه ظهرت فيها عالمات.

وأما فيما يخص المجموع العام فقد بلغ ١٨٢ عالماً أنجبتهم ثلاث وعشرون أسرة، من بينهم اثنتان وأربعون عالمة، تأتي مدينة دمشق في المقدمة بـ ١٠٧ علماء (بنسبة ٥٨,٧٨٧٪)، من بينهم أربع وثلاثون امرأة،

---

(١) نفس المصدر ٢/ ٢٦٩ وما بعدها.

(٢) سبق الكلام عنه في مبحث نقد المصادر والمراجع.

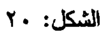
(٣) انظر: الجدول رقم (١٠)، والرسم البياني رقم (١٠).

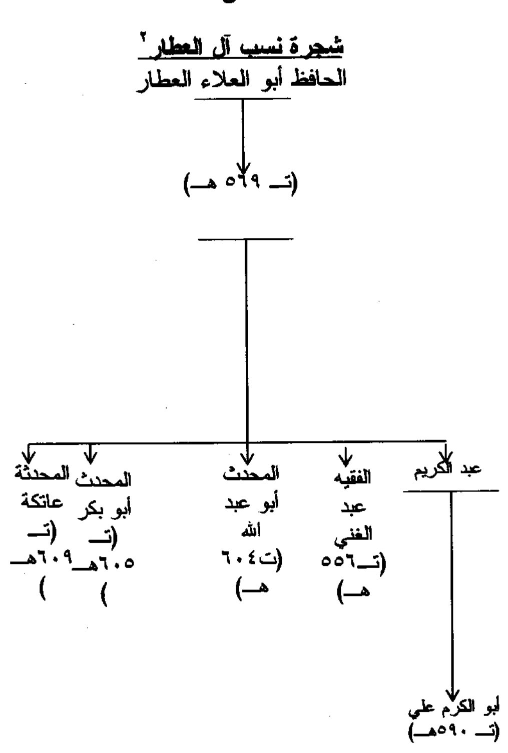
بفضل الدور الكبير الذي لعبه المقادسة الصالحيون في الحياة العلمية بدمشق أولاً، ثم بنو الحنبلي، وبنو المنجا، وآل الواسطي ثانياً، وقد بلغ عدد علماء المقادسة ٧١ عالماً من مجموع ١٠٧ علماء دمشقيين، ثم تأتي بعد دمشق بغداد بأربعة وثلاثين عالماً (بنسبة قدرها ١٨,٦٧٩٪)، من بينهم امرأة واحدة من آل الفراء[1]، ثم مدينة حران باثني عشر عالماً (بنسبة ٦,٥٩٤٪) من بينهم امرأتان، ثم نابلس بعشر علماء، (بنسبة ٥,٤٩٤٪) من بينهم أربع نساء، ثم تليها باقي المدن بأعداد متقاربة كما هو مبين في الجدول والرسم البياني.

وبذلك تكون كل الأسر العلمية الحنبلية بهذه المدن قد ساهمت في نشر العلم، ودعم المذهب الحنبلي، وتفعيل الحركة العلمية الحنبلية، ببنائها لمؤسسات العلم، وتأليفها للمصنفات، وعقدها لمجالس العلم والمناظرات.



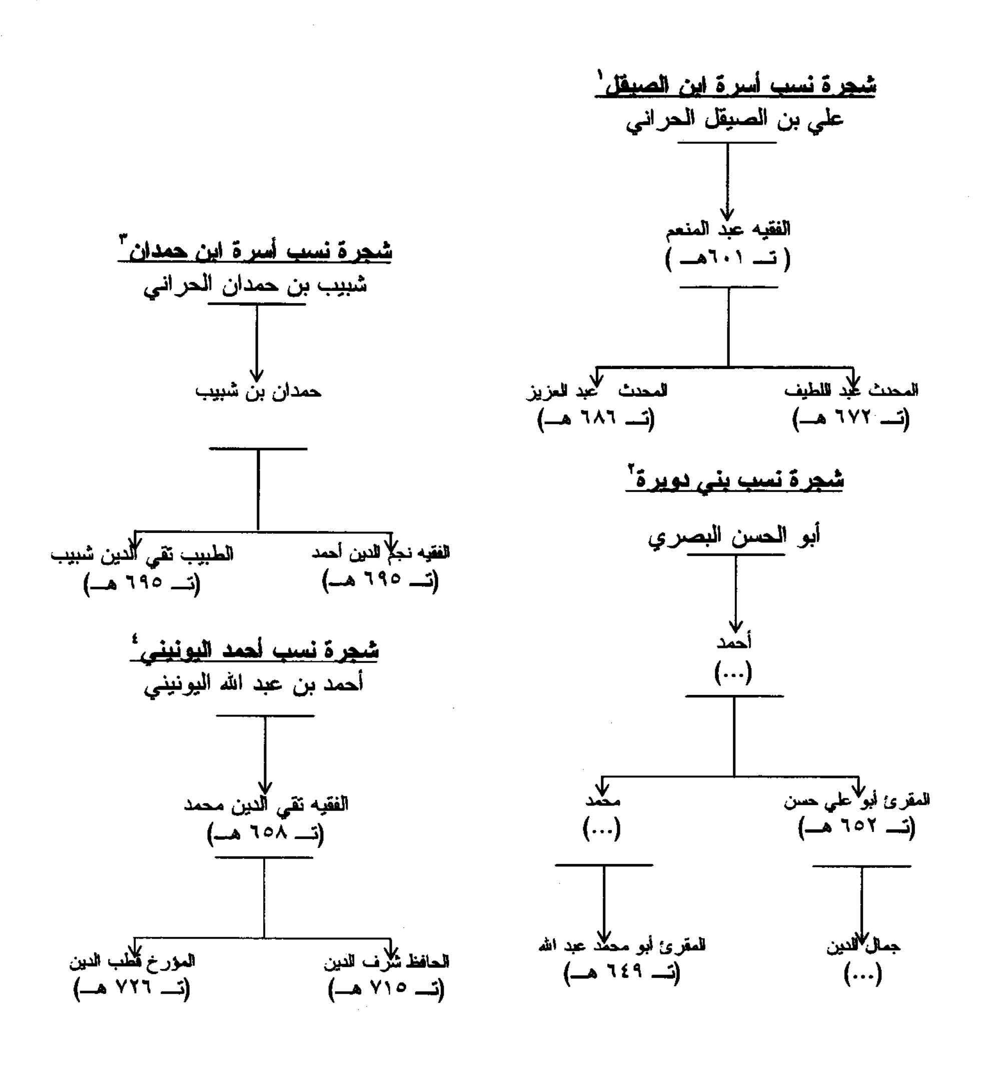
(١) قد تكون وجدت عالمات بغداديات لا ينتمين للأسر التي دخلت في الإحصاء.





---

٢ – الذهبي، مختصر المحتاج إليه، ص:٢٢، ١٠٣، ٣٩٧، وتاريخ الإسلام،ج : ٦٠١-٦١٠هج ص ٣٣٢وابن رجب، المصدر السابق، ج:١، ص: ٣٢٤. و المنذري: المصدر السابق ، ج ٣ص:١٢٨، ٢٣٥، ج ٤ ص: ٣٠ . و ابن الدبيثي: المصدر السابق ، ح ١ ص: ٢١٥ ، ج٢ ص: ٨٣ .



الأشكال: ٢١، ٢٢، ٢٣ ، ٢٤

١ - ابن رافع السلامي، المنتخب المختار، ص: ١١١، ١١٧، ١١٨. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص:٣ ، ٣٣٦. و ابن النجار: المصدر السابق ج ١٦ص: ٩٨ .

٢ - ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٣٣١، ٣٣٢. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج:٦، ص: ٣٦٠، ٣٦١. وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج:٥، ص: ٤٢٨، ٤٢٩ .

٣ - ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٢٥٤، ٢٥٥. وابن العماد الحنبلين المصدر السابق، ج: ٥، ص: ٢٥٩.

٤ - ابن رجب، المصدر السابق، ج:٢، ص: ٢٦٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٧٩،٣٨٠، ٤٤١. واليونيني، المصدر السابق، ج:٢، ص:٣٨. والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج:٤، ص: ١٤٣.

جدول مقارن لأشهر الأسر العلمية الحنبلية(1)

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٠)

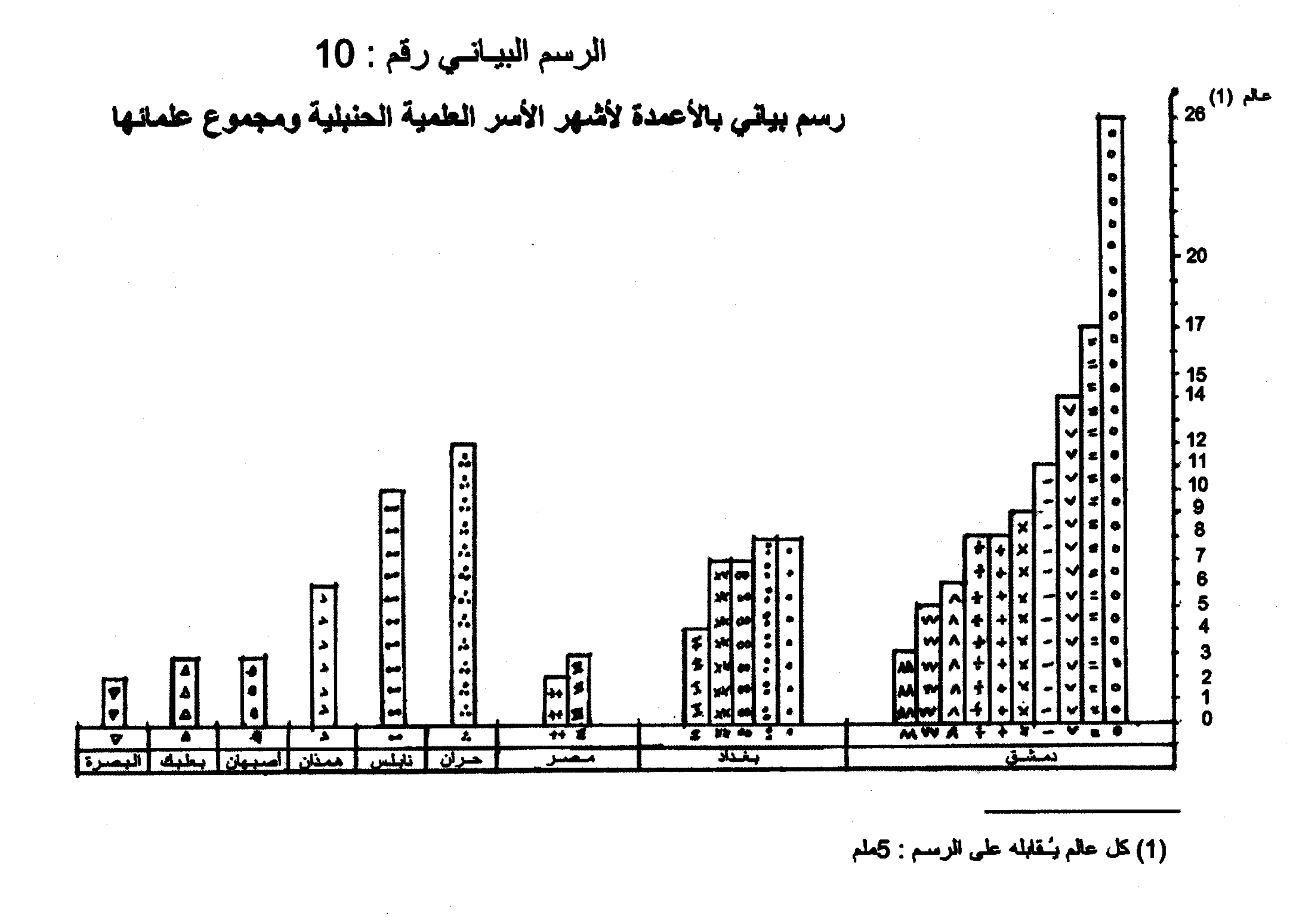
المدينة	الرمز	الأسر	عدد العلماء	عدد العالمات	مجموع العلماء والعالمات	٪ للأسرة	٪ للبلد
دمشق	•	آل قدامة	١٥	١١	٢٦	١٤,٢٨٥	٥٨,٧٨٧
=	=	بنو الحنبلي	١٤	٠٣	١٧	٠٩,٣٤١	=
=	v	آل سرور ع واحد	١١	٠٣	١٤	٠٧,٦٩٢	=
=	-	بنو المنجّا	٠٩	٠٢	١١	٠٦,٠٤٣	=
=	×	آل السعدي	٠٦	٠٣	٠٩	٠٤,٩٤٥	=
=	+	بنو ع الهادي	٠٦	٠٢	٠٨	٠٤,٣٩٥	=
=	÷	آل الواسطي	٠٣	٠٥	٠٨	٠٤,٣٩٥	=
=	*	آل ع الدائم	٠٣	٠٦	٠٦	٠٣,٢٩٦	=
=	vv	آل راجح	٠٣	٠٥	٠٥	٠٢,٧٤٧	=
=	**	آل جبارة	٠٣	-	٠٣	٠١,٦٤٨	=
بغداد	.	بنو الفراء	٠٧	٠١	٠٨	٠٤,٣٩٥	١٨,٦٧٩
=	..	آل هبيرة	٠٨	-	٠٨	٠٤,٣٩٥	=
=	••	آل الجيلاني	٠٧	-	٠٧	٠٣,٨٤٦	=
=	××	آل ابن الجوزي	٠٧	-	٠٧	٠٣,٨٤٦	=
=	ا	آل شافع	٠٤	-	٠٤	٠٢,١٩٧	=
مصر	اا	آل الصيقل	٠٣	-	٠٣	٠١,٦٤٨	٠٢,٧٤٦
=	++	آل حمدان	٠٢	-	٠٢	٠١,٠٩٨	=
حرّان	...	آل تيمية	١٠	٠٢	١٢	-	-
-	-	-	-	-	-	٠٦,٥٩٤	٠٦,٥٩٤

(١) المصادر: سبق ذكرها في المتن.

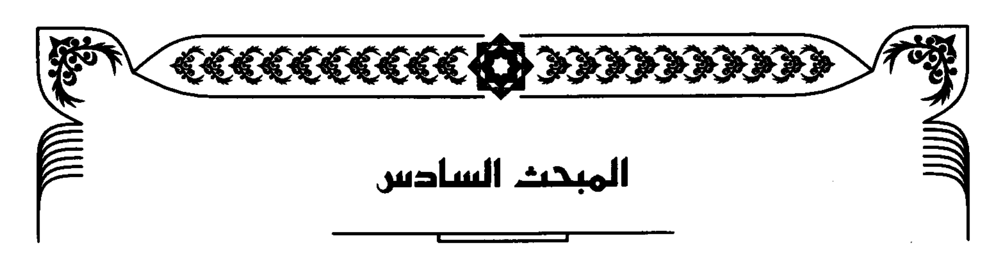
المدينة	الرمز	الأسر	عدد العلماء	عدد العالمات	مجموع العلماء والعالمات	٪ للأسرة	٪ للبلد
نابلس	. ـ .	آل سرور ع المنعم	٠٦	٠٤	١٠	٠٥,٤٩٤	٠٥,٤٩٤
همذان	د	آل العطار	٠٥	٠١	٠٦	٠٣,٢٩٦	٠٣,٢٩٦
أصفهان	هـ	آل منده	٠٣	ـ	٠٣	٠١,٦٤٨	٠١,٦٤٨
بعلبك	*	آل اليونيني	٠٣	ـ	٠٣	٠١,٦٤٨	٠١,٦٤٨
البصرة	*	آل دويرة	٠٢	ـ	٠٢	٠١,٠٩٨	٠١,٠٩٨
المجموع	٢٣	٢٣	٤٢	٤٢	١٨٢	نحو ١٠٠٪	نحو ١٠٠٪

الرسم البيانـي رقم : 10

رسم بياني بالأعمدة لأشهر الأسر العلمية الحنبلية ومجموع علمائها



(1) كل عالم يُقابله على الرسم : 5ملم



المبحث السادس

مجالس العلم الحنبلية

كثرت مجالس العلم في المشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، وتنوعت موضوعاتها وتعددت أماكن انعقادها، فمنها ما هو للحديث والفقه وإقراء القرآن الكريم، ومنها ما هو للتفسير والمناظرات وقراءة المصنفات على مؤلفيها، ومنها مجالس عامة تحضرها جماهير غفيرة تعقد في المدارس والمساجد والبيوت.

أولاً: مجالس الحديث النبوي:

تخصص محدّثون حنابلة في رواية الحديث النبوي، وتفرغوا له عقوداً من الزمن[١]، **أشهرهم سبعة:**

الأول: المحدّث يحيى بن أسعد البغدادي المعروف بابن الخباز (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) حدث نحو أربعين سنة[٢].

والثاني: المسند حنبل بن عبد الله البغدادي (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م). اختص في رواية مسند أحمد بن حنبل، عن المحدّث أبي القاسم بن

(١) بلغ مجموع مجالس بعض المحدثين ٣٠٠ مجلس، وعند آخرين ١٠٠٠، وعند غيرهم ٣٠٠٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٢٠ ـ ٥٤٠هـ)، ص٤٠٧، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢١١، ٢١٥، ٢١٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٠٦.

(٢) المنذري: المصدر السابق ٢/ ١٠٠.

الحصين البغدادي (ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م)، سمعه منه بكامله في نيف وعشرين مجلساً سنة (٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) بقراءة أبي محمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي[١].

والثالث: الحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م). له مجالس حديث كثيرة بجامع القصر وحانوته، وقد استمر في عقدها نحو ستين عاماً[٢].

والرابع: المحدّث الرحّال أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م). بدأ في عقد مجالس الحديث قبل سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، واستمر عليها إلى وفاته، وروى عنه كبار المحدّثين؛ كابن نقطة البغدادي الحنبلي، ومحب الدين ابن النجار، وآخر من روى عنه بالإجازة زينب بنت الكمال المقدسية[٣].

والخامس: الفقيه المحدّث شمس الدين محمد بن عبد الرحيم المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م). حدّث قرابة أربعين عاماً[٤].

والسادس: الفقيه المحدّث أحمد بن عبد الدائم المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٧م). داوم على عقد مجالس الحديث بضعاً وخمسين سنة، وانتهى إليه علو الإسناد ورحل إليه الطلبة من شتى أقطار المشرق. وروى عنه الحديث الفقيه محيي الدين بن شرف النووي

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٥٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٢.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٤، وتاريخ الإسلام ج: (٦١١ ـ ٦٢٠هـ)، ص٧٤، ٧٥، ومحمد ابن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٦٤.

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) نفس المصدر ٥/ ٤٠٦.

الدمشقي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، والفقيه ابن دقيق العيد الشافعي المصري (ت٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي[(١)].

وآخرهم: الفقيه فخر الدين بن البخاري المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م). كانت له مجالس حديث داوم على عقدها ستين سنة، وتفرد في زمانه بعلو الإسناد[(٢)].

*** ومن المحدّثين المتفرغين لرواية الحديث من غير الحنابلة:**

محمد بن الفضل الصاعدي الخوارزمي الشافعي (ت٥٣٠هـ/ ١١٣٥م). تخصص في رواية صحيحي البخاري ومسلم، أسمع الأول نحو عشرين سنة، وزادت مجالسه عن ألف مجلس[(٣)].

والثاني: الحافظ المفسّر إسماعيل بن محمد الأصفهاني الشافعي (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م). أمضى سنين طويلة في رواية الحديث بجامع أصفهان، فبلغت مجالسه ٣٠٠٠ مجلس[(٤)].

وآخرهم: الحافظ الرحّال أبو طاهر ابن محمد السِّلفي الأصفهاني ثم الإسكندراني (ت٥٧٦هـ/ ١١٧٧م). داوم على عقد مجالس الحديث نيفاً وثمانين سنة[(٥)].

---

(١) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٢٦.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢٥.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢١١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٩٦.

(٤) نفس المصدر ١٢/ ٢١٧، ونفس المصدر ٤/ ١٠٦.

(٥) لأنه عمَّر طويلاً فقد جاوز المائة سنة. ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ٤/ ٢٥٥.

وبذلك يكون أبو طاهر السّلفي أكثر الحفاظ المذكورين تحديثاً، كما هو مبين (في الجدول رقم: ١١، والرسم البياني رقم: ١١)، ثم يليه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر، والفخر بن البخاري، وآخرهم المحدّثان يحيى بن أسعد البغدادي ومحمد بن عبد الرحيم المقدسي ثم الدمشقي.

*** وأما بخصوص مجالس سماع الحديث التي أملاها علماء الحنابلة:**

فمنها: أن الحافظ أبا الفضل بن ناصر البغدادي (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م)، أملى بجامع القصر أربعين مجلساً على امتداد عشرة أشهر مرة في كل أسبوع، وقد كتبها الناس ورووها عنه[(١)].

ومنها: حلقة لقراءة الحديث بجامع القصر ببغداد، لأبي إسحاق بن أبي القاسم الغراد البغدادي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، وقد طعن فيه بعض المحدّثين لتساهله وكثرة أخطائه، وإلحاق اسمه بوثيقة سماع لم يكن اسمه فيها مذكوراً، ولأنه إذا قرأ الحديث وبجانب حلقته أناس يتحدثون يكتبهم ضمن الحاضرين معه في مجلسه[(٢)].

ومنها: أنه عندما قدم المحدّث أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأصفهاني (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) إلى بغداد أملى بجامع القصر عشرة مجالس لسماع الحديث[(٣)].

---

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

(٢) كان هو الآخر قد سمعها من أبي القاسم بن الحصين في أربعين مجلساً. الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٢٠ ـ ٥٤٠هـ)، ص١٣٨، وابن الدمياطي: المصدر السابق ص١٩١.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص١٤٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٨٨ (ط ق).

وكانت لأبي بكر بن المارستانية البغدادي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) حلقة حديث بجامع القصر ببغداد يوم الجمعة، ويحضرها الناس للسماع منه، وقد اتهمه الحافظ المؤرخ ابن النجار بالكذب واختلاق الروايات، والتحديث عن جماعة لم يلقهم، وأخبر عن نفسه أنه رآه كثيراً ولم يجلس إليه ولم يأخذ عنه شيئاً[1].

جدول لأكثر الحفاظ تحديثاً من الناحية الزمنية[2]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١١)

الرمز	اسم العالم	مدة التحديث بالسنة	المذهب	البلد
•	أبو طاهر السّلفي (ت٥٧٦هـ)	٨٠	شافعي	الإسكندرية
=	الفخر بن البخاري (ت٦٩٠هـ)	٦١	حنبلي	دمشق
-	ابن الأخضر (ت٦١١هـ)	٦٠	=	بغداد
+	أحمد بن ع الدائم (ت٦٦٨هـ)	٥٥	=	دمشق
×	يوسف بن خليل (ت٦٤٨هـ)	٤٩	=	حلب
÷	ابن ع الرحيم (ت٦٨٨هـ)	٤٠	=	دمشق
v	ابن أسعد البغدادي (ت٥٩٣هـ)	٤٠	=	بغداد

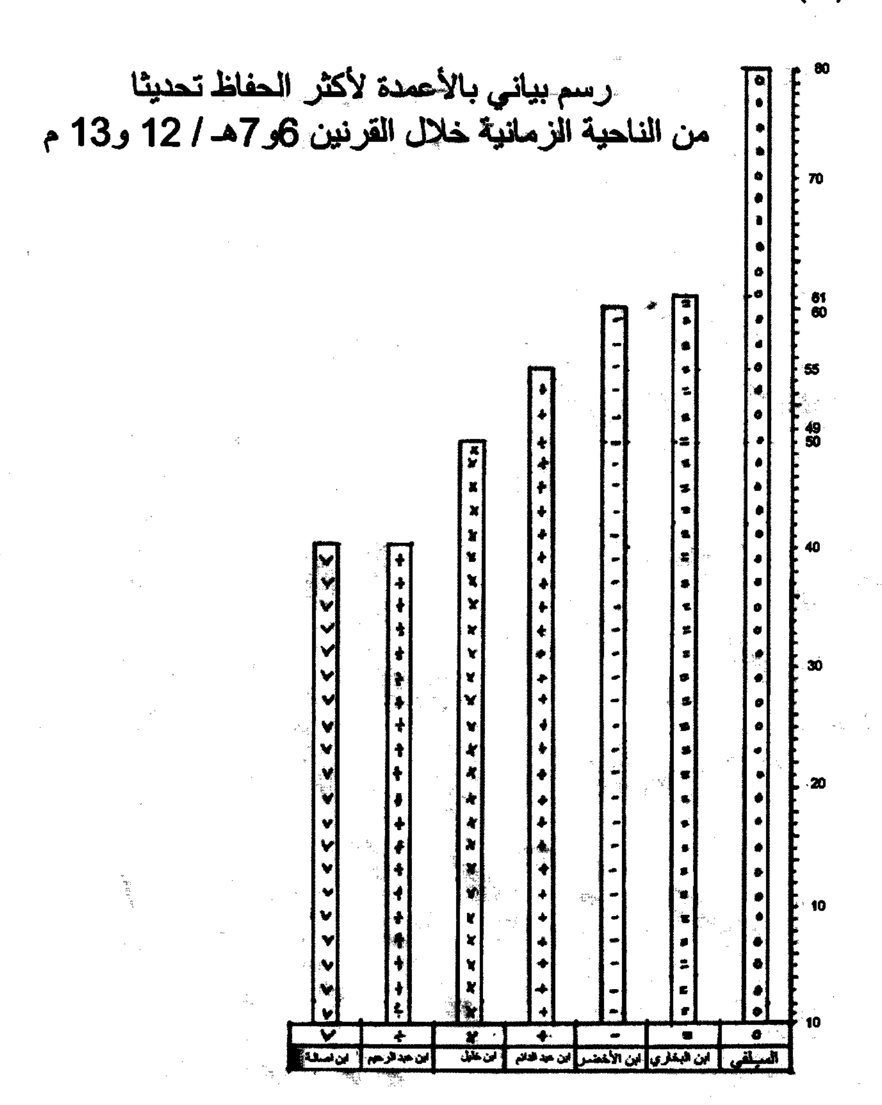
---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩٧ (ط ق). والصفدي: المصدر السابق ٤/ ٤٣.

(٢) ابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ٦٦، ٦٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٤٣.

الرسم البيانـي رقم : 11

سنة (1)



---

(1) كل سنة يُقابلها على الرسم : 2.5 ملم

ومنها: حلقة عبد العزيز بن الأخضر بجامع القصر، كان يقرأ فيها الحديث كل جمعة، وهذه الحلقة هي حلقة الحافظ أبي الفضل ابن ناصر ثم انتقلت من بعده لتلميذه المحدّث أبي الفضل ابن شافع الجيلي (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)، ثم انتهت إلى عبد العزيز بن الأخضر وبقيت بيده سنين طويلة[١].

وكانت للمحدّث أبي المعالي محمد بن أحمد بن شافع البغدادي (ت٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) حلقتان للحديث: الأولى: بمسجد له بدرب المصنع ببغداد. والثانية: بجامع القصر[٢].

*** ومن مجالسهم لسماع الحديث بمساجد دمشق:**

- حلقتان للحافظ عبد الغني المقدسي بالجامع الأموي: الأولى: ليلة الخميس. والثانية: يوم الجمعة بعد الصلاة، يقرأ فيهما الحديث على الناس فحصل له عندهم قبول، لرقة قلبه وسرعة دموعه[٣].

- وعندما استقدم أهل دمشق المسند حنبل بن عبد الله البغدادي (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) إليهم، أملى عليهم مجالس حديث، وأسمعهم مسند الإمام أحمد بن حنبل، فازدحموا عليه وأعطوه مالاً كثيراً[٤].

- وكانت للحافظ محمد بن عبد الغني المقدسي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م) حلقة حديث بمسجد السلالين[٥] بدمشق ليلة كل جمعة، ثم

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٨٤، ومحمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٦٤، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٩، ٨٠.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٧٦.

(٣) أبو شامة: ذيل الروضتين ص٤٦، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٤٤٨.

(٤) ابن كثير: البداية ١٣/ ٦١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٢.

(٥) ويعرف كذلك بمسد دار البطيخ. ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٩١.

انتقل إلى الجامع الأموي بعد وفاة والده سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، وأصبح يقرأ الحديث على الناس يوم الجمعة بعد الصلاة، فانتفعوا بمجالسه لما له من تأثير وجداني كوالده[١].

ـ وعقد المحدّث جمال الدين بن الصيرفي الحراني ثم الدمشقي (ت٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، مجالس حديث بالجامع الأموي، حدّث فيها بجامع الترمذي[٢].

*** ومن مجالسهم الحديثية خارج المساجد:**

ـ حلقة الحافظ أبي الفضل ابن ناصر في داره ببغداد، فكان يجلس على سرير أنيق، ويقعد طلابه على الحصير ويملي عليهم الحديث، وقد روى تلميذه عبد العزيز بن الأخضر أنه لم ير شيخه ابن ناصر يجلس أحداً معه على سريره إلا المحدّث عبد الوهاب بن سكينة الشافعي[٣].

ومنها: أن القاضي عبد الله بن أبي الفرج ابن القاضي أبي حازم الفراء البغدادي (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، جعل داره مجمعاً لأهل العلم، لقراءة الحديث ودراسة الفقه، فيحضر عنده الفقهاء والمحدّثون والعوام، وينفق عليهم بسخاء نفس، وسعة صدر، ولطف معاشرة، فأوصله كرمه إلى استدانة أموال طائلة لم يقدر على الوفاء بها، فغلبه الدين وباع معظم كتبه وأملاكه وانقطعت مجالسه العلمية، واختفى في بيته مهموماً[٤]. وما كان له أن يفرط في بسط يده، حتى بقي ملوماً محصوراً! بل كان عليه أن يقتصد ويتخفف، ويستثمر أمواله لينميها ويستطيع مواصلة نشاطه العلمي، وألم يكن في وسع الذين حضروا مجالسه، والناس عامة أن

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق٢/ ٩١.

(٢) نفس المصدر ٢/ ٢٩٧.

(٣) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٢١٧.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣.

يساعدوه على الخروج من أزمته؟ فلا يعرف أنهم ساعدوه.

وكان للحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م) دكان للملابس يقرئ فيه الحديث، وممن قرأ عليه فيه المؤرخ محب الدين ابن النجار البغدادي الشافعي، وقد سمع منه أكثر ما جمعه[١].

وأملى القاضي أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، الحديث على الناس من حفظه في أماكن متعددة، منها مجالس قضائه[٢].

*** وأشير هنا إلى ثلاثة أمور عن مجالس قراءة الحديث:**

أولها: أنها كانت تفتح في غالب الأحيان بطريقة واحدة متعارف عليها، يتولّى افتتاحها المستملي[٣]، فيبدأ باستنصات الحاضرين، ثم يقرأ شيئاً من القرآن الكريم، ثم يدعو للشيخ ويذكر الطلبة باسمه ونسبه وكنيته، ثم يقول له ـ أي: للشيخ ـ: من حدّثك رحمك الله؟ فيأخذ منه الكلمة ويشرع في التحديث[٤]؛ وليس لمجالس الحديث مدة زمنية محددة فقد تستغرق ساعتين، وقد تستمر طول النهار، مع التوقف في أوقات الصلاة[٥].

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦١١ ـ ٦٢٠هـ)، ص٧٥، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٩، ٨٠.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٨٩، ١٩٠.

(٣) هو المعيد والمساعد للشيخ المملي، يقوم بدور الوسيط بين الشيخ المحدث وطلاب الحديث عندما تكون المجالس مزدحمة، فدوره إذاً هو التبليغ عن الشيخ ليسمع البعيدين الذين لا يسمعونه، بتكرار ما يقوله الشيخ المملي، ويشترط أن يكون المستملي محصلاً يقظاً، وأن يستملي على موضع مرتفع، أو يستملي واقفاً. السمعاني: المصدر السابق ص٣٤، ٣٦، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٦، وابن الصلاح: المصدر السابق ص١٤١.

(٤) نفس المصدر ص٣٦، ٥٥، ١٢٣، ١٢٤، ونفسه ص١٤١.

(٥) ابن النجار: المصدر السابق ٢٠/ ١١٩.

والأمر الثاني: أنها متباينة في عدد الحاضرين، فقد يصل عددهم إلى سبعين نفساً، وقد ينخفض إلى ثلاثة أشخاص[1]، وقد يرتفع إلى أرقام لا تكاد تصدق، تقدر بالآلاف في المجلس الواحد؛ لأنها لا تقتصر على طلب الحديث فقط، بل يحضرها كذلك العوام ربما طلباً للأجر والبركة، والمزاحمة وتكثير العدد. فعندما انتقل الفقيه المحدّث سراج الدين بن الزبيدي الحنبلي البغدادي (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) إلى دمشق وشاع ذكره بها قصدته جماهير غفيرة وازدحمت عليه للسماع منه «مسند الشافعي» و«صحيح البخاري»[2]. وكانت مجالس الحافظ تقي الدين بن أبي الثناء محمود الدقوقي ثم البغدادي الحنبلي (ت٦٦٣ ـ ٧٣٣هـ/ ١٢٦٢ ـ ١٣٣٢م) لسماع الحديث تقدر بآلاف الحاضرين[3].

ورغم كثرة مجالس الحديث وازدحام الناس عليها (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، فإن الحافظ الذهبي كان متشائماً من وضعية علم الحديث وأهله في عصره، فيقول: «وقد قلَّ من يعتني بالآثار ومعرفتها في هذا الوقت في مشارق الأرض ومغاربها، على رأس السبعمائة»، ثم يضيف أن المحدّثين في زمانه قد تراجعت حالتهم بالمقارنة إلى السلف، فقد كان يحضر مجالسهم أكثر من عشرة آلاف طالب، وأما اليوم فهم قد تلاشوا وتفانوا، وطلبة الحديث يهزأ بهم خصومهم ويسخرون منه[4].

تلك هي إذاً صورة قاتمة لوضعية علم الحديث وأهله كما يراها

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق حققه صلاح الدين المنجد، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٥١م)، ١/ ٦٢٤، ٦٢٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٣٦.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ مج ٢ ٤/ ٥٣٠، ١٤٨٥.

الذهبي، فما السبب في ذلك والمساجد عامرة بمجالس إملاء الحديث، وفي بغداد ودمشق والقاهرة مدارس مخصصة لعلم الحديث[1]؟ نعم، لا يخفى ذلك عن الذهبي لأنه واقع معيش، لكنه يريد أن يكون الوضع أحسن من ذلك بكثير رواية ودراية ليعود الاهتمام بعلوم الأثر كما كان عليه في عهد السلف، من ذلك فقد روي أن مجلساً لسماع الحديث ببغداد زمن الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م)، حضره نحو ١٢٠ ألف مستمع[2].

والأمر الثالث: أنه جرت العادة في مجالس الحديث أن تختم بكتابة طباق السماع، وهي بيان ووثيقة حضور يسجل فيها اسم الكاتب والقارئ والحاضرين، ومكان السماع وتاريخه كاملاً، باليوم والشهر والسنة[3].

كما أن بعضها ـ أي: المجالس ـ كان يعقد لسماع كتب حديث معينة على أيدي محدّثين مختصين فيها، من ذلك أن المسند حنبل بن عبد الله اختص في رواية «مسند أحمد بن حنبل»[4]، والمحدّث سراج الدين بن الزبيدي تخصص في رواية «صحيح البخاري» و«مسند الشافعي»[5].

---

(١) عنها انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٢) وقدرت مجالس أخرى بسبعين ألفاً، وبثلاثين ألفاً، وبعشرين ألفاً. السمعاني: المصدر السابق ص٧٥، ٧٦. وحتى إذا افترضنا المبالغة في تقدير الحاضرين، فإن العدد يبقى كذلك كبيراً، ويبدو أن مجالس سماع الحديث في ذلك الزمان، كانت تشبه المقابلات الرياضية في وقتنا الحاضر، من حيث إقبال الجماهير الغفيرة عليها.

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق ١/ ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠٥.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٥٠، ٦١.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٤٤.

ومن أشهر كتب الحديث التي عقدت لها مجالس لقراءتها، كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» للوزير الفقيه عون الدين بن هبيرة البغدادي الحنبلي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، جمع له العلماء من الأمصار لدراسته، وعقد له مجالس في المساجد والمدارس ببغداد، وأنفق على ذلك أموالاً طائلة[1]، واختار ١٨٠٠ طالب لحفظه، وجعل عليهم ١٤٠ معيداً، ليحَفِّظونه لهم ويُفَقِّهونهم فيه، ومن حفظه منهم له مكافَأة[2].

وفي أحد مجالس روايته قرأ المحدّث أبو الفضل بن شافع، رواية منه، وتوجه إلى الوزير قائلاً له: وأما رواية عاصم فإنك قرأت بها عن مسعود بن الحسين الحنبلي البغدادي ـ كان من بين الحاضرين ـ فقال مسعود: قرأت بها على المحدّث ابن سوار، فقام من بين المستمعين المقرئ أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي الحنبلي الضرير (ت٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، وقال رافعاً صوته: هذا كذب وخرج، فبلغ الوزير الخبر، فطلبه وأحضر مسعود بن الحسين، وحاققه في القضية، فتبين له أن مسعوداً كذب عليه في روايته لأنه ـ أي: مسعود ـ لم يدخل بغداد إلا سنة (٥٠٦هـ/ ١١١٢م)، وكان ابن سوار قد توفي قبل ذلك بعشر سنوات، ثم أحضر البطائحي كتاباً بخط ابن سوار، فقوبل بالخط الذي مع مسعود ـ الذي قيل أنه من خط ابن سوار ـ فبان الفرق بينهما، ثم قال البطائحي: هذا خط مزور بخط الكاتب أبي رويح؛ لأن خطه يشبه خط ابن سوار، فتوجه الوزير إلى مسعود وأهانه ومنعه من الصلاة بالناس وقال له: لولا أنك شيخ كبير لنكلت بك، ثم قرأ ـ أي: الوزير ـ على

---

(١) ابن رجب: ١/ ٢٥٢، ٢٥٥.

(٢) ابن الدمياطي: المستفاد ص١٩٧، العليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠.

البطائحي وأسند عنه القراءات[1].

ويتبين من هذه الحادثة أن الشغف بالرواية وطلب علو الإسناد أوقعا مسعود بن الحسين في الكذب والتزوير، وأن موقف البطائحي الضرير يدل على فطنته وذكائه وقدرته على كشف التزييف رغم أنه كان ضريراً[2].

❁ ثانياً: مجالس قراءة المصنفات في علوم أخرى:

لم تقتصر مجالس قراءة الكتب عند علماء الحنابلة على مصنفات علم الحديث دون سواها، بل شملت مؤلفات في مختلف العلوم، من فقه وتصوف وحساب وفلك وتاريخ.

فمن ذلك: أن الفلكي أبا الحسن علي بن الحسن الدولعي البغدادي (ت٥٢٦هـ/ ١١٣١م) صنّف كتاباً في علم النجوم وحدّث به، فكتب له على غلافه اللغوي أبو محمد بن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م) ما يأتي: «هذا أبو الحسن الدولعي صديقنا، وقد أوقفته على أشياء وافق عليها»، ثم ضرب على حواشي الكتاب في غير موضع بخطه[3].

ومنها: أن جماعة من الحنابلة قرأت على عبد الرحمٰن ابن الجوزي طائفة من مصنفاته، منهم: الفقيه مجد الدين بن محمد الأصفهاني قرأ عليه «مناقب الإمام أحمد بن حنبل»[4]، والمؤرخ أبو الحسن محمد بن القطيعي البغدادي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) درس عليه كثيراً من كتبه ولازمه

---

(١) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٢/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) يبدو أنه كان يميز الخطوط بيده.

(٣) ابن النجار: المصدر السابق ١٨/ ١٩٧.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٨٤ (ط ق).

مدة[١]، والفقيه الفخر ابن تيمية الحراني (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، قرأ عليه مصنَّفه «زاد المسير في علم التفسير»، قراءة بحث ومراجعة[٢].

وعندما ألّف الفقيه عبد الرحمٰن ابن الجوزي كتابه «أعمار الأعيان» سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، عقد له مجلساً بداره للتحديث به، فحضر عنده بعض العلماء وقرأه عليهم عبد الوهاب بن وشاح البغدادي في حضور مؤلّفه[٣].

وعندما صنّف الوزير المتكلم جلال الدين بن يونس البغدادي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) كتاباً في المقالات وأصول الدين، جمع له العلماء وأسمعهم أياه، وحدّث به في ولايته الأخيرة مرة في الأسبوع ولم يتمه[٤].

ومنها: أن الفقيه نجم الدين بن حمدان الحرّاني ثم المصري (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) قرأ كتباً في الحساب والجبر والمقابلة، على مؤلفها سلامة بن صدقة الحراني الحنبلي[٥] (ت٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م).

وأشير هنا إلى أن إقدام المصنفين على جمع العلماء لعرض مؤلفاتهم الجديدة عليهم، هو تقليد علمي جيد يستحق التنويه والإعجاب؛ لأنه مما يدفع المؤلف إلى إتقان عمله، والتهيؤ لليوم الذي يجتمع فيه هؤلاء ليقرأ عليهم كتابه ويناقشونه فيه. كما أن قراءة الطالب لكتاب ما على مؤلّفه تسهل عليه الفهم وتوفر له فرصة طرح الأسئلة على مصنّفه، ليرد عليه فوراً.

---

(١) نفس المصدر ٢/ ٢١٢.

(٢) نفس المصدر ١/ ٤٢٥.

(٣) ابن الجوزي: أعمار الأعيان حققه محمود محمد الطناجي، ط١ القاهرة مكتبة الخانجي (١٩٩٤م)، ص٣.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩٥، وابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ١١٨.

(٥) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٤.

- ومن مجالسهم لقراءة كتب الفضائل والتراجم والتاريخ:

أن طائفة منهم اجتمعت بمسجد ابن شافع ببغداد سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٣م)، لقراءة كتاب «فضائل الإمام أحمد ومحنته» لأبي زكريا بن منده الأصفهاني، فحدث نزاع بين اللغوي أبي محمد بن الخشاب، ورجل يعرف بأبي المحاسن الدمشقي، في أمر يتعلق بالفقهاء، ثم انتهى بهم الأمر إلى الخصومة، فوشي بهم الرجل الدمشقي إلى الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥ ـ ٥٦٦هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧٠م)، وقال له: إنهم يقرؤون كتاباً في مثالب الفقهاء، فتقدم بأخذه منهم، هذا ما رواه ابن الجوزي[١] عن هذه الحادثة.

وأما المؤرخ ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، فذكر أن المجلس تحول إلى سبّ لخلفاء بني العباس، وإلى ذم للإمام أبي حنيفة، وأبي الحسن الأشعري، فلما أنكر عليهم أبو المحاسن صنيعهم ونبههم إلى عدم جواز ما يقولونه في حق أئمة المسلمين وفقهائهم سبّوه وهمّوا به، فلمّا وصل خبرهم إلى الخليفة أمر بأخذهم وإركابهم بقراً، والتشهير بهم في البلد فقبض على بعضهم وهرب ابن الخشاب إلى خارج بغداد[٢]. فرواية ابن الجوزي أوجزت الخبر، ورواية ياقوت الحموي فصّلته، وبيَّنت كيف تحول مجلس علم إلى مجلس ذم وخصام، ومطاردة وعقاب.

ومنها: أن المؤرخ حمّاد بن هبة الله الحراني (ت٥٩٨هـ/ ١١٠١م) صنّف كتاباً في التاريخ وعقد له مجلساً للتحديث به[٣].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٢٠٨.

(٢) يروى أنه لم يدخل بغداد إلا بعدما شفع فيه وكتب إلى الخليفة يستعطفه. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٥٠١، ١٥٠٢.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣٤ (ط ق)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٣٥.

وسمع الفقيه عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ثم الأصفهاني (ت٦٠٥هـ/١٢٨م) كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، على شيخه أبي الفضل بن ناصر البغدادي[١].

وأثناء وجود الفقيه ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ببغداد طلباً للعلم سمع كتاب «طبقات الحنابلة» لأبي الحسين ابن الفراء، على المحدّث عبد المغيث بن علوان الحنبلي (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)، بقراءة الفقيه أبي محمد طلحة بن غانم العلثي الحنبلي[٢] (ت٥٩٣هـ/١١٩٦م).

وعندما صنّف المحدّث الفخر بن البخاري الدمشقي (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م) مشيخته قرئت في ثلاثة مجالس بدمشق، بلغ عدد الحاضرين في الأخير نحو ألف شخص أو أكثر وهذا جمع غفير لم يعهد في ذلك الزمان[٣].

* **ومن مجالس علماء الحنابلة لقراءة كتب الفقه،** أنه لمّا تولّى وجيه الدين أسعد بن المنجا الدمشقي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) قضاء مدينة حران وأمر المؤذنين بالجهر بالتسليمتين في الصلاة ـ كانوا من قبل يجهرون بالأولى خاصة ـ ردّ عليه الفقيه نصر بن عبدوس الحراني (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، في كتاب: «تعليم العوام ما السُّنَّة في السلام»، وحدّث به في عدة مجالس بحضور علماء البلد، وبيَّن فيه أن الجهر بالأولى هو المعتمد في مذهب الحنابلة، وأورد فيه أحاديث نبوية، وأقوالاً لأحمد بن حنبل وأصحابه تدعيماً لما ذهب إليه[٤].

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ٢/٤٦.
(٢) نفس المصدر ١/٣٥٥.
(٣) نفس المصدر ٢/٣٢٧.
(٤) نفس المصدر ١/٤٤٧ (ط ق).

وتخصص القاضي تقي الدين يحيى بن حمزة بن قدامة المقدسي (ت٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، في تدريس كتاب «المقنع في الفقه» للموفق بن قدامة المقدسي، فعقد مجالس كثيرة لإقرائه، وكان عرفاً به متقناً له[١].

وسمع المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) كتاب «الغنية لطالبي الحق» للشيخ عبد القادر الجيلاني على الفقيه جمال الدين بن الدباب البغدادي الحنبلي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) في رباط الخلاطية ببغداد سنة[٢] (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

وعندما انتقل الفقيه عفيف الدين بن الدواليبي البغدادي (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) إلى دمشق عام (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) سمع كتاب «الأحكام في الفقه» على مؤلفه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية»[٣].

* **ويتبين مما تقدم ذكره** أن مجالس قراءة المصنفات قد شملت مصنفات في مختلف العلوم، في مقدمتها كتب الحديث والتاريخ والفقه. وأن ظاهرة قراءة الكتب على مؤلّفيها أو على غيرهم من المختصين هي طريقة نافعة ومجدية من طرق التربية والتعليم التي كانت سائدة عند المسلمين (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، وهي تسمح للطالب أن يأخذ عن شيخه علمه وأخلاقه مباشرة.

ثالثاً: مجالس الفقه والتفسير والأدب وعلم الكلام:

* **بالنسبة لمجالس الفقه عند الحنابلة:**

فمنها: حلقة بجامع القصر ببغداد تعرف بحلقة الفقهاء يحضرها فقهاؤهم وبعض المشتغلين بالعلم من المذاهب السُّنِّية الأخرى، كل يوم

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٣٦.

(٢) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ق٣، ٤/ ٣٧٩.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة ٤/ ٢٨.

جمعة وممن تردد إليها: الفقيه الموفّق بن قدامة المقدسي[1]، ربما حضرها أيام كان طالباً ببغداد، ولم أعثر لها عن أخبار أخرى رغم أهميتها.

وكانت للقاضي عبد الله بن أبي الفرج بن أبي حازم الفراء البغدادي (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) حلقة فقه يعقدها في بيته يحضرها أهل العلم والعوام، وينفق عليهم بسخاء[2].

ومنها مجلس علم للفقيه زين الدين أبي البركات بن المنجا الدمشقي (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، بالجامع الأموي بدمشق، خصصه للفقه والفتوى وعلوم أخرى، داوم عليه ثلاثين سنة ولم يكن يأخذ عنه أجراً[3].

* **وأما مجالسهم في تفسير القرآن الكريم**[4]، فأشهرها ثلاثة:

أولها: مجالس عبد الرحمٰن ابن الجوزي، شرع فيها ضمن نشاطه الدؤوب في التدريس والوعظ، على امتداد أكثر من أربعين سنة، أتم خلالها تفسير القرآن كله سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، وذكر عن نفسه أنه ما عرف واعظاً فسر القرآن الكريم كله على المنبر إلا هو[5].

والثانية: مجالس الفقيه فخر الدين ابن تيمية الحراني (ت٥٢٢هـ/

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢٩ (ط ق).

(٢) نفس المصدر ١/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٣٣٣.

(٤) كانت للحنابلة بجامع دمشق حلقة دائمة لتحفيظ القرآن الكريم، يزيد عدد أفرادها عن مائة شخص، وقد وصلتنا عنها وثيقة مخطوطة نشرها الباحث دومنيك سوردال في نشرك الدراسات الشرقية (B E O) ترجع إلى مطلع (القرن السابع الهجري/ ١٣م)، فيها قائمة بأسماء فقراء الحنابلة المنتمين للحلقة، وعنها انظر: النشرة السابقة .Tome 27 1972 P 147,148

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٥١، والمنذري: المصدر السابق ٢/ ٢٩٣، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٣٢٦.

١٢٢٥م)، شرع فيها منذ سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) صباح كل يوم بجامع حران، وواظب عليها حتى فسر القرآن خمس مرات، على امتداد ثلاث وعشرين سنة، آخرها سنة (٦١٠هـ/ ١٢١٣م)[١].

والثالثة: مجالس الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) بدأها وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة على أثر وفاة والده عبد الحليم بن عبد السلام سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) فجلس مكانه بدار الحديث السكرية بدمشق[٢] وبالجامع الأموي بدمشق، ففسر البسملة في مجلسه الأول بالسكرية، فكان درساً جيداً استحسنه كبار العلماء[٣]، وأما في الجامع الأموي فقد شرع في تفسير القرآن الكريم من أوله يوم كل جمعة بعد الصلاة، واستمر على ذلك الحال سنين طويلة في حضور الجمع الغفير من الناس لكثرة ما يورده من العلوم المحررة، بصوت جهوري فصيح من غير توقف ولا تلعثم[٤]، وقد يطول مجلسه إلى ربع النهار دون الرجوع إلى كتاب ولا إلى قارئ يعينه، وقد يضطر إلى إنهاء مجلسه حفاظاً على مصالح المستمعين له، وقد أملى في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] نحو خمس وثلاثين كراسة، وفي سورة الإخلاص أملى مجلداً كبيراً[٥].

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٥٢، والداودي: المصدر السابق ٢/ ١٤٤.

(٢) عنها انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٣) منهم قاضي القضاة بهاء الدين الزكي الشافعي، وشيخ الشافعية تاج الدين الفزاري، وزين الدين بن المنجا الحنبلي ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٤١، (ط د) المعرفة، وابن ناصر الدين: المصدر السابق ص٨٦، ٨٧.

(٤) محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٨٧، وأبو حفص البزار: الأعلام العلية ص٢٣، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٤٩، (ط د) المعرفة، وابن الوردي: تتمة المختصر ٢/ ٤٠٨.

(٥) أبو حفص البزار: المصدر السابق ص٢٣، ٢٤.

*** ومن مجالسهم الأدبية:**

حلقة الأديب أبي منصور موهوب بن الجواليقي البغدادي (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، كان يقرئ فيها الأدب[١]، يوم كل جمعة بجامع القصر ببغداد[٢]، وقد سئل فيها إحدى المرات عن أبيات شعرية في علم الفلك فلم يعرفها، فاستحى من طلابه وأصحابه، ولم يرجع إليها ـ أي: حلقته ـ إلا بعدما اطلع على طرف من علم الفلك. وعندما توفي خلفه فيها ولده إسماعيل (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) وكان أديباً بارعاً كأبيه[٣].

وللغوي أبي محمد ابن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م) مجالس نحو عامرة بالطلاب، وكثيرة الزحام[٤]، ومن غرائبه أنه كان ضنيناً بعلمه على طلبته، ويتعبهم في الوصول إليه، فلم يكن له مكان معروف يقصد فيه، وإنما يجلس كل يوم أينما اتفق، وأحياناً يتركهم ويختلف إلى العوام في الطرقات والأسواق، وقد كان تلميذه مصدق بن شبيب الواسطي يضايقه ويتتبعه أينما حل، حتى يتذمر منه ابن الخشاب وينهره لعله يتركه[٥]. وعندما فرغ الأديب أبو السعادات ابن الشجري العلوي البغدادي (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) من إملاء كتاب «الأمالي في

---

(١) كان للنحويين حلقة بجامع القصر ببغداد.، ابن الجوزي: المنتظم ٩/ ١٦٥. ولم أعثر على أي حنبلي درس فيها.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ٧٣٦، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٢٠، ٢٢٢.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ٧٣٦، والسيوطي: بغية الوعاة ١/ ٤٥٧، الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص١٣٩.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١٦، ٣١٧.

(٥) ياقوت الحموي: المصدر السابق ج ص١٤٩٧، ١٥٠٢، وابن الفرات: المصدر السابق ق٤، ١/ ١٩٠.

الأدب» جاء إليه ابن الخشاب والتمس سماعه عليه فأبى، فعاداه ابن الخشاب وانتقده في مواضع من كتابه ونسبه فيها إلى الخطأ، فرد ابن الشجري على انتقاداته وجمعها في كتاب سماه: «الانتصار» وقرأه على الناس[١]. ويبدو أن هذا التنافر بين الأديبين سببه التحاسد، الذي كثيراً ما يكون بين الأقران ذوي الصنعة الواحدة.

*** وأما بخصوص المجالس ذات الصبغة الكلامية والفلسفية،** فلم أعثر للحنابلة منها إلا على القليل (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)[٢]:

منها: حلقة المتكلم الفخر إسماعيل غلام ابن المني البغدادي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م) خصصها للمناظرة والجدل وعلم الكلام[٣].

وفي مجلس للعلماء بدار الخلافة ببغداد تساءل الوزير أبو الفرج العباس ابن رئيس الرؤساء: هل العلم واحد أم متعدد؟ فأجابوه أن العلم واحد، من بينهم عبد الرحمٰن ابن الجوزي، ثم سأل الوزير عن علماء آخرين من غير الذي معه، فدله بعض الناس على المتكلم صدقة بن الحسين الحداد الحنبلي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، فأرسل إليه السؤال وفيه خطوط العلماء السابقين، ففكر طويلاً ثم تعجب من اتفاقهم على ما لا أصل له في رأيه وكتب يقول: إن العلم علمان، علم غريزي، وعلم مكتسب، فأما الغريزي فهو الذي يدرك على الفور من غير فكر؛

---

(١) اليافعي المكي: المصدر السابق ٣/ ٢٧٥، ٢٧٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٣٢.

(٢) ذكر أبو الوفاء بن عقيل مجالس كثيرة في كتابه الفنون ناقش فيها قضايا كلامية وفلسفية كثيرة غير أنها خالية من الإطار الزمني، وهو ـ أي: ابن عقيل ـ قد عاش معظم حياته (في القرن الخامس الهجري/ ١١م).

(٣) الذهبي: العبر ٣/ ١٥٢.

كقولنا واحد زائد واحد، يعلم ضرورة إنه اثنان، وعلم مكتسب هو ما يدرك بالبحث والطلب والفكر، ثم أرسل جوابه إلى الوزير، فأعجبه واستدعاه إليه وأكرمه، وخلع عليه خلعة حسنة وأعطاه أربعين ديناراً[١].

وجوابه ـ أي: صدقة بن الحسين ـ لا يتناقض مع ما ذهب إليه العلماء، وتعجبه من إجابتهم ليس في محله، فهو نظر لطريق تحصيل العلم، وهو طريقان: غريزي بديهي، واستنباطي مكتسب، وهم نظروا إلى العلم في ذاته، وهو واحد نسميه الحقيقة، فالإحساس الغريزي يعرفنا ببعض الحقائق، والنظر العقلي هو كذلك يوصلنا إلى معرفة كثير من الحقائق.

وجواب صدقة بن الحسين، لا أعتقد أن هؤلاء العلماء كانوا يجهلونه؛ لأنه معروف ومروي عن الإمام أحمد بن حنبل، فإنه قسم العلم إلى علمين، ضروري، واستدلالي: الأول: هو ما وقع تحت الحواس الخمس، وهذا لا يدفع ولا شبهة في وجوده، ومنه كذلك علم لا يدرك بالحواس الخمس؛ كالأخبار المتواترة[٢]، والأنباء السائرة عن الأمم السالفة والبلاد القاصية والملوك الخالية، وهو كذلك يلتحق بالعلم الضروري، ومنه علم الإنسان بنفسه وما يجده من باطن حاله من صحة وسقم، ولذة وألم، وهذا جميعه لا سبيل إلى دفعه عن القلوب، ولا اعتراض للشك فيه. وأما الثاني: فهو علم يكشف بالطلب والاستنباط، والجدال والنظر[٣].

---

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق ٤/١٤٤٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤١ (ط ق).

(٢) الخبر نوعان: آحاد، ومتواتر، وللمزيد انظر: المبحث الثالث من الفصل الثالث.

(٣) ابن تميم الحراني: مقدمة ابن تميم في أصول مذهب أحمد بن حنبل، ملحقة بكتاب بطبقات الحنابلة، ٢/ ٢٨١.

رابعاً: المناظرات:

مثلت المناظرات في المشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) جانباً هاماً من الحياة العلمية، فكانت تعقد في المساجد والمدارس والبيوت، وفي الغزوات ومناسبات العزاء[١]:

فمن ذلك: أنه في عزاء الفقيه أبي الخطاب الكلوذاني البغدادي الحنبلي (ت٥١٠هـ/ ١١١٦م) جرت مناظرة بين الفقيه ابن عقيل البغدادي والفقيه أبي بكر الشاشي البغدادي الشافعي (ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م)، في مسألة إهداء الثواب إلى الأموات[٢].

وفي غزوة للسلطان صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) في حربه للصليبيين، خرج معه فقهاء من الحنابلة من المذاهب السُّنِّية الأخرى، فاجتمع بعضهم في خيمة للحنابلة وشرعوا في المناظرة بحضور الفقيهين الحنبليين المقدسيين: الموفّق بن قدامة، وأبي القاسم سيف الدين، ولم يذكر موضوعها ولا تفاصيلها[٣].

ويُعد المتكلم أبو الوفاء بن عقيل (٥١٣هـ/ ١١١٩م) من أكثر علماء الحنابلة اشتغالاً بالمناظرات، وقد ضمن كتابه الفنون عشرات المناظرات التي جرت بينه وبين علماء بغداد على اختلاف مذاهبهم[٤]، تناولت موضوعات شتى في الفقه وأصول الدين؛ كمسألة المرتد هل يرثه أقاربه

---

(١) انظر: ابن عقيل: كتاب الفنون ١/ ٢٢، ٢٧، ٣٥، ٨٥، ١٦٥، ١٦٨، ٢/ ٦٥٢، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٨١ ـ ٥٩٠هـ)، ص٢٤٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧٢.

(٢) ابن عقيل: المصدر السابق ٢/ ٦٥٢.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧٢، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٨١ ـ ٥ ـ ٥٩٠هـ)، ص٢٤٠.

(٤) انظر ـ مثلاً ـ: ١/ ١٤٣، ١٨٠، ١٩٩، ٢٧٥.

المسلمون أم لا؟ وقضية الهداية والضلال، وهل يجوز عتق الكافر في مسألة الظهار؟ وغيرها كثير جداً[1]. وقد جرت بينه وبين الفقيه أبي سعد المخرمي البغدادي الحنبلي (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م) مناظرة مطولة موضوعها: هل يجوز بيع الوقف إذا تخرب وتعطل نفعه؟ فاختار هو عدم الجواز، وقال المخرمي بالجواز، واحتج كل منهما لرأيه بأدلة كثيرة، ودخلا في مسائل فقهية معقدة[2]، ويبدو أن رأي أبي سعد المخرمي هو الأصح، بالنظر إلى المصلحة، وذلك أنه يلتزم بأحكام الوقف في أنه لا يباع ولا يوهب ويورث[3]، إذا كان يؤدي وظيفته التي وقف من أجلها، وأما إذا تعطّل وتخرّب وفقد مهمّته، فإنه من المصلحة أن يباع وتستخدم أمواله في مجالات خيرية أخرى.

وكانت لخمسة من كبار فقهاء الحنابلة مواعيد ثابتة، للمناظرة بجامع القصر في بغداد:

أولهم: أبو الحسن الزاغوني (ت٥٢٧هـ/ ١١٣٣م)، حلقته يوم الجمعة قبل الصلاة[4].

والثاني: القاضي أبو يعلى الصغير عماد الدين بن الفراء (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) له مجلس للمناظرة بنيت له فيه دكة قبل سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م)[5].

---

(١) انظر ـ مثلاً ـ: ١/ ٩، ٨، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣٨، ١٤٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٨٠، ١٩٩.

(٢) عن تفاصيلها انظر: ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٠١ وما بعدها، (ط د).

(٣) السيد سابق: فقه السُّنَّة، بيروت القاهرة، دار الجيل والفتح للإعلام العربي، (١٩٩٥م)، ٣/ ٣٠٩.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢١٧، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٨١.

(٥) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٢٤٥.

والثالث: ناصح الإسلام أبو الفتح ابن المني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) أذن له الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦ ـ ٥٧٥هـ/ ١١٧٠ ـ ١١٨٩م) بالتدريس والمناظرة[١].

والرابع: الفخر غلام ابن المني (٦١٠هـ/ ١٢١٣م)[٢].

وآخرهم: أبو محمد عبد المنعم الباجسرائي (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)[٣].

ومن كبار المناظرين الحنابلة الدمشقيين، اثنان، **أولهما**: الفقيه الموفّق بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، له مجلس للمناظرة في الجامع الأموي بدمشق يوم الجمعة بعد الصلاة، ناظر فيها مدّة طويلة ثم تركها في آخر عمره[٤]، وكان في مناظراته يبتسم ولا يقلق، ولا يتحرج، في حين خصمه يصيح ويرتعد، حتى قيل: هذا شيخ يقتل خصمه بتبسمه[٥]. وقد جرت بينه وبين عالم أشعري دمشقي مناظرة مشهورة، في مسألة القرآن الكريم: هل هو كلام الله حقيقة لفظاً ومعنى كما يقول الحنابلة، أم هو حكاية وعبارة عنه على رأي الأشاعرة؟ فطالت المناظرة بينهما[٦] وتشعبت موضوعاتها، وقد لخصها الموفّق في كتابه «مناظرة في القرآن العظيم»[٧].

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣٦٢.

(٢) الذهبي: العبر ٣/ ١٥٢، وابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ١١٥.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٧.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٧، وابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٣٤٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٨٩.

(٥) الذهبي: العبر ٣/ ١٨١، وابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٣٤٢، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٧.

(٦) سنذكر بعض موضوعاتها في الفصلين الرابع والخامس.

(٧) عنه انظر: المبحث الرابع من الفصل الخامس.

والثاني: الشيخ تقي الدين ابن تيمية، له مناظرات كثيرة[1]، منها اثنتان جرتا بينه وبين الفقيه صدر الدين بن الوكيل الدمشقي الشافعي (ت٧١٦هـ/ ١٣١٦م) موضوعهما الحمد والشكر، وقد أوردهما بطولهما محمد بن عبد الهادي الدمشقي (ت٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) في كتابه «العقود الدرية»[2].

* **وأشير هنا إلى أن المناظرات التي كانت مظهراً من مظاهر الحركة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي**، قد ساهمت في التكوين النوعي للعلماء؛ لأنها تشحذ الأذهان، وتنمي المعارف، وتمرّن على السرعة في الرد، وتبعث الثقة في النفس، وتمكن من القدرة على الارتجال في الكلام، وتدرب على حسن التفكير وجودة التعبير، لذلك أشار إليها العلماء في مصنفاتهم وعدوها من طرق التعليم[3]. لكنها قد تكون من جهة أخرى سبيلاً إلى إثارة الفتن، وبثّ الشحناء والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، وتبعث في المتناظرين التعصب والاعتداد الزائد بالنفس، والتكبر على الأقران وعدم الخضوع للحق، كما أنها طريق لكثرة الجدال، واتباع الهوى، وتبادل السبّ والشتم انتصاراً للمذهب وتعصباً له، وقد جرت بحوث ومناظرات كثيرة بين الفقيهين الدمشقيين شرف الإسلام بن عبد الواحد الحنبلي (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)، وأبي الحجاج الفندلاوي الأشعري (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، كانت تنتهي إلى السبّ والنزاع والفرقة[4]، وأما إذا تجرد المتناظرون للحق وجعلوه غايتهما، وتخلوا عن

---

(١) عنها انظر: محمد بن عبد الهادي: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية.

(٢) ص٩٥ وما بعدها، و١٠٧ وما بعدها.

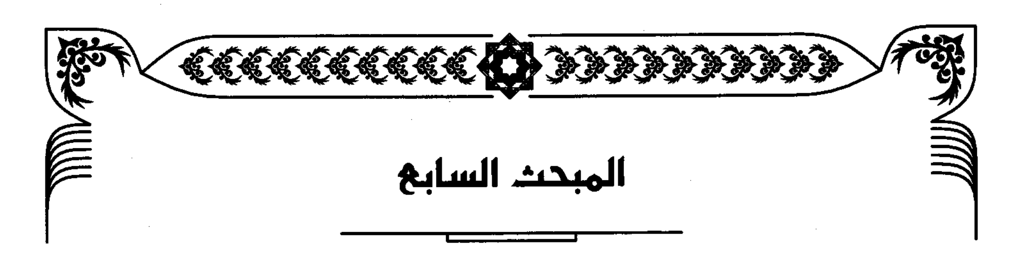
(٣) محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، الكويت دار الكتاب الحديث، (د ت) ص١٩١، ١٩٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤.

تعصبهم وتخلقوا بآداب الجدال الحسن، فإنهما سيجنيان إيجابيات المناظرة ويتجنبان سلبياتها.

ويتبين مما أوردناه عن المجالس العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أنها كانت كثيرة ومزدهرة، شملت مختلف العلوم؛ كالحديث والفقه والتفسير. وأنها اتخذت أشكالاً متعددة؛ كالمناظرات، والدروس، وقراءة المصنفات على مؤلّفيها أو المختصين فيها؛ الأمر الذي أعطى دفعاً وفعالية للحركة العلمية الحنبلية، في الإعلاء من شأن المذهب الحنبلي ونصرته وإثرائه ونشره بين الناس.





المبحث السابع

دور علماء الحنابلة في نشر المذهب الحنبلي
(ق ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

انتشر المذهب الحنبلي قبل القرن (السادس الهجري/ ١٢م) في عدّة مدن من المشرق الإسلامي؛ كبغداد ودمشق، وأصفهان وحران[١]، ثم واصل توسعه على أيدي علمائه وأتباعه، (خلال القرنين: السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، فأعطوه دفعاً قوياً، ومكنوا له في مناطق جديدة.

۞ أولاً: مناطق انتشار المذهب الحنبلي (ق٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م):

للمذهب الحنبلي في المشرق الإسلامي مناطق نفوذ رئيسية انتشر فيها بكثرة، له فيها وجود جماعي فعال، وله مناطق ثانوية له فيها وجود فردي وليس له فيها تأثير جماعي بارز. (انظر: الخريطة رقم: ٣)، فبخصوص المناطق الرئيسية:

*** فمنها ستّ مدن في العراق وبلاد فارس:**

ـ أولها: بغداد:

غلب عليها المذهب الحنبلي قي القرن (الخامس الهجري/ ١١م)[٢]، ثم ازداد ازدهاراً واتساعاً في القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، على أيدي

(١) عن ذلك انظر: التمهيد.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٢/ ٣١٢.

علمائه النشطين، الذين صنّفوا الكتب، وعقدوا مجالس العلم والوعظ، وبنوا المدارس، منهم: أبو الوفاء بن عقيل، وأبو الفضل بن ناصر، والوزير عون الدين بن هبيرة، وعبد القادر الجيلاني، وأبو الفتح بن المني، وعبد الرحمٰن ابن الجوزي[١].

ويرى الباحث جولد تزهير أن النصر الذي تحقق في بغداد خلال القرن (الخامس الهجري وما بعده) كان للأشاعرة على حساب المعتزلة[٢]، وليس للحنابلة. وخالفه الباحث جورج مقدسي، وأكد أن النصر الذي تحقق في بغداد كان للحنابلة وأهل الحديث، الأمر الذي مكنهم من قهر محاولات الأشاعرة للحلول مكان المعتزلة، وقد تجلّى نصرهم في ازدهار مدارسهم في القرن (السادس الهجري/ ١٢م)[٣]. وقوله هذا هو الصحيح؛ لأن الغلبة كانت للمذهب الحنبلي في بغداد، لكن الأشعرية هي الأخرى بدورها حققت نصراً متواضعاً بدعم من الوزير السلجوقي نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) الذي مكنها من إيجاد موقع لها في بغداد بعد مصادمات عنيفة بينها وبين الحنبلية[٤].

وأما الباحث محمود صبحي فيرى أن أفول المعتزلة من بغداد وخارجها، ترك فراغاً فكرياً، أدى إلى نشأة الأشعرية التي ملأته؛ لأن فكر الحنابلة غير ملائم ليكون عقيدة للعامة لتطرفهم[٥].

---

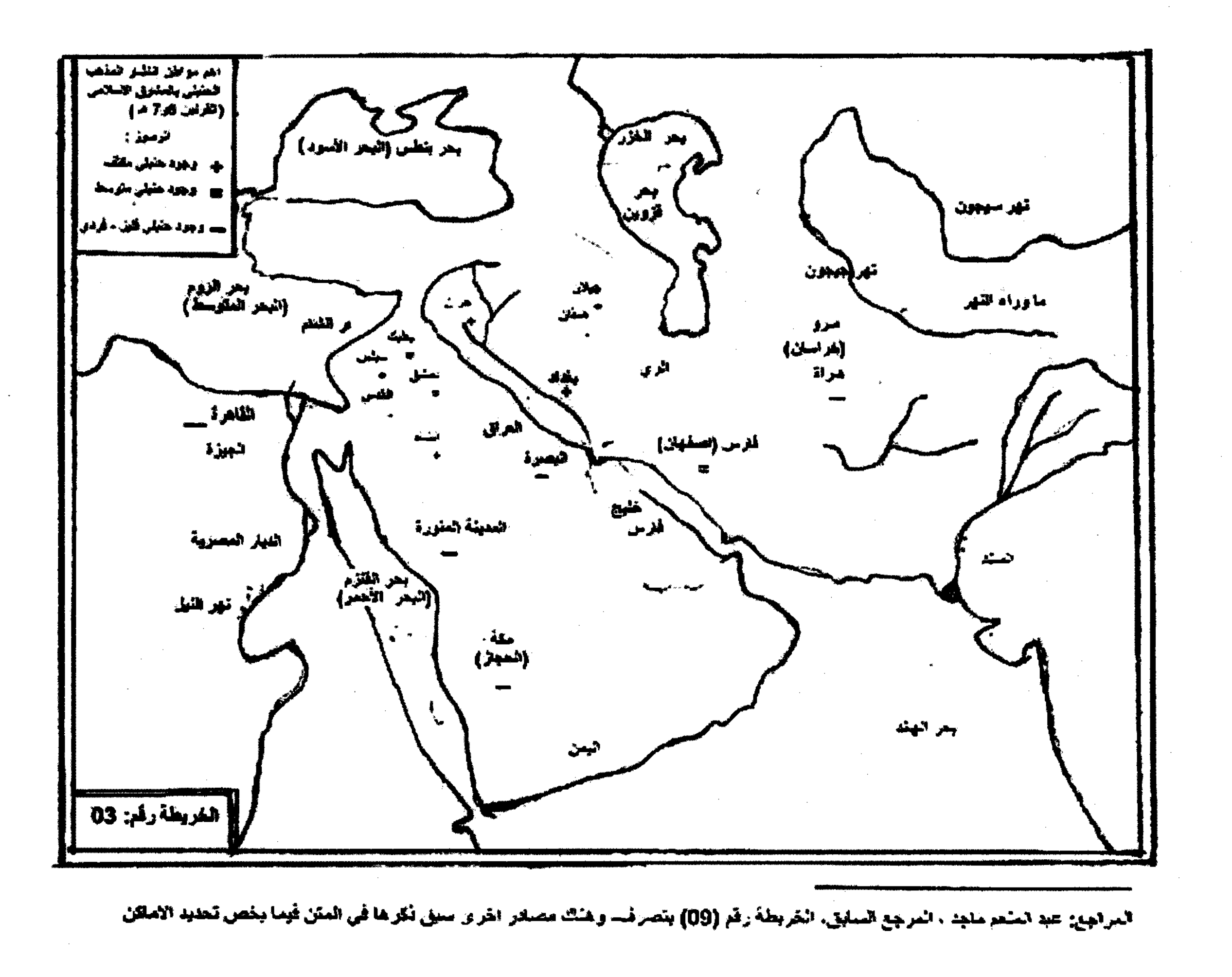
(١) سبق ذكر بعض نشاط هؤلاء العلمي وسيأتي المزيد في المباحث الآتية.

(٢) جواد تزهير: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وحسن عبد القادر، بيروت دار الرائد العربي، (د ت) ص١٠٨.

(٣) جورج مقدسي: «رعاة العلم في بغداد» ترجمة: إحسان عباس، مجلة الأبحاث، بيروت مج ١٤ (١٩٦١م)، ٤/ ٥٠٥.

(٤) عنها انظر لكاتب هذه السطور: الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد ١٩٢ وما بعدها.

(٥) محمود صبحي: في علم الكلام: الأشاعرة ط٥ بيروت دار النهضة العربية (١٩٨٥م)، ص٣٧، ٣٨.



المراجع: عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق، الخريطة رقم (09) بتصرف ـ وهناك مصادر اخرى سبق ذكرها في المتن فيما يخص تحديد الأماكن

وكلامه هذا ينطوي على مغالطات وأخطاء تاريخية فادحة، فمتى كان مذهب المعتزلة عقيدة عامة الناس في المشرق الإسلامي، لكي نقول أنه ترك فراغاً عند أفوله؟!

إنه منذ أن وضع الخليفة العباسي المتوكل بالله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م) حدّاً لمحنة خلق القرآن، وكسر شوكة المعتزلة[1]، وعامة العلماء والناس على مذهب أهل الحديث، وعندما جاء المتكلم أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) إلى بغداد انتسب إليهم[2]، واستمر الأمر على هذا الحال إلى القرن (الخامس الهجري/ ١١م) حين بدأت الأشعرية في التحرك لنشر أفكارها، ودخلت في نزاع مع الحنبلية في بغداد، فأين الفراغ المزعوم الذي تركه المعتزلة؟

وأما قوله: إن فكر الحنابلة لا يصلح للعوام لتطرفهم، فهو ادعاء لا دليل عليه فمتى كان العوام يختارون مذاهبهم وعقائدهم؟ إنهم تبع لملوكهم وعلمائهم، فعندما ملك الفاطميون مصر أصبح عامة الناس على مذهبهم الإسماعيلي بعدما كانوا سُنِّيين، وعندما أطاح بهم صلاح الدين الأيوبي رجع هؤلاء إلى المذاهب السُّنِّيّة.

وأعتقد شخصياً أن أي باحث منصف له اطلاع على المذهبين الحنبلي والأشعري، يتبين له أن المذهب الحنبلي هو الأقرب إلى فطرة عامة الناس من المذهب الأشعري، الذي طغى عليه علم الكلام، وخاض في مسائل أبعدته عن الفطرة؛ كمسألة الكلام النفسي، والتأويل،

---

(١) انظر: ابن كثير: المصدر السابق ١٠/ ٣١٦.

(٢) ابن تيمية: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول حققه محمد محيي الدين عبد الحميد وحامد الفقي ط٢ القاهرة، مطبعة السُّنَّة المحمدية (١٩٥٠م)، ٢/ ١٠، ومجموع الفتاوى جمع وترتيب محمد بن قاسم، الرباط، مكتبة المعارف (د ت) ٣/ ٢٢٨.

والجبر والكسب[1].

وظل المذهب الحنبلي محافظاً على مكانته في بغداد خلال النصف الثاني من القرن (السابع الهجري/ ١٢م) بفضل نشاط علمائه ومؤسساته، حتى أصبحت بغداد قبلة طلاب الحنابلة يأتونها من الأمصار لدراسة مذهبهم[2]، لكنه فقد كثيراً من نفوذه وقوته عندما استولى المغول على بغداد ونكبوا أهلها سَنَة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)؛ فقلّ بذلك أتباعه في بغداد وكثروا في الشام[3]، غير أنه سرعان ما استرد كثيراً مما فقده، فعندما زار الرحّالة ابن بطوطة بغداد سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) وجد أكثر أهلها حنابلة ولهم فيها الدور الكبير والمؤثر[4] ومما يثبت ذلك أنه عندما اعتنق السلطان المغولي محمد خربندة (ت٧١٦هـ/ ١٣١٦م) المذهب الشيعي الاثنى عشري وسعى إلى فرضه على مملكته كان الحنابلة أكبر قوة معارضة له في بغداد، وحملوا السلاح في وجهه[5].

ـ والثانية: مدينة الموصل:

كان فيها التأثير الحنبلي بارزاً تجلّى في علمائه الموصليين النشطين؛ كالفقيه أبي العباس ابن الوتارة (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، اشتهر بين الناس بالزهد والورع، والجاه العريض والحرمة الوافرة بينهم[6].

---

(١) سيأتي ذكر نماذج من تلك المسائل في الفصلين الثالث والرابع.

(٢) عن ذلك انظر: رحلات علماء الحنابلة في طلب العلم، من هذا الفصل.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٩٣م)، ص٣٥٥.

(٤) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٢١٤، ٢٣٨.

(٥) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٢١٤، ٢٣٨، والصفدي: المصدر السابق ٢١/ ١٨٥.

(٦) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٦٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٠٠.

والمقرئ الأديب محمد بن أحمد شعلة الموصلي (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، برع في القراءات والأدب، وهو القائل:

كن حنبلياً ما حييت، فإنني أوصيك خير وصية الإخوان
ولقد نصحتك إن قبلت فأحمد زين التقاة وسيد الفتيان[(١)]

ومنهم: المقرئ الفرضي ضياء الدين عبد الله بن إبراهيم (ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)، شيخ القراء بالموصل، قرأ عليه علم القراءات والفقه الحنبلي المقرئ الفقيه ابن خروف الموصلي (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)[(٢)].

ـ والثالثة: مدينة جيلان[(٣)]:

للمذهب الحنبلي فيها نفوذ قوي، وغالبية سكانها حنابلة، والباقي من المذاهب السُّنِّية الأخرى، ولا يستطيع أن يسكن معهم من يخالفهم في المذهب[(٤)].

ومن الأسر العلمية الحنبلية ذات الأصل الجيلاني، أسرة عبد القادر الجيلاني وآل شافع[(٥)].

ـ وأما الرابعة: فهي مدينة حران:

تعد معقلاً حصيناً من معاقل الحنبلية، تجذر فيها المذهب الحنبلي في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)[(٦)]، وأخرجت

---

(١) نفس المصدر ٢/ ٢٥٦، ونفس المصدر ٥/ ٢٨١.
(٢) نفس المصدر ٢/ ٢٩٨، ونفس المصدر ٥/ ٣٣٦.
(٣) يقال كذلك كيلان، وهي مدينة حصينة تقع بأرض الديلم شمال العراق وجنوب أذربيجان. ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ٤٥، وعبد المنعم ماجد وعلي البنا: الأطلس التاريخي، خريطة رقم (٧).
(٤) ابن كثير: نفس المصدر ١٤/ ٤٥.
(٥) عنهما انظر: مبحث الأسر العلمية الحنبلية من هذا الفصل.
(٦) أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء: المصدر السابق ٢/ ٨٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٦٥.

علماء كباراً منهم: فخر الدين ابن تيمية (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وابنه عبد الغني (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)، وابن عمه مجد الدين أبو البركات (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، وعبد المنعم بن الصيقل[١] (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، لكن الوجود الحنبلي ضعف بحران عندما هاجر كثير من أهلها إلى دمشق فراراً من المغول سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م)[٢].

ـ **والخامسة**: مدينة همذان[٣]:

كان فيها المذهب الحنبلي متجذراً ظاهر التأثير خلال القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، على يد الحافظ المقرئ أبي العلاء العطار (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) وأولاده العلماء، وقد كان له نفوذ قوي وجاه عريض في بلده وخارجه، يأتيه طلاب العلم من شتى الأمصار، فيستقبلهم ويسكنهم ويدرّسهم وينفق عليهم مجاناً، مما زاد في التمكين للمذهب الحنبلي في همذان وضواحيها، لكنه ـ أي: المذهب الحنبلي ـ تراجع فيها وربما انقرض، عندما اجتاحها المغول وأزالوا من كان فيها من أهل الحديث والأثر[٤].

ـ **وآخرها: مدينة أصفهان**:

دخلها المذهب الحنبلي مبكراً[٥]، وتمذهب به كثير من أهلها[٦]

---

(١) عن هؤلاء انظر: مبحث الأسر العلمية الحنبلية من هذا الفصل.

(٢) ابن شاكر الكتبي: المصدر السابق ١/ ٦٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١١.

(٣) تقع في بلد فارس إلى الشمال الشرقي من بغداد، وهي اليوم تابعة لإيران. عبد المنعم ماجد وعلي البنا: المرجع السابق، خريطة رقم (٨)، وأطلس العالم الصحيح، بيروت دار مكتبة الحياة (١٩٨٥م)، ص٦٧.

(٤) الذهبي: الأمصار ذوات الآثار ص١٩٧، والسخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حققه فرانز روزنتال، بيروت، دار الكتب العلمية (د ت) ص٢٩٧.

(٥) انظر: التمهيد.

(٦) ابن رجب المصدر السابق ١/ ٣٨.

منهم آل منده؛ كالحافظ أبي زكريا يحيى بن منده (ت٥١١هـ/ ١١١٧م) وأبي الوفاء محمود (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).

ويرى الباحث مصطفى جواد أن المذهب الحنبلي فقد أغلبيته بأصفهان في القرن (السادس الهجري/ ١٢م)؛ لأن السلاجقة أضعفوه ومكنوا للشافعية، على حساب الحنابلة، الأمر الذي أدى إلى النزاع بينهم ـ أي: الشافعية ـ وبين الحنفية[١].

ومما يدعم رأيه أن علماء الحنابلة في أصفهان قلّ عددهم كثيراً في النصف الثاني من القرن (السادس الهجري/ ١٢م) وما بعده، بالمقارنة إلى علمائهم في بغداد ودمشق[٢]، كما أن الفتن المذهبية التي اشتدت بين طوائف أصفهان في الربع الأول من القرن (السابع الهجري/ ١٣م)، لا ذكر للحنابلة فيها[٣].

ويبدو أنهم انقرضوا من أصفهان عندما خربها المغول، وقضوا على من كان فيها من أصحاب الحديث[٤]؛ لأنه عندما رحل الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن الطائي المصري الحنبلي (ت٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) إلى أصفهان طلباً لعلم الحديث، لم يجد فيها شيوخاً ولا طلبة فرجع من حيث أتى[٥].

*** وأما في الشام:**

فقد انتشر المذهب الحنبلي في بعض مدنه (انظر: الخريطة رقم: ٣): منها:

---

(١) مصطفى جواد: في التراث العربي ص٢٣٣.

(٢) تبين لي ذلك من خلال تراجم ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة.

(٣) العماد الكاتب: المصدر السابق ١/ ١٥.

(٤) السخاوي: المصدر السابق ص٢٩٥.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣٦.

ـ بيت المقدس:

أدخله إليه أبو الفرج عبد الواحد الشيرازي[(١)] (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م). وأصبح للحنابلة فيه مقاماً للصلاة بالمسجد الأقصى؛ كباقي المذاهب السُّنِّية الثلاثة الأخرى في القرن (السابع الهجري/ ١٣م)[(٢)].

ـ ومنها نابلس:

كان للحنابلة فيها وجود مؤثر في القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، على أيدي بني قدامة وآل سرور وآل السعدي، وعندما هاجروا إلى دمشق هرباً من الصليبيين، بقي من آل سرور بيت عبد المنعم في نابلس محافظاً على مذهبه الحنبلي. ومن أعلامه المشهورين الفقيه المحدّث تقي الدين يوسف بن عبد المنعم (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، والفقيه جمال بن عبد المنعم[(٣)] (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

ـ وأما في مدينة دمشق:

فقد تقوى فيها المذهب الحنبلي خلال القرن (السادس الهجري/ ١٢م) وما بعده على أيدي الأسر العلمية الحنبلية الدمشقية، من بني الحنبلي، وبني المنجا، والمقادسة، وآل تيمية، الذين بنوا المدارس والمساجد، وصنفوا الكتب، وعقدوا مجالس العلم، وقد حولوا ضاحية الصالحية إلى مدينة للعلم والعلماء، ومعقلاً حصيناً لهم[(٤)].

ـ كما كان للحنابلة تأثير بارز في بعض قرى الشام، منها: دومة بغوطة[(٥)]

---

(١) انظر: التمهيد.

(٢) عن مقام الحنابلة في المسجد الأقصى، انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٣) العليمي: الأنس الجليل قي تاريخ القدس والخليل، العراق، المطبعة الحيدرية ومكتبتها (١٩٦٨م)، ٢/ ٢٥٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٠٢، ٢٧٨.

(٤) عن ذلك انظر: المؤسسات العلمية الحنبلية في الفصل الثاني.

(٥) الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء، وكان من الأراضي المطمئنة =

دمشق، وحوارى، وكفر بطنا، وبيت لهيا، وبلبيس، ويونين ببعلبك[1].

* **وفيما يخص انتشار المذهب الحنبلي في مصر:**

فقد ادعى المؤرخ جلال الدين السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، أن فقهاء الحنابلة بمصر قليلون جداً، وأنه لم يسمع بخبر عنهم إلا بعد القرن (السابع الهجري/ ١٣م) وما بعده، وأن أول إمام منهم ورد مصر ـ حسب علمه ـ هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)؛ لأن مذهب الإمام أحمد بن حنبل لم يبرز خارج العراق إلا في القرن (الرابع الهجري/ ١٠م)، وفيه ملك العبيديون ـ الفاطميون ـ مصر، فحال ذلك دون دخوله إليها[2].

وقد ردد ما قاله السيوطي الباحثان محمد أبو زهرة[3]، وعمر سليمان الأشقر[4].

وخالفه الباحثان محمود بن عرموس، وعبد العزيز الأهل، وأكدا أن مذهب أحمد بن حنبل، خرج من العراق في زمن مؤسسه، ودخل الأندلس في القرن (الثالث الهجري/ ٩م) على يد تلميذه المحدّث الفقيه بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، فعندما رجع من المشرق إلى الأندلس، درس فيها المذهب الحنبلي بمسجد قرطبة، فثار عليه علماء

= التي تروى من نهر بردى. محمد كرد علي: غوطة دمشق، ط٢ دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٥٢م)، ص١٤.

(١) انظر: ـ حسب ترتيب تلك القرى ـ محمد كرد علي: نفس المرجع ص٣٥، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٤٦، وسير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص٨٢، ١٨٢، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٢٣، ٢٦٧.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٤٨٠.

(٣) أبو زهرة: ابن حنبل، القاهرة دار الفكر العربي، (د ت)، ص٣٩٩.

(٤) عمر سليمان الأشقر: المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، ط٢، الأردن دار النفائس (١٩٩٨م)، ص١٦٨.

المالكية وأغروا به عوامهم ومنعوه من التدريس، لكنه لم يوقف نشاطه وظل يقوم إلى أن توفي، فخلفه ابنه في الرواية عن أحمد بن حنبل[1]. ووافقهما الباحث محمد زينون عندما ذكر أن مذهب أحمد وصل إلى القيروان في القرن (الثالث الهجري/ ٩م)، عن طريق رجل مشرقي[2] من أصحاب الإمام أحمد، وحدّث بها على ما رواه القاضي عياض في ترتيب المدارك[3].

وذهب الباحث هنري لاوست إلى القول بأن جلال الدين السيوطي، تعمد إغفال أهمية المذهب الحنبلي في مصر ليبرز دور الأشعرية والصوفية الذين ينتمي إليهم[4]. وتعقيباً عليهم أقول: أوافق الأربعة الأخيرين فيما قالوه، وأضيف: إن مذهب أحمد بن حنبل قد خرج من العراق إلى بلاد فارس، وخراسان، والشام في القرن (الثالث الهجري/ ٩م) على أيدي أصحابه وتلامذته[5].

وأما دخوله إلى مصر، فقد تبين لي أنه رسخ وجوده فيها وكوَّن بها جماعة نشطة في النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م) في

---

(١) محمود بن عرموس: تاريخ القضاء في الإسلام القاهرة المطبعة الهلية الحديثة (د ت) ص٦٠، وعبد العزيز الأهل: شيخ الأمة أحمد بن حنبل، ط١ بيروت دار العلم للملايين، (١٩٧٢م)، ص٣٤٧.

(٢) أن دخول ذلك الرجل إلى القيروان لا يعني أن المذهب الحنبلي قد انتشر فيها.

(٣) محمد زينون: «العلاقات الثقافية بين القيروان ومراكز الفكر في المشرق حتى منتصف (القرن ٤هـ)» مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١/ ٣٧٣، (١٩٧٧م).

(٤) Ibn Taimiya Letraite du droit puublic P 13.

(٥) أبو الحسين ابن أبي يعلى الفراء: المصدر السابق ١/ ١٧٣، ٢/ ٤٤، وابن كثير: المصدر السابق ١١/ ٤٠.

ظل الدولة الفاطمية[1]، **وما قاله السيوطي ليس بصحيح تماماً للشواهد التالية:**

أولها: إن المدرّس أبا النجا صالح بن الحسين الحنبلي (ت بعد٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، كان يدرّس في الأزهر زمن الفاطميين[2].

والثاني: إن الفقيه أبا بكر عبد الرحمٰن ابن النفيس البغدادي ثم المصري الحنبلي، انتقل إلى دمشق سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) فبقي فيها مدة، ثم دخل مصر واستوطنها إلى أن توفي بها سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[3].

والثالث: إن الفقيه أبا الخير مكي بن عمر بن شبيب المقدسي ثم المصري الحنبلي (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) ولد بمصر سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، وكان والده حنبلياً[4]؛ وهذا يعني أنه كان للحنابلة وجود بمصر سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) على أقل تقدير.

والرابع: إن الفقيه الصوفي عثمان بن مرزوق القرشي المصري الحنبلي (٤٩٤ ـ ٥٦٤هـ/ ١١٠٠ ـ ١٢٦٨م) دخل مصر زمن الفاطميين، واستوطنها إلى أن توفي بها، وكان له فيها أتباع يبلغون ستمائة شخص[5].

ومما يدل على الوجود المؤثر للحنابلة في مصر، أنه عندما فتح

---

(١) سقطت نهائياً سنة (٥٦٧هـ/١٢٦٨م).

(٢) يوسف بن إسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء حققه إبراهيم عطوة عوض، بيروت، دار الثقافة (١٩٩١م)، ٢/ ١٢٦.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٤) نفس المصدر ٢/ ٢١٥، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢١٤.

(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨١ و٤/ ٤٢١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٠٩، ٣١٠، والمناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، حققه محمد أديب الجاد، ط١، بيروت، دار صادر (١٩٩٩م)، ٢/ ٢٦٨.

صلاح الدين الأيوبي مصر سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، وعزم على بناء مدرسة على قبر الإمام الشافعي، ونبش الفقيه نجم الدين الخبوشاني الأشعري (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، قبر المحدّث ابن الكيزاني (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، لكي لا يجاور قبر الشافعي[١]، ثار عليه الحنابلة وحدّثت مواجهات بالسلاح[٢].

ومنها أن المفسّر الواعظ زين الدين بن نجية الحنبلي الدمشقي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) دخل مصر واستقر بها سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، وكان له فيها نفوذ قوي بين أهل السُّنَّة من العامة ورجال الدولة[٣]، وقد ترجم له السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة»، وذكر عنه أنه صحب السلطان صلاح الدين الأيوبي[٤].

فيتبين من هذه الروايات، أن المذهب الحنبلي قد تجذر بمصر في النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م) قبل سقوط الدولة الفاطمية؛ وأن ما قاله السيوطي عنه ليس بصحيح.

---

(١) كان ابن الكيزاني شافعياً كالخبوشاني، لكنه ليس أشعرياً بل هو على مذهب الحنابلة في الأصول، لذلك نبش الخبوشاني قبره وقال فيه: لا يرقد زنديق بجوار صديق. الذهبي: العبر ٤/ ٢٦٣ وتاريخ الإسلام ج: (٥٨١ ـ ٥٩٠هـ)، ص٢٨٠، واليافعي: المصدر السابق ٣/ ٤٣٣، ٤٣٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٨٨.

(٢) الذهبي: نفسه ٤/ ٢٦٣، ونفسه ج: (٥٨١ ـ ٥٩٠هـ)، ص٢٨٠، ونفسه: ٣/ ٤٣٣، ٤٣٤، ونفسه ٤/ ٢٨٨.

(٣) أبو شامة: ذيل الروضتين ص٣٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣٨، وابن الوردي: المصدر السابق ٢/ ١١٥، والسيوطي: المصدر السابق ١/ ٥٥١.

(٤) ذكر عنه أنه ولد (٥٨٠هـ)، وتوفي (٥٩٩هـ)، وهذا خطأ بيِّن، ولعله سهو منه؛ لأن ابن نجية ولد سنة (٥٠٨هـ)، وحتى المحقق لم يصحح هذا الخطأ ولعله خطأ مطبعي. السيوطي: نفس المصدر ١/ ٥٥١.

* **وأما بالنسبة للمناطق الثانوية ذات الوجود الحنبلي الضعيف، فمنها ست مناطق** (انظر: الخريطة رقم: ٤):

ـ أولها: البصرة:

سكنتها جماعة حنبلية، المعرفون منها قليلون، في مقدمتهم شيخهم المقرئ الحسن بن دويرة (ت٦٥٢هـ/ ١٢٤٥م)، وتلميذه المفسر نور الدين أبو طالب البصري ثم البغدادي الضرير (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[1].

ـ والثانية: مكة المكرمة:

لم يكن فيها للحنابلة وجود معروف قبل القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، ثم هاجر إليها بعض علمائهم في هذا القرن (وما بعده)، وأصبح لهم مقام في الحرم المكي يصلون فيه لوحدهم، على غرار الطوائف السُّنِّية الأخرى[2]. غير أنهم ظلوا يمثلون أقلية بالمقارنة إلى فئات المجتمع الأخرى، بدليل أن المؤرخ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المالكي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) لم يذكر في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، إلا القليل من أعلام الحنابلة، والغالبية العظمى من تراجمه للشافعية والحنفية والمالكية[3].

ـ والثالثة: المدينة المنورة:

لم أعثر للحنابلة فيها على أي ذكر (خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ ١١ ـ ١٢م)، لغلبة الشيعة الإمامية عليها، وقمعهم لأهل السُّنَّة بها[4]، ثم تغير حالهم في النصف الثاني من القرن (السابع

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥، ٣١٣، ٣١٤.

(٢) عن مقامهم في الحرم المكي انظر: المبحث الأول من الفصل الثاني.

(٣) راجع كتاب العقد الثمين.

(٤) علي بن عبد الله الحسيني السمهودي: الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى، ضمن مجموع رسائل في تاريخ المدينة، جمعة حامد الجاسر، ط١، الرياض، =

الهجري/ ١٣م)، وأصبح لهم فيها مدرسة مشتركة بينهم وبين الشافعية[١]، بعد زوال هيمنة الشيعة الإمامية عليها[٢].

ـ **والرابعة: منطقة الجبال باليمن**[٣]:

سكنتها طائفة كبيرة حنبلية الأصول شافعية الفروع، ولم تكن أشعرية الأصول على غرار باقي شافعية اليمن، فهي لا تأول الصفات، وتقول بالحرف والصوت[٤]؛ ومن كبار علمائها أبو زكريا يحيى بن منده بن أبي الخير اليمني (ت٥٥٨هـ/ ١١٦٢م)، له كتاب مشهور، في العقائد والمقالات، عنوانه: «البيان»[٥].

ـ **والخامسة: مدينة آمد** (انظر: الخريطة رقم: ٣):

وجدت فيها جماعة حنبلية في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)[٦]، غير أن المشهور من أعلامها (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) اثنان، هما الوزير الأديب إسماعيل بن أبي سعد الشيباني (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، وابنه الأديب شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)[٧].

ـ **والسادسة: مدينة هراة ببلاد خراسان** (انظر: الخريطة رقم: ٣):

كان للحنابلة فيها وجود جماعي مؤثر في القرن (الخامس الهجري/

= دار اليمامة، (١٩٧٢م)، ص١٤١، ١٤٢.

(١) عنها انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(٢) السمهودي: نفس المصدر ص١٢٤.

(٣) لم أهتد إلى تحديد موقعها على خريط اليمن.

(٤) عن ذلك انظر: الفصل الثالث.

(٥) اليافعي: المصدر السابق ٣/ ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٨٦.

(٦) راجع التمهيد.

(٧) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ١١، (ط د الآفاق).

١١م)[١]، غير أنه يبدو أن أمرهم بها قد ضعف جداً، أو انقرضوا تماماً (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)؛ لأنني لم أعثر على أي عالم منهم عاش في هذين القرنين (بمدينة هراة، التي غلب عليها المذهب الحنفي[٢].

ـ **وأما في مدينة الري ببلاد فارس** (انظر: الخريطة رقم: ٤):

فقد روى الرحّالة ياقوت الحموي ـ وتابعه المؤرخ الصفدي ـ أن المتكلم الواعظ فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، كان ينال من الكرامية[٣] وينالون منه، ثم أنه يقال: إن الرازي ـ أثناء عقده لمجالس وعظه ـ كان الحنابلة يكتبون إليه قصاصات يشتمونه فيها، ويلعنونه، ويطعنون في شرفه، فكان يرد عليهم ويتهمهم بالتجسيم والتشبيه، ويشنع عليهم[٤].

وذلك يعني أن للحنابلة في مدينة الري، وجود جماعي مؤثر وبارز، لكنني أعتقد أن هذا ليس بصحيح، وأن ياقوت الحموي واهم فيما رواه بصيغة التمريض: يقال. وإنما كان يقصد طائفة الكرامية ـ هم حنفية في الفروع ـ، لا الحنابلة، لخمسة اعتبارات:

أولها: أنه روي الخبر بصيغة يقال، وهذا يعني أنه غير متأكد منه.

والثاني: أن أهل مدينة الري في القرن (السابع الهجري/ ١٣م) هم

---

(١) راجع: التمهيد.

(٢) ابن بطوطة: المصدر السابق ٢/ ٣٣.

(٣) هي فرقة كلامية تنتسب إلى أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، وهي تعتقد التشبيه في ذات الله تعالى، وتشبهه بمخلوقاته. انظر: عبد القاهر البغدادي: المصدر السابق ص٢١٥ وما بعدها. والشهرستاني: المصدر السابق ص١٢٣ وما بعدها.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦/ ٢٥٨٦، والصفدي: المصدر السابق ٤/ ٢٤٩، ٢٥٠.

من الحنفية والشافعية، وقليل من الشيعة[1].

والثالث: أن ياقوت الحموي ذكر أن الفتن الطائفية في الري كانت تقع بين تلك الطوائف الثلاثة، ولم يذكر الحنابلة بين هؤلاء إطلاقاً[2].

والرابع: أن المؤرخين ابن الأثير والذهبي، تعرضا للفتنة التي حدثت بين الفخر الرازي والكرامية سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، دون أية إشارة للحنابلة[3].

وآخرها: إنه من المستبعد جداً أن يكون للحنابلة وجود جماعي بارز في مدينة الري، ثم لا أعثر على أية شخصية منهم عاصرت الفخر الرازي، أو شاركت فيما حدث له.

وتكرر نفس الأمر في مدينة مرو ببلاد خراسان (انظر: الخريطة رقم: ٤ ص١٥٦):

فقد روى المؤرخان ابن الأثير وابن كثير، أنه كان للشافعية بمرو جامع كبير بناه لهم الوزير نظام الدين مسعود بن علي الشافعي (ت٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)، فحسدهم الحنابلة بزعامة كبيرهم المعروف بشيخ الإسلام، فيقال أنهم أحرقوه ـ أي: الجامع ـ، فأغرمهم السلطان علاء الدين خوارزم شاه الحنفي (ت٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) أموالاً، مقدار ما صرف في بنائه[4]. ويبدو أن المؤرخين هما كذلك واهمان، فيما ذكراه عن الحنابلة بصيغة التمريض: يقال، وإنما يقصدان الحنفية؛ لأنه لا يوجد بمرو حنابلة[5].

---

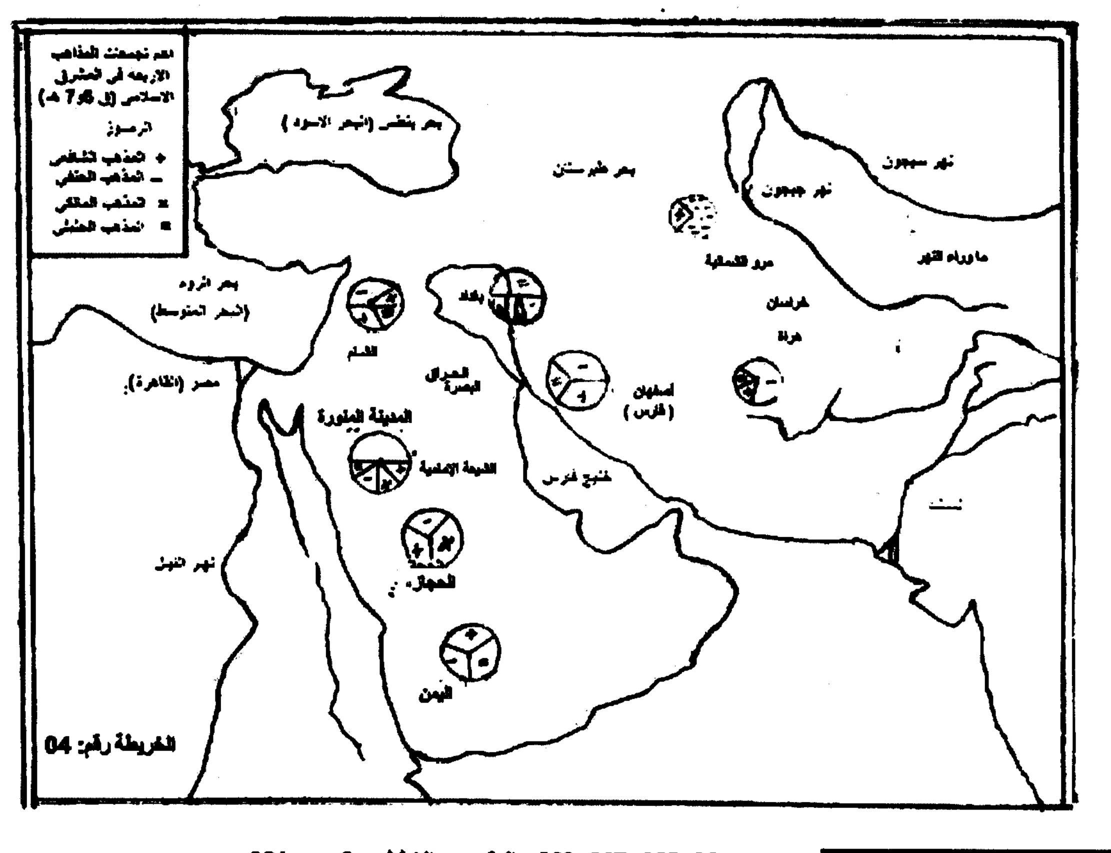
(١) القزويني: آثار البلاد ص٣٧٦، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ط٢، بيروت، دار صادر، (١٩٩٥م)، ٣/ ١١٧.

(٢) ياقوت الحموي: نفس المصدر ٣/ ١١٧.

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق ٩/ ٢٤٩، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٢٢.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق ٩/ ٢٥٠، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٣.

(٥) إلى هذا أشارت الهيئة العلمية المشرفة على نشر كتاب البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ هامش ص٢٣.



المصادر: السبكي طبقات الشافعية الكبرى، ج:1، ص: 324، 325، 327، 328. والمقريزي، الخطط ج:2، ص: 334 وخير الدين العليمي، الأنس الجليل، ج:2، ص: 101، 119. وأحمد بدوي، الحياة العقلية، ص: 148 وابن بطوطة، الرحلة، ص: 164. وعبد المنعم ماجد، الاطلس التاريخي، الخريطة رقم : 09 بتصرف.

كما أنه من الغريب جداً[1] أن يكون لهم ـ أي: الحنابلة ـ وجود مكثف بهذه المدينة في النصف الثاني من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، ولا نجد لعلمائهم وأعيانهم ذكراً، في كتب التراجم والتواريخ.

ويستنتج مما ذكرناه عن انتشار المذهب الحنبلي في المشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أنه قد شهد توسعاً في مصر والشام لم يعهده من قبل، بفضل جهود علمائه النشطين. وأنه حافظ على مكانته في بغداد، ولم يعرف انتشاراً جديداً في بلاد فارس وخراسان وخوارزم، بل تراجع عن مواقع كان حصيناً بها؛ كأصفهان وهراة، فما هي العوامل التي ساعدت على انتشاره، والتي أعاقته؟

❀ ثانياً: عوامل انتشار المذهب الحنبلي وتراجعه:

يرى الفقيه المتكلم أبو الوفاء بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م)، أنه لا عبرة بالمذاهب التي تنتصر بدعم من الدولة، والكثرة، وحشمة الإنعام؛ وإنما العبرة بالمذهب الذي ينصره دليله؛ فهو كالجوهر الذي لا يحتاج إلى صقالة، وتزويق، وكالحسن الذي لا يحتاج إلى تحسين؛ وأما غيره فإذا زال ناصره أفلس[2]. وهو هنا يتحدث عن واقع المذاهب الفقهية والأصولية في زمانه، ويريد أن يقول لنا: إن مذهبه الحنبلي ليس له دولة تتبناه وتحميه، وإنما هو ينتصر بدليله، وبمجهودات أتباعه الذاتية، عكس المذهبين الشافعي والحنفي المدعومين

---

(١) يوحي مقدار الغرامة المدفوع، أن الذين أحرقوا جامع الشافعية، هم الحنفية على مذهب السلطان علاء الدين، لذلك خفف عقوبتهم وغرامتهم؛ لأن جرمهم يستدعي أن تكو ن عقوبتهم أكبر مما دفعوه، عقاباً لهم، وعبرة لغيرهم.

(٢) ابن عقيل: المصدر السابق ١/ ٢٣٧.

من السلاجقة[1].

وقوله هذا يشهد له ما سبق ذكره عن المذهب الحنبلي، فإن كل المناطق التي انتشر فيها دخلها على أيدي أتباعه، وبإمكانياتهم الخاصة ـ في غالب الأحيان ـ، فهم الذين نشروه في العراق والشام ومصر، وبنوا له معظم مؤسساتهم العلمية، من مساجد، ومدارس، وزوايا وأربطة[2]؛ الأمر الذي يثبت أن العامل في انتشاره هو جهود أتباعه الذاتية[3]؛ لكنه من جهة أخرى لا يعرف أنّه اكتسب مناطق نفوذ جديدة، في بلاد فارس، وخراسان، وخوارزم (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، بل فقد مدناً كان منتشراً فيها بكثرة؛ كأصفهان، وهراة. وظلّ يمثل الأقلية في مصر ودمشق والبصرة، ولم تكن له الأغلبية إلا في مناطق قليلة؛ كبغداد، وحران وجيلان. (انظر: الخريطتين رقم: ٣ ورقم: ٤).

فما هي العوائق التي عرقلت انتشاره؟

هي كثيرة، أذكر منها ستة:

أولها: ابتعاد الغالبية العظمى من علماء الحنابلة وأعيانهم، عن تولي المناصب السلطانية العليا في الدولة وعدم طلبهم لها؛ إذ لم أعثر على من تولّى منهم الوزارة إلا على نحو خمسة فقط[4]، من وفاة الإمام

---

(١) سيجد هذان المذهبان الدعم القوي، في دولة الزنكيين، والأيوبيين، والمماليك.

(٢) عن ذلك انظر: الفصل الثاني.

(٣) هذا لا ينفي وجود عوامل خارجية ثانوية، كدعم بعض رجال الدولة لعلماء من الحنابلة وتشجيعهم في نشاطهم العلمي، كما حدث لابن الجوزي زمن الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله. انظر: ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣.

(٤) سبق ذكرهم.

أحمد ابن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، إلى نهاية القرن (السابع الهجري/ ١٣م)، الأمر الذي فوّت عليهم فرصاً كثيرة لخدمة مذهبهم والتمكين له بقوة السلطان.

والثاني: ضعفهم الاقتصادي، أثّر فيهم سلباً في توسيع نشر مذهبهم؛ لأن كثيراً من أعيانهم تفرغوا للعلم والعبادات ولم يهتموا بجمع الأموال[1]؛ حتى أن خصومهم من الطوائف الأخرى كانوا يعيرونهم بالفقر وقلة المناصب[2].

والثالث: مقاومة الشافعية والحنفية والمالكية لهم[3]، دفاعاً عن مذاهبهم، وتحجيماً للمذهب الحنبلي[4].

---

(١) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط٣، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٥٠٥.

(٢) لذلك صنف المقرئ أحمد بن الحسين البغدادي الحنبلي (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، كتاباً رداً على من اتهم الحنابلة بالفقر وقلة المناصب. ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧٧.

(٣) لإظهار أهمية هذا العامل اضرب على ذلك مثالاً بانتشار الطريقة القادرية والمذهب الحنبلي، فالقادرية تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي البغدادي الحنبلي (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، انتشرت في مختلف العالم الإسلامي، في حياة مؤسسها وبعده وهي اليوم منتشرة في القارة الإفريقية وباكستان. (زيدان محمد طه: الطريق الصوفي وفروع القادرية في مصر، ط١ بيروت دار الجيل (١٩٩١م)، ص١٧٨، و Henri Laoust Les schismes dans L' islam P 212. لكن المذهب الحنبلي الذي ينتمي إليه مؤسس القادرية لم يعرف ذلك الانتشار؛ لأن القادرية طريقة تربويه صوفية، لا تمثل خطراً على المذاهب الأخرى، وأما هو فيمثل خطراً عليها لأنه ينافسها وينازعها في الفروع والأصول.

(٤) عن ذلك انظر: ابن كثير: المصدر السابق ١١/ ٣٣، ٣٩ و١٢/ ١٢٤، ١٣٢، ١٣٤.

والرابع: دور السلاجقة في إضعاف الوجود الحنبلي في أصفهان وبغداد وغيرهما من المدن لنشر المذهب الشافعي.

وآخرها: تضييق الأشاعرة على الحنابلة إلى حدّ الاضطهاد، وقد أشار إلى ذلك الموفّق بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) عندما ذكر أن الحنابلة في زمانه، غرباء مستضعفون في أكثر الأمصار، ويضامون[(١)]، ويخوفون، ويضطهدون[(٢)]. ومما يؤيد قوله أن المؤرخ المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ذكر أن المذهب الأشعري قد عمّ ديار مصر، والشام، والحجاز، واليمن، وبلاد المغرب، ومن خالفه ضرب عنقه[(٣)]. والحنابلة هم الطائفة الوحيدة التي كانت تعارض الأشعرية علنية وتهاجمها بقوة[(٤)].

وللمؤرخ عبد الرحمٰن ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) رأي مفاده أن سبب قلة أتباع الإمام أحمد بن حنبل هو بُعد مذهبه عن الاجتهاد؛ لأن أصالته معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض[(٥)]؛ لكن الباحث

---

(١) الضيم هو الظلم. محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، حققه مصطفى ديب البغا، ط٤ الجزائر دار الهدى، (١٩٩٠م)، ص٥٢١. ويرى الباحث جميل الشطي أن سبب تراجع المذهب الحنبلي في القرون الأخيرة، هو تعرض أتباعه للفتن والمحن، دون أن يفصل ما أراده أن يقوله. جميل الشطي: «ذيل على طبقات الحنابلة» مجلة المقتبس، دمشق مج ٦ سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) ابن قدامة المقدسي: كتاب البرهان في بيان القرآن، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد ١٩، رجب، شعبان، رمضان، شوال، (١٤٠٧هـ)، ص٢٨٠.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ٢/ ٤٤٣.

(٤) تبين لي ذلك من خلال بحثي هذا، وسترد موضوعات وحوادث كثيرة عارض فيها الحنابلة خصومهم الأشاعرة.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٥٥.

محمد أبو زهرة ردّ عليه ووخطأه فيما ذهب إليه، وبيَّن أن العامة لا تختار من تقلّده انطلاقاً من البحث والموازنة بين الأدلة، وإنما تخضع في اتباعها لمذهب ما إلى الملابسات السياسية والاجتماعية. كما أنه لا دخل لكثرة الاجتهاد وقلته في شيوع المذاهب وتراجعها، ثم ختم كلامه بقوله: «وما كان لمثل ابن خلدون أن يقحم مقدار الاجتهاد في ذلك المقام»[1].

إنه حقاً لغريب جداً أن يقول ذلك عن المذهب الحنبلي، وفيه مجتهدون كبار قلَّ نظيرهم في المذاهب السُّنِّية الأخرى، وكان لهم الفضل الكبير في كسر قيد التقليد المذهبي، وممارسة الاجتهاد بأنفسهم، ومقاومة دعوى إغلاقه، في عصر عمّ فيه الجمود الفكري، والتعصب المذهبي، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) وما بعدهما[2].

ويستنتج مما ذكرناه عن جهود علماء في تحصيل العلم ونشره، بالمشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م):

أنهم رحلوا في طلب العلم إلى شتى الأمصار، وضحوا في سبيله بأموالهم، وجهودهم، وأوقاتهم، وفارقوا أهاليهم وأوطانهم.

وأن مدينة بغداد كانت أكثر المراكز العلمية جذباً لهم، قبل تدمير المغول لها.

وأنهم ضربوا أمثلة رائعة، في الجدّ والاجتهاد في الحفاظ على الوقت والإقبال على العلوم حفظاً وفهماً.

---

(١) محمد أبو زهرة: ابن حنبل، ص٣٥٣.

(٢) للتوسع في ذلك انظر: مبحث قضية الاجتهاد والتقليد المذهبي، من الفصل الثالث.

وأن الكثير منهم جمع بين الاشتغال بالعلم والتكسب، وبعضهم عانى الفقر والحرمان، لكنه وطَّن نفسه على الصبر والقناعة بالقليل، وفيهم من تنعم بالدنيا تنعماً زائداً.

كما أن كثيراً منهم قد جمع بين التخصص والمشاركة في العلوم، وبعضهم اكتفى بالثقافة العامة دون تخصص متقن.

وأن معظمهم أقبل على طلب الفقه والحديث، واللغة والأدب، وقلّة منهم طلبت علوم الأوائل.

وأنه ظهرت من بينهم عالمات حنبليات كثيرات، أقرأن القرآن الكريم، ودرّسن الفقه، وروين الحديث، وأن معظمهن ينتمين إلى أسر حنبلية عريقة في العلم، زاد عددها عن اثنين وعشرين أسرة.

وأنهم بفضل نشاطهم الدؤوب في تأليف الكتب، وعقد مجالس العلم، ساهموا في نشر مذهبهم وتقويته، وأعطوا دفعاً قوياً للحركة العلمية الحنبلية، وزادوها عمقاً وحيوية بإنشائهم للمدارس، والمساجد، وباقي مؤسسات العلم الأخرى.







الفصل الثاني

مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

المبحث الأول: المساجد الحنبلية.

المبحث الثاني: المدارس الحنبلية.

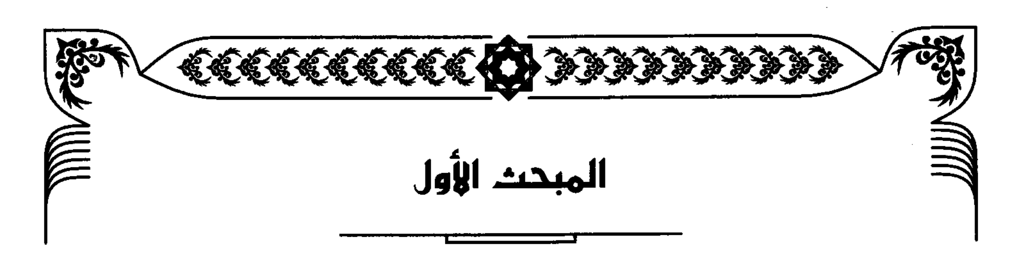
المبحث الثالث: المكتبات الحنبلية.

المبحث الرابع: الأربطة والزوايا والترب الحنبلية.

مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي

(خلال القرنين ٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٣م)

تنوّعت مؤسسات العلم والتعليم الحنبلية في المشرق الإسلامي حسب ما كان سائداً منها (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) ـ، أهمها: المساجد، والمدارس، والمكتبات، والأربطة، والزوايا، والتُرب. وسيأتي تفصيل ذلك فيما يلي:



المبحث الأول

المساجد الحنبلية

تُعد المساجد أهم مؤسسة علمية، جمعت بين عبادة الصلاة ومهمة التعليم طوال التاريخ الإسلامي، وقد تحول بعضها إلى ما يشبه الجامعات في عصرنا الحاضر؛ كالجامع الأزهر بالقاهرة، والجامع الأموي بدمشق[1]، وقد كان لكثير منها (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) صبغة مذهبية تميزها عن غيرها من المساجد. وقد اختص الحنابلة ـ كباقي الطوائف الأخرى ـ بمساجد نسبت إليهم، في بغداد، ودمشق، وبعلبك، ونابلس، وغيرها من المدن التي يكثرون فيها.

❁ أولاً: مساجد الحنابلة في بغداد:

أحصيتُ للحنابلة اثنين وعشرين مسجداً في بغداد، معظمها يقع بالجانب الشرقي من المدينة.

ـ منها: مسجد ابن جردة[2]:

أمَّ فيه ثلاثة من كبار القراء الحنابلة:

أولهم: سبط أبي منصور الخياط (ت٥٤١هـ/ ١١٤٦م). أقرأ فيه الناس القرآن الكريم، من سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) إلى وفاته فنسب

---

(١) سيأتي الكلام عنه في هذا المبحث.

(٢) عنه انظر: التمهيد.

المسجد إليه[1].

والثاني: أبو المظفر أحمد بن أحمد (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م). قصده الناس من بعيد لسماع قراءته في صلاة التراويح[2].

والثالث: فخر الدين أبو الفوارس حماد بن مزيد (ت٥٩٦هـ/ ١١٩٩م). أقرأ فيه الناس، وكانت له معرفة تامة بوجوه القراءات، وطريقة مليحة في الأداء والتجويد[3].

ـ والثاني: هو مسجد ابن شافع:

تولّى إمامته المحدّث أبو المعالي صالح بن شافع الجيلي (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) خلفاً لشيخه الشريف أبي جعفر[4]، فنسب إليه[5]؛ وحدّث فيه من آل شافع[6] أبو المعالي محمد بن أحمد (ت٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، وواظب على ذلك إلى آخر عمره[7].

ـ والثالث: مسجد أبي المظفر محمد بن أحمد العباسي (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م):

كان مسجداً جامعاً، وخطب فيه صاحبه[8]. ويبدو أن هذا هو الجامع الوحيد الذي نسب للحنابلة ببغداد.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ١٢٢، والذهبي: معرفة القراء الكبار ٢/ ٤٠٤، وجمال الدين القفطي: انباه الرواة ٢/ ١٢٢، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٠٩.

(٢) الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٩٩.

(٣) ابن الفوطي: المصد السابق ق٣، ٤/ ١٦٤.

(٤) عن ذلك راجع التمهيد.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢١٣، ٢١٤، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٥٠١.

(٦) عن آل شافع انظر: الشكل رقم (٣).

(٧) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٧٦.

(٨) انظر: نفس المصدر ١/ ١٣٨، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٧٧.

ـ والرابع: مسجد ابن حمدي:

نسبة للزاهد أبي الفرج بن حمدي البغدادي (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)، لازمه، وأمَّ فيه بالناس في أوقات الصلاة[(١)]، ووعظ فيه الفقيه عبد المنعم بن الصيقل الحراني ثم البغدادي (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)[(٢)]. واستمر في نشاطه إلى ما بعد واقعة بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، إذ انقطع فيه المقرئ محمد بن أحمد الصرصري البغدادي الضرير (ت٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)[(٣)].

ـ والخامس: مسجد الفقيه المتكلم صدقة بن الحسين الحداد (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م):

سكنه وأم فيه بالناس في الصلوات، واقرأ فيه فنون العلم نحو سبعين سنة[(٤)].

ـ والسادس: مسجد الفقيه أبي العباس أحمد بن بكروس الدينوري المعروف بابن الحمامي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م):

أمَّ فيه بالناس، ثم خلفه بعد وفاته الفقيه أحمد بن أبي غالب الحبابيني الضرير[(٥)] (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م).

ـ والسابع: مسجد المقرئ أبي منصور بن ثابت الخياط (ت٥٩٦هـ/ ١١٩٩م):

---

(١) ابن الدبيثي: المصدر السابق ١/ ١٠٢.

(٢) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٩٨.

(٣) الصفدي: نكت الهميان ص٢٤٦.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٤٤٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٩، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٢٠١، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٢٨.

(٥) الصفدي: المصدر السابق ص١١٤، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٨، ٣٤٣.

تولّى إمامته، واقرأ فيه القرآن الكريم خلقاً كثيراً[1].

*** ومن مساجدهم في محلة المأمونية[2] ببغداد ثلاثة:**

ـ أولها: مسجد الفقيه أبي الفتح بن المني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م):

كان عامراً بالفقهاء والقراء، وتفرغ فيه صاحبه للإشغال والاشتغال مدة طويلة، ثم خلفه فيه ـ بعد وفاته ـ تلميذه المتكلم الفخر غلام بن المني (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، فنسب المسجد إليه[3]. ثم درس فيه من بعده تلميذه الفقيه عبد المنعم بن محمد الباجسرائي[4] (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م).

ـ والثاني: مسجد الفقيه المقرئ أبي بكر بن غنيمة الحلاوي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م):

لازمه وتفرغ فيه للعلم وإقراء الناس القرآن الكريم مجاناً[5].

ـ والثالث: مسجد المحدّث نور الدين عبد اللطيف بن النفيس[6] (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).

*** وأما مساجدهم في الجانب الغربي ببغداد** (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) فلم أعثر منها إلا على مسجد واحد فقط، هو مسجد المقرئ أحمد بن أبي غالب الوراق المعروف بابن الطلاية (ت٥٤٨هـ/

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩٨.

(٢) تقع بالجانب الشرقي من بغداد، انظر: الخريطة رقم (٥).

(٣) المنذري: المصدر السابق ٤/ ٦٠، ٦١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥٩ ٢/ ٦٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ، ٧٦، ٢٥٣، ٢٧٧، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص١٣٨.

(٤) ابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ١٠١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٥١.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات ٥/ ٤٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٧.

(٦) ابن رجب: ٢/ ٢٤٧.

١١٥٣م) بمحلة الحربية[١]، لازمه أكثر من عشرين سنة، للعبادة وإقراء الناس القرآن الكريم، ولا يغادره إلا لضرورة[٢].

* **ومن المساجد التي بنيت للحنابلة في القسم الشرقي من بغداد، مسجدان:**

- **أولهما**: بناه الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦ ـ ٥٧٥هـ/ ١١٧٠ ـ ١١٧٩م) سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) وسلَّمه لهم، فتولّى إمامته صهر ابن الجوزي عبد الوهاب ابن العيني، وأمَّ فيه ابن الجوزي بالناس في صلاة التراويح في جمع غفير من الخلق، فحسد أهل المذاهب الأخرى الحنابلة في تسلّمهم لهذا المسجد؛ لأنه كان يرجف به لغيرهم[٣].

- **والثاني**: بَنَته أمّ الخليفة[٤] الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م) على شاطئ دجلة في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وسلمته للواعظ أبي محمد عبد الغني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) فتولّى إمامته والوعظ فيه[٥].

* **وتولّى بعض علماء الحنابلة إمامة مساجد ببغداد**، يبدو أنها ليست لهم[٦] إنما هي لغيرهم.

منها: جامع دار القز، أمَّ فيه الفقيه سعد بن شنيف البغدادي

---

(١) تقع شمال القسم الغربي من بغداد. انظر: مصطفى جواد وأحمد سوسة: خارطة بغداد ص٧٢، والخريطة رقم (٥).

(٢) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٢١٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٤٥.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٧٢.

(٤) لم أعثر على اسمها.

(٥) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٧٩، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٢٧٤، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٨٤.

(٦) لم أتحقق من نسبتها إليهم.

الحنبلي[1] (ت٥٥٤هـ/ ١١٥٠م).

والثاني: مسجد ابن الثعلبي، أمَّ فيه المقرئ أبو علي بن جعفر العباسي[2] (ت٥٥٤هـ/ ١١٥٩م).

والثالث: مسجد ابن حمدون، تولّى إمامته الأديب الفرضي أبو البقاء محبّ الدين العكبري الضرير[3] (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م).

والرابع: المسجد الجديد، صلّى فيه بالناس الفقيه الشاعر عبد الوهاب بن قطينة (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، ثم نسب إليه وعرف بمسجد قطينة[4].

والخامس: مسجد قمرية، بناه الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١١٢٦ ـ ١٢٤٢م)، واختار لإمامته المحدّث عبد الصمد بن أبي الجيش[5] (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م).

ويتبين مما ذكرناه عن مساجد الحنابلة في بغداد (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أن مساجدهم التي عثرت عليها بلغت اثنين وعشرين مسجداً، مقابل أحد عشر مسجداً أحصيتُها لهم في النصف الثاني من القرن (الخامس الهجري/ ١١م)[6]. وأن معظمها يقع بالجانب الشرقي من بغداد لعمارته وازدهاره أكثر من القسم الغربي، وقد شهد كثير منها نشاطاً علمياً مكثفاً على أيدي مؤسسيها؛ كمسجد صدقة بن الحسين، وأبي الفتح بن المني.

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٧٦.

(٢) نفس المصدر ١/ ٢٣٣، ونفس المصدر ٢/ ٢٧٣.

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق ٤/ ١٥١٥.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٨.

(٥) ابن رافع السلامي: المصدر السابق ص٩٥، وابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٦) انظر: التمهيد.

❁ ثانياً: مساجد الحنابلة في دمشق:

قُدر مجموع مساجد الحنابلة بدمشق (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) بنحو ثمانية وخمسين مسجداً، أذكر منها أربعة عشر، ثمانية داخل دمشق، وستة بضاحية الصالحية.

*** فبالنسبة لمساجدهم بداخل المدينة:**

فأولها: مقامهم في الجامع الأموي[١]:

يصلون فيه لوحدهم على غرار الحنفية والشافعية والمالكية. ولم أهتد إلى تحديد سنة ظهوره، غير أنه كان قائماً سنة (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م)، ويقع بالرواق الغربي الثالث من الجامع[٢]. ويصلّي فيه إمامهم بعد إمام الشافعية، ثم سمح له بالصلاة معه في وقت واحد، فحدث خلط وتشويش في الصلاة، فجاءهم الأمر بالصلاة قبله في سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤)، فبقي الوضع على ذلك الحال إلى عام (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، ثم تغير وأصبح ترتيب صلوات الأئمة الأربعة يبدأ بالشافعي، ثم المالكي، ثم الحنفي، ثم ينتهي بالحنبلي[٣].

ولم يكن لهم فيه محراب قبل سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، إذ كانت في موضعه خزانتان مجتمعتان يصلون إليهما، ثم وضع لهم في عام (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، عندما أمر السلطان المعظم عيسى بن العادل الأيوبي (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) بجمع كل خزائن الكتب التي في الجامع، ووضعها

---

(١) الذي بنى الجامع الأموي هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان (ت٩٦هـ/ ٧١٤م)، وقد شرع في بنائه سنة (٨٧هـ/ ٧٠٥م). ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ١/ ٣٥٣، ٣٨٨، (ط د).

(٢) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٣٩.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٣٩، وابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٩٢، وعبد القادر النعيمي ٢/ ٣٩٤.

في مكان واحد بداخله، فنقلت معها خزانتا الحنابلة، فبقي مكان صلاة إمامهم مكشوفاً، فعمل لهم أمير يعرف بالركن المعظمي محراباً، ولما ردت خزانتاهم جعلتا على يمين المحراب ويساره[١].

ومن علمائهم الذين تولوا الإمامة في مقامهم بالجامع الأموي ثمانية، هم: الفقيه أبو بكر ابن النفيس البغدادي ثم الدمشقي[٢] (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤هـ). والمحدّث بن إبراهيم الحذاء الدمشقي (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)[٣]. والفقيه الموفّق بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م). والقاضي شمس الدين بن عبد الوهاب الحراني ثم الدمشقي (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)[٤]. والفقيه عبد الرحمٰن بن سليمان البغدادي ثم الدمشقي[٥] (ت٦٧٠هـ/ ١٢٧١م). والقاضي نجم الدين بن عبد الرحمٰن المقدسي (ت٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م). والمحدّث محمد بن أبي الفتح البعلي ثم الدمشقي (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)[٦].

وكان للحنابلة فيه نشاط علمي متنوع، من فقه، وحديث، وتفسير، وحفظ للقرآن الكريم[٧]؛ ولهم فيه كذلك حلقة أسبوعية تعرف بحلقة

---

(١) أبو شامة: ذيل الروضتين ص١٠٦، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٢١، ١٢٢، ٣٩٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٦/٢٢، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٧٧.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) نفس المصدر ١/ ٣٣٠، ٣٣١، ٣٩٧.

(٤) نفس المصدر ٢/ ١٧، ٢٣١، ٢٨٨ وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٤٨.

(٥) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٢٨١.

(٦) نفس المصدر ٢/ ٢٨١، ٣٢٢، ٣٥٧، وابن طولون: قضاة دمشق ص٢٧٤، وابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ٥/ ٣٣٢.

(٧) قطب الدين اليونيني: المصدر السابق ٤/ ٢٠٣، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٢١٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٥.

الثلاثاء[1]، وقد درس فيها علماء كثيرون، منهم: القاضي شمس الدين بن عبد الوهاب الحراني ثم الدمشقي، اقرأ فيها الفقه سنين طويلة[2]. والفقيه أبو الحسن علي بن شمس الدين المقدسي ثم الدمشقي[3] (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م). والمحدث محمد بن أبي الفتح البعلي ثم الدمشقي، جمع بين الإمامة والتدريس لزمن مديد[4].

ولمقامهم بالجامع الأموي أوقاف يشرف عليها إمامهم فيه، بمساعدة نوابه[5]؛ ويبدو أنه هو الذي يتولّى توزيع المعاليم ـ المنح والجرايات ـ على فقراء الحنابلة في حلقتهم الدائمة لتحفيظ القرآن الكريم، المكونة من أزيد من مائة شخص[6]. وقد نصّ القاضي عثمان بن المنجا في وقفيته، أنه في حالة انعدام من يشرف على أوقافه من أسرته، يتولّى إمام مقام الحنابلة في الجامع الأموي أمر أوقافه[7].

وأشير في هذا المقام إلى أنه كانت في الجامع الأموي (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) أربعة محاريب: حسب الطوائف السُّنِّية الأربعة[8]؛ إذ لكل منها محرابها الذي تصلي فيه. وقد أوصلها إلى هذه الوضعية الغريبة المنكرة سببان رئيسيان:

---

(١) اليونيني: نفس المصدر ٣/ ١٩٣، والنعيمي: نفس المصدر ٢/ ١٠٧.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٨٨.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٣٤٤.

(٤) نفس المصدر ٢/ ٣٤٤، ٣٥٧، وابن طولون: القلائد الجوهرية ١/ ١٧٢.

(٥) القاضي عثمان بن المنجا: كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجا ص٣٣.

(٦) انظر: الوثيقتين اللتين نشرهما الباحث دومينيك سوردال عن حلقة الحنابلة بدمشق، في نشرة الدراسات الشرقية بدمشق. (B E O) Tome 25 1972 P 147, 148.

(٧) القاضي عثمان بن المنجا: المصدر السابق ص٣٣.

(٨) تغير الحال في وقتنا الحاضر، فإن الصلاة فيه واحدة وراء إمام واحد، لكن المحاريب الأربعة ما تزال قائمة، وقد رأيتها في زيارتي للجامع الأموي في ربيع سنة (٢٠٠١م).

أولهما: غلبة التعصب المذهبي على علماء ذلك العصر، وتضخيمهم للخلافات الفقهية على حساب أخوتهم ووحدتهم، حتى أن كثيراً من فقهاء الحنفية أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي؛ وفي المقابل لم يجز بعض الشافعية اقتداء الشافعي بالحنفي في الصلاة[1].

والثاني: أن من كان في يدهم الأمر من الخلفاء والسلاطين والأمراء، لم يقوموا بواجبهم الشرعي لجمع شمل المسلمين، بل الكثير منهم شجع التعصب المذهبي، ونصر طائفة معينة على طوائف أخرى[2]؛ وكان في مقدورهم ـ بالتعاون مع العلماء ـ توحيد الأمة في الصلاة وخارجها، والناس سيتبعونهم لأنهم على دين ملوكهم وعلمائهم.

ـ **والمسجد الثاني: للحنابلة في مدينة دمشق، هو مسجد أبي صالح،** بظاهر باب شرقي من المدينة[3]:

لازمه ابن سند حمدويه، ثم خلفه فيه صاحبه أبو صالح ابن مفلح الحنبلي الصوفي (ت٥٣٠هـ/ ١١٣٥م)، فنسب إليه، ثم هو الذي وقف المسجد وجعل النظر فيه للحنابلة[4]. وعندما هاجر بنو قدامة إلى دمشق نزلوا في هذا المسجد، وتولّى كبيرهم الشيخ أحمد بن قدامة إمامته وإقراء القرآن فيه، فخاف بنو الحنبلي أن يأخذوا منهم وقف المسجد، وطلبوا منهم أن يكتبوا بخطوطهم أنهم نزلوا عندهم وأنهم تحت أيديهم، ففعلوا ذلك[5]. وبتأثير من القاضي ابن أبي عصرون الشافعي (٥٨٥هـ/

---

(١) عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي ص١٦٧، ١٦٩.
(٢) عن ذلك انظر: مبحث الاجتهاد والتقليد من الفصل الثالث.
(٣) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٧، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٢.
(٤) ابن شداد: المصدر السابق ص١٣٦، ١٣٧، يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص١٠٨، النعيمي: نفس المصدر ٢/ ١٠٢، ١٠٣، وابن طولون: نفس المصدر ١/ ١٦٧.
(٥) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٣٦.

١١٨٩م) ـ وغيره من الأعيان ـ كتب السلطان نور الدين محمود (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) كتاباً لبني قدامة بتسلم مسجد أبي صالح والنظر في وقفه، فضاق صدر الشيخ أحمد من ذلك عندما وجد نفسه ينافس الناس على دنياهم، فكان هذا من أسباب تركه لمسجد أبي صالح والانتقال إلى الصالحية بسفح جبل قاسيون(١). وقد اندثر هذا المسجد في وقتنا الحاضر ولم يبق منه أثر(٢).

ـ والثالث: مسجد الوزير:

انتزعه الفقيه عبد الكريم بن نجم الدين ابن الحنبلي الدمشقي (ت٦١٩هـ/ ١٢٢١م)، من يد المقرئ علم الدين بن محمد السخاوي الشافعي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) وسلّمه للحنابلة(٣). ولم أعثر على أية معلومات عن هذا المسجد، ولا عن خلفيات النزاع عليه.

ـ والرابع: مسجد ابن الصيرفي:

نسبة لفخر الدين ابن الصيرفي الحنبلي (ت بعد ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، وكان يتقاضى من الدولة ـ على إمامته لهذا المسجد ـ ستين درهماً كجراية شهرية(٤).

ـ والخامس: مسجد ابن شقير:

الأديب شرف الدين بن عبد المنعم الدمشقي المعروف بابن شقير (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، وتأنق في عمارته(٥).

---

(١) نفسه ١/ ٣٦، ٣٧.
(٢) نفس المصدر ج١ هامش ص٢٥.
(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٢، وابن طولون: نفس المصدر ١/ ٣٤٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٨٥.
(٤) الصفدي: المصدر السابق ٩/ ٤٥٨، ٤٥٩.
(٥) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٤١.

والمساجد الثلاثة المتبقية كل منها يوجد في مدرسة من مدارس الحنابلة بدمشق وهي: الحنبلية، والجوزية، والمسمارية[1]. ويبدو أن نشاطها العلمي كان ضعيفاً؛ لأنها تقع داخل مؤسسات تعليمية.

* **وتولّت طائفة من علماء الحنابلة، إمامة مساجد بمدينة دمشق** لم أتمكن من التعرف على أصحابها، منها مسجد الخشابين، أمَّ فيه المقرئ أحمد بن الحسين البغدادي ثم الدمشقي المعروف بالعراقي[2] (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م). ومسجد السلالين، تولّى إمامته جمال الدين بن إبراهيم المقدسي ثم الدمشقي[3] (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). ومسجد الرماحين أمَّ فيه الأديب محمد بن عبد الرزاق الرسعني ثم الدمشقي (ت٦٨٩هـ/ ١١٩٣م)[4].

* **وأما في ضاحية الصالحية**، فإن معظم مساجدها للحنابلة، والقليل منها للطوائف السُّنِّية الأخرى[5]؛ وقد زاد عددها عن ١٥٤

---

(١) ابن شداد: المصدر السابق ص١١٠، ١١٩، ويوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ص٩٧، ١٥٩، ومحمد كرد علي: المرجع السابق ص١٧٨.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧٧.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٤٢.

(٤) ابن شاكر الكتبي: المصدر السابق ٢/ ٤٤٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٠٤، ٤١٠.

(٥) لكن معظم المساجد داخل مدينة دمشق، هي للشافعية والحنفية، والقليل للحنابلة، والنزر اليسير للمالكية. (يوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ص١٥٩، ومحمد كرد علي: المرجع السابق ص١٧٨). وبلغ مجموع مساجد دمشق زمن المؤرخ ابن شداد (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، نحو ٢٨٨ مسجداً، وقدر مجموع المساجد التي بظاهرها وضواحيها ٣٢٩ مسجداً، فأصبح إجمالي مساجدها يقدر بـ٦١٧ مسجداً. ابن شداد: المصدر السابق ص١٠ وما بعدها، و١٢٩.

مسجداً زمن الفقيه يوسف بن عبد الهادي[1] (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، ويبدو أن معظمها كان قائماً (في القرنين السابع والثامن الهجريين/ ١٣ ـ ١٤م)؛ لأن أوضاع الصالحية بعدهما أخذت في التدهور والانحدار[2].

ولما كان مجموع مساجد الصالحية عند نهاية القرن (السابع الهجري/ ١٣م)، يقدر بثمانين مسجداً كحد أدنى؛ وأن غالبيتها للحنابلة، فيمكن القول أن لديهم ـ أي: الحنابلة ـ خمسين مسجداً على أقل تقدير[3]، **أذكر منها ستة فقط.**

ـ أولها جامع الحنابلة[4]:

شرع في بنائه الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، على نفقة رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي، فلما بلغ المسجد قدر قدم نفد المال، فلما سمع به ملك إربل أبو المظفر سعيد كوكبوري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) أرسل ثلاثة

---

(١) يوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ص١٤٥ وما بعدها.

(٢) حولت كثير من مساجد الصالحية ومدارسها إلى مساكن، وأخذت أوقافها، واندثر الكثير من عمرانها (في القرن ٨هـ/ ١٥م). أبو البقاء بن محمد البدري: نزهة الأنام في محاسن الشام، بغداد، القاهرة، المكتبة العربية، المطبعة السلفية (١٣٤١هـ)، ص٣٢١.

(٣) ورغم ذلك فإني لم أتعرف إلا على القليل من مساجده بالصالحية.

(٤) ما يزال يعرف إلى اليوم بهذا الاسم؛ لأنهم هم الذين شرعوا في بنائه وأشرفوا عليه وعلى أوقافه، ويعرف كذلك بجامع الجبل نسبة لجامع قاسيون، وبالجامع المظفري نسبة للملك المظفر كوكبوري التركماني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الذي اكمل بناءه، ويعرف بجامع الصالحيين نسبة للمقادسة الصالحيين الذين عمروا الصالحية. انظر: ابن شداد: المصدر السابق ص٨٦، وابن عبد الهادي: المصدر السابق ص١٥٢، وابن طولون: المصدر السابق ج١ هامش ص٤٩، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٤٣٥، وعبد القادر بدران: المرجع السابق ص٣٧٣.

آلاف دينار لإتمامه، وشراء بما تبقى من المال أوقاف له، ثم بعث مرة أخرى ألف دينار ليساق إليه الماء من قرية مردا المجاورة له، فمنع ذلك ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) بحجة أن في طريقه قبوراً كثيرة للمسلمين، وحفر له بئر عليه مدار، ووقِفَت عليه أوقافٌ أخرى، وعندما اكتمل جعل فيه الشيخ أبو عمر منبراً على ثلاثة مراقي، والرابعة للجلوس كمنبر النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام[(١)] ـ.

وقد تولّى إمامة هذا الجامع وخطابته، علماء من أسرة بني قدامة المقدسية الصالحية (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) منهم: الشيخ أبو عمر محمد، وأخوه موفق الدين عبد الله (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، وابناه شرف الدين عبد الله (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وقاضي القضاة شمس الدين عبد الرحمٰن (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، وولد هذا الأخير أبي الحسين علي[(٢)] (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م).

وكانت في جامع الحنابلة حلقات علم متنوعة، منها حلقة لقراءة الحديث النبوي يوم الجمعة، للمحدّث الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي[(٣)] (ت٦١٨هـ/ ١٢٢١م). وثانية لإقراء القرآن الكريم، للمقرئ أبي محمد عبد الرحمٰن بن أحمد المقدسي (ت٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)، لقّن فيها القرآن خلقاً كثيراً نحو أربعين سنة دون مقابل[(٤)]. وثالثة للفقيه الفرضي شرف الدين أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)،

---

(١) ابن شداد المصدر السابق ص٨٦، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٢، ٥٩، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣١٦.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٥، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٤٣، ٣٤٤، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٤٣٦.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٩٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: «٦٣١ ـ ٦٤٠هـ»، ص٢٤٦.

درس فيها الفقه بغير معلوم[1]. وهذا يعني أن للمدرسين في جامع الحنابلة أجور مقررة، تدفع لهم من أوقافه.

وأشير هنا إلى أن جامع الحنابلة ما يزال قائماً إلى اليوم في حالة جيدة[2]. (انظر: الصورة رقم: ١)، وهو يشبه في مخططه العام الجامع الأموي، وله إيوانان كبيران، وصحن مربع، ومئذنة مربعة تتوسط جداره الشمالي، ومحراب حجري رائع الصنع، مغطى بالمقرنصات، ويعلوه قوس له ظفيرة، وسلسلة منقوشة في الحجر، وليس له شبيه في المحاريب الأخرى. وله ـ أي: الجامع ـ منبر خشبي غني بالنقوش والزخارف. وله كذلك نوافذ جصية مليئة بالزخارف النباتية[3].

ـ **وأما المساجد الخمسة المتبقية**، فكل منها يقع في مدرسة من مدارس الحنابلة في الصالحية، وهي: **العمرية، والعالمية، والصاحبية، والضيائية، والأشرفية البرانية**[4].

ولهذه المساجد مشرفون وأئمة فقهاء، يسهرون على أداء وظيفتها، وهي في الأصل من مرافق الطلبة في مدارسهم، يؤدون فيها الصلوات[5].

---

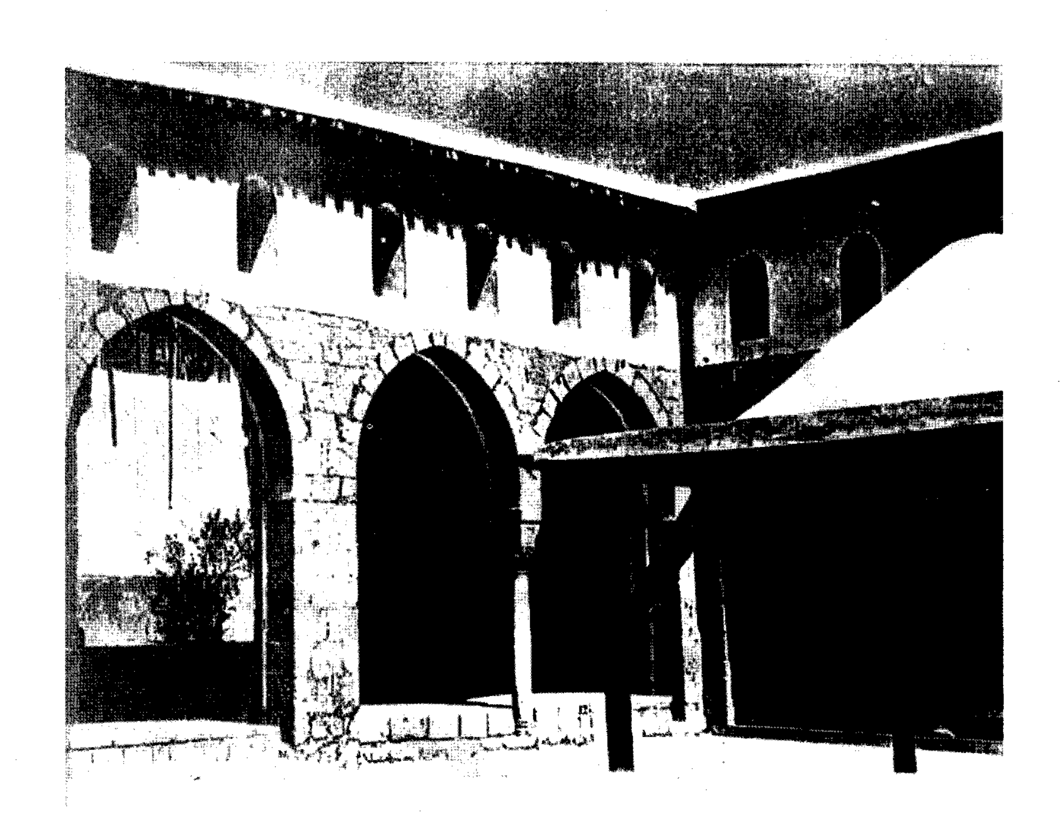
(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٩٩.

(٢) جدد سنة (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م) وطلي بالدهان. (أكرم حسن العلبي: خطط دمشق، ط١، دمشق دار الطباع، ١٩٨٩م، ص٣٢٠). وقد زرته في ربيع سنة (٢٠٠١م)، وكانت فيه الأشغال جارية في قسم منه.

(٣) عبد القادر الريحاوي: العمارة العربية في سوريا، دمشق منشورات وزارة الثقافة، (١٩٧٩م)، ص١٢.

(٤) عن هذه المدارس انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٥) ابن شداد: المصدر السابق ص١٥٨، ويوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص١٠٣، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٠، والذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص٤٨٩.



الصورة رقم : 01

جامع الحنابلة بصالحية دمشق - قبل ترميمه -

---

jaque dumarçay : damas bagdad capitales et terres des califes; beyrouth; dar el mechreq;1971;photo : 33

ويتبين مما أوردناه عن مساجد الحنابلة في مدينة دمشق (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) أنه كان لهم منها نحو ثمانية وخمسين مسجداً، ذكرت منها أربع عشر، من بينها مسجدان رئيسيان فيهما نشاط علمي متنوع: الأول: مقامهم في الجامع الأموي. والثاني: جامعهم المعروف بهم في الصالحية بجبل قاسيون.

وعليه تكون مدينة دمشق أكبر من بغداد من حيث مجموع مساجد الحنابلة فيها، وأكبر كذلك من كل المدن الأخرى التي يسكنها الحنابلة.

ثالثاً: مساجد الحنابلة في مدن أخرى:

للحنابلة مساجد في مدن أخرى بالمشرق الإسلامي، منها مكة المكرمة، ومصر، ونابلس، وبيت المقدس، وبعلبك، وحران، وهمذان.

* **فبالنسبة لمكة**، فلم أعثر لهم فيها على مساجد، إلا مقامهم في الحرم المكي[(١)]، خصصه لهم الوزير عون الدين بن هبيرة البغدادي الحنبلي[(٢)] (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م). ولهم فيه إمام ومؤذن على غرار الشافعية، والحنفية، والمالكية، ويصلي الشافعي أولاً، ثم المالكي، ثم الحنفي، ثم الحنبلي؛ ثم تغير الحال أصبح الحنبلي يصلي قبل الحنفي، وربما صلّى مع المالكي في وقت واحد[(٣)]؛ لكنهم في صلاة المغرب يصلي كل بطائفته في

---

(١) إلى جانب مقامات الطوائف الأخرى، وقد ظهرت هذه المقامات زمن سيطرة الفاطميين على الحرم المكي، (في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ ١٠ ـ ١١م)، وبقي هذا التعدد قائماً إلى زمن المماليك حيث ألغي على أثر إفتاء بعض العلماء بتحريمه، ثم أعيد العمل به إلى أن ألغته نهائياً الدولة السعودية. أحمد السباعي: تاريخ مكة، ط٢، مكة المكرمة، مطابع دار قريش (١٣٨٠هـ)، ١/ ١٩٨.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٣١، (ط ق).

(٣) ابن جبير: المصدر السابق ص٧١، ٧٢، والتجيبي: المصدر السابق ص٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، وابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ١٦٤.

وقت واحد، لضيق الوقت، فيحدث تشويش، وسهو، وتخليط، في القراءة والركوع والتسليم[١]. وهذا كله من المنكرات المستحدثة في الحرم المكي التي لم يعرفها السلف الصالح[٢]، والتي هي كذلك ثمرة مرة للإنقسامات الطائفية، وما أوصلهم إليه تعصبهم المذهبي في الأصول والفروع.

وتولّى إمامة الحنابلة في الحرم المكي، علماء ساهموا في تفعيل الحياة العلمية فيه، وتمثيل المذهب الحنبلي والحفاظ عليه، **أذكر منهم خمسة:**

أولهم: أبو محمد المبارك ابن الطباخ البغدادي ثم المكي (ت٥٧٥هـ/ ١١٧٩م). جمع بين الإمامة، وعقد مجالس الحديث، وكتابة مناسك العمرة، وبيعها للذين لا يعرفون مناسكها[٣]. وفي زمانه أبطل الخادم مرجان[٤] إمامة الحنابلة في الحرم المكي ـ أثناء وجوده هناك لأداء فريضة الحج ـ؛ لأنه كان شديد التعصب عليهم، ثم أعيدت إمامتهم بعد وفاته سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[٥].

والثاني: المحدّث محمد بن عبد الله الهروي ثم المكي (ت٥٩١هـ/ ١١٩٤م). قصد مكة طلباً للعلم، ثم استقر بها وتولّى إمامة الحنابلة في الحرم المكي سنين طويلة، كانت له خلالها مجالس علم كثيرة[٦].

---

(١) نفسه ص٧١، ونفسه ص٢٩٦، ونفسه ١/ ١٦٤.

(٢) التجيبي: المصدر السابق ص٢٩٦.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤٦، والفاسي: المصدر السابق، ٤/ ٦٠٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٥٣، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: «٥٧١ ـ ٥٨٠هـ)، ص١٨٦.

(٤) هو: خادم الخليفة العباسي المستنجد بالله (٥٥٥ ـ ٥٦٦هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧٠م).

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢١٣، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٢٥٥.

(٦) المنذري: المصدر السابق ١/ ٣٩٧، والفاسي: المصدر السابق ٢/ ٥٢، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٨١، ٣٨٢.

والثالث: المقرئ أبو الربيع سليمان بن شاذي البغدادي (ت٦٠٨هـ/ ١٢١١م). أمَّ بالحنابلة في المسجد الحرام مدة، ثم رجع إلى العراق[١]، ولا تعرف عنه أخبار أخرى.

والإمام الرابع: المقرئ الأديب برهان الدين بن الحصري البغدادي ثم المكي (ت٦١٩هـ/ ١٢٢٢م). نزل مكة سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، وجاور الحرم المكي وأمَّ بالحنابلة فيه مدة عشرين سنة[٢]. كانت له فيها حلقات حديث كثيرة، حضرها كبار الحفاظ كمحمد ابن الدبيثي، ومحب الدين ابن النجار، والضياء محمد المقدسي، وأبي الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي[٣].

وإمامهم الخامس: الفقيه عثمان بن موسى الطائي الآمدي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م). جاور الحرم، وأمَّ بالحنابلة فيه نحو خمسين سنة[٤].

* **وأما مساجد الحنابلة في مدينة مصر**، فإني لم أعثر لهم فيها إلا على ثلاثة مساجد فقط (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ - ١٣م) هي:

- **مسجد المقرئ** أبي الثناء محمد بن مطروح المصري الحنبلي (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) أمَّ فيه بالناس، واقرأ القرآن الكريم، وأدّب فيه الأطفال[٥].

---

(١) الفاسي: نفس المصدر ٤/ ٦٠٦.
(٢) أبو شامة: المصدر السابق ص١٣٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٨٣.
(٣) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٣١، وابن العماد الحنبلي: نفسه ٥/ ٨٣.
(٤) الفاسي: المصدر السابق ٦/ ٦٣، وابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ٥/ ٣٧٣.
(٥) المنذري: المصدر السابق ٢/ ١٢٩، ١٣٠.

ـ **والثاني: مسجد أبي الحرم** مكي بن عمر المقدسي ثم المصري الحنبلي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) بدرب البقالين من المدينة، تولّى إمامته وكان يتقوت من عمل يده[١].

ـ **وآخرها: مسجد قاضي القضاة** شمس الدين ابن العماد أحمد المقدسي ثم المصري[٢] (ت٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

وأعتقد أن للحنابلة في مدينتي مصر والقاهرة مساجد أخرى كثيرة، وإن لم تذكرها المصادر التي اطلعت عليها؛ لأن لهم فيهما وجود بارز ومؤثر منذ النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)[٣].

* **ولهم في نابلس مسجد يعرف بمسجد الحنابلة**، أمَّ فيه الفقيهان أبو محمد عبد الرحمٰن بن إبراهيم المقدسي[٤] (ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)، وشمس الدين عبد الله بن محمد بن يوسف النابلسي (٦٤٩ ـ ٧٣٧هـ/ ١٢٥١ ـ ١٣٣٦م)، تولّى إمامته قرابة سبعين سنة[٥]. ولهم كذلك مسجدان في بلدتي ساوية، ومردا، من عمل نابلس[٦].

* **ولم أعثر للحنابلة في بيت المقدس على أي مسجد لهم** (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣مم) ما عدا مقامهم في المسجد الأقصى، وقد تأخر ظهوره عن مقامات الطوائف السُّنِّية الأخرى، إذ لم يظهر إلا في زمن ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢١٥، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٦٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، الجزء المفقود ص٤٠٢، والصفدي: المصدر السابق ٧/ ٣١٩.

(٣) عن ذلك انظر: المبحث الأخير من الفصل الأول.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٧١.

(٥) نفس المصدر ٢/ ٤٢٨.

(٦) نفس المصدر ٢/ ٢٦٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٩٥.

(ت٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)، عندما طلب منه الحافظ عز الدين بن عبد الغني المقدسي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، أن يجعل للحنابلة محراباً في القدس الشريف، فأعطاهم مهد عيسى عليه السلام ليتخذوه مقاماً لهم[١]. وكان إمامهم فيه آخر الأئمة صلاة، وأولهم المالكي، ثم الشافعي، ثم الحنفي[٢].

* **ولهم في بعلبك مسجد يعرف بمسجد الحنابلة**، ما يزال قائماً إلى اليوم بنفس الاسم، وهو جامع البلد الكبير تقام فيه صلاة الجمعة والجماعات[٣]؛ وعليه كتابة تجديد بنائه في سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، زمن السلطان المملوكي أبي المعالي سيف الدين قلاوون[٤]. وممن تولّى إمامته الفقيه عبد الرحمٰن بن يوسف البعلي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، قدّمه للصلاة فيه بالناس شيخ الحنابلة محمد اليونيني الصوفي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، فظل به إماماً إلى أن انتقل إلى دمشق[٥].

* **وأما في مدينة حرّان** ـ ذات الأغلبية الحنبلية ـ فقد كانت فيها مساجد كثيرة، ومتعددة المرافق[٦]. **لكنني لم أتعرف إلا على اثنين منها فقط**:

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٤٣.

(٢) العليمي: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ٢/ ٣٢، والمهدي عبد الجليل حسن: الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي والمملوكي، ط١ الأردن، مكتبة الأقصى (١٩٨٠م)، ص٢٣٢.

(٣) قاسم الشماعي الرفاعي: بعلبك في التاريخ، بيروت، المكتب الإسلامي (١٩٨٤م)، ص٤٨، ١٢٣، واليونيني: المصدر السابق ٢/ ٦٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٦.

(٤) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٤، ومحمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ٥٨، ٥٩.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٠٤.

(٦) ابن جبير: المصدر السابق ص٢٢٠.

ـ **الأول: جامع الفقيه ناصح الدين** ابن أبي الفهم الحراني الحنبلي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، تفرّغ فيه للعلم والعبادة سنين طويلة، ورفض تولي القضاء[١].

ـ **والثاني: جامع حران،** له أربع قباب، وتسعة عشر باباً، منها تسعة على اليمين، وتسعة على اليسار، والتاسع عشر باب كبير يتوسط هذه الأبواب[٢]. وقد تولّى إمامته، وخطابته، والتدريس فيه، علماء حنابلة كثيرون، منهم: الفقيه أبو الحسن علي بن عبدوس (ت٥٥٩هـ/ ١١٦٣م). والفقيه أبو الفضل حامد بن أبي حجر[٣] (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م). والمفسّر فخر الدين ابن تيمية (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٤م)، ومنه انتقلت خطابة الجامع إلى آل تيمية، منهم: المفسّر عبد الغني بن فخر الدين (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م). وشهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)[٤].

* **وفي مدينة همذان،** كان للحنابلة وجود قوي ونشط (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)[٥] لكنني لم أعثر لهم فيها إلا على مسجد واحد فقط، هو للمقرئ الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، كان يصلى فيه بالناس، ويسكن فيه الطلبة الذين يدرسون عليه في مدرسته البيتية[٦].

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) ابن جبير: المصدر السابق ص٢١٩.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٤٢، ٣/ ٣٣٣، ٣٣٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ١٨٤، ٢٣٧.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٢٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٧٦.

(٥) انظر: المبحث الأخير من الفصل الأول.

(٦) محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٩٩. وعن مدرسته ومكتبته انظر: مبحثي: المدارس، والمكتبات، من هذا الفصل.

* وللوزير عون الدين بن هبيرة الحنبلي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، رأي في ظاهرة تعدد المساجد حسب الطوائف المذهبية، مفاده أن اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة، فلا يقال: هذه مساجد أصحاب أحمد، فيمنع منها أصحاب الشافعي، ولا العكس؛ وقد قال الله تعالى في المسجد الحرام: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحج: ٢٥][١].

وقوله هذا صحيح فيما يخص اختصاص جماعة بمساجد دون غيرها، لكنني لم أعثر على ما يشير إلى أن طائفة من السُّنِّيين منعت غيرها من دخول مساجدها. لكنه وجد فيهم ـ أي: من السُّنِّيين ـ من امتنع من الصلاة مع غير إمامه وأصحابه، كما هو الحال في الحرم المكي، والمسجد الأقصى، والجامع الأموي، إذ كان لكل طائفة محرابها وإمامها، وهذا كلّه ثمرّة مرّة للتعصب المذهبي الذميم المسيطر على العقول أولاً؛ ونتيجة لعجز وتخاذل أولي الأمر والعلماء، من القيام بواجباتهم الشرعية تجاه أمتهم ثانياً.

وأشير هنا إلى أن هناك مناطق سكنها الحنابلة؛ كأصفهان، وجيلان، والبصرة، كانت لهم فيها مساجد، لكن المصادر لم تذكرها. كما أن معظم المدن التي سبقت الإشارة إليها، لم نتعرف على كل المساجد الحنبلية فيها؛ وعليه فإن المساجد المذكورة آنفاً، والتي بلغت اثنين وتسعين مسجداً[٢] مجموعها تقريبي، لا يعبر عن الحقيقة كما هي في الواقع، لكنه يعطي لنا فكرة عامة عن مساجد الحنابلة، كما هو موضح (في الجدول رقم: ١٢ والرسم البياني رقم: ١٢)، ومنهما يتبين أن دمشق هي أكثر المدن عدداً من حيث المساجد بفارق كبير، ثم تليها بغداد، ثم تأتي باقي المدن بعدد أقل؛ وهي كلها ـ أي: المساجد ـ قد

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٧٩، ٢٨٠، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٣٠٧.

(٢) انظر: الجدول رقم (ص١٢)، والرسم البياني رقم (١٢).

ساهمت في خدمة المذهب الحنبلي، وتنشيط الحركة العلمية الحنبلية ودفعها إلى الأمام، وجمعت بين عبادة الصلاة ومهمة التعليم حتى بعد ظهور المدارس وانتشارها.

جدول تقريبي لمجموع مساجد الحنابلة في المشرق الإسلامي[1]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

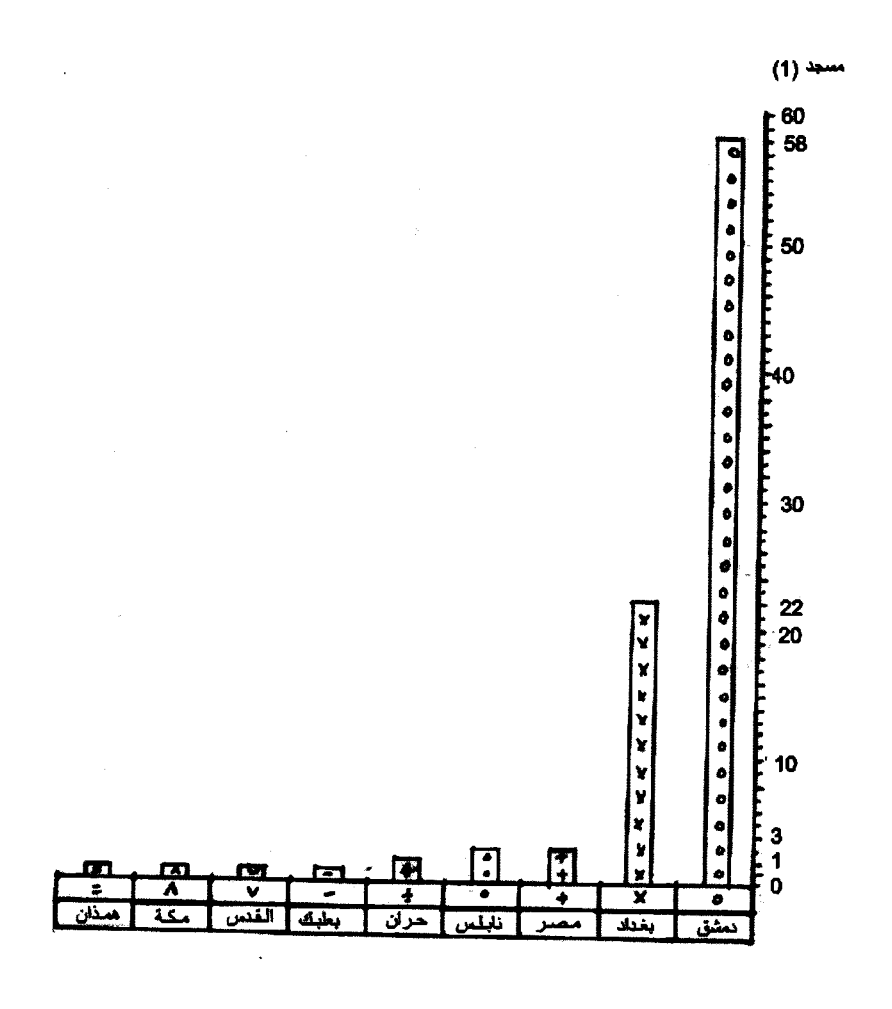
(الجدول رقم: ١٢)

الرمز	البلد	العدد	النسبة المئوية
•	دمشق	٥٨	٦٣,٠٤٣
×	بغداد	٢٢	٢٣,٩١٣
+	مصر	٠٣	٠٣,٢٦٠
.	نابلس	٠٣	٠٣,٢٦٠
÷	حرّان	٠٢	٠٢,١٧٣
-	بعلبك	٠١	٠١,٠٨٦
v	بيت المقدس	٠١	=
❋	مكة المكرمة	٠١	=
=	همذان	٠١	=
المجموع	٠٩	٩٢	نحو: ١٠٠٪

(١) المصدر: ابن رجب: المصدر السابق ١/١١٨، ١١٩، ٢٣٧، ٣٥٤، ٤٠١، و٢/ ٢٤٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٧٤، و٥/ ٢٤٠، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٨، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٧٢، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٧٩، وابن رافع السلامي: المصدر السابق ص٨٨، وجورج مقدسي: مؤسسات العلم في بغداد، تحقيق إحسان عباس، مجلة الأبحاث، بيروت مج١٤، ٣ج (١٩٦١م). وهناك مصادر أخرى سبق ذكرها في المتن.

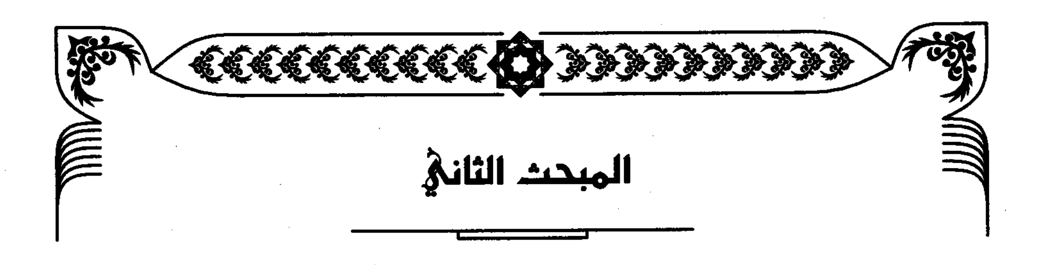
الرسم البياني رقم : 12

رسم بياني بالأعمدة لمساجد الحنابلة بالمشرق الإسلامي حسب المدن



---

(1) كل مسجد على الرسم يُـقابله = 2.5 ملم



المبحث الثاني

المدارس الحنبلية

ظهرت المدارس[١] عند المسلمين في المشرق الإسلامي، خلال الربع الأخير من القرن (الرابع الهجري/ ١٠م)[٢]، ثم كثرت في القرن (الخامس الهجري/ ١١م) وما بعده؛ كمدارس الوزير السلجوقي نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) المعروفة بالنظاميات[٣]. ولا يعرف للحنابلة مدارس أنشئت في القرن (الخامس الهجري/ ١١م)، وإنما اشتهرت مدارسهم في القرن (السادس الهجري/ ١٢م) وما بعده، في بغداد، ودمشق، ونابلس، وفي غيرها من المدن التي ينتشر فيها مذهبهم.

أولاً: مدارس الحنابلة في بغداد:

تُعد بغداد أول مدينة ظهرت فيها المدارس الحنبلية، وقد أحصيتُ لهم فيها أربع عشرة مدرسة، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م):

(١) بمعناها الحديث؛ أي: أنها في بنايات مستقلة، وفيها كل المرافق الضرورية.

(٢) محمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ٦٨، وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي والثقافي، بيروت القاهرة، دار الجيل، مكتبة نهضة مصر (١٩٩١م)، ٤/ ٤٠٢.

(٣) في مقدمتاه النظامية في بغداد، وعنها انظر: Mohamed Bougamra op cit P 44, 47, 131.

أولها: مدرسة أبي سعد المخرمي، بباب الأزج في الجانب الشرقي من بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥).

بناها الفقيه أبو سعد المبارك بن علي المخرمي البغدادي الحنبلي (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م)، ثم نسبت لتلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م) وعرفت به، عندما سكنها، ووسعها، وعمرها بمساعدة الناس له[(١)].

وبقيت مدرسة عبد القادر الجيلاني بأيدي أولاده وأحفاده، إلى أن أخذت من حفيده الركن عبد السلام بن عبد الوهاب (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)، في سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، عندما اتهم بحيازة كتب فيها الزندقة وعبادة النجوم، ورأي الأوائل، وأعطيت ـ أي: المدرسة ـ لخصمه عبد الرحمٰن ابن الجوزي، فدرّس فيها مدة ثمّ نزعت منه، عندما قبض على صديقه الوزير العباسي عبد الله بن يونس الحنبلي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، ورُدّت إلى والد الركن عبد السلام الفقيه عبد الوهاب (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م). وعندما عُيّن عبد السلام عميداً على بغداد في سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، وساءت سيرته وقبض عليه في عام (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)، استصفيت أمواله، وأخذت منه مدرسة والده وأعطيت لابن عمّه قاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)[(٢)].

وتعتبر هذه المدرسة هي أول مدرسة حنبلية ظهرت في المشرق الإسلامي، ولا يعرف تاريخ بنائها بالضبط؛ لأن المصادر سكتت عنه،

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق ٩/ ٩٤، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٠، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ١٨٥، ٢٥٢، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٠٠، ٢٠١، ٢٩١، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢١٤، ٢١٥.

(٢) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٤١٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٩١، ٣٨٩، ٢/ ٧٢، ٧٣.

لكنه من المرجح أنها بنيت في نهاية القرن (الخامس الهجري/ ١١م)، أو في مطلع القرن (السادس/ ١٢م)[١]. مما يعني أنه مرّ على الحنابلة أكثر من قرن من الزمان من ظهور المدارس عند المسلمين، لكي يبنوا أول مدرسة لهم في المشرق الإسلامي.

فلماذا تأخروا عن غيرهم من الحنفية والشافعية في بناء المدارس؟

يبدو أنهم لم يكونوا في حاجة ماسّة إلى المدارس عند ظهورها وبدايات انتشارها؛ لأن مساجدهم وبيوتهم كانت تغنيهم عنها. كما أنهم ربما اتخذوا منها موقف رفض واستنكار؛ لأنها أصبحت في نظرهم تنافس المساجد، وتصدّ عنها طلاب العلم[٢]. لكنّه من المؤكد أنهم غيروا موقفهم منها، وتنافسوا في بنائها (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)؛ بعدما تبينت لهم إيجابياتها في خدمة العلم ونصرة المذهب، وأنه يمكن الجمع بينها وبين المساجد. ورأوا بأعينهم أن خصومهم قد استخدموا مدارسهم في مهاجمتهم، ومحاصرة مذهبهم[٣].

ومن مدرسيها، الشيخ عبد القادر الجيلاني، وولده عبد الوهاب، درّس فيها نيابة عنه في حياته، ثم استقل بها بعد وفاته؛ ثم تولاها حفيده قاضي القضاه نصر بن عبد الرزاق، فدرّس، وأفتى، وأملى فيها مجالس

---

(١) سبقني إلى هذا الاستنتاج الباحث جورج مقدسي، انظر: جورج مقدسي: «مؤسسات العلم في بغداد» مجلة الأبحاث مج١٤ ٤/ ٣١٥، (١٩٦١م)، وIbn Aqil P 256, 257.

(٢) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٣٦٢.

(٣) كان من أهداف الشافعية من بناء مدارسهم، نصرة مذهبهم، والتصدي للحنابلة والشيعة. عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، ط٨، (د م ن)، دار الفكر العربي (١٩٦٨م). وMohamed Bougamra op cit P 44.

الحديث[1]. ثم خلفه فيها ولده الفقيه محيي الدين (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، فلزمها ـ بعد ما رفض القضاء ـ وتفرّغ فيها للعلم إشغالاً واشتغالاً[2]. وما تزال مدرستهم هذه قائمة ببغداد إلى يومنا هذا، تعرف بجامع الشيخ عبد القادر، وقد ضمّ إليها رباطه وقبره[3]. (انظر: الصورة رقم: ٢)، وفيها مكتبة حافلة بالتراث العلمي الإسلامي، ويشرف عليها القادرية من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني[4]. وبذلك تكون أطول المدارس الحنبلية عمراً، وأولهم إنشاء.

وأما الثانية: فهي مدرسة أبي شجاع، بباب الأزج عند باب كلواذي بالقسم الشرقي من بغداد (انظر: الخريطة رقم: ٥):

بناها الثري أبو شجاع بهرام بن بهرام البغدادي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، فوقفها على الحنابلة[5]. ولم يحدد تاريخ تأسيسها، ولا تعرف عنها أخبار أخرى[6]، غير أنه يبدو أنها هي ثاني مدرسة حنبلية بنيت في بغداد.

---

(١) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٢، ٤/ ٨٧٣، ٨٧٤، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٩٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٨٩، ٣٩٨، والمنذري: المصدر السابق ٢/ ٩٧.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٦٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨٤.

(٣) ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ج٤ هامش ص٥٢٩، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٠٠، وبشير فرنسيس: بغداد تاريخها وآثارها، العراق، مديرية الآثار العامة، (١٩٥٩م)، ص١٦.

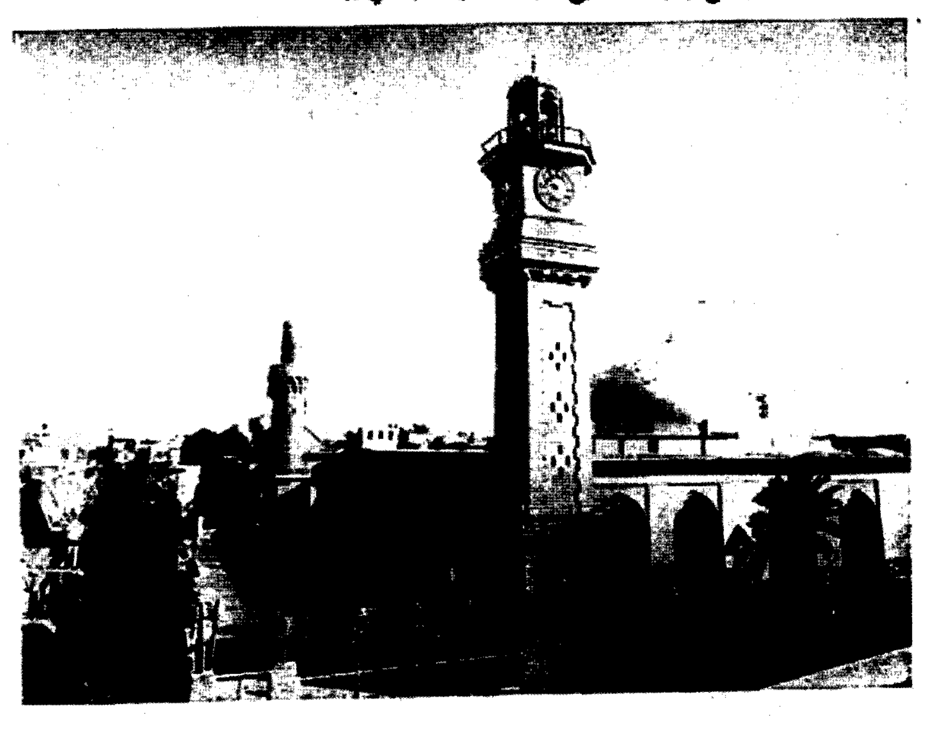
(٤) بشير فرنسيس: نفسه ص١٦، وعماد عبد السلام: المرجع السابق ص١٥٣، وبشار قويدر: بغداد مدينة السلام ص٨١، وزيدان يوسف طه: المرجع السابق ص١٨٣.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٩/ ٢٦٢، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ١٩٧.

(٦) بناء على المصادر التي اطلعت عليها.

الصورة رقم : 02

جامع وتربة الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد



بشير فرنسيس، بغداد تاريخها وآثارها، الصورة رقم : 19

طسوج قطربل

طسوج بوق

الرصافة

سوق الثلاثاء 7

جامع المنصور
8

باب البصرة

باب الظفرية

الريان
4

جامع القصر

باب الأزج
1

2

الامونية
3

دار الخلافة
5

باب المراتب
6

الخريطة رقم : 05

مواقع تقريبية لأهم مدارس الحنابلة في بغداد
خلال القرنين 6و7هـ/ 12 و13م

أحمد سوسة، ومصطفى جواد، خارطة بغداد، ص: 72 بتصرف . وعماد السلام رؤوف، مدارس بغداد، ص: 234 وما بعدها

ـ **والثالثة: مدرسة ابن الأبرادي**، بحي البدرية بالجانب الشرقي من بغداد:

وهي في الأصل دار للفقيه أحمد بن علي الأبرادي البغدادي الحنبلي (ت٥٣١هـ/ ١١٣٦م)، جعلها مدرسة ووقفها على الحنابلة[١]. ولم أعثر على من أشرف عليها، ولا على من درَّس فيها بعد مؤسسها، ولم أستطع تحديد سنة إنشائها، ولعلها بنيت بعد مدرسة أبي شجاع.

ـ **والرابعة: مدرسة أبي حكيم**، بباب الأزج بالقسم الشرقي من بغداد:

أسّسها الفقيه أبو حكيم إبراهيم بن أحمد النهرواني البغدادي الحنبلي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) بماله الخاص، ثم اتخذ فيها مسكناً له، وتفرّغ للعلم والعبادة، وآثر الخمول والقناعة بالقليل[٢]. وعندما حضرته الوفاة أسندها لتلميذه عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، وكان قد اشتغل عنده معيداً في حياته[٣].

ـ **والخامسة: مدرسة ابن الشمحل**، بباب الأزج بالجانب الغربي من بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

بناها أبو القاسم عمر بن ثابت البغدادي المعروف بابن الشمحل (ت٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، ووقفها على الحنابلة وأسند التدريس فيها إلى الفقيه أبي حكيم النهرواني؛ فدرس فيها مدة شهرين ومات، فَرُدَّت إلى تلميذه

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/ ٢٦٢، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢٦، (ط د)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٩٧.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٠١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٩، ٤٠٤، والصفدي: المصدر السابق ٥/ ٣٤٧، والذهبي: العبر ٤/ ١٥٩، والمختصر المحتاج إليه ص١٣٠.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٠١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٠٤، (ط د).

عبد الرحمٰن ابن الجوزي[1]. لكنّها لم تعمر طويلاً؛ لأن مؤسسها ابن الشمحل لما تولّى أعمالاً ديوانية، وخالط السلطان وساءت سيرته، قبض عليه في سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م) وصودرت أمواله، وبيعت مدرسته، وقلعت منها القبلة، وأخذت خزانة كتبها، وأخرج ما كان فيها بأقبح وجه، وقيل أن وقفيتها لم تثبت[2]. وهذا ينفي ما ذهب إليه الباحث عماد عبد السلام، من أن هذه المدرسة بقيت عامرة إلى نهاية القرن (السادس الهجري/ ١٢م)[3].

ـ **وأما السادسة: فهي مدرسة ابن البل**، بمحلة الريان بالجهة الشرقية من مدينة بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

وقفها أبو المعالي ابن البل البغدادي على الحنابلة، وفوض أمرها للقاضي عماد الدين بن أبي خازم الفراء (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م). ودرَّس فيها الفقيه أبو العباس أحمد بن عمر القطيعي الحنبلي[4] (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)، وهي مدرسة أهلية صغيرة قليلة الشأن نادرة الخبر.

ـ **والسابعة: مدرسة ابن هبيرة**، بباب البصرة بالجانب الغربي من بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

بناها الوزير عون الدين ابن هبيرة، ووقفها على أصحابه الحنابلة سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦٢م)، ورتّب فيها الفقهاء والقراء، وأجرى عليهم

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٠١، ٢٠٠، ٢١٨، وابن النجار: المصدر السابق ٢٠/ ٣٦، ٣٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٩، ابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٤٥.

(٢) ابن الجوزي: نفسه ١٠/ ٢١٨، وابن النجار: نفسه ٢٠/ ٣٦، ٣٧، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٦١ ـ ٥٧٠هـ)، ص١٠٤.

(٣) عماد عبد السلام: المرجع السابق ص١٥٩.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٤٥، ٣٠٢ (ط ق). والعليمي: المنهج الأحمد ٢/ ٢٨٤.

المعاليم، وأسند التدريس فيها إلى أبي الحسن بن محمد الزيتوني البراندسي[١] (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م). ودرّس فيها كذلك الفقيه سراج الدين بن المبارك الزبيدي الحنبلي[٢] (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م).

وروى المؤرخ سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) أن هذه المدرسة خربت عندما نكل بأسرة الوزير ابن هبيرة، فأخذت أوقافها، وبيعت كتبها بأبخس الأثمان[٣]. وبما أن أسرته شتت في سنتي (٥٦١هـ/ ١١٦٥م، و٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)[٤]، ومدرسته فتحت في عام (٥٥٧هـ/ ١١٦١م)، فهذا يعني أنها عمرت نحو ست سنوات، فكيف يدرس فيها الفقيه سراج الدين ابن الزبيدي (٥٤٦ ـ ٦٣١هـ/ ١١٥١ ـ ١٢٣٣م)، وله من العمر نحو ستة عشر عاماً؟!.

وهذا أمر ـ لو حدث ـ من شأنه أن تذكره المصادر التي ترجمت لابن الزبيدي وتنوه به؛ لأنه من النوادر في تاريخ المدرسين، لكنها لم تشر إلى ذلك[٥]. مما يدفعنا إلى افتراض أنه ـ ربما ـ أعيد بناء هذه المدرسة بعد زوال محنة آل هبيرة، فدرّس فيها ابن الزبيدي.

وللوزير ابن هبيرة رأي في تعدد مدارس المذاهب السُّنِّية ومساجدها، مفاده أنه لا يحبذ تعدد مساجدها، لكنه لا يرى مانعاً في

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٠٣، وأبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤٢، وابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ٥٨١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٨٦، ٣٥٩.

(٢) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ٥٨١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٨، والمختصر المحتاج عليه ص١٧٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٨٦، ١٨٨، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٤.

(٣) السبط: المصدر السابق ٨/ ١٤١، ٢٦٢.

(٤) انظر: ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢١٨، ٢٢٠.

(٥) سبق ذكرها في الصفحة السابقة.

تعدد مدارسها، على أن لا يضيق في شروطها على المسلمين لينتفعوا بها، وحكى عن نفسه أنه امتنع من دخول مدرسة لم تتوفر فيه شروطها، ولو دخلها ربما وجد فيها ما ينفعه[1]. وهو بموقفه هذا يقر بالانقسامات المذهبية التي كانت سائدة في زمانه، ويكرّسها بموافقته إنشاء مدارس مذهبية، مع المطالبة بعدم تضييق مجال الانتفاع بها؛ سعياً منه للتخفيف من حدّة التعصب المذهبي، لا لاقتلاعه من جذوره.

ـ **والثامنة: مدرسة ابن بكروس**، بدرب القيار بالقسم الشرق من بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

بناها الفقيه أبو العباس أحمد بن بكروس الدينوري الحنبلي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، وهو أول من درّس فيها[2]. ثم خلفه ـ بعد وفاته ـ الفقيه أحمد بن أبي غالب الحبابيني الحنبلي الضرير (ت٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)[3]. ثم درّس من بعده أخ الواقف الفقيه أبو الحسين علي (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م). وثم خلفه ابن أخيه الفقيه أبو محمد شمس الدين[4] (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م). ويبدو أن هذه المدرسة بقيت عامرة نحو ثلاثين سنة ثم اندثرت؛ لأنني لم أعثر على أي خبر عنها، بعد مدرسها أبي محمد شمس الدين.

وأما التاسعة: فهي المدرسة الشاطئية[5]، بباب الأزج على شاطئ

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٨٠، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٣٠٧.

(٢) الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص١١٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٨، والصفدي: نكت الهميان ص١١٤.

(٣) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣٤٣، والصفدي: نفسه ص١١٤.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤٨، ٢/ ٦٩.

(٥) سماها ابن رجب الشاطبية: (الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٦)، ولعله خطأ من الناسخ، أو من الطابع، وذكر الباحث عماد عبد السلام أنه وجدت في بغداد مدرستان لهما نفس الاسم هما: مدرسة بنفشا الشاطئية، والمدرسة =

نهر دجلة بالجانب الشرقي من مدينة بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

وقفتها على الجماعة الحنبلية السيدة بنفشا بنت عبد الله (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م)[١]، وسلَّمتها لعبد الرحمٰن ابن الجوزي في سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م). وكانت في أول الأمر قد أعطت مفتاحها لأبي جعفر الصباغ[٢]، فبقي عنده أياماً ثم استعادته منه وسلّمته لابن الجوزي دون طلب منه[٣]. وعندما افتتحت ألقى فيها دروساً في الأصول والفروع، في حضرة الأعيان والجماهير الغفيرة، فدخل على «قلوب أهل المذهب غم عظيم» حسب ما رواه ابن الجوزي[٤]. وعند المؤرخين ابن كثير وابن الجوزي أنه دخل «على أهل المذاهب غم عظيم»[٥]. وعند السبط ابن الجوزي ودخل على «أصحاب أهل المذهب؛ يعني: الحنابلة، من ذلك غم عظيم لأنهم حسدوني»[٦].

ورواية ابن كثير وابن رجب، هي التي تتفق مع سياق النص، ومعناها هو المتبادر إلى الذهن؛ لأن أصحاب المذاهب الأخرى هم الذين يحسدونه ويدخلهم الغمّ قبل غيرهم؛ لأن المدرسة أعطيت للحنابلة

= الشاطئية، (مدارس بغداد ص١٦٦، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٢) ويبدو أنه واهم في ذلك، وإنما هما اسمان لمدرسة واحدة؛ لأن المصادر لم تذكر للشاطئية واقفين.

(١) هي جارية الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، وكانت كثيرة فعل الخيرات. المنذري: المصدر السابق ٢/٣٤٤، وابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/١٥٢.

(٢) لم أجده.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/٢٥٣، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/٣٢٦، وابن رجب: المصدر السابق ١/٤٠٦ (ط ق).

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/٢٥٣.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ١٢/٢٩١، وابن رجب: المصدر السابق ١/٤٠٦.

(٦) السبط: المصدر السابق ٨/٣٢٦.

لا لهم. فكيف لا يحسده هؤلاء، وتحسده جماعته كلها - لا بعضها - والمدرسة لها؟! لذا يبدو أن كلمة: المذهب، التي ذكرها ابن الجوزي أصلها: المذاهب، سقط منها حرف الألف إما سهواً منه وإما من الناسخ. وأما السبط فهو قد بالغ في توجيه النص، وزاد فيه ما لم يقله صاحبه، وما لا يتفق مع السياق العام للخبر.

وفي سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) كتب على حائط المدرسة الشاطئية، ما يأتي: «وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة، بدار الرواشني في أيام سيدنا ومولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وفوضت التدريس بها إلى ناصر السُّنَّة أبي الفتح[١] ابن الجوزي»[٢]. ثم درّس فيها من بعده، بعض أهل بيته كحفيده تاج الدين عبد الكريم بن محيي الدين يوسف (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨)[٣].

- **والعاشرة: مدرسة عبد الرحمٰن ابن الجوزي**، بدرب دينار بالقسم الشرقي من بغداد، بناها لنفسه في سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م):

ذكر فيها يوم افتتاحها أربعة عشر درساً، من مختلف فنون العلم[٤]. وبها يصل ما كان تحت يده من المدارس خمس، على ما ذكره هو عن نفسه، ثم قال: «وهذا شيء ما رآه الحنابلة إلا في زمني»[٥].

---

(١) كذا بالأصل، وهو خطأ، وصوابه: أبو الفرج.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٢٥٨.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٦٢.

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٥٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٠٥.

(٥) ابن الجوزي: نفس المصدر ١٠/ ٢٤٨، والمصباح المضيء في خلافة المستضيء، حققه ناجية عبد الله إبراهيم، بغداد، وزارة الأوقاف، (١٩٧٦م)، ١/ ٣٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٠٩.

وهي: مدرسة أبي حكيم، وابن الشمحل، والشاطئية، والرابعة هي التي نحن في صدد الكلام عنها، وأما الخامسة فلم أجدها، وقد يقال: إنها مدرسة عبد القادر الجيلاني التي عادت إلى ابن الجوزي، لكن هذا لا يستقيم؛ لأنه تسلّمها في سنة (٥٨٨هـ/ ١١٨٤م) عندما نكب الركن عبد السلام، ولم يتسلمها في عام (٥٧٤هـ/ ١٢٧٨م).

وأشير هنا إلى أن ابن الجوزي، رغم دخوله في زمرة بناة المدارس وكبار المدرسين، فإنه قد نبّه إلى أن بناءها قد أصبح في زمانه مخاطرة؛ لأن أكثر الطلاب انعكفوا على علم الجدل وأعرضوا عن علوم الشريعة، وتركوا التردد إلى المساجد، واقتنعوا بالمدارس والألقاب(١). وهذه شهادة منه، لها أهمية تاريخية معتبرة؛ لأنها صادرة عن شاهد عيان، وتصور جانباً من الوضعية التعليمية التي آلت إليها أحوال غالبية الطلبة في زمانه ببغداد.

ـ وأما الحادية عشرة: فهي مدرسة ابن الصقال:

بناها الفقيه المناظر أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن الصقال الطيبي الحنبلي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) ببغداد، وقد أعاد فيها صاحبة أبو محمد عبد المنعم بن محمد الباجسرائي الحنبلي (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)(٢). ويبدو أنها كانت مدرسة أهلية صغيرة ليست ذات شأن كبير، لذلك كانت أخبار نشاطها العلمي نادرة جداً.

ـ والثانية عشرة: المدرسة المجاهدية، بدار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

---

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٣٦٢.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٥١.

وقفها على الحنابلة مجاهد الدين أيبك المستنصري، المعروف بالدويدار الصغير (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) في سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وهي من أكبر المدارس في المدينة[١]. وقد استمرت في نشاطها العلمي إلى تخريب المغول لبغداد في عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، ثم استعادته بعده[٢]. فقد درّس فيها الفقيه علي بن وضاح الشهرياني الصوفي الحنبلي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، واستمر في التدريس فيها إلى أن توفي[٣]. وقد حضر فيها المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي الحنبلي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) مجلساً لسماع الحديث النبوي في سنة (٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، بقراءة صدر الدين أحمد بن الكسار الحنبلي[٤].

ومن اللافت للانتباه في أمر هذه المدرسة، أن مؤسّسها مجاهد الدين أيبك لم يوقف عليها شيئاً[٥]؛ لكنها بقيت عامرة عصوراً أطول من المدارس التي أوقفت عليها الأوقاف الكثيرة، وهذا من النوادر في تاريخ المدارس[٦]؛ لأنها وجدت من الحنابلة دعماً، وحرصاً، وجدية في تسييرها، والإنفاق عليها، وإلا ما كان في مقدورها الحفاظ على نشاطها العلمي دون أوقاف.

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٦٨، وابن رافع السلامي: المصدر السابق ص١٥٣، وعماد عبد السلام: المرجع السابق ص١٩٥.

(٢) الذي أعاد لبغداد نشاطها بعد الواقعة، هو حاكم العراق الفقيه علاء الدين أبو منصور بن محمد الجويني (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٧م). ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ق٢، ٤/ ١٠٣٥.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٨٣، وابن رافع السلامي: المصدر السابق ص١٥٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٣٧.

(٤) ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ١٦٧.

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٦٨.

(٦) عماد عبد السلام: المرجع السابق ص١٩٥.

ـ **والثالثة عشر: المدرسة القرآنية**، بمحلة الحربية في القسم الغربي من مدينة بغداد. (انظر: الخريطة رقم: ٥):

بناها الفقيه أستاذ دار الخلافة محيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وجعل فيها مدفناً[١]. كما أنه شرع في بناء مدرسة أخرى بمحلة الحلبة في الجهة الشرقية من المدينة، لكنه لم يتم بناءها[٢]. ربما لأن الموت قد داهمه على يد المغول في سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[٣].

ـ **وآخرها:[٤] المدرسة المستعصمية:**

وقفها الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م)، وقفها على الجماعة الحنبلية. وقد استعادت نشاطها بعد تخريب التتار لبغداد، فدرّس فيها الفقيه شرف الدين داود بن كوشيار البغدادي الحنبلي[٥] (ت٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م). وأشير هنا إلى أنني لم أهتد إلى تحديد موقعها في بغداد، ولم أعثر لها على أية أخبار أخرى عن نشاطها العلمي.

* **ويستخلص مما ذكرناه عن مدارس الحنابلة في بغداد**، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، أنها بلغت أربع عشرة

---

(١) ابن رجب: ٢/ ٢٥٩، والداودي: المصدر السابق ٢/ ٣٨١.

(٢) نفسه ٢/ ٢٥٩، ونفسه ٢/ ٣٨١.

(٣) قتلوه هو وأولاده، مع أعيان الدولة العباسية، عن ذلك انظر: شجرة نسب ابن الجوزي في المبحث الخامس من الفصل الأول.

(٤) ذكر عماد عبد السلام مدرسة للحنابلة ببغداد تعرف بمدرسة بني العطار بناها أبو عمر بن العطار الحراني ثم البغدادي (٥٩٥هـ/١١٩٨م). (المرجع السابق ص١٩٣) لكنني لم أعثر لها على أي خبر، وإنما وجدت مدرسة في حران لبني العطار. العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٦٧.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٤، وعماد عبد السلام: المرجع السابق ص٢٠٣.

مدرسة، مقابل ثلاث عشرة مدرسة للشافعية، وتسع للحنفية[1]. وأن معظمها بُنِيَ في القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، وكلها يقع بالجانب الشرقي من مدينة بغداد، ما عدا مدرسة ابن هبيرة، والمدرسة القرآنية لمحيي الدين يوسف. وأن غالبيتها العظمى هي من إنشاء الحنابلة أنفسهم، وأولها تأسيساً مدرسة عبد القادر الجيلاني، التي هي أطولها عمراً من كل المدارس الحنبلية بالمشرق الإسلامي.

❀ ثانياً: مدارس الحنابلة في دمشق:

ظهرت أول مدرسة حنبلية بمدينة دمشق، في النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، ثم كثر عددها في القرن (السابع الهجري/ ١٣م)، عندما اتسعت ضاحية الصالحية عمرانياً، وازدهرت علمياً. ففيما يخص مدارسهم داخل المدينة، فقد أحصيتُ لهم فيها ستاً:

- أولها: المدرسة الحنبلية شمال الجامع الأموي:

بناها[2] الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي ثم الدمشقي (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م). ويروى أنه عندما شرع في بنائها،

---

(١) لا تعرف للمالكية مدارس خاصة بهم في بغداد. عماد عبد السلام: المرجع السابق ص٣٢ وما بعدها وص٣٦ وما بعدها.

(٢) ذكر المؤرخ ابن شداد (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) أن أخ صلاح الدين الملك سيف الإسلام طغتكين هو الذي بنى المدرسة الحنبلية. (الأعلاق الخطيرة ص٢٥٥) وهو واهم فيما قاله؛ لأنه انفرد به عن المؤرخين الذين اطلعت على مصنفاتهم ونصوا على أن شرف الإسلام بن عبد الواحد هو الذي بنى المدرسة. انظر: الذهبي: العبر ٤/ ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٨، (ط د). والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٦٤، ٦٥، ويوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ص٨٧.

سعى بعض الشافعية إلى أمّ الملك شمس الملوك زمرد خاتون[1]، وقال لها: إن ابن الحنبلي يبني مدرسة للحنابلة، وهذا بلد عامته شافعية، فيؤدي عمله هذا إلى فتن وضرر كبير. فأرسلت إليه بالتوقف عن البناء فاستجاب. وفي الليل أحضر البنائين وأصحابه وواصلوا البناء، فلما بلغ خبره إلى زمرد خاتون بعثت إليه جماعة تذكره بنهيها له، فقال لهم: «قد بنيت بيتاً من بيوت الله تعالى ﷻ، ونصبت محراباً، فإن كانت هي تهدمه فتبعث تهدمه، وصاح على الصناع: اعملوا»، فبلغها ما قاله، فقالت: «صدق، أنا مالي وللفقهاء»[2]. وهو في ردّه عليها استخدم التورية؛ لأنه بنى في الأصل مدرسة لا مسجداً، وجعل بداخلها مسجداً. كما يدل سعي بعض الشافعية لمنعه، واستنجادهم بالسلطان عليه على حسدهم للحنابلة وتخوفهم من نمو نفوذهم بدمشق.

وروى المؤرخ ابن أبي أصيبعة الدمشقي (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) أن الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م)، أرسل الطبيب عبد العزيز بن عبد الجبارالسلمي (ت٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) إلى دمشق ليتولى عمارة المدرسة الحنبلية[3]. فما المقصود بالعمارة؟ فإذا قصد بها التأسيس فهو خطأ بيّن؛ لأن المدرسة بنيت في النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)، وهذا الطبيب أرسل في أيام حكم الخليفة المستنصر. وأما إذا قصد بها التوسيع والترميم فهذا ممكن.

ومن الذين درَّسوا فيها ـ أي: المدرسة الحنبلية ـ من بيت ابن الحنبلي، بهاء الدين عبد الملك بن عبد الوهاب (ت٥٤٥هـ/

(١) كان حكمها نافذاً في دمشق. ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٨. ولم أعثر لها عن أخبار أخرى.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٣٩.

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٣/ ٣١٥.

١١٥٠م)، وأخوه نجم الدين (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، وناصح الدين بن نجم الدين (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)[١]. ودرّس فيها من خارج أسرة بني الحنبلي الفقيه زين الدين أبو البركات بن المنجا الدمشقي (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)[٢].

ـ والثانية: المدرسة المسمارية:

بناها التاجر الحسن بن مسمار الحوراني ثم الدمشقي الحنبلي (ت٥٦٤هـ/ ١١٥١م) ووقف عليها أوقافاً كثيرة، وأسند التدريس فيها لشيخ الحنابلة وجيه الدين أسعد بن المنجا الدمشقي (٥١٩ ـ ٦٠٦هـ/ ١١٢٥ ـ ١٢٠٩م)، ولذريته من بعده[٣]. ويبدو أنها هي ثاني مدرسة حنبلية بنيت في دمشق لأن الأولى ـ أي: الحنبلية ـ توفي مؤسسها سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)، والثانية بناها الشيخ مسمار ـ المتوفى في سنة (٥٤٦هـ/ ١١٥١م) ـ لوجيه الدين أسعد المولود في عام (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)، فيكون قد بناها له في أخريات حياته وله من العمر نحو سبعة وعشرين عاماً. وعليه فإن هذه المدرسة تعد أطول مدارس الحنابلة في دمشق عمراً؛ لأنها كانت ما تزال قائمة في سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، اتخذتها الشرطة مخفراً لها؛ ولكن الأولى ـ أي: الحنبلية ـ فلا أثر لها في وقتنا الحاضر[٤].

---

(١) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ٦٧ وما بعدها، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٦٥.

(٢) نفس المصدر ٢/ ٧٣، ٧٤، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٢، ١٣٣.

(٣) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٥٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٧، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١١٤، ١١٥، ١٢٠، وابن بدران الدمشقي: منادمة الأطلال ص٢٤٩.

(٤) ابن بدران الدمشقي: المصدر السابق ص٢٣٤، والحصني: منتخبات تواريخ دمشق ٣/ ٩٦٠.

ومن مدرسيها من بني المنجا، وجيه الدين أسعد، وولداه القاضي شمس الدين عمر (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، والفقيه عز الدين عثمان (ت٦٤١هـ/ ١١٤٣م)[١]. وقد شاركهم في التدريس فيها كذلك بيت ابن الحنبلي مدة من الزمن، ثم استقل بها بنو المنجا نهائياً في سنة (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، بحكم أن نظر المدرسة لهم[٢]. وناب عنهم فيها الفقيه فخر الدين عبد الرحمٰن بن يوسف البعلي الحنبلي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، وابنه شمس الدين أبو عبد الله (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)[٣].

ـ **وأما الثالثة: فهي المدرسة الصدرية**، بدرب الريحان بالقرب من الجامع الأموي:

وهي في الأصل دار للثري صدر الدين أسعد بن عثمان بن المنجا (ت٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م)، ثم حولها إلى مدرسة ووقفها على الحنابلة[٤]. درّس فيها من بني المنجا الفقيه زين الدين المنجا بن أسعد (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، ووجيه الدين محمد بن عثمان[٥]. ومن غيرهم المحدّث أبو محمد عبد الرحمٰن بن يوسف البعلي[٦]. وكانت معالمها الأثرية

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١١٥.

(٢) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٩٤، ١٩٥، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣٧، و٢٢/ ١١٦.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٩، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١١٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٥٢.

(٤) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٥٧، والكتبي: عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٧، والذهبي سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٧٥.

(٥) ابن شداد: نفس المصدر ص٢٥٧، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٣٢، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٨٨.

(٦) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٣١٩، والنعيمي: نفسه ٢/ ٨٨.

ما تزال قائمة في سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، وقد حوّلت إلى دور للسكن[١].

ـ والرابعة: **المدرسة الجوزية**، بسوق القمح، قرب الجامع الأموي:

بناها الفقيه محيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي البغدادي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، بالأموال التي جمعها من الملوك في سفرياته إليهم من الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م)، ووقفها على الحنابلة في سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)[٢]؛ وكلّف صاحبه الفقيه عبد الرحمٰن بن رزين الحوراني ثم الدمشقي بتولي أمر بنائها، فلمّا اكتملت في عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) جاء إلى بغداد ليرفع إليه حسابها، فلمّا وصلها وجد المغول قد دخلوها، فقتلوه مع صاحبه محيي الدين يوسف[٣]. وكانت وقفية المدرسة مكتوبة على عتبة بابها، وفيها البسملة، واسم واقفها، ومذهب الذين أوقفت عليهم، وسنة الانتهاء من بنائها، وأوقافها، من قرى وعقارات[٤].

ومن مدرسيها الفقيه نجم الدين أحمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م). والفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمٰن أحمد المقدسي (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م). والفقيه عز الدين بن تقي الدين سليمان، وعقد فيها مجلساً للقضاء نيابة عن والده في (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)[٥]. وأعاد فيها القاضي شمس الدين محمد بن عبد الوهاب

---

(١) ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٣٩.

(٢) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٥٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٥٩، والداودي: المصدر السابق ٢/ ٣٨١، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٢٩.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٦٤.

(٤) النعيمي: المصدر السابق ج٢ هامش ص٢٩.

(٥) الصفدي: المصدر السابق ٧/ ٤٩، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٣٣، ٤٤، =

الحراني ثم الدمشقي (ت٦٧٥هـ/ ١٢٧٥م)[١]. وقد استمرت هذه المدرسة في نشاطها العلمي إلى القرن (العاشر الهجري/ ١٦م)[٢].

ـ **والخامسة: المدرسة المنجائية:**

تقع بداخل الجامع الأموي، أنشأها الفقيه زين الدين أبو البركات المنجا ابن القاضي عز الدين عثمان الدمشقي (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، وهو أول من درّس فيها[٣].

وأما المدرسة الأخيرة فهي دار القرآن الوجيهية: بناها التاجر وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا (ت٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، وجعل فيها حجرات كثيرة، ووقف عليها بعض أملاكه[٤]. وقد اندرست معالمها في وقتنا الحاضر، وكانت قد حولت إلى مخازن ودكاكين في سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)[٥].

* **وأما مدارسهم بضاحية الصالحية،** فقد أحصيتُ لهم فيها سبعاً:

ـ **أولها: المدرسة العمرية:**

تقع على شاطئ نهر يزيد، جنوب جامع الحنابلة وبالقرب من ديرهم، وقيل: بل في وسطه؛ بناها[٦] الشيخ أبو عمر محمد بن

= ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣٥٢.

(١) اليونيني: المصدر السابق ٣/ ٢٠٧، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٨٨.

(٢) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ٦١.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣٣، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٢١.

(٤) الصفدي: المصدر السابق ٤/ ٩١، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٧، وابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ٣/ ٢٣٨، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٧.

(٥) ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٢، ٢٣، والحصني: المرجع السابق ص٩٣٨.

(٦) لم اهتد إلى معرفة سنة بنائها.

قدامة المقدسي ثم الدمشقي[١] (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م).

وروى المؤرخ السبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) أن الشيخ أبا عمر بنى مدرسته على أساس مدرسة صغيرة، بناها السلطان نور الدين محمود (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) على نهر يزيد بجوار دير الحنابلة، وأنه ـ أي: السلطان ـ كان يزور فيها والد أبي عمر الشيخ أحمد بن قدامة؛ وفي إحدى المرات وجد خشبة مكسورة في سقف المسجد، فبعث من أصلحها بعد انصرافه[٢].

لكن المؤرخين محمد ابن طولون (ت٩٥٣هـ/ ١٥٧٦م) وعبد القادر النعيمي (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) خالفاه فيما رواه، وبيّنا أن قوله: «سقف المسجد»، دليل على أن التي سماها مدرسة صغيرة، هي مسجد وليست مدرسة، وهو المعروف بمسجد ناصر الدين غرب العمرية؛ وقوله: «إنها مجاورة للدير» دليل آخر على أنها ليست هي المدرسة؛ لأن العمرية ليست مجاورة للدير، وإنما هي مقابلة له، يفصل بينهما الطريق، كما أنه وصفها بـ«الصغيرة»، والعمرية ليست صغيرة[٣]. وقد حقّق الباحث عبد القادر بدران في المسألة بالمعاينة والتنقيب في آثار العمرية المتبقية وما جاورها، فتبين له صدق ما قاله النعيمي وابن طولون، وخطأ ما رواه السبط ابن الجوزي[٤].

---

(١) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٠، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٥، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٤٤، والحصني: المرجع السابق ٣/ ٩٦٠، ومحمد كرد علي: غوطة دمشق ص١٧٢، ١٧٣، الريحاوي: المرجع السابق ص١٠٣.

(٢) السبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٣١٤.

(٣) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٣، ١٠٤، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٩.

(٤) ابن بدران: المرجع السابق ص٢٤٦، ٢٤٧.

وجعل الشيخ أبو عمر مدرسته وقفاً على تلقين القرآن الكريم والفقه، على أن يعطى لطلبتها ومعلميها كفايتهم من المأكل والملبس بالمجان. وقد كانت مدرسته تقدم ـ في أعز أيامها ـ ١٠٠ رغيف خبز كل يوم، وتوزع الصابون على المجاورين وتفرق الزبيب والحلويات كل جمعة على النازلين بها، وتجري عمليات الختان لأطفال فقراء الصالحية وأيتامها سنوياً دون أي مقابل، بفضل أوقافها الكثيرة من أملاك، وعقارات، وحقول، في دمشق، وبيروت، وطرابلس، وغيرها من قرى الشام[١].

ومن مكوناتها العمرانية ومرافقها الداخلية: صحن ـ فناء ـ، ومئذنة[٢]، وإيوان كبير، وميضأة واسعة، ومقصورة لقراءة القرآن الكريم في الليل، وفرن لتسخين الماء[٣]. وكان فيها عند تأسيسها عشر حجرات للفقراء، ثم ارتفع عددها عندما وسعت المدرسة، وأصبح لها ثلاثة طوابق: سفلي، وأوسط، وعلوي، فبلغ أكثر من ثلاثمائة حجرة[٤].

وكانت المدرسة العمرية ذات صبغة مذهبية في الإشراف عليها، وفي تدريس المذهب الحنبلي فقط؛ لكنها فتحت أبوابها لأهل العلم دون تمييز طائفي، في الالتحاق بها لحفظ القرآن الكريم[٥]. ثم فقدت صبغتها المذهبية الحنبلية في القرن (التاسع الهجري/ ١٥م)، عندما أصبحت

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٢٧٨، وابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ١٠١، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٥٥، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٩، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٧٨، ١٧٩.

(٢) سقطت على المسجد العتيق المجاور لها في سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، فمات شخص واحد فقط. ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢١٦.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٩، ١٨١، ١٨٢، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١١١، ١١٢.

(٤) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٨٣ و٢/ ١٠٩.

(٥) ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ٢/ ١٥٦، ١٦٦.

مشتركة بين الطوائف السُّنِّية الأربعة[1]، إشرافاً وتدريساً، ابتداء من سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)[2].

ومن مدرسيها الفقيه تقي الدين أحمد بن محمد المقدسي ثم الصالحي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وولده الحافظ عز الدين عبد الرحمٰن (ت٦٦١هـ/ ١٢٦٢م)، والقاضي شمس الدين عبد الرحمٰن ابن الشيخ أبي عمر المقدسي (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)[3]، والخطيب نجم الدين أحمد بن قدامة (ت٦٨٩هـ/ ١٢٨٨م)، والفقيه أبو الحسن علي ابن القاضي شمس الدين المقدسي (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)[4]. ودرَّس فيها من غير المقادسة، الفقيه تقي الدين إبراهيم بن علي الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)[5]. وبلغ عدد شيوخها الملقنين للقرآن الكريم، سبعة شيوخ في بعض الأوقات[6].

وتعد العمرية من فضائل الصالحية ومن أقدم مدارسها، وهي أكبر مدرسة في مدينة دمشق على الإطلاق، وتمثل نموذجاً كاملاً

---

(١) عارض الحنابلة عندما حولت المدرسة العمرية إلى مدرسة مشتركة، لكن الأمر فرضته عليهم السلطة القائمة آنذاك. وقد ذكر المؤرخ يوسف بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي (ت٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، أنه هو شخصياً لم يسؤه جعل العمرية على المذاهب الأربعة؛ لأن فضل الشيخ أبي عمر قد تعدى الحنابلة ليشملا غيرهم من السنيين. ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٩، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٩.

(٢) نفسه ١/ ١٦٩ وما بعدها. ونفسه ٢/ ١٠٩.

(٣) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٥٩، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٦، ٢٠٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢١٧.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٣، ٣٤٤، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٦، ١٠٧.

(٥) نفس المصدر ٢/ ٣٣٠، ونفسه ١/ ٣٥٧ و٢/ ٨٣.

(٦) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٠٩.

للمدرسة الجامعة[١].

وقد تهدمت معظم معالمها العمرانية، ولم يكن باقياً منها في سنة (١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)، إلا طابقها السفلي، وبابها الرئيسي الغربي المقوس. (انظر: الصورتين رقم: ٣ و٤). وقد أجرت عليها السلطات الفرنسية ترميمات، في عام (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)[٢]. وقد شرع في إعادة بنائها من جديد في وقتنا الحاضر[٣].

ـ وأما المدرسة الثانية بضاحية الصالحية: فهي دار الحديث الأشرفية البرانية:

تقع على شاطئ نهر يزيد بسفح جبل قاسيون، بناها للحنابلة ملك دمشق الأشرف مظفر الدين موسى بن العدل الأيوبي (ت٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)[٤]، وأسندها للحافظ جمال الدين بن أبي موسى بن عبد الغني المقدسي[٥] (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، وجعل له فيها مسكناً، ورزقاً معلوماً له ولذريته. ووقف عليها ضيعات: الدير، والدويرة، والتليل، والمنصورة، والشرفية[٦].

---

(١) العلبي: خطط دمشق ص٢٣٧، والحصني: المرجع السابق ص٩٦٠، وابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٣٧٧، ٣٨٢ وما بعدها.

(٢) الريحاوي: المرجع السابق ص١٠٣، وابن طولون: المصدر السابق ج١ هامش ص١٨٣.

(٣) رأيتها في زيارتي لها في ربيع (٢٠٠١م).

(٤) هو الذي بنى دار الحديث الأشرفية الجوانية للشافعية، وهي بداخل مدينة دمشق. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين حققه أحمد عمر هاشم ومحمد عزب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (١٩٩٣م)، ٢/ ٨٤٤، ٨٤٥، والنعيمي: المصدر السابق ١/ ١٩

(٥) لكنه توفي قبل اتمام بنائها. ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٩، ١٨٩.

(٦) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٩٥، ٩٦، وابن رجب: ٢/ ١٩، ١٨٦، وابن الأثير: المصدر السابق ٢/ ٨٤٤، ٨٤٥، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٣٣١.

الصورة رقم : 03

مدخل المدرسة العمرية قبل الترميم



jaque dumarçay; op cit; photo : 38

الصورة رقم : 04

قوس من بقايا المدرسة العمرية

jacque dumaçay : opcitt; photo : 38

ومن مدرسيها القاضي شمس الدين بن أبي عمر المقدسي (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، والفقيه محمد بن الكمال عبد الرحمٰن السعدي المقدسي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، وقاضي القضاة شرف الدين الحسن بن أبي عمر المقدسي (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)[١]، وابنه عز الدين، ثم تغير الأمر من بعده، وأصبح التدريس فيها لكل من ولي قضاء الحنابلة، حتى وإن لم يكن أهلاً للتدريس فيها[٢].

ومن مكوناتها العمرانية: صحن واسع ـ فناء ـ، وثلاثة أبواب أوسطها كبير، وحجرات تحتية وفوقية، وقاعة واسعة، وبئر ومسجد وشبابيك[٣]. وهي أتقن بناء، وأتم هندسة، من دار الحديث الأشرفية الجوانية الموقوفة على الشافعية بداخل دمشق[٤]. ولم يكن باقياً من آثارها في الربع الثاني من القرن (العشرين) إلا القليل، منها باب المدرسة، وقسم من أساسها الشمالي[٥].

ـ **والثالثة: المدرسة المنجائية**، بسفح جبل قاسيون:

بناها التاجر الفقيه عز الدين عثمان بن أسعد بن المنجا الحنبلي (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، وعندما توفي دفن فيها[٦]. وأخبارها نادرة جداً، إذ لم أعثر على ذكر لها إلا عند المؤرخَين أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/

---

(١) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٩٦، ٩٧، وابن رجب: ٢ ص٣٢٠، ٣٢١، والنعيمي: المصدر السابق ١/ ٤٩.

(٢) ابن طولون: نفس المصدر ١/ ٩٦، والنعيمي: نفس المصدر ١/ ٥١، ٥٢، وابن بدران الدمشقي المرجع السابق ص٣٣.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٠٢.

(٤) النعيمي: المصدر السابق ١/ ١٩.

(٥) النعيمي: المصدر السابق ١/ ١٩ وهامش ص٤٧، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٣٣.

(٦) أبو شامة: ذيل الروضتين: ١٧٣.

١٢٦٦م)، والرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٧م) الذي روى أنه عندما دخل دمشق في سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) رأى في الصالحية مدرسة ابن المنجا[١].

ـ **والمدرسة الرابعة: هي دار الحديث الضيائية المحمدية**، الواقعة شرق جامع الحنابلة بسفح جبل قاسيون:

أسسها الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، ووقفها على المحدّثين والفقهاء والغرباء الوافدين عليها[٢]. وقد اندرست آثارها العمرانية في وقتنا الحاضر كلية[٣].

وروى ابن رجب البغدادي، أن الضياء عندما بنى مدرسته كان يبني جانباً منها ثم يتوقف حتى يجمع مالاً آخر، فإذا جمعه واصل بناءها، ويعمل فيها بنفسه، وكان ـ مع فقره وحاجته للمال ـ لا يقبل من أحد شيئاً تورعاً[٤]. ولم يتساءل ـ أي: ابن رجب ـ هل في مقدور الضياء أن يجمع مالاً لبناء مدرسة مع حاجته إليه وقلّة ذات يده، دون أن يستعين بالناس؟! ومن أين جاء بالأوقاف التي وقفت على مدرسته؟!. ثم ذكر رواية تناقض ما قاله ولم ينتبه لتناقضه، فقد روى أن أهل الخير قد أعانوا الضياء في بناء مدرسته[٥]. لكنه ـ أي: ابن رجب ـ ربما أراد أن يقول:

---

(١) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ١٠١.

(٢) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ٢/ ٤٧١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢٨/٢٣، والصفدي: المصدر السابق ٤/ ٦٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٣٨.

(٣) ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٢٣.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٣٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٢٥.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٣٨. وقد روى هذا الخبر مؤرخون آخرون؛ =

إن الضياء مع فقره كان حريصاً على أن يبني مدرسته بمال حلال، لا أنه لم يقبل مالاً من أحد، وإنما لم يأخذ مالاً مشبوهاً تورعاً منه.

وأما أوقافها فقد كانت كثيرة بفضل تبرعات المحسنين، منها معظم دكاكين السوق الفوقاني، وثلث قمح ضيعات مدرسة دار الحديث الأشرفية البرانية، وهي: الدير، والدويرة، والمنصورة، والتليل، والشرفية[1]. وأوقف عليها المحدّث التاجر فخر الدين بن البخاري المقدسي (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م)، شيئاً من ماله، وهي مدرسة عمّه[2].

ومن مرافقها ومكوناتها العمرانية: مسجد، وصحن، وبئر، وميضأة، ومكتبة، وخلاوي ـ حجرات ـ سفلية وعلوية، وصفة داخلية[3]. وأما مدرّسوها فمنهم مؤسسها الضياء محمد، والفقيه شمس الدين محمد بن الكمال عبد الرحمٰن السعدي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، والمحدث أبو العباس أحمد بن عبد الله السعدي الدمشقي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)[4].

ـ **وأما الخامسة: فهي المدرسة الضيائية المحاسنية**، بسفح جبل قاسيون:

بناها الفقيه ضياء الدين محسن بن عبد الملك الجموي ثم الدمشقي الحنبلي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، ووقفها على الحنابلة، ونصّ في وقفيتها على أن يدرّس فيها من كان أميرهم[5]. ولا يعرف موقعها بالضبط في

= كالصفدي وابن شاكر الكتبي. انظر: الوافي بالوفيات ٤/ ٦٦، وفوات الوفيات ٢/ ٤٧١.

(١) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٨٣، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٩٩.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢٧.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٨٣.

(٤) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص١٦١، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٢١، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٩٦، ٩٧.

(٥) ابن شداد: المصدر السابق ص٥٨، ٥٩، والنعيمي: الدارس في تاريخ =

الصالحية، وقد حاول الباحث ابن بدران الدمشقي تحديده في تنقيبه عنها، فلم يهتد إليه[1]. وقد أخلط الباحث حسن شميساني بين المدرستين الضيائية المحمدية والضيائية المحاسنية، فذكر أن هذه الأخيرة تقع شرق الجامع المظفري ـ جامع الحنابلة ـ بجبل قاسيون[2]. وهذا موقع المحمدية لا المحاسنية التي لا يعرف موقعها.

ـ **والسادسة: مدرسة دار الحديث الصاحبية**، بسفح جبل قاسيون:

بَنَتها أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي الصاحبة ربيعة خاتون (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، ووقفتها على الحنابلة؛ وأسندتها للفقيه ناصح الدين ابن الحنبلي[3] (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، بإشارة من ابنته العالمة أمة اللطيف (ت٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) خادمة ربيعة خاتون[4]. ووقفت عليها وقفاً يسيراً ـ منه بستان وطاحون ـ؛ لأنها لم تحسن التدبير، وذلك أنها بدأت أولاً في بناء المدرسة، فلما أتمتها لم يبق معها من المال إلا القليل اشترت به وقفاً يسيراً؛ وكان من الأولى أن تشتري الوقف أولاً، ثم كلما تحصلت شيء منه بنت به[5]. ومع قلّة أوقافها فإنها المدرسة الدمشقية الوحيدة

= المدارس ٢/ ٩٤، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٤.

(١) ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ٢٤٣.

(٢) حسن شميساني: مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ط١، بيروت، دار الآفاق، (١٩٨٣م)، ص١٦٩.

(٣) على أثر استقلال بنو المنجا بالتدريس في المسمارية وإبعاد بني الحنبلي عنها. ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٩٥، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٥٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ١٧٠ و١٤/ ١٥٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٩٥، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٢٣، وخير الله العمري: مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، حققه رجاء السامرائي، العراق، وزارة الثقافة (١٩٦٦م)، ص٢٣٩، وعبد القادر الريحاوي: المرجع السابق ص١١٦، ١٢٦، وعبد القادر بن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٣٨.

(٥) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٦٣.

التي ما تزال قائمة إلى اليوم، محافظة على كافة مرافقها بحارة الأكراد، وهي من أجمل مدارس المدينة، لها بناء كبير يدل على الأبهة والجلالة، وعلى مدى ارتقاء الفن المعماري زمن تأسيسها في القرن (السابع الهجري/ ١٣م)[١].

ومن مكوناتها العمرانية، أنها ذات شكل مستطيل. (انظر: الشكل رقم: ٢٥)، ولها باب كبير، وثلاثة أواوين، وقاعات في جوانبها الأربعة، وحجرات علوية، ومدفن للواقفة، وجبهة حجرية جميلة جداً، ومقرنصات حجرية رائعة[٢].

ومن مدرّسيها الفقيه ناصح الدين ابن الحنبلي، درّس فيها يوم افتتاحها في سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) بحضور الواقفة ـ من وراء حجاب ـ وجمهور غفير من الناس[٣]. ومنهم ولدا ناصح الدين هما: سيف الدين يحيى (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، وزين الدين عبد الله (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[٤]. وناب عن بني الحنبلي ـ في التدريس فيها ـ الفقيه تقي الدين إبراهيم بن الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) مدّة عشرين سنة[٥].

---

(١) العلبي: المرجع السابق ص٢٣٧، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٣٨، ويوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق هامش ص١٤٩، وابن طولون: المصدر السابق ج١ هامش ص١٦٣.

(٢) عبد القادر الريحاوي: المرجع السابق ص١١٦، ١٢٦، وابن طولون: نفس المصدر ١/ ١٦٣، ويوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق تذييل المحقق ص١٤٩.

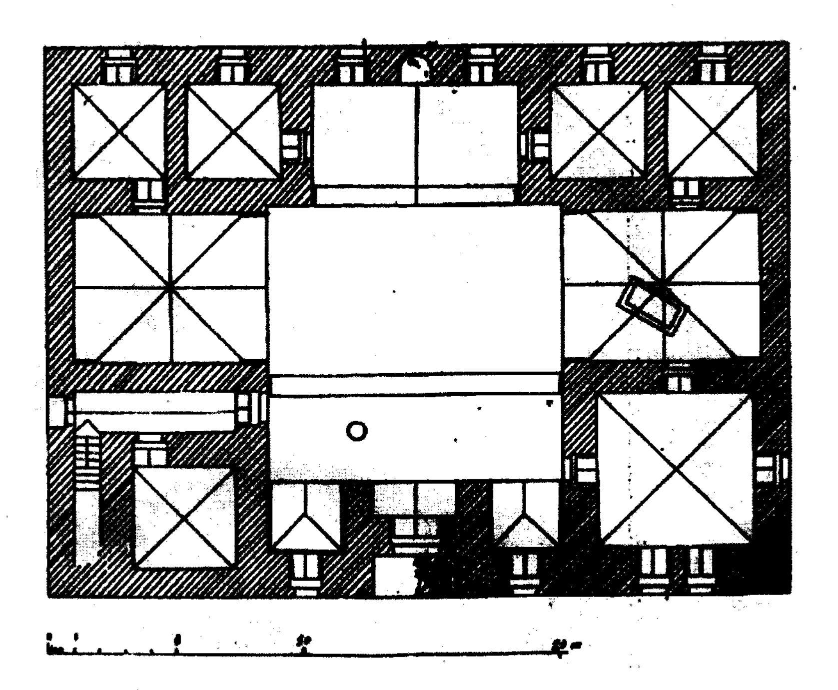
(٣) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٢٧، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٢٥، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٢٨، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٧١، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٥٨، ١٥٩.

(٤) ابن شداد: المصدر السابق ص٢٥٧، ٢٥٨، والنعيمي: نفس المصدر ٢/ ٨١ وما بعدها.

(٥) نفسه ص٢٥٨، ونفس المصدر ١/ ١٥٨ و٢/ ٨٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣٠.

الشكل رقم : 25

مخطط عام للمدرسة الصاحبية بدمشق



عبد القادر الريحاوي، المرجع السابق، ص: 116

والشافعي تاج الدين عبد الغفار السعدي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)[١]، سمح له بالتدريس فيها؛ لأنها دار حديث[٢] وليست مدرسة فقه ذات صبغة مذهبية. وكانت هذه المدرسة تدفع يومياً درهمين للمدرس، ودرهماً واحداً للمعيد، ونصف درهم للطالب، ومجموع طلابها عشرين طالباً[٣].

- **والمدرسة السابعة: دار الحديث العالمية**، قبالة جامع الأفرم بسفح جبل قاسيون:

أنشأتها العالمة أمة اللطيف بنت ناصح الدين ابن الحنبلي الدمشقية (ت٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)، ووقفت عليها أوقافاً، منها بستانان بجسر البطة والغيضة، وحددت عدد طلابها بعشرين طالباً من المتفوقين في دراستهم[٤]. لكن مدرستها لم تعمر طويلاً، إذ كان نشاطها العلمي قد تعطل في القرن (العاشر الهجري/ ١٦م)، واندرست معالمها كلية وحول موقعها إلى بستان في الأربعينيات من القرن: (العشرين)[٥].

* ويتبين مما ذكرناه عن مدارس الحنابلة في مدينة دمشق، أن مجموعها بلغ - عند نهاية القرن (السابع الهجري/ ١٣م) ثلاث عشرة مدرسة[٦]، في حين ذكر لهم المؤرخ ابن شداد (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ١٥٨، والنعيمي: نفس المصدر ١/ ١٦٢، ١٦٣.

(٢) ابن كثير: نفسه ١٤/ ١٥٨، ونفس المصدر ٢/ ٨٥، ٨٦.

(٣) خير الله العمري: المرجع السابق ص٢٣٩.

(٤) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١١١، ١١٢، ١١٣، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٨، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٨٥.

(٥) ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٤٨، وابن طولون: المصدر السابق ج١ هامش ص٨٥، والنعيمي: المصدر السابق ج٢ هامش ص١١٢.

(٦) ذكر لهم الباحث أكرم حسن العلبي، اثنتي عشرة مدرسة. المرجع السابق ص٢٣٣ وما بعدها.

عشراً فقط، مقابل أربعين للشافعية، وأربع وثلاثين للحنفية، وثلاث للمالكية[1]. وأنهم ـ أي: الحنابلة ـ هم الذين بنوا كل مدارسهم بأنفسهم، ما عدا مدرستان: الأشرفية والصاحبية، واثنتان منها ـ الصاحبية والعالمية ـ بنتهما امرأتان.

❀ ثالثاً: مدارس الحنابلة في مدن أخرى:

للحنابلة مدارس في مدن أخرى من المشرق الإسلامي؛ كبيت المقدس، ونابلس، ومصر، وحران، والبصرة.

*** ففي القدس الشريف:**

فإني لم أعثر للحنابلة فيها على أية مدرسة في القرن (السادس الهجري/ ١٢م) إلا على واحدة فقط[2] ربما أسست في نهاية القرن (السابع الهجري/ ١٣م) تعرف بالوجيهية، بناها التاجر الفقيه وجيه الدين بن عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي (ت٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، وتقع بالقرب من المسجد الأقصى[3]، وكانت ما تزال قائمة في النصف الثاني من القرن (العشرين)، اتخذها بعض الناس سكناً لهم[4]. وللحنابلة مدرسة صغيرة

---

(١) ابن شداد: المصدر السابق ص١١٩ وما بعدها، و٢٢٩ وما بعدها، و٢٥٣ وما بعدها.

(٢) قدر مجموع مدارس بيت المقدس بأكثر من عشر مدارس، منها واحدة للحنابلة، وثلاث للشافعية، وفيها مدارس للحديث والنحو وعلوم القرآن الكريم. رشاد سالم الإمام: مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس الدار التونسية للنشر (١٩٧٦م)، ص١٨٨ وما بعدها. وقد أصبح للحنابلة مدرسة ثانية في بيت المقدس، بناها لهم نائب الشام الأمير بيدمر في سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، العليمي: الأنس الجليل ٢/ ٤٤، ويذكر أن المسجد الأقصى كان محاطاً بالمدارس على اختلاف مذاهبها وتخصصاتها: نفس المصدر ٢/ ٣١، ٤١.

(٣) العليمي: نفسه، ٢/ ٤٢، ٤٤.

(٤) رشاد سالم الإمام: المرجع السابق ص١٩٢.

في جامعهم بنابلس، بناها عماد الدين بن عبد الحافظ بن بدران النابلسي (ت٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)[١].

* **وأما في مدينتي مصر والقاهرة:**

فإني لم أعثر للحنابلة فيهما على أية مدرسة خاصة بهم[٢] (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)؛ إلا ما روي أن الفقيه عز الدين عبد الهادي بن شرف الإسلام ابن الحنبلي الدمشقي (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، لما نزل بمصر شرع في بناء مدرسة، لكنه توفي قبل أن يتم بناءها[٣]؛ ويبدو أنها أهملت ولم يكملها أحد؛ لأن أخبارها انقطعت.

وإنه من الغريب جداً أن تكون للشافعية والحنفية والمالكية مدارس كثيرة في مصر والقاهرة[٤]، ولا تكون للحنابلة أية مدرسة في هاتين المدينتين، ووجودهم بهما يرجع إلى النصف الأول من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)؛ فهل اكتفوا بالمساجد واستغنوا بها عن إلى المدارس، أم كانت لهم مدارس وأغفلت المصادر ذكرها؟.

لم أجد جواباً شافياً عن هذا التساؤل.

لكنه يوجد ما يشير إلى أنه كانت لهم مدارس لم تشر إليها غالبية

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص٩٨، والعبر: ٣/ ٣٩٢، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٤٢.

(٢) كانت لهم مدارس مشتركة بينهم وبين الطوائف السُّنِّية الأخرى، وسيأتي الكلام عنها قريباً.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٨٦، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٧١.

(٤) عنها انظر: السيوطي: حسن المحاضرة ج١ وج٢، والمقريزي: المصدر السابق ج٢.

المصادر، فمن ذلك أنه رويت أخبار بعضها يوحي بوجود مدرسة للحنابلة، وبعضها الآخر صريح في ذلك، لكنه يفتقد إلى الدقة والوضوح والتحديد الزمني.

فبالنسبة للنوع الأول: فمنه رواية تقول أن المفسّر جمال الدين محمد بن سليمان البلخي ثم الدمشقي الحنبلي (ت٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) درّس في المدرسة العاشورية بالقاهرة[١]. وهذا يعني أنها كانت قائمة في النصف الثاني من القرن (السابع الهجري/ ١٣م)، وأن حنبلّياً درّس فيها؛ وبما أنها هي من المدارس التي لم يحدد المذهب المدرّس فيها، ولا الجماعة التي تملكها، ولا هي من بين المدارس السُّنِّية المشتركة[٢]؛ فإنه من الممكن جداً أن تكون دار قرآن، بناها حنبلّي أو يشرف عليها الحنابلة.

وروي في خبر آخر، أنه وجدت في مدينة مصر مدرسة تعرف بمدرسة بني مزيبل، نسبة لساكنها الرشيد بن المزيبل الحنبلي وأولاده، وكانت أوقافها قد خربت زمن المؤرخ إبراهيم بن دقمان العلائي (ت٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)، ويقال: إن الذي بناها رجل كردي مدفون في قبة بجانب المدرسة[٣]. فمن الجائز جداً أن يكون هذا الرجل أوقف مدرسته على الحنابلة منهم ابن المزيبل وأولاده.

وأما النوع الثاني: فهو ما رواه المؤرخ أبو الحسن علي بن أحمد السخاوي الحنفي (ت ق٩هـ/ ١٥م)، من أنه كانت في مصر مدرسة تعرف

---

(١) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٤٢.

(٢) أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، دار المعارف، (١٩٦٩م)، ٢/ ٥٤، ٥٥، وعبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص١٦٢، ١٦٤، ١٦٥.

(٣) ابن دقمان العلائي: الانتصار لواسطة عقد الأمصار ـ في تاريخ مصر وجغرافيتها ـ، بيروت، دار الآفاق الجديدة (د ت)، ١/ ٩٨.

بمدرسة بني مرسل، بناها أمير الجيوش للفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن مرعيل الحنبلي المصري[1]. فهذه الرواية صرّحت ببناء مدرسة للحنابلة بمصر، لكنها لم تحدد زمن إنشائها، ولا عرفتنا بأمير الجيوش الذي أسّسها، ولا ذكرت سنة وفاة الواقف والموقوفة له؛ وقد اجتهدت لإزالة هذا الغموض فلم أوفق في ذلك.

*** وفي مدينة حران، أحصيتُ للحنابلة فيها أربع مدارس:**

ـ أولها: المدرسة النورية:

بناها السلطان نور الدين محمود بن زنكي (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، للفقيه أبي الفضل حامد بن أبي الحجر الحراني الحنبلي (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، وأسندها إليه[2]. وكان ابن أبي الحجر حازماً في تسيرها والحفاظ على أوقافها، حتى أنه إذا غاب ولده إلياس عن الدروس لا يعطيه خبزه في اليوم الذي غاب فيه، ويقول: هو كالمستأجر[3]. وقد درّس فيها من بعده، فخر الدين ابن تيمية الحراني (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، والفقيه الموفّق حمد بن أحمد الحراني (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٤م)[4].

ـ **والمدرسة الثانية: في مدينة حران،** هي للفقيه فخر الدين ابن تيمية: بناها لنفسه[5]؛ وأخبارها نادرة جداً.

---

(١) علي بن أحمد السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، حققه محمود ربيع وحسن قاسم، ط١، القاهرة، مطبعة العلوم والآداب، (١٩٣٧م)، ص٣٨٦.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٣ (ط ق)، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٣٧.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٤.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص١٨٥، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٥٢.

(٥) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٥٢.

ـ **والثالثة: مدرسة بني العطار:**

بنوها للفقيه ناصر الدين بن أبي الفهم الحراني الحنبلي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)[١].

ـ **وآخرها: مدرسة المقرئ أبي الحجاج يوسف بن فضل الله السكاكيني** الحراني الحنبلي (ت بعد٦٦١هـ/ ١٢٦٢م):

كانت داره ثم حولها إلى دار للحديث، ووقف فيها كتبه[٢].

*** وفي البصرة:**

للحنابلة فيها مدرسة بني دويرة، نسبة لشيخهم المقرئ حسن بن دويرة البصري (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، لقّن فيها القرآن الكريم أكثر من عشرين سنة، وحفظه على يده أزيد من ألف شخص[٣]. منهم تلميذه النجيب الفقيه المقرئ نور الدين بن عمر الضرير (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، حفظ على يده القرآن في سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، ثم خلفه في مدرسته بعد وفاته، فدرّس فيها مدة من الزمن، ثم تركها وانتقل إلى بغداد[٤].

وذكر الباحث ناجي معروف أن الخادم باتكين بن عبد الله الرومي الناصري (ت٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، هو الذي بنى للحنابلة مدرسة في البصرة، ولم يكن يعرف لهم بها مدرسة قبلها[٥]. فإن صح هذا الخبر ففيه احتمالان، إما أنه كان للحنابلة في البصرة مدرستان، وإما أن باتكين بنى مدرسته وسلّمها لشيخ الحنابلة حسن بن دويرة.

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٢٠٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٦٧.

(٢) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ١٧٩.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٥٩.

(٤) الصفدي: نكت الهميان ص١٨٩، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥، ٣١٣، ٣١٤، والداودي: المصدر السابق ١/ ٢٨٤.

(٥) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/ ١٧٠، وهامش ص١٣٦.

* **وأما في الحرمين الشريفين:**

فإنه بالنسبة لمكة المكرمة، فإن المدارس فيها لم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن (السادس الهجري/ ١٢م)[١]، ثم كثر عددها في القرن الذي تلاه، فبلغ إحدى عشرة مدرسة كلها للشافعية والحنفية والمالكية، وليس للحنابلة فيها أية مدرسة[٢]؛ وليس صحيحاً ما ذكرته الباحثة عائشة بن عبد الله باقاسي، من أن المدرسة الزنجيلية بمكة هي للحنابلة[٣]. لأن هذه المدرسة هي للحنفية بنيت في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)[٤].

* **وأما في المدينة المنورة:**

فلم يكن فيها لأهل السُّنَّة نشاط علمي بارز، (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)[٥]؛ لأنها كانت بيد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الذين تحكموا في البلد وضيّقوا على السُّنِّيين[٦].

---

(١) بعد إسقاط الأيوبيون للفاطميين الذين كانوا مسيطرين على مكة المكرمة.

(٢) الفاسي: المصدر السابق ١/ ١١٧، ١١٨، وعبد الله صالح عبد الرحمٰن: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط١ جدة، دار الشروق (١٩٨٢م)، ص٥٩، ٦٠، ٧٨ وما بعدها. وأحمد السباعي: المرجع السابق ص١١٦ وما بعدها. وطه الولي: المساجد في الإسلام ص٨٦.

(٣) نسبتها للحنابلة مرتين، لكنها في مرة أخرى نسبتها للحنفية. انظر: عائشة بن عبد الله باقاسي: الحجاز في العصر الأيوبي ص١٠٤، ١٠٧.

(٤) الفاسي: المصدر السابق ١/ ١١٧.

(٥) تغير حال أهل السُّنَّة في المدينة المنورة وترجحت كفتهم منذ سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، وضعف أمر الشيعة، فتظاهروا بأنهم من آل السُّنَّة تقية. السمهودي: المصدر السابق ص١٤٢، والسخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص٢٩٢، وعلي السيد عللي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عصر المماليك، (د م ن)، مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية، (١٩٩٤م)، ص١٢٢.

(٦) السمهودي: المصدر السابق ص١٤١، ١٤٢، والسخاوي: نفس المصدر =

لذا لم يكن للحنابلة فيها أية مدرسة خاصة بهم، ما عدا مدرسة مشتركة بينهم وبين الشافعية بنيت في نهاية القرن (السابع الهجري/ ١٣م)[١].

* **وأخيراً: مدارسهم في اليمن، والموصل، وحلب:**

ففي اليمن: فيبدو أنه لم تكن لهم فيها مدارس؛ لأن مدارسها كانت موزعة بين الشافعية، والحنفية، والزيدية، دون سواهم[٢].

* **وأما في الموصل**، فرغم كثرة مدارسها[٣]، وانتشار المذهب الحنبلي فيها، فإنني لم أعثر للحنابلة فيها على أية مدرسة، وإن تولّى بعضهم مشيخات دورِ الحديث بها[٤].

وفي مدينة حلب، فإن معظم مدارسها هي للشافعية والحنفية، وليس للحنابلة فيها إلا واحدة، أو اثنتان[٥].

* ويُستخلص مما أوردناه عن مدارس الحنابلة في المشرق الإسلامي (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م) أن مجموع مدارسهم بلغ ستاً وثلاثين مدرسة. (انظر: الجدول رقم: ١٣، والرسم البياني رقم: ١٣)، منها خمس عشرة في بغداد، وثلاث عشرة

= ص٢٩٢، وعلي السيد علي: نفس المرجع ص١٢٢.

(١) عنها انظر: المبحث الخامس من هذا المبحث.

(٢) علي بن الحسن الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية حققه محمد بسيوني، مصر مطبعة الهلال (١٩١١م)، ١/ ٨٤، ٢٧٦، وإسماعيل بن الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، صنعاء منشورات جامعة صنعاء، رقم (١)، (١٩٨٠م)، ص٩، ١٠، ٥١، ٢١٧.

(٣) فيها أكثر من عشرين مدرسة. سعيد الديوه جي: المرجع السابق ص٣٤٣، ٣٩٠.

(٤) انظر: المطلب السادس من هذا المبحث.

(٥) ابن الشحنة: تاريخ حلب، حققه كيكو سبتمبر، طوكيو معهد الدراسات الثقافية واللغوية لآسيا وإفريقيا، (١٩٩٠م)، ص١١٨، ومحمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ١١٥.

بدمشق، وأربع في حران[1]. ولهم من بينها ثلاث مدارس أنشأتها ثلاث نساء، هن: الجهة بنفشا، والصاحبة ربيعة خاتون، والعالمة أمة اللطيف. وأن مدارسهم كانت بمثابة مدارس عليا بتعبيرنا المعاصر، لها نظامها الداخلي[2]، وبناياتها المستقلة، ومرافقها المتنوعة، ومصادر تمويلها المتعددة.

رابعاً: مدارس الحنابلة البيتية:

اتخذ بعض علماء الحنابلة بيوتهم مقراً لنشاطهم العلمي والتعليمي، فيستقبلون فيها العلماء والطلاب، ويعقدون فيها مجالس العلم، ولم يحولونها إلى مدارس - كالتي سبق ذكرها -.

أشهرهم أربعة:

- * **أولهم: المقرئ أبو العلاء العطار الهمذاني** (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م):

درّس تلامذته في بيته، وأسكنهم في مسجده، وأنشأ لهم مكتبة، وخصص لهم نصف النهار الأول للحديث النبوي، والنصف الثاني للقرآن الكريم وعلوم أخرى[3]. وكان ينفق عليهم مما يعطيه له الناس، ومما يقترضه منهم عندما لا يكفيه ما يقدمونه له من الأموال، ولا يقبل منهم ما فيه شبهة[4]. فهو بأعماله هذه يعد مثالاً نادراً، للعالم المدرس المجد المسؤول، والمحبّ لطلبته ومهنته، والمضحي بوقته وماله خدمة للعلم.

---

(١) انظر: الباقي في الجدول رقم (١٣)، والرسم البياني رقم (١٣).

(٢) يتمثل في وقفية المدرسة التي يكتبها واقفها.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٦، وابن رجب: المصدر السابق ٣/ ٢٤، ٣٢٧، والسيوطي: بغية الوعاة ١/ ٤٩٥، والداودي: المصدر السابق ١/ ١٣٤، ومحمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ١٠٣.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٥، ١٣٢٦، وابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣٢٦ (ط ق).

جدول مقارن لمجموع مدارس الحنابلة الخاصة بالمشرق الإسلامي[1]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٣)

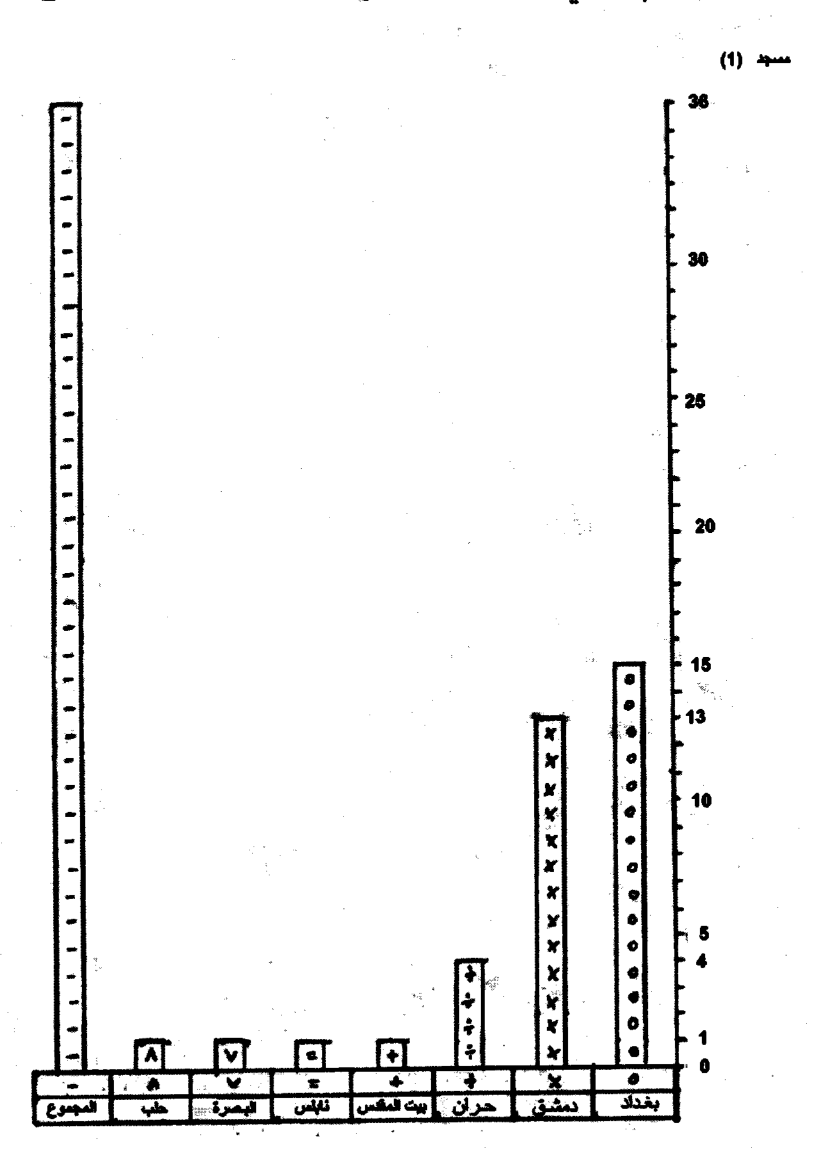
الرمز	البلد	العدد	النسبة المئوية
•	بغداد	١٥[2]	٤١,٦٦٦
×	دمشق	١٣	٣٦,١١١
÷	حرّان	٠٤	١١,١١١
+	بيت المقدس	٠١	٠٢,٧٧٧
=	نابلس	٠١	=
v	البصرة	٠١	=
*	حلب	٠١	=
المجموع	٠٧	٣٦	نحو: ١٠٠٪

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

(٢) أضيفت إليها مدرسة بني العطار التي ذكرها الباحث عماد عبد السلام.

الرسم البياني رقم :13

رسم بياني بالأعمدة لمدارس الحنابلة حسب المدن



كل مدرسة يُـقابلها على الرسـم = 5ملم

* **والثاني: المحدّث الفقيه أبو القاسم عبد الله ابن القاضي أبي الفرج الفراء** البغدادي (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م):

جعل بيته مجمعاً للعلماء، يدرّسون فيه الفقه والحديث في حضور المشايخ والعوام، مع الإنفاق عليهم بسخاء نفس وسعة صدر، حتى أفلس وغلبه الدين؛ فأوقف نشاطه العلمي واختفى في بيته بعدما باع معظم كتبه ومتاعه[١]. فأوصله كرمه وحبّه للعلم إلى نفاد ثروته، فلا هو تصرف فيه بحكمة، ولا وجد من يساعده لإنقاذه من أزمته والحفاظ على نشاطه العلمي، ولا وقف الناس بجانبه على غرار أبي العلاء العطار الذي وجد الدعم المالي من مجتمعه.

* **والثالث: هو الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن الصقال البغدادي** (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

فتح داره للفقهاء وغيرهم من المشتغلين بالعلم، مع التواضع والعفة وحسن السيرة[٢]. كما أنه عمَّر لنفسه مدرسة في بغداد[٣]، لكنني لا أدري أهي داره التي كان يجتمع فيها العلماء حوّلها إلى مدرسة، أم هي مستقلة عنها؟.

* **وآخرهم: المتكلم الفخر إسماعيل غلام ابن المني البغدادي** (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م):

اتخذ بيته مقراً لنشاطه العلمي، فعقد فيه حلقات علم كثيرة في حضرة الفقهاء[٤].

---

(١) الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٢٢٨، وابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ٦٣، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥٢ (ط ق).

(٢) الصفدي: المصدر السابق ٦/ ١٣٧.

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٥١.

(٤) الصفدي: المصدر السابق ٩/ ١٥٨، وابن رجب: ٢/ ٦٦، ٦٧، وابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ١١٥.

* وللحنابلة في صالحية دمشق دار كبيرة تعرف بدير الحنابلة[١]، **فيه مدرسة بيتية للنساء**. ومن مدرساتها اللواتي أقرأن فيها القرآن الكريم: المقرئة المحدِّثة آمنة بنت الشيخ أبي عمر المقدسية (ت٦٣١هـ/١٢٣٣م)، وأختها المقرئة حبيبة (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م)[٢]. وأشير هنا إلى أنني لم أعثر للحنابلة على أية مدرسة بيتية أخرى لتعليم النساء في كل مناطق انتشارهم بالمشرق الإسلامي. كما أنهم - رغم كثرة مدارسهم - فإنهم لم يخصصوا لنسائهم وبناتهم أية مدرسة من مجموع مدارسهم المقدّرة بستّ وثلاثين مدرسة، بنوها كلّها للرجال فقط[٣]. والغريب في الأمر أن كثيراً من النساء في بغداد ودمشق وقفن المدارس على الرجال، ولم يوقفن - ولا واحدة منها - على بنات جنسهن.

* وأشير في هذا المقام إلى أنه وجدت في المشرق الإسلامي **مدارس لتعليم الصبيان** عرفت بمكاتب الأطفال، يتلقون فيها مبادئ الأخلاق والقراءة، والخط والحساب، ويحفظون فيها شيئاً من القرآن الكريم[٤]. وهي بمثابة المدارس الابتدائية في وقتنا الحاضر.

---

(١) هو: دار واسعة يضم عدة حجرات، بناه الشيخ أبو عمر المقدسي، قبل سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦١م)، ثم توسع تدريجياً، وقد سماه ابن كثير: رباط الحنابلة. ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٥١، وابن كثير: المصدر السابق ١٨/ ٨.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ - ٦٤٠هـ)، ص٥٦، والصفدي: المصدر السابق ١١/ ٣٠٤.

(٣) وهذا يصدق على كل الطوائف السُّنِّية، إذ لم أعثر لهم على مدارس خصصوها للنساء. وقد أشار الباحث رشاد الإمام إلى وجود مدرسة للبنات بمدينة القدس (في القرن الخامس الهجري/ ١٢م). المرجع السابق ص١٨٠. ويبدو أنها كانت مكتباً لتعليم البنات وليست مدرسة عليا؛ كالمدارس المشهورة المخصصة للرجال؛ لأنه لا يعرف للنساء مدرسة من هذا النوع.

(٤) ابن الدبيثي: المصدر السابق ١/ ١٢٢، ٢٧٧، وتاج الدين السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ص١٣٠.

منها: مكتب المؤدب إسماعيل ابن الخباز الدمشقي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، بباب توما بمدينة دمشق، تفرغ فيه لتأديب الأطفال سنوات طويلة، وشهد له بالكفاءة المهنية أزيد من ألف شخص، ووقعوا على ذلك بخطوطهم[١]. ولم أعثر على مكاتب أخرى للحنابلة رغم كثرة انتشارها في المدن[٢]. وهي والمدارس البيتية كانت تفتقد إلى معظم المرافق التي تتمتع بها المدارس العليا الخاصة والمشتركة بين المذاهب السُّنِّية.

۞ خامساً: المدارس المشتركة بين الحنابلة والمذاهب السُّنِّية الأخرى:

تُعدّ المدرسة المستنصرية في بغداد أول مدرسة وقفت على المذاهب السُّنِّية الأربعة في العالم الإسلامي، وجمعت بينها في بناية واحدة[٣].

وذهب الباحث ناجي معروف إلى القول بأن الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م) هو أول من ابتكر فكرة المدارس على المذاهب الأربعة[٤].

وهذا لا أوافقه عليه؛ لأن صاحب حلب بدر الدولة سليمان بن

---

(١) الصفدي: المصدر السابق ٩/ ٦٥، وابن حجر: المصدر السابق ١/ ٣٦٣.

(٢) انظر: ابن الدبيثي: المصدر السابق ١/ ١٢٢، ٢٧٧، وتاج الدين السبكي: المصدر السابق ص١٣٠، والصفدي: المصدر السابق ٩/ ٦٥، وابن حجر: المصدر السابق ١/ ٣٦٣، ويوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ص٦٢.

(٣) أحمد فكري: المرجع السابق ٢/ ١١٥، ١٢٠، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٢٨، وعبد العزيز محمد الحسني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية الكويت وكالة المطبوعات (د ت)، ص٦٣.

(٤) ناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٢٨.

عبد الجبار أرتق جدّد مدرسة بني العجمي في حي الزجاجين بمدينة حلب في سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، وعزم على أن يوقفها على الفرق الأربع[(١)]. ولا أدري أنفذ فكرته أم لا.

كما أنه عندما بنى السلطان نور الدين محمود (ت٥٦٩هـ/ ١٢٧٣م) المدرسة النورية في بعلبك نصّ في كتاب وقفها أنها موقوفة على الشافعية بمشاركة الحنفية والحنابلة والمالكية لهم فيها[(٢)].

فهذان الخبران يثبتان أن ما قاله الباحث ناجي معروف ليس بصحيح، وأن فكرة المدارس المشتركة بين المذاهب الأربعة، ليست من ابتكار الخليفة المستنصر بالله، فقد سبق إليها منذ أكثر من مائة سنة، وإذا كان بدر الدولة قد نفّذ ما عزم عليه فإنه يكون قد سبقه فكرةً وتطبيقاً.

وللحنابلة في المشرق الإسلامي - (في القرنين ٦ - ٧هـ/ ١٢ - ١٣م) **مدارس ثنائية ورباعية مشتركة بينهم وبين المذاهب السُّنِّية الأخرى**، في بعلبك، وبغداد، والقاهرة، ودمشق، والمدينة المنورة.

ففيما يخص بعلبك، فقد روي أنه في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) ظهر كتاب «وقف المدرسة النورية» ببعلبك، وفيه أنه يحق للحنفية والحنابلة والمالكية أن يشاركوا الشافعية فيها[(٣)]؛ وكان بنو عصرون[(٤)] الشافعيون المشرفون على المدرسة وأوقافها هم الذين أخفوه منذ تأسيسها، فلما

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، (١٩٥٤م)، ٢/ ٥٧٤.

(٢) اليونيني: المصدر السابق ٢/ ٣٣٧.

(٣) انفرد قطب الدين اليونيني بهذا الخبر عن غيره من المؤرخين الذين اطلعت على مصنفاتهم، وهو شاهد عيان فيما يريه، ومن أبناء بعلبك.

(٤) هم: أولاد قاضي القضاة شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي (ت٥٨٥هـ/ ١١٨٩م). النعيمي: المصدر السابق ١/ ٣٩٩.

شاع أمره جدّدت كتابته وأخذت منه نسخة كتبت عليها فتاوى العلماء، ومراسيم نواب السلطنة، فالتحق بالمدرسة من أراد الاشتغال بالعلم، من الحنابلة والحنفية والمالكية[1].

فكيف استطاع بنو عصرون إخفاء وقفية المدرسة قرابة قرن من الزمن[2]؟ وألم تفتح المدرسة في حياة مؤسسها، ويقرأ على الناس كتاب وقفها؟، وألم يسمع نور الدين محمود أن مدرسته ليست مفتوحة لكل السُّنِّيين؟ إنه يبدو أنها فتحت في غياب واقفها قريب من وفاته، أو بعد موته، مما مكَّن القائمين عليها من إخفاء ما يريدون من شروط وقفها. ويلاحظ عليها أنها أسندت للشافعية أولاً، ثم أشرك معهم فيها باقي السُّنِّيين ثانياً. وأنه لم يطبق فيها التعدد إلا بعد نحو مائة عام من إنشائها، بخلاف المدرسة المستنصرية التي وقفت على المذاهب الأربعة بالتساوي دون تمييز من يوم افتتاحها في سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م).

* **وأما في مدينة بغداد،** فللحنابلة فيها ثلاث مدارس مشتركة مع الشافعية والحنفية والمالكية، وهي: المستنصرية، والبشيرية، والعصمتية.

ـ **فالأولى:** بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله (ت٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م)، على شاطئ نهر دجلة بالجانب الشرقي من بغداد، مما يلي دار الخلافة، ووقفها على المذاهب الأربعة[3]؛

---

(١) اليونيني: المصدر السابق ٢/ ٣٣٧.

(٢) من وفاة مؤسسها (سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) إلى اكتشاف كتاب وقفها في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٥٦، ١٥٩، وابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٣، والإربلي: خلاصة الذهب المسبوك، حققه مكي السيد جاسم، بغداد، مكتبة المثنى (د ت)، ص٢٨٧، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الآثار الإسلامية في الوطن العربي، تونس (١٩٨٥م)، ص٦٢، ٦٣، وابن العبري: تاريخ الزمان ص٢٧١.

وفتحها في حفل بهيج حضره هو شخصياً مع رجال دولته، وأعيان البلد وفقهائه[١].

وللمستنصرية شكل مستطيل. (انظر: الشكل رقم: ٢٦)، ومساحة قدرت بنحو ٤٨٣٦ متر مربع، وفي وسطها صحن ـ فناء ـ واسع مكشوف محاط بمرافق السكن والدراسة. (انظر: الصورة رقم: ٥) ودوره إدخال الهواء والضوء إلى كافة أقسام البناية، مع استخدامه للصلاة أيام الجمع والأعياد[٢]. ولها كذلك أربعة أواوين واحد لكل طائفة، وفي كل منها مسجد ومكان لجلوس المدرس[٣]. وعلى بابها الرئيسي ساعة رائعة متقنة الصنع[٤].

وهي مقسمة إلى أربعة أرباع حسب المذاهب الأربعة. (انظر: الشكل رقم: ٢٦) للحنابلة الربع الغربي، وللشافعية الربع الجنوبي، وللحنفية الربع الجنوبي الشرقي، وللمالكية الربع الشمالي الشرقي، على يسار الداخل من الباب الرئيسي للمستنصرية[٥]. وفيها مرافق متنوعة في خدمة الطلبة، منها: الحمام، والمطبخ، والمستشفى، ومزولة للماء البارد، ومخزن للأطعمة، وآخر للأشربة والأدوية. وفيها كذلك، مكتبة،

---

(١) ابن الفوطي: نفس المصدر ص٣٣، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) أمد فكري: المرجع السابق ص١١٥، ١٢٠، والمنظمة العربية للتربية: المرجع السابق ص٦٣، ٦٤، وعبد العزيز الحسني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ص٦٣، وسليمان الكروي: المرجع في الحضارة الإسلامية، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب (١٩٩٧م)، ص٤٧٦.

(٣) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٢٣٦.

(٤) الإربلي: المصدر السابق ١/ ٢٨٧، والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت دار صادر (١٩٦٩م)، ص٣١٦.

(٥) ناجي معروف: المرجع السابق ١/ ١٠٩، ١١٠.

ودار حديث، ودار قرآن. ولطلبتها في غرفهم الحصير، والبسط، والزيت، والورق، والحبر[1]. ولهم فيها كذلك مشاهرات نقدية وجرايات عينيَّة! يومية، فلكل منهم دينار في الشهر[2]، مع كفايته التامة من الخبز واللحم، والطبيخ والحلوى، والفاكهة في كلّ يوم[3].

وللمدرسة المستنصرية أوقاف كثيرة، من ضيعات، وعقارات، وأملاك متنوعة، وقد كتبت وقفيتها في خمس صفحات ذكر بعضها المؤرخ شمس الدين الذهبي، وقدّر ما أوقف عليها بمليون دينار[4]. وهي أعظم أوقافاً من المدرسة المنصورة بالقاهرة[5]، والجامع الأموي بدمشق، لكن دخلها السنوي انخفض كثيراً في النصف الأول من القرن (الثامن الهجري/ ١٤م)، إذ أصبح أقل من عشر ما يدخل الجامع الأموي من أوقافه[6].

---

(١) الإربلي: نفس المصدر ص٢٨٧.

(٢) وللمعيد ثلاثة دنانير في الشهر. وأما المدرس فلم أعثر على مقدار أجره الشهري. وكان الدينار العراقي يساوي ١٢ درهماً بوجه عام (في القرن السابع الهجري/ ١٣م)، وقد ينزل إلى عشرة دراهم. ناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٥٨ وما بعدها و٢٢٩.

(٣) الإربلي: المصدر السابق ص٢٨٦ وما بعدها، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٣٩، ١٤٠، والذهبي: المصدر السابق ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٦، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٣٦٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٠٩، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٣١، وعبد العزيز الحسني: المرجع السابق ص٦٤، ومحمد راغب الطباخ: المدرسة المستنصرية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق السنة الرابعة، مج٤، (١٩٢٤م)، ص٤١.

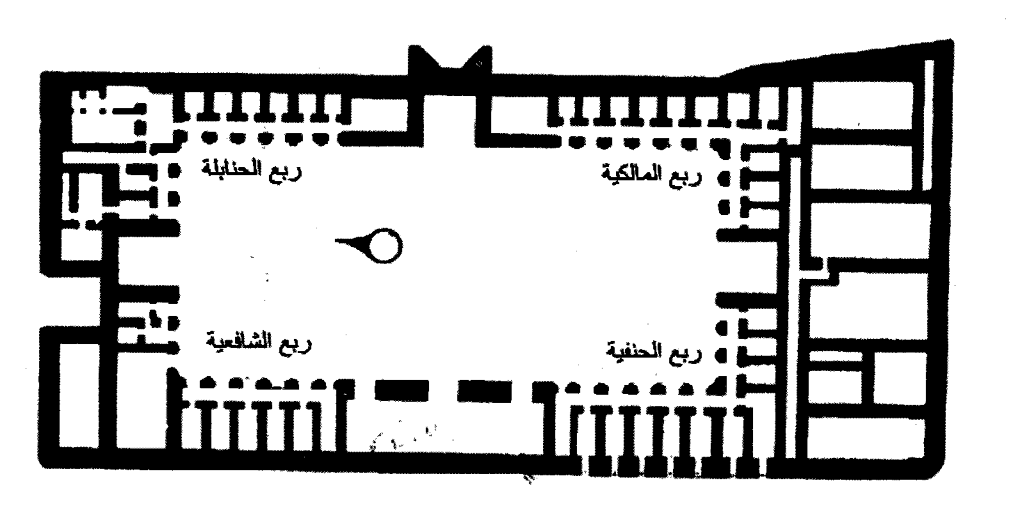
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٧ وما بعدها. وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٦٣.

(٥) سيأتي ذكرها قريباً.

(٦) الذهبي: نفس المصدر ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٤٥٦.

الشكل رقم : 26

مخطط الطابق الثاني من المدرسة المستنصرية



حسن أمين، المستنصرية، اللوحة رقم : 13

الصـــورة رقم : 05

المدرسة المستنصرية ببغداد - منظر الإيوان الشمالي (بعد الصيانة)



حسين أمين، المستنصرية، اللوحة رقم : 4

وتعد المستنصرية ـ في أساسها ـ مدرسة فقه على المذاهب الأربعة، لكنها أصبحت تمثل فيما بعد كلية متعددة الأقسام والتخصصات، فيها دراسة الفقه، والقرآن الكريم، والحديث النبوي، والأصول، والحساب والمساحات، والطب ومنافع الحيوان، وتقويم البلدان[١]. وفيها أربعة مدرّسين للفقه، واحد من كل مذهب، ولكل منهم أربع معيدين[٢]، وفيها كذلك شيوخ آخرين، للحديث، والقرآن، والطب، والنحو، والفرائض. وعدد طلابها في قسم الفقه اثنين وستين طالباً من كل مذهب[٣]، ومجموعهم مائتين وثمانية وأربعين طالباً[٤].

ومن أشهر مدرّسيها الحنابلة خمسة:

أولهم: محيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي

---

(١) الإربلي: المصدر السابق ص٢٨٧، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٢٧، ٢٨، وحسين أمين: المدرسة المستنصرية، بغداد، مطبعة شفيق (١٩٦٠م)، ص٥٠، ٥٣، ٥٥، و.Henri Laoust Les schismes dans L' islam P 225

(٢) عندما زار ابن بطوطة بغداد في سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، وجد في المستنصرية أن لكل مدرس فقه معيدان، واحد على يمينه والآخر على يساره. المصدر السابق ١/ ٢٣٦.

(٣) ذلك هو العدد المشهور لكن ابن العبري ذكر أن عددهم ٧٥ طالباً من كل مذهب، فيصل مجموعهم إلى ٣٠٠ طالب. ابن العبري: تاريخ الزمان ص٢٧١، ومختصر الدول ص٢٤٣، وأما السيوطي فذكر أن مجموعهم ١٤٨ طالباً، فيكون لكل طائفة ٣٧ طالباً. السيوطي: المصدر السابق ص٣٦٩. وواضح أن هذا سهو منه، أو من الناسخ، أو هو خطأ مطبعي، فبدلاً من كتابة ٢٤٨، كتب ١٤٨.

(٤) الإربلي: المصدر السابق ص٢٨٧، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٦، ٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٦٣، وابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٣٤، ٣٥، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٣٩، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٢٢٩، ومحمد راغب الطباخ: المرجع السابق السنة الرابعة، مج٤ (١٩٢٤م)، ص٤١.

(ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، كان غائباً يوم افتتاحها[١]، فناب عنه ابنه عبد الرحمٰن[٢].

والثاني: عفيف الدين يوسف بن القصاب البغدادي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

والثالث: المفسّر جلال الدين عبد الجبار بن عبد الخالق العكبري (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، درّس فيها بعد[٣] تخريب المغول لمدينة بغداد[٤].

والرابع: المقرئ نور الدين عبد الرحمٰن بن عمر البصري ثم البغدادي الضرير (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

وآخرهم: شرف الدين محمد بن كوشيار البغدادي (ت٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)[٥].

وقد بلغ مجموع مدرسي الحنابلة في المستنصرية خمسة عشرة مدرساً[٦] من سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) إلى (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، وقد

---

(١) خرج في بعض الرسليات إلى الملوك. ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٤٠.

(٢) نفسه ١٣/ ١٤٠.

(٣) استعادت المدرسة المستنصرية نشاطها ـ بعد تخريب المغول لها ـ في سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م) على ما ذكره المؤرخ ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب ق٢، ٤/ ٨١٩. وليس في نحو سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) على ما ذهب إليه الباحث يعقوب سركيس، في كتابه: مباحث عراقية، بغداد، دار شركة التجارة والطباعة، (١٩٤٨م)، ١/ ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥.

(٤) ابن الفوطي: نفس المصدر ق٢، ٤/ ٧٦٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، والداودي: المصدر السابق ١/ ٢٦٤.

(٥) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٣١٤.

(٦) بناء على الإحصاء الذي قام به الباحث ناجي معروف، وذكر أنه لم يعثر من الحنفية إلا على ٧ مدرسين من سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، إلى نهاية القرن السابع الهجري، ومن المالكية سبعة، ومن الشافعية أحد عشر. المرجع السابق ١/ ١١٧، ١٩٣، ٢٠٣.

تسلسلت أخبارهم بشيء من الانتظام نحو ١٤٠ سنة، ثم انقطعت أخبارهم نهائياً[١] رغم استمرار المدرسة في نشاطها العلمي نحو ٣٩٩ عاماً، من سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، إلى (١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م)[٢].

ومن أشهر طلابها الحنابلة ثلاثة:

أولهم: جلال الدين عبد الجبار بن عبد الخالق العكبري (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، رتّب فيها طالباً قبل سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، ثم عيّن بها مدرساً بعد اجتياح المغول لبغداد[٣].

والثاني: عز الدين يوسف الموصلي المعروف بابن العجمي (ت بعد ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)[٤].

وآخرهم: نور الدين أبو طالب بن عمر البصري ثم البغدادي الضرير (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) التحق بها طالباً قبل سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، ثم عيّن فيها مدرّساً في عام (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)[٥].

وما تزال كثير من المعالم الأثرية للمدرسة المستنصرية قائمة إلى وقتنا الحاضر، شاهدة على تاريخها العريق، وقد رممتها مديرية الآثار القديمة في العراق أحسن ترميم، فأعادت لها بعض جمالها وفخامتها. (انظر: الصورة رقم: ٥)، وهي تتكون من طابقين: سفلي وعلوي، وفي كل ربع منها رواق علوي لا يزال كلّه ـ تقريباً ـ في ربع الحنفية، ونحو نصفه في ربعي الحنابلة والمالكية، لكن أكثره قد زال في ربع الشافعية[٦].

---

(١) ناجي معروف: نفس المرجع ١/ ١٤٣.
(٢) نفس المرجع ١/ ٩.
(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٠٠، والداودي: طبقات القراء ١/ ٢٦٤.
(٤) ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ١١٢.
(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٣، ٣١٤.
(٦) ناجي معروف: المصدر السابق ١/ ١١٠، وابن الفوطي: المصدر السابق ق١، هامش ٤/ ٨٨.

* **وأما المدرسة المشتركة الثانية فهي البشيرية**، التي تقع على شاطئ نهر دجلة بالجانب الغربي من مدينة بغداد، أنشأتها السيدة باب بشير (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) زوجة الخليفة العباسي المستعصم بالله، ووقفتها على المذاهب السُّنِّية الأربعة، وفتحت ـ بعد وفاتها ـ في عام (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)[١].

وهي ثاني مدرسة مشتركة بين كل السُّنِّيين في بغداد، وليست الثانية في العالم الإسلامي على ما ذهب إليه الباحث عماد عبد السلام[٢]؛ لأن الثانية في العالم الإسلامي هي المدرسة الصالحية بالقاهرة التي اكتمل بناؤها في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)[٣]، وليست البشيرية التي فتحت في سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م).

ومن مدرّسيها الحنابلة ـ بعد واقعة بغداد[٤] ـ الفقيه تقي الدين مظفر بن علي الجوسقي البغدادي (ت٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)، والمقرئ أبو طالب نور الدين بن عمر البصري ثم البغدادي[٥]، والقاضي

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص١٤٩، وتلخيص مجمع الآداب ق١، ٤/ ٥٦٢، وق٢، ٤/ ٣٤٣، ٣٤٤، والصفدي: نكت الهميان ص١٠٠، وناجي معروف: عالمات بغداديات ص٢٩.

(٢) عماد عبد السلام: المرجع السابق ص٢٠٥.

(٣) سيأتي ذكرها قريباً.

(٤) بعد تخريب المغول لبغداد، أعاد متولي العراق عماد الدين عمر بن صدر الدين القزويني (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٧م)، تعمير مساجدها ومدارسها وأربطتها ومشاهدها. وأجرى الجريات على العلماء والصوفية. ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ق٢، ٤/ ٨٠١. ورغم هذه الأعمال فإن بعض الباحثين المعاصرين يبالغون جداً في تصوير سوء أحوال بغداد والعراق، بعد انتهاء الغزو المغولي، فمن ذلك قول الباحث جعفر الخياط، من أنه خيم على العراق بعد الغزو التتري ظلام دامس ودخل في سبات عميق. جعفر الخياط: صورتان من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت، مطبعة دار الكتب، (١٩٧١م)، ١/ ٧.

(٥) الصفدي: المصدر السابق ص١٨٩، وابن رجب: ٢/ ٣١١، ٣١٣، ٣١٤.

عماد الدين بن الكواز البصري ثم البغدادي (ت بعد ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) درّس في البشيرية، ثم انتقل إلى التدريس في المستنصرية، فخلفه في مكانه الفقيه شمس الدين الأصفهاني، فلما رجع الفقيه شرف الدين الجيلي الحنبلي (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) من بلده والتحق بمنصبه في المستنصرية عاد ابن الكواز إلى البشيرية، ورجع شمس الدين الأصفهاني إلى الإعادة في المستنصرية التي كان فيها قبل مجيئه إلى البشيرية[1].

ـ **والثالثة: هي المدرسة العصمتية**، وقفتها عصمت شاه لبنى بنت عبد الخالق الأيوبية على المذاهب الأربعة في سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)[2]. ودرّس فيها من الحنابلة الفقيه شرف الدين الجيلي (ت٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) عند افتتاحها في عام (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م). والفقيه أبو محمد شرف الدين بن كوشيار البغدادي (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)[3]. ولم أعثر لها عن أخبار أخرى تتعلق الحنابلة لأنها نادرة الذكر في التواريخ.

* **وأشير هنا إلى أنه وجدت في مدينة بغداد مدارس للحديث والقرآن الكريم**؛ كداري الحديث والقرآن في المستنصرية، وداري القرآن والحديث بمسجد قميرية[4]، ودار القرآن البشيرية[5]، وهي كلها موقوفة

---

(١) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٢، ٤/ ٧٦٠.

(٢) نفس المصدر ق١، ٤/ ٤٧٨، ٤٧٩، وق٢، ٤/ ٧٦٠، والحوادث الجامعة ص١٧٩، ١٨٠، ١٩٦، وناجي معروف: عالمات بغداديات ص٣٠، وجواد مصطفى: في التراث العربي ١/ ١٣٥.

(٣) ابن الفوطي: نفس المصدر ق٢، ٤/ ٧٦٠، والحوادث الجامعة نفسه ص١٧٩، ١٨٠، وابن رجب المصدر السابق ٢/ ٣٤٤.

(٤) يقع على نهر دجلة، بناه الخليفة العباسي المستنصر بالله، وقد أعيد تجديده في الوقت الحاضر. عبد الوهاب مرزوق: العراق بلد التراث والمقدسات الإسلامية، بغداد، وزارة الأوقاف، (د ت) ص٤٤.

(٥) الأربلي: المصدر السابق ص٢٨٨، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٥٩، والذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٦، ٧، وابن رجب: =

على أهل السُّنَّة، وليست ذات صبغة مذهبية، فهم مشتركون فيها كلهم قلباً وقالباً، خلافاً للمدارس المشتركة السابق ذكرها، فهم مشتركون في بنايتها ومرافقها، لكنهم منقسمون بداخلها إلى أربعة جماعات، لكل منها قسمها، ومذهبها، وأساتذتها، وطلابها، واستقلاليتها، ومقرراتها الدراسية. فهذه المدارس وإن هي خدمت العلم والمذاهب السُّنِّية من جهة، فإنها جمعت المذاهب الأربعة وجسمت خلافهم وكرسته من جهة ثانية.

وأما في مدينة القاهرة، فقد أنشئت فيها ثلاث مدارس مشتركة بين كل المذاهب السُّنِّيَّة في خلال القرن (السابع الهجري/ ١٣م):

- **أولها: المدرسة الصالحية**[١]، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، ووقفها على المذاهب الأربعة في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، وهي متكونة من أربع مدارس في بناية واحدة، لذا تسمّى - أحياناً - المدارس الصالحية[٢]؛ فهي بذلك تشبه كلية تضم أربعة أقسام. ولها باب رئيسي واحد مشترك يوصل إلى بابين متقابلين على جانبي المدخل، أحدهما: يؤدي إلى المدرستين الشافعية والمالكية، والثاني: يوصل إلى المدرستين الحنفية والحنبلية[٣]. وما يزال بعض

= المصدر السابق ٢/ ٢٢١، ٢٩١، وناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٣٠١، ٣٠٢، وعالمات بغداديات ص٢٩.

(١) سبقتها المدرسة الكاملية في الظهور بمدينة القاهرة، فقد بنيت في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، لكنها كانت دار حديث ثم حولت إلى الشافعية ولم تكن موقوفة على المذاهب الأربعة. المقريزي: المصدر السابق ٢/ ٣٧٥، وأحمد فكري: المرجع السابق ٢/ ٥٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٧٢.

(٢) المقريزي: الخطط ٢/ ٣٧٤، وابن رجب: ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥، والسيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٦٣، والسخاوي الحنفي: تحفة الأحباب ص٨٠، وأحمد فكري: المرجع السابق ٢/ ٦٠، ٦١، وناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٣٨.

(٣) أحمد فكري: المرجع السابق ٢/ ٦٢، ٧٢، وكامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية: =

أطلالها قائماً إلى اليوم؛ كمدخلها الرئيسي. (انظر: الصورة رقم: ٦) وواجهتها الشمالية ومئذنتها. (انظر: الصورة رقم: ٧). وأما مرافقها فقد اندثرت، ما عدا قاعة مجاورة لقبة الملك الصالح نجم الدين أيوب[١].

واشترط الملك الصالح نجم الدين أيوب فيمن يتولون التدريس في مدرسته، أن يكونوا قضاة للقضاة من المذاهب السُّنِّية الأربعة[٢]. ومن مدرسيها الحنابلة ثلاثة قضاة:

أولهم: شمس الدين بن العماد المقدسي الصالحي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وهو أول من درّس فيها للحنابلة[٣]، وهذا يعني أنه كان قاضياً عند افتتاحها في عام (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) حسب شرط واقفها[٤].

والثاني: شرف الدين عبد الغني بن يحيى الحراني ثم المصري (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، أوصله القضاء إلى التدريس في الصالحية وهو مزجى البضاعة في العلم[٥].

والثالث: الفقيه عماد الدين أحمد بن شمس الدين المقدسي ثم المصري (ت٧١٢هـ/ ١٣١٢م)[٦].

= نشوء المدارس الإسلامية، بيروت، دار الفكر اللبناني، (١٩٩٥م)، ص١١٤.

(١) نفس المرجع ٢/ ٥٥، ٦٠، ٦١، ونفس المرجع ص١١٥.

(٢) كيف يشترط ذلك والقضاء في مصر لم يتعدد إلا في سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م)، والمدرسة الصالحية لم تفتح إلا في سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م)؟ ربما كان في ذلك الوقت نواب من المذاهب الأربعة، لكبير القضاة الشافعي، ولم تكن لهم استقلالية مطلقة عنه إلا في سنة (٦٦٣هـ) وما بعدها.

(٣) اليونيني: المصدر السابق ٣/ ٢٨٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥، والمقريزي: المصدر السابق ٢/ ٣٧٤، والصفدي: المصدر السابق ٢/ ١٠.

(٤) ثم عندما تعدد القضاء كان هو أول من تولى قضاء قضاة الحنابلة. ابن رجب: نفسه ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٥٨.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، الجزء المفقود ص٤٠٢.

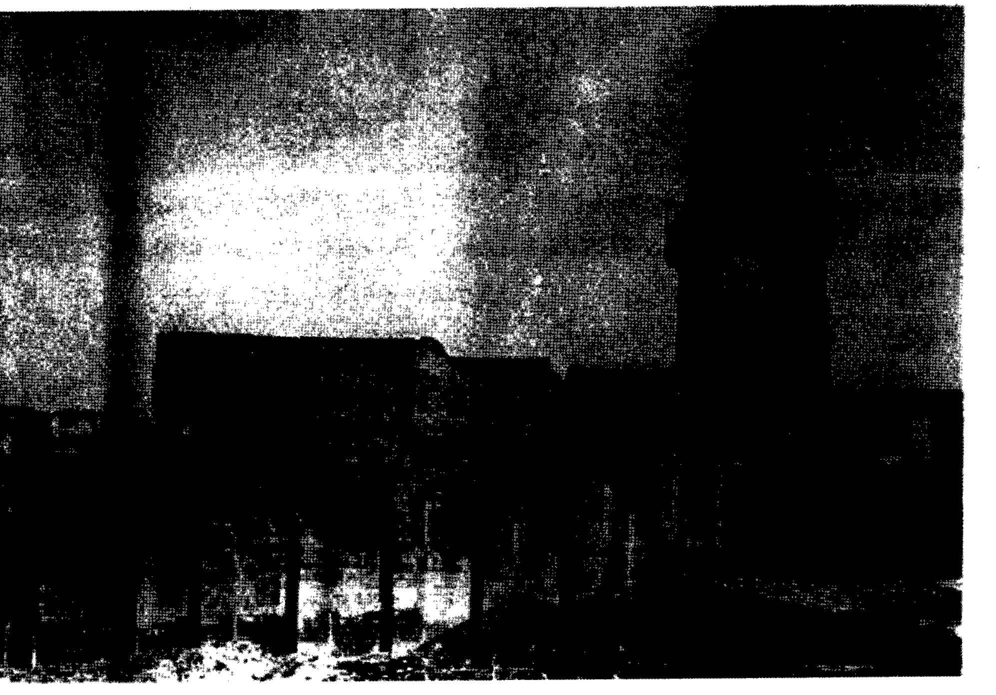
الصورة رقم : 06
جانب من واجهة المدارس الصالحية وبواباتها

أحمد فكري، المرجع السابق، اللوحة رقم : 29

الصـورة رقم : 07



واجهة المدارس الصالحية بالقاهرة ـ القسم الشرقي



أحمد فكري، المرجع السـابق، اللوحة رقم : 28

ـ **والثانية: المدرسة المنصورية**، موقعها عند مدخل المستشفى المنصوري الكبير بجانب القبة المنصورية، بناها السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون (ت٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) في عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، ووقفها على المذاهب السُّنِّية الأربعة، وجعل فيها دروساً في التفسير والحديث والطب، ولها من الناحية العمرانية إيوان واحد فقط قبالة المسجد[١]. ولم أتعرف على علماء الحنابلة الذين درّسوا فيها.

ـ **والثالثة: مدرسة جامع ابن طولون**، حوله إلى مدرسة السلطان المملوكي حسام الدين أبو الفتح لاجين (ت٦٩٨هـ/١٢٩٨م)، ووقفها على المذاهب السُّنِّية الأربعة، وأجرى فيها الأرزاق الدارة على طلابها ومدرسيها، وعيّن فيها ثلاثين طالباً وفقيهاً من كل مذهب، ومجموعهم ١٢٠ طالباً وأربعة فقهاء. إلى جانب ثلاثين طالباً لدراسة الحديث، وعشرة للاشتغال بالطب[٢]. ولم أعثر على أي نشاط علمي للحنابلة في هذه المدرسة.

ـ **وأما المدرسة الظاهرية**، فقد أنشأها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، في القاهرة سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م)، ووقفها على الشافعية والحنفية، وجعل فيها درساً للحديث وآخر للقرآن الكريم[٣]. وليس بصحيح ما قاله المؤرخ ناجي معروف

---

(١) السيوطي: المصدر السابق ٢/ ٢٦٤، وعبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص١٦٤، وأحمد بدوي: الحياة العقلية ص٥١، وناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٣٩.

(٢) التجيبي: المصدر السابق ص٧.

(٣) اليونيني: المصدر السابق ١/ ٥٥٠، ٥٥١، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٤٢، والسخاوي الحنفي: المصدر السابق ص٨١.

من أن هذه المدرسة كانت على المذاهب الأربعة، لكل منها إيوان من أواوينها الأربعة[(١)]؛ لأن مؤسسها لم يجعل للحنابلة والمالكية نصيباً في مدرسته[(٢)].

*** وفيما يخصّ مدينة دمشق:**

فلم تظهر فيها المدارس المشتركة بين المذاهب الأربعة (خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م).

ولعل أول مدرسة رباعية عرفتها دمشق هي المدرسة العمرية التي كانت حنبلية، ثم حولت لتشمل السُّنِّيين كلهم في سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)[(٣)].

غير أنه يمكن اعتبار الجامع الأموي. (انظر: الصورة رقم: ٨) مؤسسة تعليمية كبرى مشتركة بين السُّنِّيين، يضم أربعة مقامات ومحاريب للصلاة، وثماني مدارس منها ثلاث للحنفية، وواحدة لكل من الحنابلة والمالكية، والباقي للشافعية على ما يبدو[(٤)]. وفيه كذلك دار للحديث، وخزائن كتب، وعشر حلقات للفقه، وأخرى لتلقين القرآن الكريم التي قد يصل عدد طلابها إلى ٤٢٠ نفراً[(٥)].

---

(١) ناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٣٨.

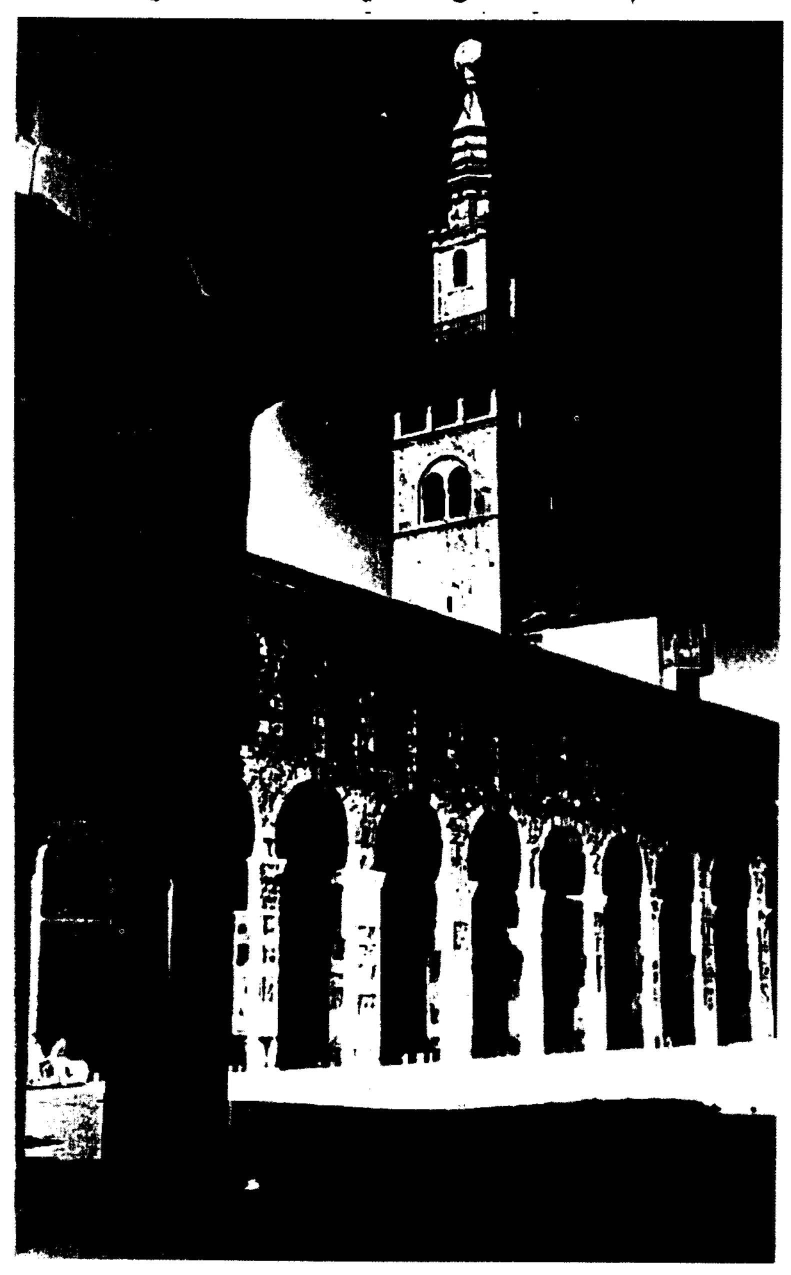
(٢) اليونيني: المصدر السابق ١/ ٥٥١، ٢/ ٢٣٠، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٤٢، والمقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، حققه محمد مصطفى زياد، ط٢ القاهرة، لجنة التأليف والنشر، (١٩٥٦م)، ق٢، ١/ ٥٠٣.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٧٤، ١٧٥.

(٤) النعيمي: المصدر السابق ٢/ ٤١٢.

(٥) ابن ناصر الدين: المصدر السابق هامش ص٣٨، والنعيمي: نفس المصدر ١/ ٨٢، و٢/ ١٢٠، ٤١١، ٤١٢، وابن جبير: المصدر السابق ص٢٤٤.

الصورة رقم : 08- الجامع الأموي بدمشق ... جامع متعدد المدارس



jaque dumarçay;op cit;photo :17

وكانت للجامع الأموي أوقاف كثيرة تدرّ عليه أموالاً طائلة، يصرف منها على نشاطه العلمي، فمن ذلك أنه كان لطلابه ومدرّسيه جرايات يومية كافية[1]. ووجدت فيه - زمن المؤرخ ابن شداد (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) - مائة وعشرون حلقة لقراءة القرآن الكريم وتعليمه، ولكل طالب من روادها راتب يأخذه من ديوان الجامع[2].

وللحنابلة فيه نشاطات علمية متنوعة، منها:

مجلس حديث للحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، وحلقتان للفقه واحدة لشرف الدين بن أحمد المقدسي (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، والثانية: لزين الدين بن المنجا (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، وحلقة لتدريس اللغة العربية للنحوي مجد الدين بن علي الإربلي ثم الدمشقي (ت٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م)[3]. ولهم فيه كذلك مجلس لتلقين الكبار والصغار القرآن الكريم، يعرف بسبع الحنابلة، ويصرف عليه من الوقف العام، وقد يصل عدد رواده إلى ٤٠٠ قارئ[4].

فيتبين من ذلك أن الجامع الأموي قريب الشبه بالمدرستين المستنصرية والصالحية، من حيث أنه جمع المذاهب الأربعة في بناية واحدة مع تعدد مدارسها، لكنه يختلف عنهما في أن مهمته الأساسية هي الصلاة أولاً؛ لأنه مسجد بالدرجة الأولى، أما هما فوظيفتهما الرئيسية التعليم أولاً؛ لأنهما مدرستان. وهو أكثر نشاطاً وتنوعاً منهما؛ كأنه

---

(١) ابن شداد: المصدر السابق ص٨٣، ٨٤، وابن جبير: نفسه ص٢٤٤، والنعيمي: نفس المصدر ١/ ٣٣٣.

(٢) ابن شداد: نفس المصدر ص٨٥.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ٣٧٥، وابن شداد: المصدر السابق ص٨٣، ٨٤، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣٣، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٤١١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٨٨.

(٤) النعيمي: نفسه ٢/ ٤١٠، ٤١١.

جامعة متعددة المذاهب، والمدارس، والتخصصات العلمية، وكثيرة الأوقاف والجرايات.

* **وأما المدارس الثنائية**[1] بين الحنابلة وغيرهم من أهل السُّنَّة، فلم أعثر لهم منها إلا على ثلاث مدارس فقط؛ الأولى في المدينة المنورة بينهم وبين الشافعية تعرف بالشهابية، بنيت في النصف الثاني من القرن (السابع الهجري/١٣م). درس فيها للحنابلة الفقيه عفيف الدين عبد السلام بن مزروع البصري ثم المدني (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م)[2]. والثانية والثالثة هما بين الحنابلة والمالكية بمدينة حلب:

الأولى: وقفها عليهما السلطان نور الدين محمود (ت٥٦٩هـ/١١٧٠م).

والثانية: بناها لهما الأمير سيف الدين بن حيدرة (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م)[3].

ولم أعثر للحنابلة على أية مدرسة ثنائية بينهم وبين الحنفية، في حين وجدت مدارس ثنائية كثيرة بين المذاهب السُّنِّية الأخرى ـ دون الحنابلة ـ، فمن ذلك أنه كان للشافعية والحنفية أزيد من واحد وعشرين مدرسة ثنائية في مدن المشرق الإسلامي؛ كالعادلية الكبرى والقطبية اليوسفية[4].

---

(١) لم أعثر على أية مدرسة ثلاثية بين السُّنيين (في القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م). وفي القرن التاسع الهجري ظهرت مدرسة ثلاثية بدمشق بين الحنابلة والحنفية والمالكية. ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٣٥.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٣٥، وناجي معروف: نفسه ١/ ٣٥، ٢٨٠، ٢٨٢.

(٣) ابن الشحنة: المصدر السابق ص١١٨، ومحمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ١٠٧.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٣١١، ١٣/ ٢٤٢، وطبقات فقهاء الشافعيين =

وكانت للشافعية والمالكية أكثر من سبع مدارس ثنائية، بمصر والقاهرة وحلب، وغيرها من المدن[1].

ولم أعثر للحنفية والمالكية إلا على مدرسة مشتركة واحدة فقط، بناها لهم الأمير سيف الدين منكوتمر بالقاهرة في سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)[2].

ويبدو أن السبب الرئيسي في قلّة المدارس الثنائية بين الحنابلة والمذاهب السُّنِّية الأخرى، هو الخلاف المذهبي في مسائل الصفات وغيرها من قضايا أصول الدين؛ لأن الحنابلة في هذه المسائل غالبيتهم على مذهب أهل الحديث، والآخرون معظمهم على المذهب الأشعري، فكان ذلك سبباً في تباعد الطرفين وتنازعهم[3].

ويتبين مما ذكرناه عن المدارس المشتركة بين السُّنِّيين، أنه كانت للحنابلة ثماني مدارس رباعية مشتركة، بينهم وبين المذاهب السُّنِّية

= ٢/ ٦٢٣، والمقريزي: الخطط ٢/ ٣٦١، ٣٦٩، واليونيني: المصدر السابق ٣/ ٢٣٦، ٢٤٩، والنعيمي: المصدر السابق ١/ ١٥٢، ٢٣٦، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٩٦، ٥٤٣، ٦٠٤، وابن الأثير: المصدر السابق ٩/ ٢٣، وابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٣٧٥، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٢٠٤، وابن واصل: مفرج الكروب ٣/ ٢٢، وابن الشحنة ص١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، وابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية ص١٣١، ومحمد كرد علي: المرجع السابق ٦/ ١٠٥، ١٠٧، وأحمد فكري: المرجع السابق ٢/ ١١٢، ناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٣٣، ٣٤، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص١١٩.

(١) المنذري: المصدر السابق ج١ هامش ص٣٨٥، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢٤، وابن الشحنة: المصدر السابق ص١٠٩، وابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ١/ ٣٠، وابن دقمان: المصدر السابق ١/ ٩٧، ٩٨، ١٠٠، وناجي معروف: المصدر السابق ١/ ٣٤.

(٢) ناجي معروف: نفسه ١/ ٣٤.

(٣) عن ذلك الخلاف انظر: الفصل الثالث.

الأخرى. (انظر: الجدول رقم: ١٤)؛ أنشئ معظمها في القرن (السابع الهجري/ ١٣م)؛ منها ثلاث في كلّ من بغداد والقاهرة، وواحدة في دمشق، وأخرى في بعلبك. وأن مدارسهم الثنائية قليلة لا يعرف منها إلا ثلاث فقط، كما هو مبين في الجدول والرسم البياني. كما أن كل مدارسهم المشتركة أسسها غيرهم من الخلفاء والسلاطين والأمراء؛ ولم يشارك علماؤهم في إنشائها، فغيرهم بناها وهم درسوا فيها خدمة لمذهبهم.

جدول لمدارس الحنابلة المشتركة مع غيرهم من السنيين[1]

(ق٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٤)

نوع المدرسة	المدرسة	المدينة	المؤسس	سنة البناء	المجموع
رباعية	المستنصرية	بغداد	الخليفة المستنصر (ت٦٤٠هـ)	(٦٣١هـ/ ١٢٦٥م)	-
=	البشيرية	=	السيدة باب بشير (٦٥٢هـ)	(٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)	-
=	العصمتية	=	عصمت شاه (ت٦٧٨هـ)	(٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)	-
=	الصالحية	القاهرة	الصالح نجم الدين (٦٤٨هـ)	(٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)	٠٨
=	المنصورية	=	الملك المنصور (ت٦٨٩هـ)	(٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)	-
=	الطولونية	=	المنصور لاجين (٦٩٨هـ)	قبل (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)	-
=	الجامع الأموي	دمشق	الوليد بن ع الملك (ت٩٦هـ)	بعد (٨٧هـ/ ٧٠٥م)	-

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

نوع المدرسة	المدرسة	المدينة	المؤسس	سنة البناء	المجموع
=	النورية	بعلبك	نور الدين محمود (٥٦٩هـ)	-	=
ثنائية	السيفية، حنبلية ـ مالكية	حلب	السيف بن حيدرة (٦١٧هـ)	في مطلع (ق: ٧هـ/ ١٣م)	-
=	الزاوية ـ حنبلية ـ مالكية	=	نور الدين محمود (٥٦٩هـ)	-	٠٣
=	الشهابية، حنبلية ـ شافعية	المدينة المنورة	-	منتصف القرن (٧هـ/ ١٣م)	-

سادساً: كبار المدرّسين الحنابلة وجوانب من حياتهم العلمية:

اشتهر من بين علماء الحنابلة (خلال القرنين: ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) مدرسون كثيرون تفرغوا للتدريس في البيوت، والمساجد، والمدارس، فمنهم من أوقف نفسه للحديث النبوي، ومنهم من تخصص في الفقه، ومنهم من تفرغ لإقراء القرآن الكريم، ومنهم من درس علوماً أخرى. فبالنسبة للمحدّثين فسأذكر منهم خمسة:

ـ **أولهم**: أبو البركات عبد الوهاب الأنماطي البغدادي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): كان يجلس طول النهار لمن يطلب عنده العلم، صبوراً على الإقراء وسريع الدمعة، يبكي عندما يقرأ عليه طلابه الحديث النبوي[1].

ـ **والثاني**: أبو محمد طغدي بن ختلع البغدادي ثم الدمشقي (ت٥٨٥هـ/ ١٢٩٣م): تمهر في معرفة «صحيح البخاري» وتدريسه، عارف

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ١١٣، وابن النجار: المصدر السابق ١٦/ ٢٢٧، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٤١، (ط د).

برجاله وغريب ألفاظه وشرح معانيه[1].

ـ **والثالث**: الحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م): تفرغ للعلم والعبادة ففي كل صباح يقرئ الحديث ويلقن القرآن الكريم؛ وله حلقتان للحديث في الجامع الأموي كل أسبوع[2].

ـ **والرابع**: المسند الفخر علي بن أحمد المقدسي المعروف بابن البخاري (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م): روي الحديث أكثر من ستين عاماً، وازدحم عليه الطلاب بعد سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) فجعل لهم ثلاثة مواعيد في اليوم[3].

ـ **والخامس**: المحدّثة زينب بنت أحمد المقدسية المعروفة بزينب بنت الكمال (ت٦٤٦ ـ ٧٤٠هـ/١٢٤٨ ـ ١٣٣٩م): تفرغت لرواية الحديث سنين طويلة، وكانت صبورة على التحديث به، حتى أنها قد تسمع طلبتها ـ في بعض الأحيان ـ أكثر النهار[4].

*** وأما الفقهاء فمنهم ستة مدرسين:**

ـ **أولهم**: القاضي أبو بكر محمد بن الحضري البغدادي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م): اتخذ من مسجده مقراً لإقراء الفقه والقرآن الكريم، من الصباح الباكر إلى الضحى، ثم يدخل إلى بيته للمطالعة والبحث حتى يحين وقت الصلاة، فيخرج إلى المسجد للصلاة والإقراء. فهو على هذا الحال يومياً لا ينقطع عنه إلا لضرورة[5].

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/٣٧٩ (ط ق).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٥٢، ٤٥٣، وتذكرة الحفاظ ٤/٣٧٥.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/٣٢٥ وما بعدها، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/٤١٤، ٤١٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ٢/١١٧.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/٣٠٦ (ط ق).

ـ **والثاني**: الفقيه صدقة بن الحسين الحداد البغدادي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م): انقطع في مسجده للإمامة والإفتاء والتدريس قرابة سبعين سنة[١].

ـ **والثالث**: الفقيه أبو الفتح ابن المني البغدادي (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م): تخصص في الفقه الحنبلي فروعاً وأصولاً، وإشغالاً واشتغالاً، أكثر من ستين عاماً، وقصده الطلاب الحنابلة من مختلف الأقطار[٢].

ـ **والرابع**: الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م): تفرغ لتعليم الفقه طول يومه في الجامع الأموي، فإذا لم يبق أحد يشتغل عليه قام للصلاة[٣].

ـ **والخامس**: زين الدين المنجا بن أسعد المقدسي (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م): درس في الجامع الأموي وفي المدرستين الحنبلية والصدرية، وأفتى نحو ثلاثين سنة[٤].

ـ **وآخرهم**: مجد الدين محمد بن الفراء الحراني ثم الدمشقي (ت٦٤٥ ـ ٧٣٩هـ/ ١٢٤٧ ـ ١٣٣٨م): تخصص في إقراء كتابي المقنع والكافي للموفق بن قدامة المقدسي، وليس له كلام إلا في العلم، ولا يخالط أحداً، حتى أنه يجلس للإقراء يوم العطل والأعياد، إذا جاءه أحد أقرأه[٥].

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣٣٩.

(٢) نفس المصدر ١/ ٣٥٩، ٣٦٠، وابن العماد الحنبلي: ٤/ ٢٧٧.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٩٤، ٩٥، ونفس المصدر ٥/ ٥٨، وابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٣٣٦.

(٤) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٣٣٣.

(٥) نفس المصدر ٢/ ٤٠٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٨٩.

* **وفيما يخصّ المقرئين.**

فمنهم: أبو عبد الله سبط الخياط البغدادي (ت٥٤١هـ/١١٤٣م): تفرغ لإقراء القرآن الكريم في مسجد له، أكثر من أربعين سنة[١].

والثاني: أبو حفص بن نعمة المقدسي ثم المصري المعروف بابن البناء (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م): تصدر لتلقين القرآن الكريم مدّة طويلة في مسجد له، مع الصبر على التلقين طول النهار[٢].

والثالث: العماد ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م): عمله اليومي إقراء القرآن وتدريس الفقه في الجامع الأموي، دون مقابل[٣].

والرابع: المقرئة آسية بنت عبد الواحد المقدسية (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م): أقرأت النساء القرآن الكريم[٤].

وآخرهم: أبو الفرج عبد الرحمٰن ابن الفويرة البغدادي (ت٦٧٩هـ/١٢٩٧م): تصدر للإقراء سنين طويلة، وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات والحديث، ورحل إليه الطلاب من مختلف الأمصار[٥]، حتى أن الحافظ شمس الدين الذهبي تحسر كثيراً عندما فاتته الرحلة إليه[٦].

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/١٢٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/١٣١، وابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ٤/٤٣٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/٢٠٦، ٢١٠ (ط ق).

(٢) المنذري: المصدر السابق ١/١٦٦، وابن رجب: نفس المصدر ٢/٢١٥.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/٩٤، ٩٥، وابن طولون: المصدر السابق ٢/٣٣٦.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ج: (٦٣١ ـ ٦٤٠هـ)، ص٤٣١.

(٥) ابن الجزري: المصدر السابق ١/٣٨٢، ٣٨٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/٤٣٨.

(٦) لأن والده منعه من الرحلة خوفاً عليه. الذهبي: معرفة القراء الكبار ٢/٥٥٦.

* **ومن أعيانهم المتخصصين في تدريس الأدب واللغة والنحو،** اثنان هما:

- أبو منصور موهوب بن الجواليقي البغدادي (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، وابنه إسماعيل (ت٥٧٥هـ/ ١٢٧٩م) كانت لهما حلقة لإقراء الأدب في جامع القصر ببغداد[١]. ودرس الأب اللغة في المدرسة النظامية ببغداد مدة، بعد شيخه أبي زكريا التبريزي الشافعي (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)[٢]. ولا يعرف سبب سماح الشافعية له بالتدريس فيها وهو حنبلي[٣]، ومن شروط التدريس فيها أن يكون المدرس شافعياً[٤]. ربما سمحوا له بذلك لحاجتهم الماسة إليه، ثم صرفوه عنها بعد مدة؛ وهو الحنبلي الوحيد المعروف بأنه درّس في نظامية بغداد.

* **ويوجد من بين كبار المدرسين الحنابلة أربعة أضراء:**

أولهم: المقرئ الحسين بن أبي الحسن الدرزبيني البغدادي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): أقرأ نساء الخلفاء، والجواري، والخواص بدار الخلافة، وكان مجوداً للقرآن حسن التلاوة طيب الصوت[٥].

والثاني: الأديب محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م): تفرغ للتدريس والبحث طول اليوم، يقرأ عليه تلامذته المصنفات التي يريد مطالعتها، ويملي عليهم الكتب التي يؤلفها[٦].

---

(١) ابن الجوزي: ١٠/ ١١٨، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٩٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤٧، والسيوطي: بغية الوعاة ٢/ ٣٠٨.

(٢) ابن الجوزي: نفسه ١٠/ ١١٨، والسيوطي: نفسه ٢/ ٣٠٨.

(٣) لم أعثر على تفسير لذلك في المصادر التي اطلعت عليها.

(٤) اليافعي المكي: المصدر السابق ٤/ ٢٤.

(٥) الصفدي: نكت الهميان ص١٣٩.

(٦) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٠٩، ١١١، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٦٨.

والثالث: المقرئ نور الدين أبو طالب بن عمر البصري ثم البغدادي (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): كف بصره وله عشر سنوات، ودرس للحنابلة في المستنصرية والبشيرية ببغداد[١].

والرابع: اللغوي زين الدين أبو الحسن بن أحمد الآمدي ثم البغدادي (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م): أوقف نفسه للتدريس والطلب لا يفارقهما إلا لضرورة[٢].

*** ومن مدرسي الحنابلة حفاظ مشهورون تولوا مشيخات دور الحديث بالمشرق الإسلامي.**

منهم: أبو الفضل إلياس بن أبي الحجر الحراني ثم الموصلي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م): أسندت إليه مشيخة دار الحديث بالموصل.

والثاني: عبد القادر الرهاوي ثم الحراني (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م): تولى هو الآخر مشيخة دار الحديث بمدينة الموصل[٣].

والثالث: المحدّث أبو الحسن القطيعي البغدادي (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م): هو أول من عيّن شيخاً لدار الحديث المستنصرية ببغداد[٤].

والرابع: الرحّال أبو العباس تقي الدين الصريفيني ثم الدمشقي (ت٦٤١هـ/ ١٢٤٣م): تولى مشيختي دار الحديث بمدينة منبج[٥]، ودار الحديث لابن شداد بحلب[٦].

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥، ونفس المصدر ٥/ ٣٨٧.

(٢) الصفدي: المصدر السابق ص٢٠٦ وما بعدها.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧٨ و٢/ ٨٤، وابن النجار: المصدر السابق ٢٠/ ١٢٨.

(٤) ابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٢١٣، والذهبي: العبر ٣/ ٢٢٠.

(٥) تقع ببلاد الشام شمال مدينة حلب. عبد المنعم ماجد وعلي البنا: الأطلس التاريخي الخريطة رقم (٥).

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٩٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٤، =

والخامس: المحدّث نجم الدين بن إبراهيم الشقراوي ثم الدمشقي (ت٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م): أسندت إليه مشيختي العالمية بسفح جبل قاسيون، والمعزية بداخل مدينة دمشق[١].

وآخرهم: فخر الدين بن يوسف البعلي ثم الدمشقي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م): تولى مشيخة دار الحديث النورية[٢] بمدينة دمشق[٣].

* **ويوجد من بينهم مدرسون تفانوا** ـ أكثر من غيرهم ـ في تعليم طلابهم، والإحسان إليهم، وإكرامهم، والحرص على مصالحهم، ورعايتهم، أذكر منهم خمسة:

الأول: الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م): درس تلاميذه في بيته، وأسكنهم في مسجده، وأنشأ لهم مكتبة، وأنفق عليهم دون مقابل[٤].

والثاني: الفقيه أبو الفتح ابن المني البغدادي (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م): اهتم بطلابه اهتماماً كبيراً، فكان يكرمهم، ويعود مرضاهم، ولا يستغلهم لخدمة نفسه، ولا يثقل عليهم، ويرفض أن يقدموا له نعله، ففي إحدى المرات قدّمه له تلميذه ناصح الدين ابن الحنبلي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، فشق عليه ذلك وقال له: إيش هذا؟ إيش هذا؟ مثلك لا نسامحه في

= والصفدي: الوافي بالوفيات ٦/ ١٤١.

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤٨.

(٢) هي: أول دار حديث بدمشق بناها السلطان نور الدين محمود، ومعظم شيوخها شافعية من أسرة بني عساكر. النعيمي: المصدر السابق ١/ ١٠٢ وما بعدها.

(٣) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص٣٠٧، والنعيمي: نفس المصدر ١/ ١١١، و٢/ ٨٨.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧ (ط ق). ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١١١، ٢٠٥، والصفدي: المصدر السابق ١١/ ٣٨٥، والذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٥، ١٣٢٦.

هذا[1]. وكان ينفق عليهم ويقبل الهدايا ولا يدخرها، وإن ناله منها شيء أعاده عليهم، ويتفقدهم عند غيابهم، فعندما قدم الحافظ عبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م) إلى بغداد وحضر دروسه ثم انقطع عنها، ذهب إلى أصحابه وسألهم عن سبب غيابه ـ ظنا منه أنه انقطع لضيق صدره ـ فأخبروه أنه مشغول بطلب علم الحديث[2]. وقد أمضى ابن المني أكثر من خمسين سنة من عمره، متفرغاً للتدريس وخدمة تلاميذه، وما نافس على دنيا، وما تزوج، ولا تسرى[3]. فكان ذلك مما ساعده على التفرغ للتدريس والتفاني فيه.

والثالث: الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي: كان يحسن إلى طلابه ويكرمهم، ويفرح بتفوقهم العلمي، ويحثّهم على الرحلة لطلب العلم، ويوصي بهم ويزودهم بالمال والكتب[4].

والرابع: الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م): له تلاميذ كثيرون يحبهم ويقضي حوائجهم، ويطعم الفقراء منهم في بيته، ويتواضع لهم ويصبر عليهم، وقد صحبته جماعة من غير الحنابلة فتخلت عن مذاهبها واتبعته[5].

وآخرهم:[6] الموفّق ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م): كان

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣٦١.

(٢) نفسه ١/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٣) نفس المصدر ١/ ٣٦٠، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٧٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٥٠.

(٥) نفس المصدر ٢٢/ ٤٨ وما بعدها، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٩٥، وابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٣٣٦.

(٦) ومن العلماء غير الحنابلة الذين اشتهروا باهتمامهم الكبير بطلابهم، الفقيه محمد بن الكيزاني الشافعي المصري (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) كان إذا جاءه طالب فقير ليقرأ عنده، يطعمه ويكسيه، ويخرز له نعله إذا وجد فيه شيئاً مقطوعاً، =

يمازح طلابه، ولا يوجع قلب أحد منهم، وينبسط لهم ولا يتضجر منهم وإن في نفسه، ويطعم الفقراء منهم في بيته، وقد كلموه عن صبيان يشتغلون عليه فقال لهم: «هم صبيان، ولا بد لهم من اللعب، فأنتم كنتم مثلهم»[1].

* فهذا الجد والاهتمام البالغ من هؤلاء المدرسين بطلابهم واختلاطهم بهم، هو الذي يزيد في مردودية العملية التربوية وفعاليتها، ويرفع من مستوى الطالب علماً وأخلاقاً، ويقوم لسانه، وينمي ملكاته، ويولد بينه وبين شيخه علاقة حب وصداقة واحترام.

* **وأما عن عدد الطلاب الذين يحضرون حلقات المشايخ**، فقد اختلف عددهم اختلافاً بيناً؛ فمجالس المحدّثين هي في الغالب كبيرة العدد، قد يصل بعضها إلى ألف طالب[2].

ثم تأتي بعدها حلقات المقرئين ثم الفقهاء، فحلقة سبع الحنابلة لإقراء القرآن بجامع دمشق، يزيد عدد روادها عن ثلاثمائة قارئ[3]، وحلقة محرابهم ـ في نفس الجامع ـ مجموع طلابها أكثر من مائة طالب[4].

وأما عددهم في المدارس فمحدد وقليل؛ لأن لها وقفيات هي بمثابة قانونها الأساسي الذي يحدد لها نظامها الداخلي من حيث تسييرها وتمويلها، ومجموع طلابها ومستخدميها[5]؛ فقد حدد عدد

= ثم يدرسه. السخاوي الحنفي: المصدر السابق ص٣٨٥.

(١) الذهبي: المصدر السابق ٢٢/ ١٧٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ١٣٦.

(٢) انظر: مبحث المجالس العلمية من الفصل الأول.

(٣) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٤١٠، ٤١١.

(٤) انظر: مبحث المجالس العلمية من الفصل الثالث.

(٥) ذكرت نماذج منها عند الحديث عن المدارس الحنبلية.

الطلبة في كل من المدرستين الحنبليتين الصاحبية والعالمية بعشرين طالباً[1]. وقد يزيد أو يقل عن ذلك في مدارس أخرى، كما هو مبين (في الجدول رقم: ١٥، والرسم البياني رقم: ١٤)، إذ يصل عددهم في النظامية إلى مائتين، وفي المستنصرية إلى مائتين وثمانية وأربعين طالباً، لامتلاكهما قدرات استعابية مادية وبشرية كبيرة. ومع ذلك فإن عدد الطلاب في هذه المدارس. (انظر: الجدول والرسم البياني) يبقى قليلاً، الأمر الذي يسهل على المدرسين والمعيدين مهمتهم التعليمية والتربوية، ويجعلهم قريبين جداً من تلاميذهم.

وكان المدرسون الحنابلة ـ كغيرهم من مدرسي زمانهم ـ **هم الذين يمنحون لطلابهم إجازات التخرج** ـ المعروفة في عصرهم بطباق السماع ـ وهي بمثابة شهادات علمية لا تمنحها المدارس كما هو معمول به في وقتنا الحاضر. ويسلم هؤلاء المدرسون لطلابهم طباق السماع بناء على ما سمعوه منهم من روايات ودروس، وعلى ما قرؤوه عليهم من مصنفات.

فمن ذلك أن المحدّث أبا بكر ابن كامل الخفاف البغدادي الحنبلي (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) اجتهد في طلب الحديث النبوي، فسمع العالي والنازل، وتتبع الشيوخ حتى سمع من نحو ثلاثة آلاف شيخ، فحصل منهم على المئات من طباق السماع، جمعها واحتفظ بها[2].

---

(١) كثير من المدارس كان عدد طلابها عشرين طالباً كالعادلية الصغرى بدمشق والخليلية بمصر. النعيمي: المصدر السابق ١/٣٦٨، ابن كثير: المصدر السابق ١٢٩/١٣، والمقريزي: الخطط ٢/٤٠٠.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٣٧/١٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢١٥/١.

وكتب الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي الحنبلي (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) لتلميذه عبد الرحمٰن ابن الجوزي سماعاته كلها بخطه[١] عندما بكر به أهله للسماع منه وهو صغير[٢].

ووجد للمحدّث أبي الحسن علي بن القواس البغدادي (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) طباق سماع ملحق بكتاب «حل الإشكال في الرقوم والأشكال» لصدقة بن الحسين الحداد، كتبه له الحافظ أبو الفضل بن ناصر لسماعه منه الحديث[٣].

وعندما قدم الفقيه ناصح الدين ابن الحنبلي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) إلى بغداد لطلب العلم، وحضر دروس ابن الجوزي وقرأ عليه بعض كتبه، ثم رجع إلى دمشق ولم يأخذ منه سماعاته بخطه، بعث إليه من هناك يطلبها منه، فكتبها له وسيرها إليه[٤].

---

(١) يوجد نوعان رئيسيان من الإجازات، الأول: إجازة السماع أو طباق السماع، وهو يقابل الشهادة في الوقت الحاضر، يمنحها الشيخ للطالب، بعدما يتعلم عليه ويسمع منه دروساً، أو روايات، أو كتباً. والثاني: هو إجازة إذن دون سماع، لا يوجد فيها تعلم، كأن يأذن الشيخ لشيخ مثله أن يروي عنه كتاباً لم يسمعه منه. وفي النوع الأول يكتب الشيخ في الطباق العلم المدروس، أو الرواية المسموعة، أو الكتاب المقروء، ويسجل فيه اسمه وأسماء الحاضرين، مع تحديد الزمان والمكان والختم على الطباق. ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨، وصلاح الدين المنجد: إجازات السماع، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، رمضان ـ ماي، مج١، (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص٢٣٢، وأحمد شلبي: المرجع السابق ص٢٦٦، ٢٧٠، وأحمد بدوي: المرجع السابق ص٨٩، ٩٠.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٠١ (ط ق).

(٣) ابن النجار: المصدر السابق ١٨/ ٣٤.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤١١.

جدول مقارن لعدد الطلاب
في بعض مدارس المشرق الإسلامي[1]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٥)

الرمز	المدرسة	البلد	عدد الطلاب	المذهب
•	النظامية	بغداد	٢٠٠	شافعية
-	المستنصرية	=	٦٢[2]	على المذاهب الأربعة
+	جامع ابن طولون	القاهرة	٣٢[3]	=
×	الصاحبية	دمشق	٢٠	حنبلية
v	العالمية	دمشق	٢٠	=
=	الطبيرسية	مصر	١٥	شافعية ـ مالكية
÷	طاب الزمان	مكة المكرمة	١٠	شافعية
المجموع	٠٧	٠٧	٣٥٧	-

---

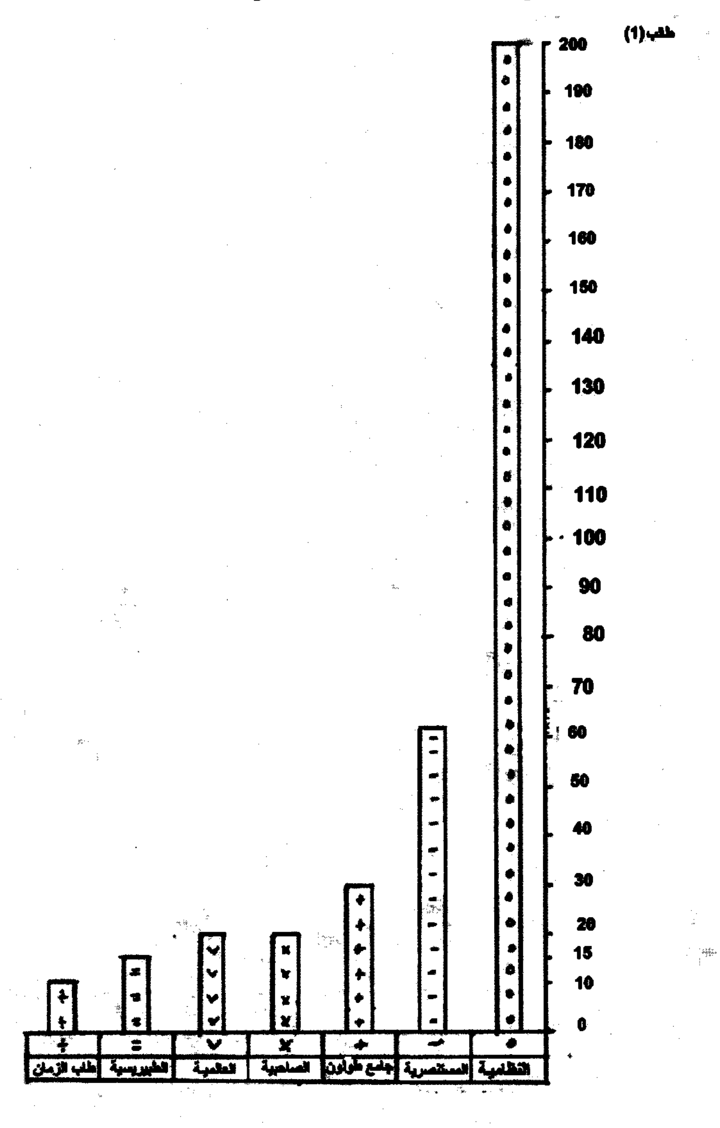
(١) المصادر: سبق ذكر معظمها، والتي لم تذكر فهي: ابن كثير: المصدر السابق ١٢/١٩٣، وابن دقمان: الانتصار لواسطة عقد الأمصار بيروت، دار الآفاق الجديدة (د ت) ق١، ص٩٧، ٩٨، والفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة، مطبعة السُّنَّة المحمدية، ١/١١٧.

(٢) أي: ٦٢ من كل مذهب من المذاهب الأربعة.

(٣) أي: ٣٢ من كل مذهب من المذاهب الأربعة.

الرسم البياني رقم : 14

رسم بياني بالأعمدة لعدد الطلاب في بعض مدارس المشرق الإسلامي



---

(1) كل عشرة طلاب يُـقابلهم على الرسـم = 1سم

وجمع القاضي سليمان بن حمزة المقدسي (ت٧١٥هـ/ ١٣١٥م) عن شيوخه مائة سماع[١]. ووجدت سماعات كثيرة لنساء حنبليات دمشقيات عندما كن يسمعن الحديث في أربطة الحنابلة وديرهم بسفح جبل قاسيون، وبعضها ما يزال مخطوطاً بدار الكتب المصرية[٢]. وكانت هذه الطباق تلحق ـ في العادة ـ بالمصنفات فتثبت في ذيل الكتاب أو في صدره، وتحفظ في المساجد والمدارس، وهي أكثر ما توجد في كتب الحديث، وقد يصل عددها في الكتاب الواحد إلى عشرين طبقة سماع[٣].

وأما بالنسبة لأجور المدرسين الحنابلة، فإن كثيراً منهم لم تكن لهم رواتب مقررة؛ لأنهم درسوا في بيوت ومساجد ليس لها أوقاف، أو لأنهم رفضوا تسلمها. ومنهم من كان يعلِّم مجاناً ويتكسب من عمل يزاوله، أو له مصدر رزق آخر يتقوت منه[٤]. ومنهم من يقرئ بالمجان وينفق على نفسه وطلابه مما يعطيه له الناس[٥]. ومنهم من أقرأ الحديث النبوي بدون أجر ودرس الشعر بمقابل[٦]. ومنهم من كان لا يسمع ـ فرداً ولا جماعة ـ جزءاً من الحديث إلا بدينار[٧]. ومنهم طائفة أخرى لها معاليم مقررة في المدارس والجوامع التي يدرسون فيها ولها أوقاف؛ كالجامع الأموي بدمشق وجامع الحنابلة بالصالحية[٨]، والمدرسة

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٦٥.
(٢) صلاح الدين المنجد: المرجع السابق، مج١، ٢/٢٤٦، ٢٤٧.
(٣) نفس المرجع، مج١، ٢/٢٣٣، ٢٣٤.
(٤) السبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨/ ٣٢، والذهبي: العبر ٣/ ٢٢٣، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٥١.
(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/٣٢٦، ٣٦١.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٦٨، ويوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٦٥.
(٧) ابن الدمياطي: المصدر السابق ص١٣٥.
(٨) ابن جبير: المصدر السابق ص٢٤٤، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣١٩، =

الصاحبية الحنبلية التي كان فيها للمدرس أجر يومي مقداره درهمان، وللمعيد درهم واحد، وللطالب نصف درهم[1]. فيصل دخلهم الشهري التقريبي إلى خمسة دنانير[2]، وديناران ونصف للمعيد، ودينار ونصف للطالب. (انظر: الجدول رقم: ١٦).

جدول مقارن لأجور المدرسين والمعيدين والطلاب في بعض مدارس المشرق الإسلامي[3]

(ق ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٦)

المدرسة	أجر المدرس اليومي بالدرهم	أجر المدرس الشهري بالدينار	أجر المعيد اليومي بالدرهم	أجر المعيد الشهري بالدينار
الصاحبية ـ دمشق ـ	٠٢	٠٥	٠١	٠٢,٥
المستنصرية ـ بغداد ـ	-	-	١,٢	٠٣
مدرسة الرصد ـ للفيلسوف	٠٣	٠٧,٥	-	-
= ـ للطبيب	٠٢	٠٥	-	-
= ـ للفقيه	٠١	٠٢,٥	-	-
= ـ للمحدّث	٠,٥	٠١,٢٥	-	-
المنصورية	٠٦	١٥	٠٢,٢	٠٥,٥

= وابن شداد: المصدر السابق ص٨٣، ٨٤.

(١) خير الله العمري: مهذب الروضة الفيحاء ص٢٣٩.

(٢) كانت قيمة الدينار الواحد في المشرق الإسلامي خلال القرن السابع الهجري تساوي على العموم نحو ١٢ درهماً. أحمد بدوي: المرجع السابق ص٨٠، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٨٥ وما بعدها.

(٣) المصادر: ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٢١٥، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٣٦٩، وخير الله العمري: مهذب الروضة الفيحاء ص٢٣٩، وناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ١/ ٢٢٩، وأحمد بدوي: المرجع السابق ص٨٠.

وكانت أجور المدرسين في المشرق الإسلامي متباينة من مدرسة إلى أخرى، حسب رغبات مؤسسي المدارس وما يوقفونه عليها من ممتلكات؛ وبعضهم تتحكم فيه اتجاهاته الفكرية ونظرته للعلوم في تحديد رواتب المدرسين، فمن ذلك أن المتكلم نصير الدين الطوسي الشيعي الإمامي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) قرر في مدرسة الرصد بمدينة مراغة[١] في كل يوم: ثلاثة دراهم للفيلسوف، ودرهمان للطبيب، ودرهم واحد للفقيه، ونصف درهم للمحدّث. (انظر: الجدول رقم: ١٦)، فراتب المحدّث يساوي ما يأخذه الطالب في المدرسة الصاحبية بدمشق.

ويستنتج مما أوردناه عن مدارس الحنابلة في المشرق الإسلامي (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) أنها ساهمت بفاعلية في دعم الحركة العلمية الحنبلية وتنشيطها، فاستقبلت الطلاب، وجذبت إليها كبار المدرسين، وخدمت العلوم التي أوقفت من أجلها، ودعمت المذهب الحنبلي الذي قامت عليه، وشاركت في إذكاء التعصب المذهبي وتكريسه على أرض الواقع. وأن مجموعها بلغ ستاً وأربعين ـ بما فيها المدارس المشتركة ـ بنى معظمها الحنابلة أنفسهم، من بينها خمس مدارس بنتها خمس نساء هن: الجهة بنفشا، وعصمت شاه لبنى، وربيعة خاتون، وأمة اللطيف، وباب بشير. ومن بينها كذلك ثماني مدارس أوقفها سلاطين لا يوجد من بينهم صلاح الدين الأيوبي الذي بنى مدارس كثيرة للسُّنِّيين[٢]. وأن لها أوقافاً متنوعة من عقارات، ومزارع، وضيعات،

---

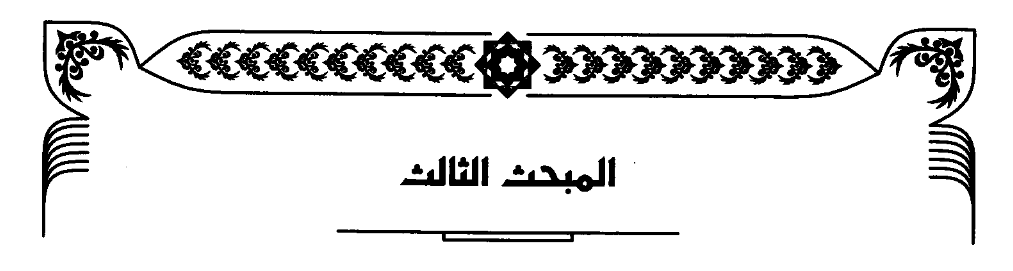
(١) تقع جنوب أذربيجان وإلى الجنوب الغربي من بحر الخزر ـ قزوين حالياً ـ عبد المنعم ماجد وعلي البنا: المرجع السابق الخريطة رقم (٤٨).

(٢) بناها للشافعية والحنفية والمالكية، ولا يعرف أنه بنى مدرسة للحنابلة، وعن مدارسه التي أوقفها على هؤلاء انظر: العليمي: الأنس الجليل ١/ ٣١٣، ٣٤٠، ٣٤١، والمقريزي: المصدر السابق ٢/ ٣٣٦، وابن دقمان: الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص٢٢٥، ٢٢٦، وشرف خان =

بدونها لا يمكنها مزاولة نشاطها العلمي، ولها كذلك وقفيات هي بمثابة قانونها الأساسي، تكتب ـ في الغالب ـ على عتبات مداخلها الرئيسية. وأنها من الناحية العمرانية كانت مستطيلة أو مربعة الشكل، يتوسطها صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة، ولبعضها مآذن وترب لواقفيها، وفيها كذلك مرافق متنوعة في خدمة طلابها ومدرسيها، من حمامات، ومطابخ، ومكتبات عامرة بالمصنفات.



= البدليسي: شرفنامة، حققه محمد عوني، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، (١٩٥٨م)، ١/ ٦٧، وأبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٥٠، والسيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٥٦، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٦٣، ٢٩٦. وغيرها من المصادر.



المبحث الثالث

المكتبات الحنبلية

كثرت مكتبات الحنابلة في المشرق الإسلامي (خلال القرنين ٦ - ٧هـ/ ١٢ - ١٣م) لازدهار حياتهم العلمية، من عقد لمجالس العلم، وتصنيف للكتب، وبناء للمساجد والمدارس، والأربطة والزوايا؛ التي أسسوا فيها مكتباتهم، واجتهدوا في تعميرها وصيانتها، حتى أنه كان لبعضها شهرة إقليمية واسعة، وقصدها أهل العلم من الآفاق.

أولاً: نماذج من دور الكتب الحنبلية:

كانت للحنابلة في مؤسساتهم العلمية، وفي بيوت علمائهم دور كتب كثيرة، أحصيتُ منها: ١٢١ مكتبة موقوفة للانتفاع العام[١].

منها: مكتبة الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م):

أنشأها بجانب مدرسته ومسجده، وخصص فيها خزانة أوقف فيها كتبه التي تعب في جمعها، وكان أيام طلبة للعلم شغوفاً بالمصنفات حريصاً على اقتنائها؛ وقد باع مرة داراً له بستين ديناراً لشراء كتب بيعت في المزاد العلني ببغداد[٢]. وبإنشائه لهذه المكتبة أكمل مشروعه

---

(١) على افتراض أن لهم مكتبة في كل مدرسة ومسجد، وقد سبق وأن أحصيتُ لهم أكثر من واحد وتسعين مسجداً، وست وثلاثين مدرسة.

(٢) الصفدي: المصدر السابق ١١/ ٣٨٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢٤، ٣٢٨.

العلمي، بعدما كان قد وفّر لطلابه التعليم والإيواء المجانيين.

والثانية: دار العلم بدرب الشاكرية في بغداد:

بناها الفقيه أبو بكر ابن المارستانية البغدادي (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، وجعل فيها خزانة كتب ووقفها على أهل العلم. وعندما قبض على صديقه الوزير عبد الله بن يونس الحنبلي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) وتتبع أصحابه، ألقي القبض على ابن المارستانية وبيعت دار العلم بما فيها الكتب وسائر أملاكه؛ ثم عندما أطلق سراحه وتحسنت ظروفه المادية جمع من جديد كتباً كثيرة[1]. ومكتبته هذه تميزت بأنها كانت مستقلة بذاتها في بناية مخصصة لها، وليست ملحقة بمسجد ولا مدرسة.

والثالثة: مكتبة المدرسة العمرية:

أسسها الشيخ أبو عمر ابن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) بصالحية دمشق.

وهي أشهر المكتبات الحنبلية دون منازع، كانت في عز أيامها حافلة بالمصنفات نادرة النظير، بفضل اهتمام الحنابلة بها ووقف كثير من العلماء - على اختلاف مذاهبهم - لكتبهم فيها[2]؛ منهم الفقيه جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الدمشقي (ت٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) وقف فيها ٦٠٠ كتاب من كتبه التي يملكها، وقدّر مجموع ما فيها بالآلاف[3].

وحسب الباحث حبيب الزيات أنه اجتمع في المكتبة العمرية بضعة آلاف كتاب ضاع منها أكثرها ولم يسلم منها إلا القليل[4]. وبناء على

---

(١) ابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ٦٦، ٦٧، وابن رجب: نفس المصدر ١/ ٤٤٣.

(٢) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٨٣.

(٣) يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص١٦.

(٤) حبيب الزيات: المرجع السابق ص٧.

قوله فإن مجموع ما كان فيها يتراوح ما بين ثلاثة إلى تسعة آلاف كتاب[١].

لكنني أعتقد أن كتبها أكثر من ذلك بكثير؛ لأن هناك مكتبات لأفراد ضم بعضها عشرين ألف مجلد، وأخرى فيها مائة ألف[٢] فكيف يكون مجموع ما في المكتبة العمرية يتراوح ما بين ثلاثة إلى تسعة آلاف كتاب، وهي مكتبة مدرسة عريقة استمر نشاطها العلمي أكثر من ثلاثة قرون، ولها أوقاف جمة، ووقف كثير من العلماء مصنفاتهم فيها؟! ومع ذلك فإنني لا أستطيع تقدير مجموع ما كان فيها من الكتب.

وقد تعرضت المكتبة العمرية للنهب والإهمال (عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين)، فقد سرق منها أحد الطلبة النجديين ما حمولته خمسة جمال من الكتب، وفرّ بها إلى بلده؛ وأخذ منها ناظرها قسماً كبيراً من أحسن ما فيها، والباقي نقل إلى قبة في المدرسة الظاهرية بدمشق، وكان مجموعها نحو ٦١٤ مخطوطاً[٣].

والرابعة: مكتبة المدرسة الضيائية بصالحية دمشق:

أنشأها الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، كانت عامرة بالمصنفات عند نهاية القرن (السابع الهجري/ ١٣م) بفضل الاهتمام بها ووقف بعض العلماء لكتبهم فيها[٤].

---

(١) لأن البضع هو ما بين الثلاثة والتسعة. محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ص٤٣.

(٢) انظر: ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ٣/ ١٧٥، وأبو شامة: كتاب الروضتين ٢/ ٢٤٤، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٦٦ و١٣/ ٢٤، وناجي معروف: المرجع السابق ٢/ ٧٠٦، ٧٠٧.

(٣) ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٢٤٤، ومحمد كرد علي: خطط الشام ٦/ ٢٠٥، وحبيب الزيات: المرجع السابق ص٧.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٧٠، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٨٢، =

وقد تعرضت هذه المكتبة للنهب في نكبة الصالحية على يد المغول في سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)، فسرقت منها مصنفات كثيرة، لكنها سرعان ما استعادت ثروتها ونشاطها[١]. ثم انفرط عقدها عند نهاية القرن (الثامن الهجري/ ١٤م) على أثر غزو ملك المغول تيمور لنك لمدينة دمشق[٢]، وبعد ذلك قدم إليها بعض العلماء وأخذوا منها كتباً، منهم الحافظان شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) فقد جاءا إليها واقتنيا منها أحمالاً من المصنفات[٣]. ثم اضمحل أمرها نهائياً في القرن (الثالث عشر الهجري/ ١٩م) ونقلت كتبها المتبقية فيها إلى المكتبة العمرية[٤].

* **وللحنابلة في المشرق الإسلامي خزائن كتب أخرى كثيرة، في** مدارسهم ومساجدهم لكن أخبارها قليلة جداً أو منعدمة تماماً، منها مكتبتهم في مسجدهم ببعلبك[٥]، وفي مقامهم بالجامع الأموي بدمشق. ولعل المكتبة الحنبلية التي كانت ما تزال قائمة بمدينة القدس[٦] زمن الباحث محمد كرد علي[٧] هي مكتبة إحدى المدرستين الحنبليتين: الوجيهية، أو الحنبلية، أو من كليهما معاً.

= والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٩٢، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٧٨.

(١) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ٢/ ٤٧٢، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٧٨.

(٢) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٨٢.

(٣) نفسه ١/ ٨٢.

(٤) نفس المصدر هامش ص٨٣.

(٥) ابن أبي الفخر الصفاعي: تالي وفيات الأعيان ص٦٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٤ (ط د الآفاق).

(٦) محمد كرد علي: المرجع السابق ٦/ ٢٠١.

(٧) عاش في النصف الأول من القرن العشرين.

* **وأما مكتباتهم الخاصة فهي كثيرة جداً**، لا يكاد يخلو منها بيت عالم من علمائهم، **أذكر منه ستاً**:

ـ **أولها: خزانة كتب أبي سعد المخرمي البغدادي** (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م): اجتهد في تعميرها حتى جمع مصنفات كثيرة، قيل عنها أنه لم يسبق إلى جمع مثلها، مدفوعاً بحبه الشديد لها[(١)].

ـ **والثانية**: مكتبة أبي محمد ابن الخشاب البغدادي الحنبلي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م): موقعها بباب المراتب بمدينة بغداد، كانت على شكل صفة[(٢)] كبيرة منفردة حافلة بالكتب، ومليئة بالجزازات والدفاتر، وحالها غريب جداً، فهي كهيئة صاحبها[(٣)]؛ فحصائرها المفروشة اختفت لكثرة ما عليها من التراب، وكتبها مرصوصة يكسوها غبار ما أزيل منذ سنوات، ويقال: إن الطيور عششت فوقها وفيما بينها[(٤)].

وكان ابن الخشاب شديد الشغف بالكتب، يجمعها بشتى الطرق الشريفة والدنيئة:

أولها: النسخ، فقد نسخ لنفسه مصنفات كثيرة، بخطه الحسن المتقن المضبوط[(٥)].

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق ٩/٢١٦، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٠٠، (ط د). والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢١٤.

(٢) هي: بناء مظلل واسع له ثلاثة جدران. علي بن هادية وآخرين: القاموس الجديد ص٥٦١، وجمال الدين القفطي: المصدر السابق هامش ٢/ ١٠١.

(٣) لم يكن ابن الخشاب يهتم بلباسه وهندامه، حتى أنه قد يترك عمامته على رأسه حتى تتسخ وتلقي عليها الطيور فضلاتها، ولا ينزعها من فوق رأسه. ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢٠ (ط ق).

(٤) جمال الدين القفطي: المصدر السابق ٢/ ١٠٠، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٥٠٥، والذهبي: المصدر السابق ٢٠/ ٥٢٤، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١٩.

والثانية: الشراء، فكان إذا توفي أحد من أهل العلم اشترى كتبه كلها. وفي إحدى المرات أقدم على بيع داره لشراء كتاب بخمسمائة دينار، ثم تراجع عن بيعه عندما تحصل على المبلغ من جهة أخرى[١].

والطريقة الثالثة: التحايل، فكان إذا نودي على كتاب في السوق، أخذه وطالع فيه ثم يغافل صاحبه ويقطع منه ورقة ويقول له: إنه مقطوع، ليشتريه بثمن زهيد[٢]!!

وآخرها: الاستعارة، فإذا استعار كتاباً من أحد لا يرده إليه، وإذا طالبه به يقول له: دخل بين الكتب ولا أقدر على إخراجه، ثم يبقى يماطله ويعتذر له حتى ييئس ويسكت عن المطالبة به[٣].

وعندما حضرته الوفاة أشهد الحاضرين على وقف كتبه، لكنها تفرقت بعد وفاته، وباع منها بنو العطار[٤] قسماً كبيراً، ولم يبق منها إلا العشر ترك في رباط المأمونية ببغداد[٥]. ولا أدري سبب نهبها وبيعها، وهي وقف له حرمته، فلا يباع، ولا يوهب، ولا يورث[٦].

ـ والثالثة: مكتبة القاضي أبي القاسم عبد الله ابن الفراء البغدادي (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م): جمع فيها كتباً كثيرة نفيسة، من بينها نوادر من الأصول الحسان الكبار على مذهب الحنابلة، منها ما هو بخط الإمام

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣١١، ٣١٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٥٧، والسيوطي: بغية الوعاة ٢/ ٣٠.

(٣) السيوطي: نفسه ٢/ ٣٠، وياقوت الحموي: المصدر السابق ٤/ ١٥٠٥.

(٤) لم أجدهم.

(٥) الذهبي: المصدر السابق ٢٠/ ٥٢٦، وتاريخ الإسلام ج: (٥٦١ ـ ٥٧٩هـ)، ص٢٧١، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١٩ (ط ق).

(٦) السيد سابق: فقه السُّنَّة ٣/ ٣٠٩.

أحمد بن حنبل، لكنه لما قلَّ ماله وغلبه الدَّين ـ لتوسعه في الإنفاق على العلماء ـ باع معظم كتبه واختفى في بيته[١].

ـ **والرابعة: مكتبة بني تيمية الحرانيين**: يبدو أنها كانت عامرة تزخر بنفائس الكتب كمّاً ونوعاً؛ لأن مالكيها ينتمون إلى أسرة عريقة في العلم. (انظر: الشكل رقم: ٧)، لذلك فإنهم عندما هاجروا إلى دمشق فراراً من المغول، لم ينسوا كتبهم بل أخذوها معهم في عربة يجرونها بأيديهم[٢]، فلما توقفت ـ في وقت كاد فيه العدو أن يلحق بهم ـ ابتهلوا إلى الله ﷻ واستغاثوا به، فنجاهم ودخلوا دمشق بكتبهم[٣] سالمين في سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م)[٤].

ـ **وأما الخامسة: فهي خزانة كتب المقرئ عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش البغدادي** (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م): جمع فيها مصنفات كثيرة، من بينها كتاب نادر ـ من مؤلفاته ـ في فن الخطابة، فلما اجتاح المغول بغداد وخربوها ـ في عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ـ ضاعت كتبه، وقتل ولده، أصبح يقول ـ بعد الواقعة ـ: في قلبي حسرتان ولدي، وكتبي. لشدة حبه لهما[٥].

ـ **وآخرها**: مكتبة المؤرخ عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي

---

(١) ابن النجار: المصدر السابق ١٧/ ٦٣، والذهبي: المختصر المحتاج إليه ص٢٢٨، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٢٦٥.

(٢) لأنه لم تكن معهم دابة تجر لهم الكتب، أو تحملها لهم. محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٢٨١.

(٣) على ما يبدو؛ لأن راوي الخبر عندما ذكر توقف العربة ذكر أن الله نجاهم ودخلوا دمشق سالمين دون أن يستثني كتبهم. محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ٤/ ٢٨١.

(٤) نفسه ٤/ ٢٨١.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٩٢.

(ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م): كانت عامرة بالمصنفات النفيسة، كمّاً وعدداً، وقد ساعده على جمعها عاملان: الأول: إشرافه على مكتبتي الرصد بمدينة مراغة والمستنصرية ببغداد، لأزيد من سبع وثلاثين سنة. والثاني: اشتغاله في نسخ الكتب والتجارة فيها[١].

*** وأشير في ختام هذا المطلب إلى أربعة أمور:**

أولها: هو أنني عثرت على أخبار عشرين مكتبة حنبلية، منها ثلاث عشرة خاصة بالأفراد، وسبع عامة. (انظر: الجدول رقم: ١٧)، وهو عدد قليل جداً بالنسبة إلى كثرة مكتباتهم في مدارسهم، ومساجدهم، وزواياهم، وبيوتهم.

كما أني لم أعثر على أية أرقام عن مجموع ما فيها أو في بعضها من المصنفات؛ ما عدا تقديرات عامة دون تحديد دقيق؛ كقولهم عن العمرية: فيها آلاف المصنفات[٢]. وعن الضيائية: فيها كتب الدنيا[٣]. الأمر الذي حال دون إنشاء جداول ورسومات، وعقد مقارنات بينها وبين مكتبات ـ ليست حنبلية ـ يعرف مجموع كتبها ولو تقديراً[٤].

---

(١) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ق١، ٤/ ٢٠، ٤٤، وابن شاكر الكتبي: المصدر السابق ١/ ٥٦٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ٦٠، (ط د الآفاق). وناجي معروف: المرجع السابق ٢/ ٨٩.

(٢) يوسف ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص١٦.

(٣) ابن طولون: المصدر السابق ١/ ٧٨.

(٤) منها مكتبة الرصد بمراغة فيها نحو ٤٠٠ ألف كتاب. ومكتبة القاضي الفاضل تحتوي على نحو ١٠٠ ألف مصنف. ومكتبة الفاطميين فيها أكثر من ٦٠٠ ألف كتاب. ابن شاكر الكتبي: المصدر السابق ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨، وأبو شامة: كتاب الروضتين ٢/ ٢٤٤، والحلوجي عبد الستار: لمحات من تاريخ الكتب ص٥٠، ٥٣، ومحمد كرد علي: المصدر السابق ٦/ ١٩٧.

جدول لأشهر المكتبات الحنبلية في المشرق الإسلامي[1]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٧)

نوع المكتبة	المكتبة	البلد	المجموع
عامة	مكتبة أبي العلاء العطار	همذان	٠٧
=	دار العلم لابن المارستانية	بغداد	
=	المكتبة العمرية	دمشق	
=	المكتبة الضيائية	دمشق	
=	المكتبة الحنبلية	بيت المقدس	
=	مكتبة جامع الحنابلة	بعلبك	
=	مكتبة الحنابلة بجامع دمشق	دمشق	
خاصة (بيتية)	مكتبة ع الوهاب الأنماطي	بغداد	١٣
=	مكتبة أبي سعد المخرّمي	بغداد	
=	مكتبة ابن الخشاب	بغداد	
=	مكتبة أبي القاسم الفراء	بغداد	
=	مكتبة ابن مسعود الموصلي	الموصل	
=	مكتبة آل تيمية	حرّان ـ دمشق	
=	مكتبة ابن أبي الجيش	بغداد	
=	مكتبة ابن الفوّطي	بغداد	
=	مكتبة محمد بن عبد الغني	دمشق	
=	مكتبة زيد الدين الآمدي	بغداد	
=	مكتبة علي بن نفيس	دمشق	
=	مكتبة ابن الجوزي	بغداد	
=	مكتبة الوزير ابن هبيرة	بغداد	٢٠ =

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن، والمتبقية هي: ابن رجب: المصدر السابق ١/٤١٣، ٢/٩٠، ٣٥٢، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ١٠، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٥، وابن حجر العسقلاني: الدرر ٣/ ٢٣، والصفدي: نكت الهميان ص٢٠٧.

والأمر الثاني: هو أن للباحث علي السيد علي، رأي مفاده أن خزائن الكتب في العصر الإسلامي لم تكن قائمة بذاتها في بيت أو ملحق، وإنما هي جزء لا يتجزأ من المدرسة، لذا فهي تختلف في أوجه كثيرة عما نعرفه عن المكتبات العامة في وقتنا الحاضر[١].

وقوله هذا ليس بصحيح، وهو واهم فيما ذهب إليه؛ لأن المكتبات المنفردة في بنايات مستقلة أو ملحقة بها، كثيرة في التاريخ الإسلامي، احتوى بعضها على مئات الآلاف من المصنفات؛ كالمكتبة الفاطمية بالقاهرة، ومكتبة بني عمار في طرابلس، ومكتبة الرصد بمراغة[٢]. وفي بغداد: بيت الحكمة، ودار العلم للشريف المرتض، ودار العلم لغرس النعمة، ودار الكتب لأبي نصر ابن شابور، ودار كتب مشهد أبي حنيفة[٣]، ودار العلم لأبي بكر ابن المارستانية. وفي همذان دار كتب الحافظ أبي العلاء العطار. وحتى المدارس الكبرى ـ ذات المرافق المتعددة والأوقاف الكثيرة ـ كالمستنصرية، والعمرية، والصالحية، والمنصورية، من الضروري أنها كانت متعددة القاعات والمصالح؛ لأن فيها كتباً تعد بعشرات الآلاف، فلا بد لها من مخازن وقاعات للمطالعة والصيانة، والتجليد والنسخ. وبهذا فهي تشبه إلى حد كبير مكتبات المعاهد والمدارس العليا في وقتنا الحاضر.

والثالث: هو أن فريقاً من الباحثين الروس، قدر مجموع المكتبات

---

(١) علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة ص٢٥١.

(٢) ابن شاكر الكتبي: المصدر السابق ٢/٣٠٧، ٣٠٨، ومحمد كرد علي: المرجع السابق ٦/١٧٩، والحلوجي عبد الستار: المرجع السابق ص٥٠، وحسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ٤/٤٠٣، ٤٠٩.

(٣) أحمد سوسة: خارطة بغداد ص٢٧٤ وما بعدها، وابن النجار: المصدر السابق ١٩/١٠٦، وجورج مقدسي: مؤسسات العلم في بغداد، مجلة الأبحاث مج٤، ج٣، (١٩٦١م).

العامة الموقوفة بالعراق وسوريا ومصر بأكثر من مائة مكتبة (فيما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين/ ١١ ـ ١٤م)[١].

وهذا عدد قليل جداً لا يعبر عن العدد الحقيقي لتلك المكتبات ولو بالتقريب؛ لأن الحنابلة لوحدهم ـ وهم أقلية بالمشرق الإسلامي ـ تزيد مكتبات مساجدهم ومدارسهم وزواياهم عن مائة مكتبة موقوفة؛ فما بالك إذا أضفنا إليها مكتبات الشافعية والحنفية والمالكية والشيعة؟! فالعدد ـ بلا شك ـ سيتضاعف أضعافاً كثيرة، ونحن إذا أحصينا المدارس السُّنِّية في العراق والشام ومصر (في القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م)، فسنحصل على أكثر من ٢٢١ مكتبة موقوفة[٢]، بحكم أن في كل مدرسة مكتبة.

وآخرها: هو أن الإعارة الخارجية كان معمولاً بها في المكتبات العامة بالمشرق الإسلامي، ويشترط فيها رهن لإخراج كتبها؛ كضمان للمحافظة عليها[٣].

لكن المكتبات الخاصة اختلفت مواقف العلماء في إعارة كتبها، بين موافق ومانع، ومشترط للرهن؛ فالموافقون حثوا على إعارتها خدمة للعلم، وطلباً للفضل والأجر؛ لأن منعها هو من البخل وكتمان العلم، على أن ترد لأصحابها[٤].

---

(١) معهد الإستشراق السوفياتي: المرجع السابق ص٣٠١.

(٢) انظر: النعيمي: المصدر السابق ١/ ٦٢٢ وما بعدها، و٢/ ٨٢٨ وما بعدها. والمقريزي: المصدر السابق ٢/ ٣٦٣، وابن جبير: المصدر السابق ص٢٠٨، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ١٥١، وعمر باشا: الأدب العربي في الشام ص٨٥، وأحمد فكري: المرحع السابق ٢/ ٥٠، ١٥٣، وحسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ٤/ ٥٧٠.

(٣) تاج الدين السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ص١١١.

(٤) السمعاني: أدب الإملاء ص٢٦٠، ٢٦١، والعلموي: المعين في أدب المفيد ص٢١٧، وابن مفلح: المصدر السابق ٢/ ١٧٨.

وقد أنشد أحدهم يقول:

كتبي لأهل العلم مبذولة   أيديهم مثل يدي فيها
متى أرادوا بلا منة   عارية فليستعيروها
حاشاي أن أكتمها عنهمو   بخلاً كما غيري يخفيها
أعارنا أشياخنا كتبهم   وسنة الأشياخ نحيها

وكان الفقيه عبد الوهاب الأنماطي البغدادي الحنبلي (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) يعير كتبه للطلبة بسهولة، ولا يتوقف في إعارتها[١].

وأما المانعون للإعارة فقد منعوها لأنها قد تؤدي إلى إفساد الكتب وضياعها، حتى قال أحدهم: لا تأمنن قارئاً على دفتر، ولا حمالاً على حبل[٢].

وأنشد آخر:

أجود بجل مالي لا أبالي   وأبخل عند مسألة الكتاب
وذلك أنني أفنيت فيه   عزيز العمر أيام الشباب[٣]

واتخذ المشترطون للرهن موقفاً وسطاً بين المجوزين والمانعين، فهم يعيرون كتبهم ويأخذون عنها رهناً؛ كضمان للحفاظ عليها، وفي ذلك قال أحدهم:

إذا ما أعرت كتاباً فخذ   على ذاك رهناً وخل الحياء
فإنك لم تتهم مستعيراً   ولكن لتذكر منه الأداء[٤]

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٤١، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٥١.
(٢) السمعاني: المصدر السابق ص٢٦٢، والعلموي: المصدر السابق ص٢١٧.
(٣) السمعاني: نفس المصدر ص٢٦٣.
(٤) نفسه ص٢٦٣، ٢٦٥.

وقال آخر:

جل قدر الكتاب ياصاح عندي فهو أغلى من الجوهر قدرا
لن أعير الكتاب إلا برهن من نفيس الرهون تبراً ودرا[1]

وأقول: إنه ليس بيد الأفراد المعيرين لمصنفاتهم، وسيلة للمحافظة عليها إلا بالرهن، وبدونه ستتلف ويضيع منها الكثير دون عوض. ويستحسن للمتفرغين للبحث العلمي ـ الحريصين على كتبهم ـ عدم إعارتها مطلقاً، إلا لمن هو أهلاً للإعارة. وأما المكتبات العامة فالرهن في حقها لا بد منه، لتحافظ على ثروتها التي جمعتها بالشراء، والنسخ، والوقف.

ثانياً: وقف علماء الحنابلة لكتبهم:

كانت ظاهرة وقف الكتب في المساجد والمدارس والزوايا، تقليداً متبعاً لدى أهل العلم بالمشرق الإسلامي[2]، كان للحنابلة فيه نصيب وافر **أذكر منهم:**

الفقيه الوزير عون الدين ابن هبيرة البغدادي (ت٥٦٠هـ/ ١١٤٦م)، وقف كتبه في مدرسته ببغداد، وبعد وفاته صودرت وبيعت بأرخص الأثمان[3].

ووقف المقرئ علي بن عساكر البطائحي البغدادي الضرير (ت٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) كتبه في مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني بباب

---

(١) نفس المصدر ص٢٦٤.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ: أبو شامة: ذيل الروضتين ص٣١٣، ٣١٤، والصفدي: المصدر السابق ٥/ ١٠، ١١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣١، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ١٦٩، ١٤/ ١٨٦.

(٣) صادرها خصومه في الدولة، وهم الذين نكلوا بأسرته كذلك. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣١.

الأزج، وفي مسجد ابن جردة بالجانب الشرقي من بغداد[1].

كما وقف المؤرخ عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) مصنفاته في مدرسته بدرب دينار ببغداد[2].

ووقف كل من الفقيه الموفّق ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، والحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، والمحدّث محمد بن هامل الحراني (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، كتبهم في المدرسة الضيائية المحمدية بصالحية دمشق[3].

ومنهم: الأديب أبو محمد بن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، جمع كتباً كثيرة وعند وفاته وقفها في رباط المأمونية ببغداد[4].

واشترى المقرئ عبد الله بن نيال العكبري البغدادي (ت٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) كتابين لابن عقيل البغدادي هما: الفصول، والفنون في أكثر من مائتي مجلد، ووقفهما للانتفاع العام[5].

ومنهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي (ت٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) وقف مصنفاته على أصحاب الحديث ونصَّ عليها بخطه في وصيته[6].

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٣٧، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١٨٢٠، وابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٦٧، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٢٩٦.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤١٣.

(٣) الصفدي: المصدر السابق ٦/ ٦٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٨٢، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٧٨، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٣٤.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٦.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢٠، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٤٢.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٦٨، والعبر ٤/ ١٤٠، وتذكرة الحفاظ =

ووقف المحدّث أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) كتبه في إحدى المؤسسات العلمية بحلب، فلما دخلها المغول في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، نهبت مصنفاته[١].

ووقف الفقيه عبد العزيز بن أبي القاسم البابصري البغدادي (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) جميع كتبه برباط السميساطية[٢] بمدينة دمشق[٣].

وكان الحافظ أبو الحسن علي بن النفيس الموصلي ثم الدمشقي (ت٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) شغوفاً بجمع الكتب حتى أنه يجوع ويشتريها ويقتنع بكسرة، وعندما اقترب أجله وقفها مع جميع أجزائه الحديثية[٤].

* **ومع أن الوقف له حرمته في الفقه الإسلامي**، فلا يباع، ولا يوهب، ولا يورث[٥]؛ فإن بعض الكتب الموقوفة قد انتهكت حرمتها، وتعرضت للنهب والإهمال كما حدث لمصنفات الأديب أبي محمد ابن الخشاب، فقد تقاسمتها الأيدي بعد وفاته، وبيع معظمها، ولم يبق منها إلا نحو العشر في رباط المأمونية ببغداد[٦]. وعندما وقف المقرئ أبو اليمن تاج الدين الكندي الدمشقي الحنفي (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م) نحو ٧٦١ مجلداً على المحدّثين والفقهاء واللغويين، ووضعت في خزانة كبيرة بمقصورة في الجامع الأموي، تعرضت للنهب وبيع

= ٤/ ١٢٩٠، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٢٦، والعليمي: المصدر السابق ٢/ ٢٦٧.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٥١ و٢٣/ ١٥٣.

(٢) نسبة لأبي القاسم علي بن محمد السميساطي الدمشقي (ت٤٥٣هـ) وقفها على الصوفية. النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٥١.

(٣) ابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ٢٢٢.

(٤) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٥٢.

(٥) السيد سابق: فقه السُّنَّة ٣/ ٣٠٩.

(٦) ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣١١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٢٦.

أكثرها، ولم يبق منها إلا القليل الرث[1].

ولم يحترم الفقيه تاج الدين بن المسعودي الخراساني الشافعي (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) حرمة الكتب الموقوفة، فقد جمع ـ عن طريق تلميذه السلطان صلاح الدين الأيوبي ـ كميات كبيرة منها، فمن ذلك أنه عندما دخل معه ـ أي: السلطان ـ إلى مدينة حلب في سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م نزل بجامعها وأخذ من خزانة كتبه الموقوفة ما شاء من المصنفات، ولم يمنعه أحد[2].

ويتبين مما ذكرناه عن مكتبات الحنابلة في المشرق الإسلامي (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) أن مكتباتهم العامة يزيد مجموعها عن مائة وعشرين مكتبة، لم أتعرف إلا على سبع منها فقط؛ مقابل ثلاث عشرة تابعة للأفراد. وأنهم ساهموا في تعمير المكتبات وإثرائها، بفضل كتبهم التي أوقفوها خدمة لمذهبهم وللعلم؛ وهو تقليد جدير بالإعجاب والتنويه، لدوره الفعال في التشجيع على المطالعة، وتزويد المساجد، والمدارس، والزوايا، والأربطة، بمختلف المصنفات.



(١) أبو شامة: ذيل الروضتين ص٩٨، وابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٧٢، ١١٦.
(٢) ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٤.



المبحث الرابع

الأربطة والزوايا والترب الحنبلية

انتشرت الأربطة، والخوانق، والزوايا في المشرق الإسلامي (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) انتشاراً واسعاً[١]، مما يدل على اهتمام المجتمع بها، وتأثيرها البارز فيه. وهي وإن اختلفت في الاسم[٢] فإنها لا تخرج من أنها بيوت ودور للزهاد، والعباد، والصوفية، والغرباء، والطلاب، وظيفتها الأساسية تمكين هؤلاء من التفرغ للعبادات، لكنها ـ في الغالب ـ لم تكن تخلو من نشاط علمي متنوع. وقد أحصيتُ منها للحنابلة تسعة أربطة، وعشر زوايا، ولم أعثر لهم على أية دار سموها خانقاه[٣].

(١) انظر: النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٣٩، ٨٢٨ وما بعدها. وأحمد سوسة: المرجع السابق ص٢٥١ وما بعدها.

(٢) اختلفت التعاريف في تحديد المعنى الدقيق الفاصل بين الرباط، والزاوية، والخانقاه؛ لأنها أصبحت متشابهة الوظائف (في القرنين السادس والسابع الهجريين/ ١٢ ـ ١٣م)، فيطلق اسم الرباط على الزاوية، والزاوية على الخانقاه، وللتوسع انظر: النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٩٥، وابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٣٣، ومحمد كرد علي: المرجع السابق ٦/ ١٣٤، وأسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام ص١١١ وما بعدها. وحسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ٤/ ٤٠١.

(٣) هي في الأصل كلمة فارسية تعني دار الصوفية (النعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٣٩، ١٩٥)، وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة أن أهل مصر يسمون الزوايا: خوانق. رحلة ابن بطوطة ١/ ٣٣.

وأما تربهم[1] فهي قليلة جداً بالمقارنة إلى ترب المذاهب السُّنِّية الأخرى.

۞ أولاً: الأربطة:

للحنابلة أربطة في مختلف مناطق وجودهم بالمشرق الإسلامي، قسمتها إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: فيها نشاط علمي مكثف.

والثانية: يبدو أن فيها اشتغالاً بالعلم.

والثالثة: لم تذكر لها المصادر[2] دوراً علمياً.

*** فبالنسبة للمجموعة الأولى فمنها اثنان:**

الأول: رباط الفقيه أبي الثناء محمود ابن النعال البغدادي (ت٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، بباب الأزج بالجانب الشرقي من بغداد[3]. كان أشعث الظاهر عامراً بالزهاد والفقهاء، فيه الاشتغال بالعلم أكثر مما في سائر مدارس بغداد، وينزل فيه طلاب الحنابلة القادمين من الشام[4] وغيره؛ منهم: الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، والحافظ عبد القادر الرهاوي (ت٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، والفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت٦١٤هـ/ ١٢٢٣م)، والفقيه الموفّق ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، وعندما قدم الفقيه ناصح الدين ابن الحنبلي الدمشقي (ت٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) إلى بغداد طلباً للعلم في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) نزل في هذا الرباط، فلم يجد فيه بيتاً

---

(١) سيأتي تعريفها فيما يأتي من هذا المبحث.

(٢) التي اطلعت عليها.

(٣) المنذري: المصدر السابق ٤/ ٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٤، وأبو شامة: المصدر السابق ص٨٢.

(٤) ابن رجب: نفسه ٢/ ٦٤.

خالياً، فعمر به بيتاً وسكنه[1].

والثاني: رباط الخلاطية في بغداد، بناه الخليفة العباسي الناصر لدين الله (ت٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م) للفقيه عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)، وفيه سمع المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي الحنبلي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) كتاب «الغنية لطالبي الحق» لعبد القادر الجيلاني، سمعه في سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٨م) على العدل جمال الدين بن الدباب البغدادي الحنبلي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)[2].

*** وأما المجموعة الثانية فمنها رباطان:**

الأول: رباط الشيخ عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، بالقرب من مدرسته بباب الأزج في القسم الشرقي من بغداد[3]. وقد سكنه الفقيه سعد بن عثمان بن مرزوق المصري ثم البغدادي (ت٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)[4]. ورباطه في وقتنا الحاضر مدمج مع مدرسته وتربته في بناية واحدة. (انظر: الصورة رقم: ٢).

والثاني: رباط الزاهد علي ابن الخباز البغدادي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، بالجانب الشرقي من بغداد، كان له فيه أصحاب ومريدون، وقد قتله المغول داخل رباطه في عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وألقوه على بابه، وقتلوا معه الأديب الشاعر أبا زكريا يحيى بن يوسف الصرصري البغدادي الحنبلي الضرير المقيم في الرباط[5].

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٤، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٨.

(٢) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٣، ٤/ ١٠٧، ١٠٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٠.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص٩١.

(٥) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٦٣، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٦٠، ٢٨٠، ٢٨٦.

* **وأما المجموعة الأخيرة فمنها خمسة أربطة:**

أولها: رباط الزاهد أبي علي بن مسلم الفارسي (٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) يقع في قرية الفارسية بضواحي بغداد[١].

والثاني: رباط ابن البل بمحلة قطفتا على نهر عيسى بالجانب الغربي من بغداد، بناه الواعظ أبو المظفر ابن علي الدروري المعروف بابن البل (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)[٢].

والثالث: رباط القاضي أبي المعالي أحمد بن يحيى الأواني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) بقرية أوانا بضواحي مدينة بغداد[٣].

والرابع: رباط دير الحنابلة بسفح جبل قاسيون بصالحية دمشق، ويبدو أنه كان ما يزال قائماً زمن المؤرخ ابن طولون الصالحي المتوفى في سنة (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)[٤].

وآخرها: رباط الفقيه أبي المعالي وجيه الدين بن المنجا الدمشقي (ت٧٠١هـ/ ١٣٠١م) بناه في بيت المقدس[٥].

❀ ثانياً: الزوايا:

كانت للحنابلة زوايا جماعية يسكنها الشيخ ومريدوه، فيها نشاطات متنوعة؛ ولهم زوايا فردية ينقطع فيها الزهاد للعبادات. فبالنسبة للجماعية فمنها زاوية الفقيه أبي محمد طلحة بن غانم العلثي (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)

---

(١) ابن رجب: نفس المصدر ١/ ٣٩٦، ونفس المصدر ٤/ ٣١٦، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج: (٥٩١ ـ ٦٠٠هـ)، ص١٥٩.

(٢) أبو شامة: ذيل الروضتين ص٨٨، وابن رجب: نفس المصدر ٢/ ٧٦، وحسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٣٨٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ١٩٩.

(٤) ابن طولون: القلائد الجوهرية ١/ ٢٥٦.

(٥) الصفدي: المصدر السابق ٤/ ٩١، والنعيمي: المصدر السابق ١/ ١٧.

بناها بقرية العلث بالقرب من بغداد، تفرّغ فيها للعبادة والتعليم، وكان له فيها مريدون كثيرون[1].

* **ومنها: أربع زوايا يبدو أنها جمعت بين العلم والعبادات**؛ لأن شيوخها من أهل العلم ولهم فيها مريدون، مما يفرض عليهم الاشتغال بالعلم الشرعي الضروري **على الأقل**.

أولها: الزاوية الجاكيرية، نسبة للفقيه جاكير بن دشم الكردي (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) بناها بقرية رذان جنوب مدينة سامراء بالعراق، وكان له فيها أصحاب وأتباع، وبعد وفاته خلفه فيها أخوه أحمد[2]؛ وكانت آثارها ما تزال قائمة واضحة المعالم في عام (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)[3].

والثانية: زاوية الفقيه عمر ابن الفراس البغدادي (ت٦٠٨هـ/ ١٢١١م) أنشأها بجانب مسجد بالقسم الغربي من بغداد وانقطع فيها، ثم انضمت إليه جماعة من أصحابه ومريديه، وأصبح الناس يقصدونه بالفتوح والنذور، ويتوبون على يده، ويلبسهم خرقة التصوف[4].

والثالثة: زاوية الصوفي أبي القاسم ابن يوسف الحواري (ت٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م) ببلدة حوارى بالشام، له فيها أتباع كثيرون لا يعقدون سماعات بالدف؛ خلفه فيها بعد وفاته الفقيه عبد الله[5].

---

(١) المنذري: المصدر السابق ٢/١٠٨، ١٠٩، والذهبي: المختصر المحتاج ص٢٠٥، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٩١.

(٢) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٤/ ٣٥٠.

(٣) ابن الفوطي: المصدر السابق ق٢، ٤/ ٥٧٥، ٧٧٤ و١١٥٢، ١١٥٣، والعماد الحنبلي: نفس المصدر ٤/ ٣٥٠.

(٤) ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد ٢٠/ ١٢٤.

(٥) اليونيني: المصدر السابق ٢/ ٣٣٦، وابن كثير: البداية ١٣/ ٢٤٦، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٧٧.

وآخرها: زاوية الفقيه عبد الحافظ بن بدران النابلسي (ت٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) بناها بطور عسكر من عمل نابلس[١].

* **ومنها: زاويتان سكتت المصادر عن نشاطهما العلمي:**

أولهما: زاوية الزاهد أبي بكر عبد الغني بن شجاع البغدادي المعروف بابن نقطة (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) كان يأوي إليها مع طائفة من الصوفية[٢].

والثانية: الزاوية العمادية، بناها العماد أحمد بن العماد بن سرور المقدسي الصالحي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، عند كهف جبريل بسفح قاسيون بمدينة دمشق؛ وله فيها مريدون أكلة بطالون[٣].

* **وأما الزوايا الفردية فمنها ثلاث:**

أولها: زاوية أبي الفرج ابن حمدي البغدادي (ت٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)، أقامها داخل مسجد له بسوق الثلاثاء بالجانب الشرقي من بغداد، وانقطع فيها للعبادة والصلاة بالناس[٤].

والثانية: زاوية أبي الثناء محمد بن هبة الله الزيتوني البغدادي (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، كانت ملاصقة لمسجد له في بغداد، تفرّغ فيها للعبادة، واتخذ مسجده منبراً للوعظ[٥].

والثالثة: زاوية الفقيه أبي بكر ابن غنيمة الحلاوي البغدادي

---

(١) الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص٢٧٨، وابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٣٤١.
(٢) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣١.
(٣) الصفدي: نكت الهميان ص٩٢، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٢٠٥، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٩٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٠٣.
(٤) ابن الدبيثي: المصدر السابق ١/ ١٠٢.
(٥) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٨٩، ٢٨١.

(ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)، اتخذها بداخل مسجد ببغداد، عمله فيه الاجتهاد في العبادات، وإقراء الناس القرآن الكريم مجاناً[١].

* وأشير هنا إلى أن لعبد الرحمٰن ابن الجوزي، انتقادات لاذعة للعباد والصوفية في اتخاذهم الزوايا والأربطة سكناً لهم، وفي طريقة عيشهم فيها، فمن ذلك أنه أنكر عليهم ابتداع بناء الأربطة والانفراد فيها وترك المساجد التي هي بنيان الإسلام لا الأربطة، فهم بذلك قد نافسوها وقللوا جمعها، وتشبهوا بالنصارى في أديرتهم، وتميزوا عن الناس بأنهم زهاد، مما أوجب زيارتهم والتبرك بهم، هذا إن صح قصدهم في تأسيسها، وأما إن كان غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للنرد[٢]، ومناخاً للبطالة، وأعلاماً لإظهار الزهد[٣].

وأخذ عليهم أن جمهورهم جلوس على بساط الجهل والكسل، واقتنعوا بأداء الفرائض وارتداء المرقعات، ثم يدعي أحدهم المحبة والقرب؛ حتى أن رجلاً قرأ القرآن في رباط لهم فمنعوه، وأن قوماً قرؤوا الحديث في رباط آخر فقالوا لهم: ليس هذا موضعه[٤].

وذكر أن غالبيتهم في زمانه قد تركوا الكسب واستراحوا من كد المعاش، متشاغلين بالأكل والشرب والرقص، يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون؛ وأكثر أربطتهم بناها لهم الظلمة، وأوقفوا عليها أموالاً خبيثة[٥]. وأصبح همهم فيها انتظار دوران المطبخ، والمغني الذي

---

(١) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٧٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٩.

(٢) النرد لعبة فارسية الأصل، وتعرف كذلك بالطاولة، والنرد شير. علي بن هادية: المرجع السابق ص١٢١٢.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص١٩٩، وصيد الخاطر ص٣٦٢.

(٤) ابن الجوزي: صيد الخاطر ص٣٦٢، وتلبيس إبليس ص١٩٩.

(٥) نفسه المصدر ص١٥٤، ونفسه ص١٩٩، ٢١٠.

يدق بدف ذي جلاجل[١]، ورفيقه بالشبابة[٢]، وسعدى وليلى في الإنشاد، والمردان في السماع[٣].

ثم حثّ ابن الجوزي على عدم إعانتهم على بطالتهم؛ لأنه لا ثواب في مساعدتهم، وهم أضر على الإسلام من كل مضر[٤]. وحكى أنه زار رباطاً ببغداد ليسأل عن شيخه، فقيل له: إنه مضى إلى الأمير يهنئه على خلعة قد خلعت عليه، وكان هذا الأمير من كبار الظلمة[٥].

وفي مقابل هذه الانتقادات اللاذعة لغالبية الصوفية، نجد الرحّالة ابن جبير (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) قد اتخذ منهم موقفاً مغايراً تماماً لموقف ابن الجوزي ـ كان معاصراً له ـ فهو قد زار الصوفية في أربطتهم، عندما رحل إلى المشرق في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، فمدحهم ووصف بعض أربطتهم بأنها قصور مزخرفة، يعيشون فيها في رفاهية، وهم ملوك البلاد لأن الله قد كفاهم «مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خواطرهم لعبادته، من الفكرة في أسباب المعاش، وأسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنان»، وأحوالهم كلها بديعة على طريقة شريفة، وسنة في المعاشرة عجيبة[٦].

فابن الجوزي ذم الصوفية في أربطتهم لتركهم العلم والتكسب، وخلودهم إلى الراحة والبطالة، والأكل والرقص؛ وابن جبير مدحهم مطلقاً وبرر سلوكاتهم وسلبياتهم، مما يدل على حبه الشديد لهم، وأنه لم يكن موضوعياً في موقفه منهم.

---

(١) الجلجل هو الجرس الصغير. علي بن هادية: المرجع السابق ص٢٥٦.
(٢) هي: الناي، أو المزمار من القصب. نفس المرجع ص٥٠٨.
(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص١٩٩، ٢١٠، وصيد الخاطر ص١٥٤.
(٤) نفسه ص٢١٠، ونفسه ص١٥٤.
(٥) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص٢١٠.
(٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص٢٥٦.

* ولرفع الالتباس عن هذا الموضوع أقول: لم تكن كل أربطة الصوفية وزواياهم على طريقة واحدة، **لكن أكثرها يصدق عليها ما قاله ابن الجوزي**. فمن ذلك: أن ملك إربل المظفر كوكبوري التركماني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) بنى رباطاً لمائتي صوفي، فكانوا يمضون ليلة كل جمعة في الأكل والرقص[١].

وللصوفي أبي محمد الحريري الدمشقي (ت٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) زاوية بظاهر مدينة دمشق، خصصها لعقد سماعات الغناء والرقص في حضور أتباعه المردان وعامة الناس، واستمر على هذا الحال مدة طويلة إلى أن توفي[٢].

وكان للصوفي شرف الدين ابن الرومي الدمشقي (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) زاوية بسفح جبل قاسيون بمدينة دمشق، انقطع فيها لعمل السماعات الغنائية، يحضرها الصوفية والعوام، فيرقص فيها من أولها إلى آخرها، ويخلع ملابسه ويلبسها للمغنين، ويبقى هو بالسروال. وكان له تأثير كبير على الناس فيحملون إليه الأموال الكثيرة، فيخرجها في حينها[٣]؛ ليضمن استمرار لهوه وتلاعبه بالدين، وتجميع الناس من حوله!

وأما الصوفي العماد بن أحمد بن سرور المقدسي ثم الصالحي (ت٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، فقد كانت له زاوية بصالحية دمشق له فيها أتباع شغلهم الأكل والبطالة، ويقال: أنه كان يتعاطى الحشيش المخدر ويحث على تناوله[٤].

---

(١) القزويني: المصدر السابق ص٢٩٠.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق ٧/ ٢٠٥، (ط د) المعرفة، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٢٣١.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات ٤/ ٨٦، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٣٨٥.

(٤) الصفدي: نكت الهميان ص٩٢، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ١٩٦، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٢٠٥.

ووصف الرحالة ابن جبير بعض أربطة الصوفية وخوانقهم بدمشق، بأنها تشبه القصور وفي غاية الأبهة والزخرفة، وفيها بساتين ومساكن جميلة متعددة الطوابق[1]. وهي في مصر لا يوجد ما يماثلها، مفروشة بالرخام ومسقوفة بالأخشاب، ومدهونة وملمعة بالذهب ومواد أخرى[2].

* **ومنها: أربطة وزوايا ليست على تلك العادات المستهجنة، فإنها قد جمعت بين العلم والعبادة**؛ كرباط الفقيه طلحة العلثي، وأبي الثناء محمود بن النعال ـ سبق ذكرهما ـ ورباط المحدّث عبد الله بن أحمد البزاز المروزي (ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) بناه لأهل الحديث من خاصة ماله، وجعل فيه خزائن كتب بالمصنفات[3].

ومنها أربطة كانت فيها مكتبات عامرة بنفائس الكتب؛ كرباط الحريم الطاهري ببغداد، ورباط الكاتب عز الدين ابن النيار البغدادي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[4].

ومنها ما خصص للنساء الزاهدات، وبعضها اتخذ كملاجئ للعجائز والأرامل، وحول بعضها إلى ما يشبه الفنادق ومحطات التموين[5].

ويستنتج مما تقدم ذكره عن زوايا الحنابلة وأربطتهم بالمشرق الإسلامي (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م)، أن منها تسعة عشر تعرفت عليها ـ كما هو مبين (في الجدول رقم: ١٨) ـ، وأنها لم تكن

---

(١) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص٢٥٧.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٣٣٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ١١٣.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق ٩/ ٢٢٩، وابن الفوطي: المصدر السابق ق١، ٤/ ١٣٣.

(٥) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٨، ٥٤، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٢٥٦، ٢٥٧، وياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/ ٤٥، وابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ١٩٣.

على طريقة واحدة في سلوكياتها، فمنها من ضعف نشاطها العلمي وغلبت عليها البطالة والمآكل والسماعات؛ ومنها من جمع بين العلم والعبادة وكان اشتغالها بالعلم بارزاً مكثفاً، مع خلوها من مظاهر السلبية واللهو. وأن انتقادات ابن الجوزي اللاذعة للصوفية في أربطتهم، تصدق على غالبيتهم ولا تصدق عليهم جميعاً. وأن أربطة الحنابلة وزواياهم قد ساهمت في نشر العلم، ودعم الحركة العلمية الحنبلية، مع القيام بوظيفتها الأساسية في تمكين الزهاد من التفرغ للعبادات، فهي كالمشاهد والترب ليس العلم مهمتها الرئيسية لكنها لم تخل منه.

ثالثاً: الترب والمشاهد:

كان يقصد بالتربة ـ في المعنى الشائع ـ المقبرة التي يدفن فيها عامة الناس، ثم أصبح لها معنى خاصاً راج استعماله في القرن (السابع الهجري/١٣م) وما بعده، يطلق على البناء الذي يقام على قبور الأكابر والأعيان والعلماء، وهو في العادة قبة كبيرة بداخلها ضريح ولها أوقاف ومرافق متعددة[١]. (انظر: الصورة رقم: ٩). والهدف منها ـ على ما يبدو ـ تخليد الذكر وطلب الأجر؛ لأن أوقافها ومرافقها تعتبر صدقة جارية، وفي كثير منها مساجد ومكتبات، ومكاتب لتعليم الأطفال، وحلق العلم[٢].

---

(١) ابن طولون: المصدر السابق ٢/ ٤٤٧، ٤٥١، ٤٨٩، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤٣٦، والسخاوي الحنفي: ص٣٠٩، وابن كثير: المصدر السابق ١٢٣/ ٢٩٦ ٣٤٧، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٣١٧.

(٢) ابن الساعي: نساء الخلفاء حققه مصطفى جواد، القاهرة دار المعارف، (د ت)، ص١١٦، ١١٧، والنعيمي: المصدر السابق ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٩٢.

جدول لأشهر أربطة وزوايا الحنابلة في المشرق الإسلامي[1]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٨)

نوع المؤسسة	الزاوية	البلد	المجموع
الأربطة	رباط محمود النعّال	بغداد	٠٩
=	رباط الخلاطية ورباط أبي علي الفارسي[2]	=	
=	رباط ع القادر الجيلاني	=	
=	رباط ابن أبي العز الخباز	=	
=	رباط ابن البل الدوري	=	
=	رباط أبي علي الفارسي	=	
=	رباط دير الحنابلة	دمشق	
=	رباط أحمد الأواني	بغداد	
=	رباط الوجيه بن المنجّا	بيت المقدس	
الزوايا	زاوية طلحة العلثي	بغداد	١٠
=	الزاوية الجاكيرية	سامراء	
=	زاوية ابن مسعود الفراس	بغداد	
=	زاوية أبي القاسم الحواري	الشام	
=	زاوية ابن نقطة	بغداد	
=	الزاوية العمادية والزاوية البدرانية[3]	دمشق، نابلس	
=	زاوية ابن حمدي	بغداد	
=	زاوية محمد اليونيني	بعلبك	
=	زاوية ابن الحلاوي	بغداد	المجموع: ١٩

(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.
(٢) يوجد رباطان في هذه الخانة.
(٣) توجد زاويتان في هذه الخانة.

الصورة رقم : 09

نموذج للتربة - تربة معروف الكرخي (ت 200هـ / 815م) في بغداد



بشير فرنسيس، المرجع السابق، اللوحة رقم : 08

ومن أشهر الترب في المشرق الإسلامي، تربة الإمام أبي حنيفة ببغداد ـ فيها مدرسة ـ، وتربة الإمام الشافعي بمصر ـ فيها مدرسة ـ، ومشهد الحسين بالقاهرة وفيه مدرسة للشافعية[1]، والتربة البهنسية بدمشق بناها الوزير المجد البهنسي (ت٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)، ووقف فيها كتباً وأجرى عليها أوقافاً[2]، والتربة الأفريدونية بدمشق أنشأها التاجر أفريدون العجمي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، وجعل فيها داراً للقرآن

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق ج١٢ص: ٢٩٦، ٢٩٧ و١٣/ ٢٤، ٦٥، والسيوطي: المصدر السابق ١/ ٣٠٩، ٣٨٩، والمنذري: المصدر السابق ٣/ ٢٥٥، وGeorge Makdisi L' islam hanbalisant Tom 2 P 23.

(٢) ابن كثير: نفس المصدر ١٣/ ١٥٠، وابن طولون: المصدر السابق ١/ ٢١٤.

وأوقافاً[1]، وتربة سلجوقي خاتون (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) ـ زوجة الخليفة الناصر لدين الله ـ بالجانب الغربي من بغداد، وقفت فيها خزانة كتب نفيسة، وجعلت فيها الإعارة الخارجية بالرهن[2].

وأما بالنسبة للحنابلة فلم أعثر لهم على أي مشهد[3]، ولم يكن لهم من الترب إلا القليل:

*** أولها: تربة الإمام أحمد بن حنبل ببغداد.**

وهي بناء أقيم على قبره في النصف الثاني من القرن (السادس الهجري/ ١٢م) وكتب عليه اسمي الخليفة المستضيء وأحمد بن حنبل[4]؛ ثم أقيمت عليه قبة تهدمت مراراً لم تكن قائمة عندما زار ابن بطوطة بغداد في سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)[5]. ثم بنيت عليه تربة بداخلها دهليز قبل عام (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[6]؛ ويبدو أنها لم تكن بناية كبيرة ذات مرافق وأوقاف، ولم تتحول إلى مدرسة[7] كما حال تربتي الإمامين أبي حنيفة والشافعي.

---

(١) النعيمي: المرجع السابق ٢/ ٢٢٣، وابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص٣١٩.

(٢) ابن الساعي: المصدر السابق ص١١٦، ١١٧.

(٣) المشاهد هي مساجد وبنايات تقام على قبور الأنبياء، والعظماء، والصالحين، قصد التبرك بها والتعظيم لها. وهي من البدع المحدثة في الإسلام، وهي طريق إلى الشرك والانحراف، وقد نهت الشريعة عن اتخاذ القبور مساجد. ويعتبر الشيعة أكثر الطوائف تعظيماً للمشاهد وهجراً للمساجد، وابن تيمية: التفسير الكبير ٧/ ٥٥٥، ٥٥٨، وابن كثير: المصدر السابق ١٢/ ٣، ٤٧، ٢٩٦، وابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان ١/ ١٥٣، وابن جبير: المصدر السابق ص١٣ وما بعدها.

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق ١٠/ ٢٨٣، ٢٨٤، وابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٠٨.

(٥) ابن بطوطة: المصدر السابق ١/ ٢٣٨.

(٦) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٦/ ١٣٠ (ط د الآفاق).

(٧) لأنه لا يعرف أن للحنابلة مدرسة على قبر إمامهم.

* **والثانية: هي قبة بناها الوزير عبد الله بن يونس البغدادي الحنبلي** (ت٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) على قبر والده ببغداد[١]؛ لكنني لم أعثر لها على أية أخبار أخرى فيما يخص سنة بنائها ومرافقها وأوقافها.

* **والثالثة:** تربة الفقيه محيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن ابن الجوزي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

بناها لنفسه في محلة الحربية بالجانب الغربي من بغداد[٢]. ولا يعرف ماذا أوقف عليها، ولم يدفن فيها ـ على ما يبدو ـ لأن المغول قتلوه يوم دخلوا بغداد وخربوها في عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[٣].

ـ وللحنابلة تربة مشتركة بينهم وبين الشافعية، والمالكية، والحنفية، فيها مدرسة **تعرف بالقبة المنصورية**، بناها السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، عند مدخل المارستان المنصوري الكبير بالقاهرة[٤]. ووقفها على المذاهب الأربعة وجعل فيها مكتبة عامرة بالمصنفات؛ وهي قبة جميلة مزخرفة بالفسيفساء، والخشب المذهب، تحملها أربعة أعمدة أسطوانية طويلة، وجدرانها مكسوة بالرخام، وتحتها قبر واقفها[٥]. ولم أعثر على أي عالم حنبلي درس فيها للحنابلة.

* **ويتبين مما تقدم ذكره** أنه لم يكن للحنابلة من الترب المشهورة (خلال القرنين ٦ ـ ٧هـ/ ١٢ ـ ١٣م) إلا القليل النادر، ذكرت منها ثلاثاً لا يعرف فيها اشتغال بالعلم.

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ص١٧٠، ١٧٢.

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٢٥٩.

(٣) نفس المصدر ٢/ ٢٦٠.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق ١٣/ ٣١٧، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ٥/ ٤١٠، وأحمد بدوي: المرجع السابق ص٥١، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٣٩.

(٥) أحمد بدوي: المرجع السابق ص٥١، وناجي معروف: المرجع السابق ١/ ٣٩.

والرابعة: ليست تربتهم وإن كان لهم فيها نصيب في مدرستها.

فما هي أسباب قلتها عندهم؟ هي ثلاثة أسباب رئيسية:

أولها: نفور معظم علماء الحنابلة من البناء على القبور؛ لأن الشرع الحكيم نهى عن اتخاذ القبور مساجد[١].

والثاني: أن البناء على القبور بدعة لم يفعلها السلف الصالح، وطريق إلى الشرك[٢].

والثالث: أن كل الترب ـ تقريباً ـ بناها الملوك والأمراء والأثرياء[٣]، وليس في الحنابلة ملوك، والغالبية الساحقة من الأمراء ليسوا على مذهبهم، وأثرياؤهم قليل بالمقارنة إلى أثرياء الشافعية والحنفية مثلاً[٤].

خاتمة الفصل

وختاماً لفصل مؤسسات العلم الحنبلية بالمشرق الإسلامي، أمثل معطياتها في (جدول رقم: ١٩، ورسم بياني رقم: ١٥) ومنهما يتبين أن مجموعها أكثر من مائة وثلاث وثمانين مؤسسة، من بينها اثنتان وتسعون مسجداً، (بنسبة قدره ٤٩,١٩٧٪)، وأن أكثرها اشتغالاً بالعلم هي التي ببغداد ودمشق. ومن بينها اثنتان وخمسون مدرسة، بنسبة مئوية قدرها (٢٧,٨٠٧٪)، منها ثماني عشر ببغداد[٥]، وثلاث عشرة بدمشق، وخمس أنشأتها خمس نساء ـ سبق ذكرهن ـ. وللحنابلة كذلك عشرون مكتبة مثلت (١٠,٦٩٥٪)، وهو عدد قليل جداً بالنسبة إلى مجموع مكتباتهم الموقوفة

---

(١) ابن تيمية: المصدر السابق ٧/ ٥٥٨، وابن قيم الجوزية: المصدر السابق ١/ ٥٣.

(٢) ابن تيمية: نفسه ٧/ ٥٥٨.

(٣) انظر: النعيمي: المصدر السابق ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٦.

(٤) تبين لي ذلك من خلال المصادر التي اطلعت عليها، لذلك كان خصوم الحنابلة يعيرونهم بقلة الناصب والمال.

(٥) بما فيها المدارس المشتركة وهي ثلاث مدارس.

في مساجدهم، ومدارسهم، وأربطتهم، وزواياهم. ولهم تسعة عشر رباطاً وزاوية بنسبة قدرها (١٠,١٦٠٪)، من إجمالي مؤسساتهم العلمية، قد تبين ـ سابقاً ـ أنها لم تكن على طريقة واحدة في سلوكياتها، ودرجة اشتغالها بالعلم، فمنها طائفة مالت إلى الراحة والبطالة، وأخرى اهتمت بالعبادات، وطائفة ثالثة جمعت بين العلم والعبادة، وكان نشاطه العلمي بارزاً كرباط أبي الثناء محمود، وطلحة العلثي. وهذه المؤسسات كلها قد ساهمت بدور كبير في خدمة المذهب الحنبلي، وتنشيط الحركة العلمية الحنبلية وتوسيع مجالها وتأثيرها، بفضل جهود مدرسيها الذين تولوا زمامها، وتفاعلوا مع قضاياها الفكرية.

جدول تقريبي لمجموع مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي[١]

(ق: ٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م)

(الجدول رقم: ١٩)

الرمز	نوع المؤسسة	العدد	النسبة المئوية
×	مساجد	٩٢	٤٩,١٩٧
+	مدارس	خاصة: ٣٦	
+	=	مشتركة: ١١	٢٧,٨٠٧[٢]
+	=	بيتية: ٠٥	
=	مكتبات	٢٠	١٠,٦٩٥
÷	أربطة وزوايا	١٩	١٠,١٦٠
-	تَرب	٠٤	١٠,١٦٠
المجموع	-	١٨٧ مؤسسة	٠١,١٣٩

---

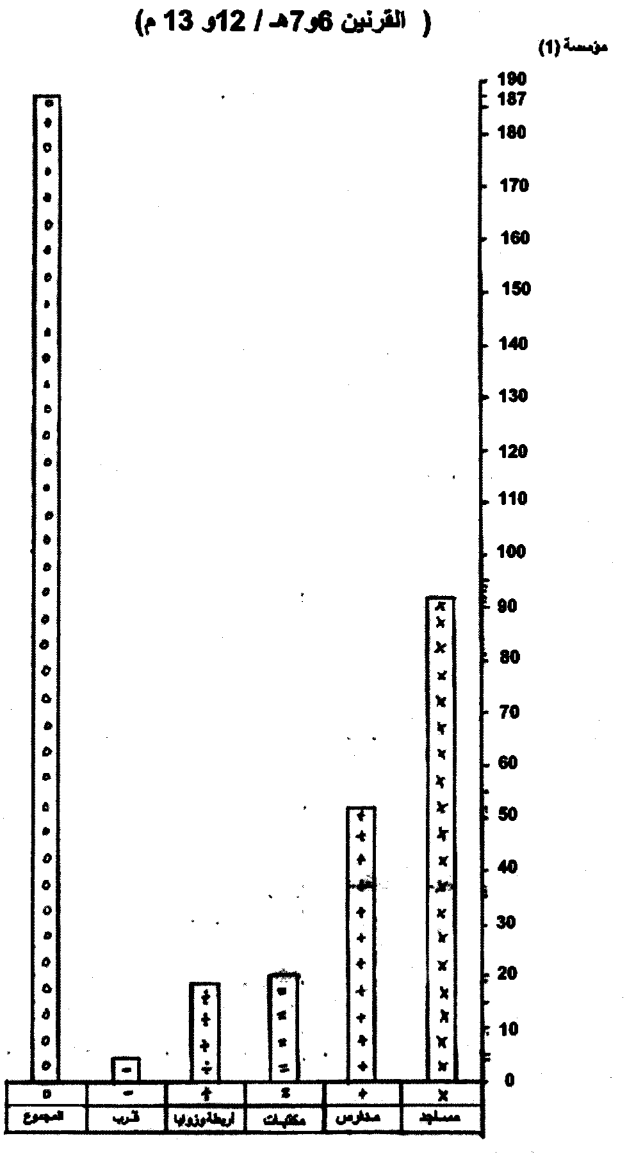
(١) المصادر سبق ذكرها في المتن.

(٢) يمثل هذا الرقم المدارس كلها (الخاصة، والمشترة، والبيتية).

الرسم البياني رقم : 15

رسم بياني بالأعمدة لمجموع مؤسسات العلم الحنبلية بالمشرق الإسلامي

(القرنين 6و7هـ / 12و 13 م)



---

(1) كل عشر مؤسسات يُـقابلها على الرسم = 1سم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة